

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمدا لك ربى على ما أوليتنى من سابع نعمك ، وأبليتنى من بالغ توفيقك ، وصلاة وسلاما على رسولك الأمين ، سيدنا ومولانا محمد صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه الهداة الأعلام .

وبعد : فهأنذا أصدر الجزء الرابع من « جمهرة رسائل العرب » حاويا الشطر الثانى من رسائل العباسيين فى العصر العباسى الأول - من أول خلافة المعتصم إلى استيلاء بنى بويه على بغداد سنة ٣٣٤ هـ - وقد بقيت من هذه الجمهرة حلقة خامسة هى « رسائل الأندلسيين » أرجو أن يوفقنى المولى القدير إن شاء الله إلى إنجازها ، كما وفقنى إلى إنجاز أخوتها الأربع ، ومن قبل ما وفقنى إلى إصدار « جمهرة خطب العرب » فى حلقاتها الثلاث ، فله أوفر الحمد وأوفاه .

وقد سلّختُ حتى الآن فى تأليف هاتين الجهرتين سبع سنين دأباً - ثلاثاً فى جمهرة الخطب ، وأربعاً فى الأخرى - قطعت فيها أشواطهما السبعة ، مشابراً على العمل فيهما صيفاً شتاء ، سحابة النهار أجمع وقطعا من الليل فى بعض الأحيان ، واهباً لهما كل أوقات فراغى من عملى الدراسى - عدا

مأخرجته في هذه الفترة من مؤلفات أخر^(١) - دون أن أنيل نفسي حظها من
الجُحام والراحة ، والآن - بعد أن كدّها ذلك الإيجاف ، الذي كاد يُشرف
بها على البُهر والإعجاف - أراها ظمئة ظمًا مُليحًا إلى فترة راحة قصيرة ، تستجِمُّ
فيها وتستروِح ، حتى تُثوب إلى الميدان فتية النشاط ، قوية الرّكض ،
فتقطع الشوط الأخير في غير ضَجَر ولا ملالة ، فإلى القراء الكرام معذرتي
في هذا التريث ، وإلى الملتقى القريب ، إن شاء الله .

وإني لأحتمل في سبيل ذلك العمل الشاقّ المضني ما ألقاه فيه من جهد
ولُغوب ، بصدر رحيب ، وعين قريرة ، وليس لي من ورائه مطمع إلا أن يذكر
اسمي في عِداد من نصبوا أنفسهم لخدمة هذه اللغة العربية الشريفة ، ففازوا
على تعاقب الأجيال بطيب الذكرى ، وخالد الأثر ، سددنا الله وإياكم إلى
طريق الخير والصلاح ، وكتب لنا سعادة الدنيا والأخرى ، إنه المنعم المتفضل
المحمود

أحمد زكي صفوت

وحرر بالقاهرة في { جادى الآخرة سنة ١٣٥٧
أغسطس سنة ١٩٣٨

(١) وهي : ترجمة الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وكتاب الكامل في النحو والصرف ،
في أربعة أجزاء لطلبة دار العلوم ، وكتاب علم البيان ، وكتاب علم المعاني ، وتاريخ الخطابة في الجاهلية
والإسلام ، وتاريخ الجدل والمناظرة ، وهذه الكتب الثلاثة الأخيرة بالاشتراك مع بعض حضرات الزملاء .

فهرس الرساء

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر	١	١
» » » » » » » »	٢	٢
» » إلى الآفاق عند القبض على بابك الخرمي	٣	٢
» » إلى ملك الروم	٤	٨
» إبراهيم بن المهدي إلى المعتصم	٥	٨
كتابه إلى إسحق بن إبراهيم الموصلي	٦	١٠
رواية أخرى	٧	١١
كتابه إلى صديق له	٨	١٢
كتاب له	٩	١٢
» »	١٠	١٢
» » في التشوق	١١	١٣
» »	١٢	١٣
» »	١٣	١٤
» »	١٤	١٥
كتابه إلى منصور بن المهدي	١٥	١٥
» إلى العباس بن موسى	١٦	١٦
فصل له	١٧	١٦
فصل له	١٨	١٦
كتاب يعقوب الكندي إلى بعض إخوانه	١٩	١٧
بين عبد الله بن الحسن الأصفهاني وابن الزيات	٢٠	١٨

Check
1984

الرسالة	رقم الصفحة	رقم الرسالة
كتاب الحسن بن وهب إلى ابن الزيات	٢١	١٩
» » » » » » » »	٢٢	١٩
رد ابن الزيات عليه	٢٣	٢٠
كتاب ابن الزيات إلى الحسن بن وهب	٢٤	٢١
رد الحسن بن وهب على ابن الزيات	٢٥	٢١
كتاب ابن الزيات إلى الحسن بن وهب	٢٦	٢٢
كتاب الحسن بن وهب إلى ابن الحسن بن سهل	٢٧	٢٣
» » » » إلى القاسم بن الحسن بن سهل	٢٨	٢٥
» » » » إلى محمد بن إسحق	٢٩	٢٥
» » » » إلى إسحق بن يحيى	٣٠	٢٦
» » » » إلى محمد بن عبد الله بن طاهر	٣١	٢٧
جواب تعزية له	٣٢	٢٧
تعزية له	٣٣	٢٨
كتابه إلى إسحق بن إبراهيم	٣٤	٣٠
» إلى عبد الرحمن بن خاقان	٣٥	٣١
كتاب تعزية له	٣٦	٣٢
» له في الشكر	٣٧	٣٢
» في الشكر	٣٨	٣٣
كتاب الحسن بن وهب إلى إبراهيم بن العباس	٣٩	٣٤
» » » » إلى أبي تمام الطائي	٤٠	٣٤
كتاب له	٤١	٣٥
كتاب ميمون بن إبراهيم إلى الحسن بن وهب	٤٢	٣٥
» الحسين بن الحسن بن سهل إلى صديق له	٤٣	٣٦

رد صديقه عليه	٤٤	٣٧
كتاب عبد الرحمن الحرائى إلى محمد بن سهل	٤٥	٣٧
» ابن الزيات بالعهد للوائح على مكة	٤٦	٣٧
» إبراهيم بن العباس إلى الوائح	٤٧	٣٨
» » » » إلى ابن الزيات	٤٨	٣٩
» » » » » » » »	٤٩	٤٠
» » » » » » » »	٥٠	٤٠
» » » » » » » »	٥١	٤١
» » » » » » » »	٥٢	٤١
» » » » » » » »	٥٣	٤٣
» ابن الزيات عن الخليفة إلى أحد عماله	٥٤	٤٣
فصول لابن الزيات	٥٥	٤٤
كتاب لابن الزيات	٥٦	٤٥
كتاب رجل إلى ابن الزيات	٥٧	٤٥
» الجاحظ إلى » »	٥٨	٤٦
» الجاحظ إلى أحمد بن أبي دواد	٥٩	٤٨
» » في الاستعطاف	٦٠	٥٠
» » إلى بعض إخوانه في ذم الزمان	٦١	٥٣
» » في استنجاز وعد	٦٢	٥٦
» آخر	٦٣	٥٦
» »	٦٤	٥٦
كتاب له في الاستمناح	٦٥	٥٧

[illegible]

الرسالة	رقم الصفحة	رقم الرسالة
كتاب لفسان بن عمرو الباهلي في الندم	٨٩	١٦٩
» » » » » » » »	٩٠	١٧٠
» آخر له	٩١	١٧٢
كتاب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى المتوكل	٩٢	١٧٢
تحميد لإبراهيم بن العباس صدر رسالة الخنيس	٩٣	١٧٢
» » » » في فتح إسحق بن إسماعيل	٩٤	١٧٤
من رسالة » » في قتل » » » »	٩٥	١٧٤
تحميد له	٩٦	١٧٦
» » في فتح	٩٧	١٧٦
» آخر له	٩٨	١٧٧
تحميد له	٩٩	١٧٨
» » في فتح	١٠٠	١٧٨
» في آخر كتاب فتح	١٠١	١٧٨
كتابه إلى بعض إخوانه في شفاعته	١٠٢	١٧٩
» عن المتوكل إلى أهل حمص	١٠٣	١٧٩
» عن المنتصر إلى طاهر بن عبد الله	١٠٤	١٨٠
» عن المعتز ولي العهد إلى طاهر بن عبد الله	١٠٥	١٨١
» عن المؤيد وهو ولي عهد إلى » » » »	١٠٦	١٨١
» إلى طاهر بن عبد الله	١٠٧	١٨٢
» » » » » » » »	١٠٨	١٨٣
» » » » » » » »	١٠٩	١٨٤
» » » » » » » »	١١٠	١٨٥
» إلى عبد الرحمن بن خاقان	١١١	١٨٦

كتابه إلى الحسن بن رجاء	١١٢	١٨٧
» إلى محمد بن الحسن بن القياض	١١٣	١٨٧
» إلى عامل له	١١٤	١٨٨
كتاب له في السلامة	١١٥	١٨٨
» » » »	١١٦	١٨٩
» آخر	١١٧	١٩٠
ومن فصوله	١١٨	١٩٢
ومن كلامه	١١٩	١٩٢
كتاب الفضل بن حباب إلى إبراهيم بن العباس	١٢٠	١٩٢
» رجل إلى المتوكل	١٢١	١٩٣
» » إلى مالك بن طوق	١٢٢	١٩٤
» الحسن بن وهب إلى مالك بن طوق	١٢٣	١٩٤
» أحد الكتاب إلى إبراهيم وأحمد ابني المدبر	١٢٤	١٩٤
» عمر بن أيوب إلى أحمد بن المدبر	١٢٥	١٩٥
» أبي العباس المبرّد إلى إبراهيم بن المدبر	١٢٦	١٩٦
» إبراهيم بن المدبر إلى أبي عبد الله بن حمدون	١٢٧	١٩٦
كتابه إلى عريب	١٢٨	١٩٨
كتاب لابن المدبر	١٢٩	١٩٩
الرسالة العذراء لإبراهيم بن المدبر	١٣٠	١٩٩
كتاب محمد بن مكرم إلى إبراهيم بن المدبر	١٣١	٢٤٢
» » » » إلى أحمد بن المدبر	١٣٢	٢٤٣
» » » » إلى أحمد بن دينار	١٣٣	٢٤٣
» » » » » » » »	١٣٤	٢٤٤

الرسالة	رقم الصفحة	رقم الرسالة
كتاب محمد بن مكرم إلى نصراني أسلم	٢٤٦	١٣٥
» » » » إلى حاج	٢٤٦	١٣٦
» » » » إلى بعض الرؤساء	٢٤٧	١٣٧
كتابه إلى سليمان بن وهب	٢٤٧	١٣٨
كتابه إلى أبي العيناء	٢٤٩	١٣٩
فصول لابن مكرم	٢٥٠	١٤٠
كتاب سعيد بن موسى إلى أبي شراة	٢٥٢	١٤١
رد أبي شراة على سعيد بن موسى	٢٥٢	١٤٢
كتاب البيعة للمنتصر بالله	٢٥٥	١٤٣
كتاب المنتصر إلى محمد بن عبد الله بن طاهر	٢٥٨	١٤٤
رقعة المعتز والمؤيد في خلع أنفسهما من البيعة	٢٦٢	١٤٥
كتاب المنتصر بخلع المعتز والمؤيد	٢٦٣	١٤٦
كتاب البيعة للمعتز بالله	٢٦٨	١٤٧
كتاب عن محمد بن عبد الله بن طاهر إلى أهل بغداد - كتبه سعيد بن حميد	٢٧١	١٤٨
» سعيد بن حميد إلى بعض أهل السلطان	٢٨١	١٤٩
» » » » إلى صديق له	٢٨٢	١٥٠
كتاب سعيد بن حميد إلى أبي العباس بن ثوابة	٢٨٣	١٥١
كتاب سعيد بن حميد إلى فضل الشاعرة	٢٨٤	١٥٢
كتاب سعيد بن حميد إلى فضل الشاعرة	٢٨٤	١٥٣
كتاب سعيد بن حميد إلى فضل الشاعرة	٢٨٥	١٥٤
كتاب سعيد بن حميد إلى أبي هفان	٢٨٥	١٥٥
كتاب سعيد بن حميد إلى بعض إخوانه	٢٨٦	١٥٦
كتاب سعيد بن حميد إلى بعض إخوانه	٢٨٧	١٥٧

الرسالة	رقم الصفحة	رقم الرسالة
كتاب سعيد بن حميد إلى بعض إخوانه	٢٨٨	١٥٨
كتاب سعيد بن حميد إلى بعض إخوانه	٢٨٩	١٥٩
كتاب له في السلامة	٢٨٩	١٦٠
كتاب له في الشوق	٢٩٠	١٦١
كتاب آخر	٢٩٠	١٦٢
كتاب آخر	٢٩١	١٦٣
كتاب له في توصية	٢٩١	١٦٤
كتاب له في الاعتذار	٢٩١	١٦٥
كتاب تعزية له	٢٩٢	١٦٦
كتاب تعزية له إلى محمد بن عبد الله بن طاهر	٢٩٣	١٦٧
تعزية له في مثله	٢٩٤	١٦٨
كتاب له	٢٩٤	١٦٩
تحسيد له في فتح	٢٩٥	١٧٠
فصول لسعيد بن حميد في المودة	٢٩٧	١٧١
كتاب سعيد بن عبد الملك إلى سعيد بن حميد	٢٩٨	١٧٢
رد سعيد بن حميد عليه	٢٩٨	١٧٣
كتاب لسعيد بن عبد الملك في السلامة	٢٩٩	١٧٤
» » » » في سلامة القطر	٣٠٠	١٧٥
كتاب له في الاعتذار	٣٠١	١٧٦
تعزية لسعيد بن عبد الملك	٣٠١	١٧٧
» » » » »	٣٠٢	١٧٨
كتاب له في توصية	٣٠٢	١٧٩
» آخر	٣٠٣	١٨٠

رقم الصفحة	رقم الرسالة	الرسالة
٣٠٣	١٨١	كتاب له في إطلاق محبوس .
٣٠٣	١٨٢	» له
٣٠٤	١٨٣	فصول له
٣٠٤	١٨٤	كتاب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى المعتز
٣٠٦	١٨٥	» » » » » إلى عمال النواحي
٣٠٧	١٨٦	رد الأتراك على كتاب ابن طاهر
٣٠٩	١٨٧	كتاب محمد بن عباد إلى جعفر بن محمود الإسكافي
٣٠٩	١٨٨	رد جعفر على محمد بن عباد
٣١٠	١٨٩	كتاب ابن طاهر إلى عماله
٣١١	١٩٠	رقعة المعتز بخلق نفسه
٣١٢	١٩١	كتاب الموالي بالكرخ والدور إلى المهتدي
٣١٣	١٩٢	رد المهتدي عليهم
٣١٤	١٩٣	كتاب الموالي إلى المهتدي
٣١٥	١٩٤	كتاب المهتدي إليهم
٣١٦	١٩٥	كتائبهم إلى المهتدي
٣١٧	١٩٦	» إلى القواد
٣١٧	١٩٧	كتاب المهتدي إليهم
٣١٨	١٩٨	» القواد إليهم
٣١٩	١٩٩	كتاب علي بن يحيى إلى سليمان بن وهب
٣١٩	٢٠٠	رد ابن وهب عليه
٣٢٠	٢٠١	كتاب ابن وهب إلى سليمان بن عبد الله بن طاهر
٣٢٠	٢٠٢	» رجل إلى سليمان بن وهب
٣٢١	٢٠٣	رده عليه

رقم الصفحة	رقم الرسالة	الرسالة
٣٢١	٢٠٤	كتاب اعتذار سليمان بن وهب
٣٢٢	٢٠٥	كتاب أبي العيناء إلى أبي الصقر إسماعيل بن بلبل
٣٢٣	٢٠٦	» » » إلى بعض الرؤساء
٣٢٣	٢٠٧	» أبي العباس بن ثوبة إلى إسماعيل بن بلبل
٣٢٤	٢٠٨	» عبيد الله بن عبد الله بن طاهر إلى عبيد الله بن سليمان
٣٢٥	٢٠٩	» سعيد بن عبد الملك إلى » » » »
٣٢٦	٢١٠	» أبي العيناء إلى » » » »
٣٢٦	٢١١	رد عبيد الله عليه
٣٢٧	٢١٢	كتاب أبي العيناء إلى عبيد الله بن سليمان
٣٢٧	٢١٣	جواب لأحمد بن سليمان بن وهب
٣٢٩	٢١٤	كتابه إلى ابن أبي الأصبع
٣٢٩	٢١٥	» إلى أخيه عبيد الله بن سليمان
٣٣٠	٢١٦	» إلى صديق له
٣٣١	٢١٧	كتاب أبي العباس بن ثوبة إلى عبيد الله بن سليمان
٣٣٢	٢١٨	» له
٣٣٢	٢١٩	» ابن ثوبة إلى عبيد الله بن سليمان
٣٣٣	٢٢٠	جواب عن تعزية لابن ثوبة
٣٣٣	٢٢١	تعزية له إلى ابني عمر
٣٣٤	٢٢٢	عهد من الموفق إلى أحد الولاة - كتبه ابن ثوبة
٣٤٢	٢٢٣	كتاب جعفر بن ثوبة إلى عبيد الله بن سليمان
٣٤٣	٢٢٤	» أحمد بن أبي طاهر إلى علي بن يحيى
٣٤٤	٢٢٥	» » » » » » » »
٣٤٥	٢٢٦	كتابه في ذم ابن ثوبة

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب أحمد بن أبي طاهر إلى أنى على البصير	٢٢٧	٣٤٧
كتاب عبد الله بن المعتز إلى عبيد الله بن سليمان يهنئه بالعيد	٢٢٨	٣٥٢
» » » » » » » » يهنئه بقدومه	٢٢٩	٣٥٣
» » » » » » » » يعزيه عن ابنه	٢٣٠	٣٥٣
فصل لابن المعتز من تعزية بولد	٢٣١	٣٥٥
تعزية له	٢٣٢	٣٥٦
تعزية أخرى	٢٣٣	٣٥٥
وله تهنئة بمولود	٢٣٤	٣٥٦
فصل له في قبول عذر	٢٣٥	٣٥٦
» » في حاجة	٢٣٦	٣٥٦
» »	٢٣٧	٣٥٧
» »	٢٣٨	٣٥٧
» »	٢٣٩	٣٥٧
» »	٢٤٠	٣٥٨
» » في الشوق	٢٤١	٣٥٨
وله شفاعة في شغل	٢٤٢	٣٥٨
فصل له في فراق	٢٤٣	٣٥٩
» »	٢٤٤	٣٥٩
» »	٢٤٥	٣٥٩
» »	٢٤٦	٣٦٠
وله في وصف البيان	٢٤٧	٣٦٠
وله في وصف الكتاب والقلم	٢٤٨	٣٦٢
كتاب أحمد بن إسماعيل إلى بعض الكتاب	٢٤٩	٣٦٢

الرسالة	رقم الصفحة	رقم الرسالة
كتاب آخر إليه	٢٧٣	٤٠٧
» إلى عبد الله بن شبيب من صديق له	٢٧٤	٤٠٧
» إلى محمد بن طيفور من بعض إخوانه	٢٧٥	٤٠٨
» » » » من بعض خاصته	٢٧٦	٤٠٨
رده عليه	٢٧٧	٤٠٩
كتاب صاحب البريد بالدينور	٢٧٨	٤٠٩
» على بن القرات عن المقتدر في المواريث	٢٧٩	٤١٠
» الوزير ابن مقلة إلى القواد والعمال	٢٨٠	٤١١
» أحمد بن الضحاك إلى صديق له يصف شعب توان	٢٨١	٤١٢
» عن الإخشيد إلى أرماتوس ملك الروم - كتبه النجيري	٢٨٢	٤١٤
» أبي الطيب المتنبي إلى أحد إخوانه	٢٨٣	٤٢٥
» الراضي إلى المتقى	٢٨٤	٤٢٥

التوقيعات في العصر العباسي الأول

توقيعات السفاح	٤٢٦
» المنصور	٤٢٧
» المهدي	٤٣٢
» الهادي	٤٣٤
» الرشيد	٤٣٤
» المأمون	٤٣٧
» الواثق	٤٤٢
» أبي مسلم الخراساني	٤٤٢

توقيعات عمرو بن عبيد	٤٤٣
» أبي عبيد الله	٤٤٣
» الفيض بن أبي صالح	٤٤٤
» يحيى بن خالد البرمكي	٤٤٤
» جعفر بن يحيى البرمكي	٤٤٤
» الفضل بن يحيى	٤٤٩
» الفضل بن سهل	٤٤٩
» الحسن بن سهل	٤٥١
» طاهر بن الحسين	٤٥٢
» عبد الله بن طاهر	٤٥٤
» يوسف بن القاسم	٤٥٥
» أحمد بن يوسف	٤٥٧
» عمرو بن مسعدة	٤٥٩
» محمد بن يزداد	٤٦٠
» عبد الله بن محمد بن يزداد	٤٦٠
» إبراهيم بن العباس	٤٦١
» محمد بن عبد الله بن طاهر	٤٦١
» عبيد الله بن سليمان بن وهب	٤٦٢
» عبد الله بن المعتز	٤٦٣
» علي بن عيسى	٤٦٣

رسالة الإمام مالك بن أنس ٤٦٥

فهرس أعلام الكتاب

مرتب بترتيب الحروف الهجائية

مع إتباع اسم كل كاتب بأرقام الصفحات التي وردت فيها رسائله

(أ)	أبو عبيد الله ٤٤٣
إبراهيم بن العباس ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ٤٦١	أبو علي البصير ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، أبو العيناء ١٥٢ ، ١٥٥ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧
إبراهيم بن المدبر ١٦٩ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، إبراهيم بن الهدي ٨ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦	أبو مسلم الخراساني ٤٤٢ ، أحمد بن أبي طاهر طيفور ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٧ ، أحمد بن إسماعيل ٣٦٢ ، ٣٦٣
ابن التوهم ٩٨ ، ابن عبد كان ٣٦٦ ، ابن مقلة ٤١١	أحمد بن سليمان بن وهب ٣٢٧ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠
أبو شراة ٢٥٢ ، أبو الطيب المتنبي ٤٢٥ ، أبو العاص بن عبد الوهاب ٧٥	أحمد بن الضحاك ٤١٢ ، أحمد بن علي المازرائي ٣٦٥
أبو العباس بن ثواة ٣٢٣ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، أبو العباس المبرد ١٩٦	أحمد بن يحيى الأسدي ٣٦٤ ، أحمد بن يوسف ٤٥٧ ، أم الشريف ٣٩٣ ، ٣٩٤
	(ج)
	الجاحظ ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٠

جعفر بن ثوبة ٣٤٢

جعفر بن محمود ٣٠٩

جعفر بن يحيى ٤٤٤

(ح)

الحسن بن وهب ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ ،

٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ،

٣٤ ، ٣٥ ، ١٩٤

الحسن بن سهل ٤٥١

الحسين بن الحسن بن سهل ٣٦

(ر)

الراضى ٤٢٥

الرشيد ٤٣٤

(س)

سعید بن حميد ٢٧١ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ،

٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ،

٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ،

٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ،

سعید بن عبد الملك ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ،

٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٢٥

سعید بن موسى ٢٥٢

السفاح ٤٢٦

سليمان بن وهب ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢

(ص)

صاحب الشامة ٩٥

(ط)

طاهر بن الحسين ٤٥٢

(ع)

عبد الرحمن بن أحمد الحراني ٣٧

عبد الله بن أحمد ٣٦٥

عبد الله بن الحسن الأصبهاني ١٨

عبد الله بن خاقان ١٥٤

عبد الله بن طاهر ٤٥٤

عبد الله بن محمد بن يزداد ٤٦٠

عبد الله بن المعتز ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥ ،

٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ،

٣٦٢ ، ٣٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ،

٤٠٣ ، ٤٠٧ ، ٤٦٣

عبيد الله بن سليمان بن وهب ٣٢٦ ، ٤٦٢

عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ٣٢٤

عبيد الله بن يحيى بن خاقان ١٥٠

علي بن عيسى ٤٦٣

علي بن العرات ٤١٠

علي بن يحيى ٣١٩

عمر بن أيوب ١٩٥

عمرو بن عبيد ٤٤٣

عمرو بن عثمان القيس ١٣٧

عمرو بن مسعدة ٤٥٩

(غ)

عسان بن عمرو الداهلي ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٢

(ف)

الفصل بن حباب ١٩٢

الفصل بن سهل ٤٤٩

الفضل بن يحيى ٤٤٩

الفيض بن صالح ٤٤٤

(م)

المأمون ٤٣٨

مالك بن أنس ٤٦٥

المتوكل ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٣

محمد بن سليمان ٣٩٩

محمد بن طيعور ٤٠٩

محمد بن عباد ٣٠٩

محمد بن عبد الله بن طاهر ١٧٢ ، ٣٠٤ ،

٤٦١ ، ٣١٠

محمد بن عبد الملك الزيات ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ،

٢٢ ، ٣٧ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥

محمد بن مكرم ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ ،

٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠

محمد بن يزداد ٤٦٠

المعتز ٢٦٢ ، ٢٦٨ ، ٢١١

المعتصم ١ ، ٢ ، ٨

المنتصر ٢٥٨ ، ٢٦٣

المنصور ٤٢٧

المهتدي ٣١٣ ، ٣١٥ ، ٣١٧

المهدي ٤٣٢

ميمون بن إرهيم ٣٥

(ن)

النجيرى ٤١٤

(هـ)

الهادي ٤٣٤

(و)

الواثق ٤٤٢

(ي)

يحيى بن خالد البرمكى ٤٤٤

يعقوب الكندي ١٧

يوسف بن القاسم ٤٥٥

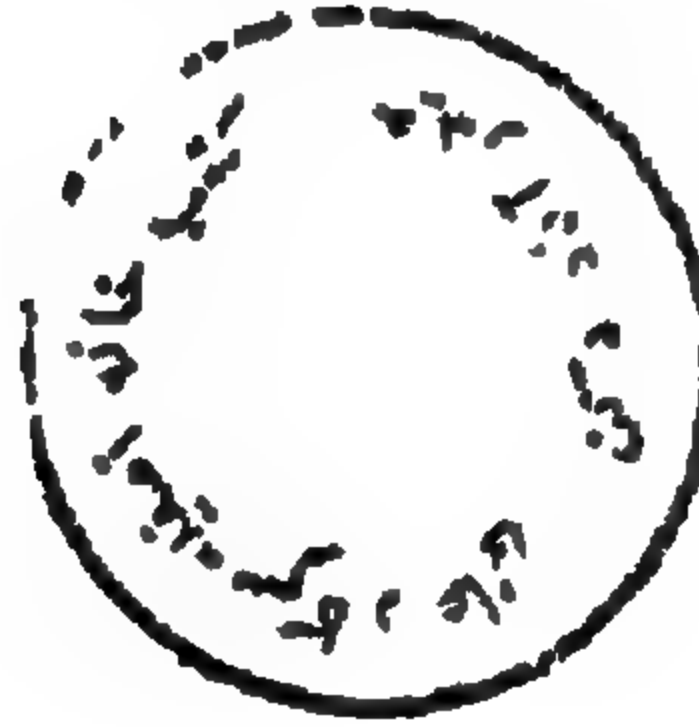
[تم فهرس الكتاب]

فهرس

بعض ما ورد في الهامش من الفوائد التي قد يحتاج القارى إلى مراجعتها

٢	بابك الخرمى	١٥٠	سر من رأى
٨	عمورية	١٧١	شُطَب السيف
١٠	الأشنان	١٩٦	تلقيب أبي العباس صاحب الكامل بالمبرد
١٧	أبو يوسف يعقوب الكندى	٢٠٨	سجنا نافع والحقيس
١٩	الأنواء	٢١١	حذف الواو والياء من هو وهى
٣٨	زمزم والسقاية	٢١٧	لا تجعلونى كقدح الراكب
٥٠	المرة والخلط والزاج	٢١٨	المنشار والمنشار
٥٥	لقيته على أوفاز	٢٢٣	ابن قيس الرقيات
٦٢	لا جرم	٢٢٤	عتبة وأبو العتاهية
٦٦	على بن الحسين وابن زياد	٢٣٥	ابن الزيات وابن أبي دواد
٦٧	المعتزلة أهل العدل	٢٣٩	بزر جمهر
٦٩	مقابع بنى أمية	٢٤٠	إنا معشر النبأ بكاء
٨٨	بخل أهل خراسان	٢٥٣	الكلالة - الفلكوة
٩٢	الصدى	٢٥٤	لم أبال ولم أبل
١١٣	الخبيص والفالودج واللوزينج	٢٣٥	ابن الزيات والوزارة
١١٤	الشفارج	٢٨٣	آل ثوبة بن يونس
١١٧	إبراهيم بن هرمة	٢٠٧	دُعِيَتْ نَزَال
١١٨	الزوراء	٣١٦	من أصلح جَوَانِيهِ أصلح الله برانيه
١٢٣	أبورغال	٣٩٦	العباس بن أحمد بن طولون وعفوقه لأبيه
١٣٠	إن أخاك الصدق من لم يخذلك	٣٧٤ ، ٣٩٥	القرامطة
		٣٨٢	الشجرة الملعونة فى القرآن

٣٨٤	الحكم طريد رسول الله	٤٣٤	يا بن الخناء
٣٨٦	عمار بن ياسر	٤٣٥	لا أم لك
٤٢٧	أوسمة الخلال	٤٤٦	حديث « يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج . . . »
٤٢٨	حديث « كما تكونوا يولى عليكم »	٤٥٢	بل رحمه
٤٣٠	الرافضة	٤٥٩	تنجيم الديون
٤٣٠	السيد الحميرى	٤٧٤	ساء وأساء
٤٣١	بخل أبى جعفر المنصور		



(

فهرس الأمثال التي ورد شرحها في الهامش

٤٩	بلغ السكين العظيم	١٢٧	رب أكلة تمنع أكلات
٨١	أجود من كعب بن مامة	١٢٧	رب محلة شهب ريثا
٨٦	أسمح من لافطة	١٢٨	تطلب أثرا بعد عين
٨٦	جوع كلبك يتبعك	١٢٩	أشام من خوتمة
٨٧	نعم كلب في يؤس أهله	١٢٩	أشام من البسوس
٨٧	سمن كلبك يا كك	١٢٩	أشام من عطر منشم
٨٧	أجوع من كلبة حومل	١٣٠	عش ولا تغتر
٩٦	عند الصباح يحمد القوم السرى	١٣٠	إن أخا الهيحاء من يسعى معك
٩٧	غمرات ثم ينبجلين		ومن يضر نفسه لينفعك
١٠٢	لا يرمل الساق إلا ممسكا ساقا	١٣١	لم يذهب من مالك ما وعظك
١١٦	القيد والرثعة	١٣٢	لا تعدم صناع كثلة
١١٢	كتاركة بيضها بالعراء	١٣٢	ليس لها راع ولكن حلبة
	وملبسة بيض أخرى جناحا	١٣٣	للمرى يراش السهم — قبل الرماء
١١٢	أحق من نعامه		يملا الكنائن
١٢٤	إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى	١٣٣	عند النطاح تغلب القرناء — عند
١٢٤	شر السير الحقيقة		النطاح يغلب الكتش الأجم
١٢٥	الرشف أقع للظمان	١٣٣	ايس عليك نسجه فاسحب وخرق
١٢٥	ليس الرى عن التشاف	١٣٦	سمنك في أديمك
١٢٥	يا عاقد اذكر حلا	١٣٦	غشك خير من صمين غيرك
١٢٥	رب لاثم ملهم — رب ملوم لا ذنب له	٢١٣	أنا عذيقها المرجب وجذيلها المحكك
١٢٦	العرار بقراب أكيس	٤٣٣	قد أنصف القارة من رامها

الباب الخامس

الترسل

في

العصر العباسي الأول أيضاً

١ - كتاب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر

وروى صاحب زهر الآداب قال :

وكتب المعتصم، حين صارت له الخلافة سنة ٢١٨ هـ، إلى عبد الله بن طاهر:
« عافانا الله وإياك، قد كانت في قلبي منك هفواتٌ غفرها الاقتدارُ،
وبقيت حَزَازاتٌ ^(١) أخاف منها عاينك، عند نظري إليك، فإن أذاك ألفُ
كتاب أستقدمك فيه فلا تقدم، وحسبك معرفة بما أنا مُنْطَوٍ لك عليه،
إِطْلَاعِي إِيَّاكَ على ما في ضميري منك والسلام ». (زهر الآداب ٣ : ٩١)

(١) الحرارة : وقع في القلب، من عيط ونحوه.

٢ - كتاب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر

وروى صاحب المقد الفريد قال :

كتب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر :

« أَعَزِّزْ عَلَيَّ بِأَنْ أَرَاكَ عَلِيلاً أَوْ أَنْ يَكُونَ بِكَ السَّقَامُ نَزِيلاً
فَوَدِدْتُ أَنِّي مَالِكٌ لِسَلَامَتِي فَأَعِيرَهَا لَكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً
فَتَكُونَ تَبَقَى سَالِماً بِسَلَامَتِي وَأَكُونَ مِمَّا قَدْ عَرَاكَ بِدِيلاً
هَذَا أَخٌ لَكَ يَشْتَكِي مَا تَشْتَكِي وَكَذَا الْخَلِيلُ إِذَا أَحَبَّ خَلِيلاً »^(١)

(المقد الفريد ١ : ٢٣٠)

٣ - كتاب المعتصم إلى الآفاق عند القبض على بابك الخرمي

وهذه نسخة كتاب كتب بها عن المعتصم ، إلى ملوك الآفاق من المسلمين ، عند قبض الأفشين حيدر بن كاوس على بابك الخرمي^(٢) ، وهي :

« أما بعد ، فالحمد لله الذي جعل العافية لدينه ، والمعصمة لأوليائه ، والعز لمن نصره ، والفليح^(٣) لمن أطاعه ، والحق لمن عرف حقه ، وجعل دائرة البؤس على من عصاه وصدف عنه^(٤) ، ورغب عن ربه ودينه ، وابتغى إلهاً

(١) أقول : الطاهر أن المعتصم كتب إليه هذا الكتاب ، قبل أن يلى الخلافة.

(٢) قدما لك في الجزء الثالث ما كان من أمر بابك الخرمي في خلافة المأمون (انظر ص ٥٣٠) فهاولى المعتصم الخلافة وحنه لحربه سنة ٢٢٠ الأفشين التركي - وكان من أهل قواده - ووثب منه وبنه وبناته وحروب ، كانت حاتمها أن فتحت الد - مدنه ناك - ودخلها المسلمون واسماحوها ، وأسر لأفشين ملك ، وقدم به على المعتصم سر من رأى ، فملى وصل بها سنة ٢٢٣ هـ .

(٣) الفليح : الطمر والعور .

(٤) صدق عنه كصرت : أعرض .

غيره ، لا إله إلا هو وخذّه لا شريك له ، يحمده أمير المؤمنين حمد من لا
يعبد غيره ، ولا يتوكل إلا عليه ، ولا يفوض أمره إلا إليه ، ولا يرجو
الخير إلا من عنده ، والمزيد إلامن سعة فضله ، ولا يستعين في أحواله كلها
إلا به ، ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله وصفوته من عباده ، الذي
ارتضاه لنبوته ، وابتعته بوحيه ، واختصه بكرامته ، فأرسله بالحق شاهداً
ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه ، وسراجاً نيراً ، والحمد لله الذي توجه
لأمير المؤمنين بصنعه ، فيسر له أمره ، وصدق له ظنه ، وأنجح له طلبته ،
وأفدّ له حيلته ، وبلغ له محبته ، وأدرك المسلمون بأثرهم على يده ، وقتل
عدوهم ، وأسكن روعتهم^(١) ، ورجم فاقتهم ، وآنس وحشتهم ، فأصبحوا
آمين مطمئنين مقيمين في ديارهم ، متمكنين في أوطانهم ، بعد القتل
والخوف والتشريد وطول العناء ، وتتابع البلاء ، منّا من الله عز وجل على
أمير المؤمنين بما خصّه به ، وصنعا له فيما وفقه لطلبه ، وكرامة زادها فيما
أجرى على يده ، فالحمد لله كثيرا كما هو أهله ، ونرغب إلى الله في تمام نعمه ،
ودوام صنعه ، وسعة ما عنده بمنّة ولطفه .

ولا يعلم أمير المؤمنين - مع كثرة أعداء المسلمين ، وتكثفهم^(٢) إياه
من أقطاره ، والضغائن التي في قلوبهم على أهله ، وما يترصدونه من العداوة ،
وينطوون عليه من المكيدة ، إذ كان هو الظاهر عليهم^(٣) ، والآخذ منهم -

(١) أي فرعهم .

(٢) تكفوه : أحاطوا به .

(٣) أي العال لهم .

عَدُوًّا كَانَ أَعْظَمَ بَلِيَّةً ، وَلَا أَجَلَ خَطْبًا ، وَلَا أَشَدَّ كَلْبًا ^(١) ، وَلَا أَبْلَغَ
مَكَايِدَةً ، وَلَا أَزْمَى بِمَكْرُوهِهِ ، مِنْ هَؤُلَاءِ الْكُفْرَةِ الَّذِينَ يَغْزُوهُمْ الْمُسْلِمُونَ ،
فَيَسْتَعْلُونَ عَلَيْهِمْ ، وَيَضْعُونَ أَيْدِيَهُمْ حَيْثُ شَاءُوا مِنْهُمْ ، وَلَا يَقْبَلُونَ لَهُمْ
صُلْحًا ، وَلَا يَمِيلُونَ مَعَهُمْ إِلَى مُوَادَعَةٍ ، وَإِنْ كَانَ لَهُمْ - عَلَى طَوْلِ الْأَيَّامِ ، وَتَصَرُّفِ
الْحَالَاتِ ، وَبَعْضِ مَا لَا يَزَالُ يَكُونُ مِنْ فِتْرَاتٍ وَوَلَاةٍ الشُّغُورِ - أَدْنَى دَوْلَةٍ مِنْ
دَوْلَاتِ الظُّفَرِ ، وَخُلُوسَةٍ مِنْ خُلُوسِ الْحَرْبِ ، كَانَ بِمَا لَهُمْ مِنْ خَوْفِ الْعَاقِبَةِ فِي
ذَلِكَ مَنْغَصًا لِمَا تَعَجَّلُوا مِنْ سُرُورِهِ ، وَمَا يَتَوَقَّعُونَ مِنَ الدَّوَائِرِ بَعْدُ ، مَكْدَرًا
لِمَا وَصَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ فَرَحَةٍ

فَأَمَّا اللَّعِينُ بِأَبِكَ وَكَفَرَتُهُ ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَنْزَوْنَ أَكْثَرَ مِمَّا يُغْزَوْنَ ،
وَيَنَالُونَ أَكْثَرَ مِمَّا يُنَالُ مِنْهُمْ ، وَمِنْهُمْ الْمُنْعَرِفُونَ عَنِ الْمَوَادَعَةِ ، الْمُتَوَحِّشُونَ
عَنِ الْمَرَاثَلَةِ ، وَمَنْ أُدِيلُوا ^(٢) مِنْ تَتَابُعِ الدُّوَلِ ، وَلَمْ يَخَافُوا عَاقِبَةَ تَذَرِكِهِمْ ،
وَلَا دَائِرَةَ ^(٣) تَدَوُّرِ عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ مِمَّا وَدَّ أَنْ ذَلِكَ وَكَانَهُ لَهُمْ ، أَنَّهُمْ قَوْمٌ ابْتَدَعُوا
أَمْرَهُمْ عَلَى حَالٍ تَشَاغَلَ السُّلْطَانُ ، وَتَتَابَعَ مِنَ الْفِتَنِ ، وَاصْطَرَّابِ مِنَ الْحَبْلِ ،
فَاسْتَقْبَلُوا أَمْرَهُمْ بِعِزَّةٍ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَضَعْفٍ وَاسْتِثَارَةٍ مِنْ بَارَاهِمٍ ، فَجَلَّوْا مَنْ
حَوْلَهُمْ لِتَخْلُصَ الْبِلَادُ لَهُمْ ، ثُمَّ أَخْرَبُوا الْبِلَادَ لِعِزِّ مُطْلَبِهِمْ ، وَتَشَدُّ الْمَوْثَنَةِ ،
وَتَعْظُمُ الْكُلْفَةِ ، وَيَقْوُوا فِي ذَاتِ أَيْدِيهِمْ ، فَلَمْ يَتَوَافَ إِلَيْهِمْ قُوَادُ السُّلْطَانِ إِلَّا
وَقَدْ تَوَافَتْ إِلَيْهِمُ الْقُوَّةُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَاسْتَفْجَلَ أَمْرَهُمْ ، وَعَظُمَتْ شَوْكَتُهُمْ ،

(١) من كلب الرمان والشتاء كمرح : أى اشتد .

(٢) الإدالة : العلة ، أداله الله من عدوه .

(٣) الدائرة : المهرجة .

واشتدت ضرورتهم ، واستجمع لهم كيدهم ، وكثر عددهم واعتدادهم ، وتمكنت الهيئة في صدور الناس منهم ، وتحقق في نفوسهم أن كل ما يعدم الكافر ويمنيهم أخذ باليد ، وكان الذي بقي عندهم منه كالذي مضى ، وبدون هذا ما يُتخذع الأريب ، ويستنزل العاقل ، ويعتقل الفطن ، فكيف بمن لا فكرة له ولا روية عنده !

هذا مع كل ما يقوم في قلوبهم من حسد أهل النعم ، ومنافستهم على ما في أيديهم ، وتقطعهم حشرات في إثر ما خُصوا به ، وأنهم إن لا يكونوا يرون أنفسهم أحق بذلك ، فإنهم يرون أنهم فيه سواء .

ولم يزل أمير المؤمنين قبل أن تُقضى إليه الخلافة ، مادًا عنقه ، موجهاً همته ، إلى أن يوليّه الله أمره هؤلاء الكفرة ، ويملكه حربهم ، وبجملته المقارع^(١) لهم عن دينه ، والمناجز لهم عن حقه ، فلم يكن يألوا^(٢) في ذلك حِرْصاً وطلباً واحتيالاً ، فكان أمير المؤمنين - رضى الله عنه - يأتى ذلك إضيقاً به ، وصيانته بقربه ، مع الأمر الذى أعده الله له وآثره به ، ورأى أن شيئاً لا يبنى بقوام الدين وصلاح الأمر .

فلما أفضى الله إلى أمير المؤمنين بخلافته ، وأطلق الأمر في يده ، لم يكن شئ أحب إليه ، ولا أخذ بقلبه ، من المعاجلة للكافر وكفرته ، فأعزه الله ، وأعانته الله ، فله الحمد على ذلك وتيسيره ، فأعد من أمواله أخطرَها ، ومن قواد جيشه أعلمهم بالحرب ، وأنهمضهم بالمعضلات ، ومن أوليائه وأبناء دعوته

(١) المقارعة : المصاحلة .

(٢) ألا . يألوا : نصر .

ودعوة آباءه - صلوات الله عليهم - أحسنهم طاعة ، وأشدّهم نكابة ،
وأكثرهم عُدة ، ثم أتبع الأموال بالأموال ، والرجال بالرجال ، من خاصّة
مواليه وعدّد غلماناه ، وقبل ذلك ما اتكل عليه من صنّع الله جل وعز ، ووجه
إليه من رغيته ، فكيف رأى الكافر اللعين وأصحابه الملائعِين ؟ ألم يكذب
الله ظنونهم ، ويشف صدور أوليائه منهم ؟ يقتلونهم كيف شاءوا في كل
موطن ومُعترك ، ما دامت عند أنفسهم مقاومة .

فلما ذلّوا وقلّوا، وكرهوا الموت، صاروا لا يترأّون إلا في رؤوس الجبال،
ومضايق الطرّيق ، وخلف الأودية ، ومن وراء الأنهار ، وحيث لا تناههم
الخيّل ، حصناً للمطاوله ، وانتظاراً للدوائر ، فكادهم الله عند ذلك ، وهو خير
الكائدين ، واستدرجهم حتى جمّعهم إلى حصنه معتصمين فيه عند أنفسهم ،
فجعلوا اعتصامهم لِحَيْنٍ^(١) لهم ، وصنّع لأوليائه ، وإحاطة منه به تبارك
وتعالى ، فجمّعهم وحصرهم لكيلا تبقى منهم بقية ، ولا تُرجى لهم عاقبة ،
ولا يكون الدين إلا لله ، ولا العاقبة إلا لأوليائه ، ولا التعسّ والنكس
إلا لمن خذله .

فلما حصرهم الله ، وحبسهم عليهم ، ودانتهم^(٢) مصيرهم ، سلّطهم الله
عليهم كيد واحدة ، يختطفونهم بسيوفهم ، وينتظّمونهم^(٣) برماحهم . فلا
يجدون ملجأ ولا مهزّبا ، ثم أمكنهم من أهاليهم ، وأولادهم . ونسأئهم ،

(١) احين : الهلاك .

(٢) دانتهم : أي قاربهم .

(٣) اسطمه بالرمح : اختله .

وَحَرَمَهُمْ ، وصَيَّرُوا الدَارَ دَارَهُمْ ، وَالْمَحِلَّةَ مَحِلَّتَهُمْ ، وَالْأَمْوَالَ قَسَمًا بَيْنَهُمْ ،
وَالْأَهْلَ إِمَاءً وَعِيدًا ، وفوقَ ذلك كله ما فعلَ بهؤلاء وأعطاهم من الرحمة
والتَّوَابِ ، وما أعدَّ لأولئك من الخِزْيِ والعقاب ، وصار الكافر بابك لا فيمن
قُتِلَ ، فَسَلِمَ مِنْ ذُلِّ الغَلَبَةِ ، ولا فيمن نجا ، فَمَآئِنَ في الحياةِ بِمَضَى العِوَضِ ، ولا
فيمن أُصِيبَ ، فَيَشْتَغِلَ بِنَفْسِهِ عن المصيبة بما سواه ، لكنه سبحانه وتعالى
أطلقه وسدَّ مَذهِبَهُ ، وتركه مُتَلَدِّدًا^(١) بين الذل والخوف ، والنُصَّة والحسرة ،
حتى إذا ذاق طعمَ ذلك كُلِّهِ وفهمه ، وعَرَفَ مَوقِعَ المصيبة ، وظنَّ مع ذلك
كُلَّهُ أنه على طريق من النجاة ، فَضَرَبَ الله وجهه ، وأَعْمَى بَصَرَهُ ، وسدَّ
سَبِيلَهُ ، وأخذ بِسَمْعِهِ وبَصَرِهِ ، وحازَه إلى مَنْ لا يَرِيقُ له ، ولا يَرِثِي لمَصْرَعِهِ ،
فامتثلَ ما أَمَرَ به الأَفْشِين « حيدر بن كاوس^(٢) » مَوَالِي أمير المؤمنين في
أمره ، فَبَثَّ له الحَبَائِلَ ، ووضع عليه الأَرْصَادَ ، ونَصَبَ له الأَشْرَاكَ ، حتى
أظفَرَهُ الله به أَسِيرًا ذَلِيلًا مُوْتَقًّا في الحديد ، يراه في تلك الحالة مَنْ كان يراه
رَبًّا ، ويرى الدائرةَ عليه من كان يظن أنها ستكون له .

فالحمد لله الذي أعزَّ دينه ، وأظهر حُجَّتَهُ . ونصر أوليائه ، وأهلك أعداءه ،
حمداً يُقْضَى به الحقُّ ، وتتمُّ به النعمة ، وتتصل به الزيادة ، والحمد لله الذي
فَتَحَ على أمير المؤمنين وحقق ظَنَّهُ ، وأَنْجَحَ سَمْعِيهِ ، وحاز له أَجْرَ هذا الفتح
وذُخْرَهُ وشَرْفَهُ ، وجعله خالصاً لتمامه وكَماله ، بأكل الصُّنْعِ وأحسن الكِفاية ،

(١) تلدد : تلت يمتا وشمالا ، وتغير متبليا ، وتلبث .

(٢) هكذا في تاريخ الطبري (١٠ : ٣٠٧) وفي زهر الآداب (١ : ٣٢٤) وفي صبح الأعشى

« حيدر بن طاوس » بالطاء .

ولم يرؤسًا فيه ما يُقْذَى عينه ، ولا خلا من سُرُور يراه ، وبشارة تجدد له عنه ، فما يدري أمير المؤمنين ما مُنَّع فيه من الأمل ، أو ما خُتِم له من من الظفر ، فالحمد لله أولاً ، والحمد لله آخراً ، والحمد لله على عطاياه التي لا تُحصى ، ونعمه التي لا تُنسى ، إن شاء الله تعالى . (صبح الأعشى ٦ : ٤٠٠)

٤ - كتاب المعتصم إلى ملك الروم

وكتب ملك الروم إلى المعتصم كتاباً يهدده فيه ويتوعده ، فأمر بجوابه ، فلما قرئت الأجوبة عليه لم يرَ ضَهاً ، وقال لبعض الكتاب اكتب ، وأملِ عليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعدُ ، فقد قرأتُ كتابك ، وفهمتُ خطاك ، والجواب ما ترى لا ما تسمع ، وسيعلم الكافرُ لمن عُتِيَ الدَّارُ .
(رهر الآداب ٣ : ٩٢ ، وصبح الأعشى ١ : ١٩٢ ، وسهابة الأرب ٧ : ٢٦١ ، وأدب الكتاب ص ٢٣٥)

٥ - كتاب إبراهيم بن المهدي إلى المعتصم

وشخصَ المعتصم غازياً إلى بلاد الروم سنة ٢٢٣ هـ ، بعد قتل بابك ، ففتح عَمُورِيَّة^(١) ، وكتب إليه إبراهيم بن المهدي يهتته ، بخروجه عن أرض الروم ، بعد فتح عمورية :

(١) عمورية : بلد من بلاد الروم ، فتحه المعتصم سنة ٢٢٣ هـ ، وكان الميمون قالوا له . إنَّ أحدى كندا أن مدينتها لا تفتح إلا في وقت إدراك الين والصب ، ويساوين ذلك الوقت شهر . ومعك من المقام الرد والتلج ، فأمر أن يصرف وأكك عليها حتى فتحها ، وأطلق ما قالوا ، وفي ذلك مول أبو تمام في مطلع نائيته المشهورة بهذا :

« الحمد لله الذي تَمَّ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ غَزْوَتَهُ ، فَأَذَلَّ بِهَا رِقَابَ الْمُشْرِكِينَ ، وَشَفَّى بِهَا صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ، ثُمَّ سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ الْأَوْبَةَ سَالِمًا غَانِمًا ، (وكذا وكذا) وَلَيْهِنَتْهُ مَا كَتَبَهُ اللَّهُ لَهُ مِمَّا أَحْصَاهُ فَلَا يَنْسَاهُ ، لِيَقِفَهُ بِهِ مَوْقِفًا يَرْضَاهُ ، فَإِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : « إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ ، يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ، فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمِ اللَّهِ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » .

فَطَوَّى اللَّهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ نَارِحَ^(١) الْبَعْدَ بَرًّا وَبَحْرًا ، وَوَقَاهُ وَصَبَّ السَّفَرَ سَهْلًا وَوَعْرًا ، وَحَاطَهُ بِحِرَاسَتِهِ كَالِثَا^(٢) ، وَدَافَعَ عَنْهُ بِحِفْظِهِ رَاعِيًا ، حَتَّى يُوَدِّيَهُ إِلَى الْمَحَلِّ مِنْ دَارِهِ ، وَالْوَطَنِ مِنْ قَرَارِهِ ، وَجَزَاهُ عَنِ الْإِسْلَامِ خَاصَّةً وَعَنْ رِعْيَتِهِ كَافَّةً ، بِتَخْيِيرِهِ مُسْتَخْلَفًا عَلَيْهِمْ ، وَقَانًا مَقَامَهُ فِيهِمْ : هَرُونَ^(٣) ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَدْ اسْتَخْلَفَهُ رَفِيقًا شَفِيقًا ، حَلِيمًا وَقُورًا ، يَقْظَانًا سَاكِنًا ، لَمْ يُشَدِّبْ^(٤) عَلَيْهِ أَمْرًا ، وَلَمْ يَنْتَشِرْ عَلَيْهِ طَرَفٌ ، وَلَمْ يَضَعْ مَعَهُ سَبِيلًا ، وَلَمْ يُسَخِّطْ وَلِيًّا مُكَافِيًا ، وَلَا عَدُوًّا مُخَالِفًا ، بَلَايِفَ أَشْرَعِهِ ، وَلَا سُورِ اقْرَعِ بِهِ^(٥) ،

السيف أصدق أسماء من الكتب في حمله الحد بين الحد والحد
وفيها يقول :

يا يوم وقعة عمورية اصرفت عسك المي حلا مصولة الحل

(١) النارح : البعد .

(٢) كالثا : أي حارسا حافظا .

(٣) هرون : هو الملقب بالوائق بالله ، وقد ولي الخلافة بعد أبيه سنة ٢٢٧ وتوفي سنة ٢٣٢ هـ .

(٤) التشديب : التعريق ، والطرف بالتحريك : الناحية .

(٥) أشرع نحوه الرمح والسيف وشرعها كعب : أفلهما إياه وسددهما له ، وأقرع الدابة بلعابها

وقرعها كعب : كعبها به وكعبها .

فثَلَّ جزاء أمير المؤمنين في تحيُّره إياه ، فجزاه الله على ما حفظ من وصَّاته
على محمود مقامه ، إنه محيَّب الداعي .

(اختيار المنظوم والنثر ١٣ : ٢٩٨)

٦ — كتابه إلى إسحق بن إبراهيم الموصلی

وأهدى إبراهيم بن المهدي ، إلى إسحق بن إبراهيم الموصلی^(١) ، جراب
ملح ، وجراب أشنان^(٢) ، وكتب إليه :

« لولا أن القلَّة قصَّرت عن بلوغ الهمة ، لأتعبت السابقين إلى برك ،
ولكن البضاعة قعدت بالهمة ، وكرهت أن تطوى صحيفة البر ، وليس لي
فيها ذكرك ، فبعثت بالمتدا به ليُنه وبركته ، والمختوم به لطيبه ونظافته ،
وأما ما سوى ذلك ، فالمعبرُ عنا فيه كتابُ الله تعالى ، إذ يقول « لَيْسَ عَلَى
الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى ، وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ ، إِذَا
نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ، مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ »^(٣) .
(العقد المرید ٣ : ٣٠٨)

(١) هو إسحق بن إبراهيم الموصلی ، المسمى المشهور ، المتوفى سنة ٢٣٥ ، وقد أورد صاحب الأغاني ،
كثيراً جداً من أخباره ، ورجع إليها فيه .

(٢) الأشنان بالضم والكسر : نبات حمص (والحمص من البات — كشمس — كل بيت ملح أو
حامص يقوم على سوق ولا أصل له) تعمل به الأيدي على أثر الطعام ، معرب ، وعربية حرص كعق
انظر لسان العرب مادة أشن ، وحرص . وشعاع العليل ص ١١ .

(٣) وفي رواية الصولي ، في كتاب الأوراق ٢ : ٣٠ « عن إسحق قال : صهرت نعل ولدي ،
فكتب إلى إبراهيم بن المهدي : « لولا أن البضاعة قصرت عن الهوى ، لأعت السابقين إلى برك ،
وحسبك أن تطوى صحيفة البر ، وليس لي فيها ربه ، وقد بعثت إليك ما المتدا به لئله » والمختوم به
لطيبه ورائحته ، جراب ملح ، وجراب أشنان » .

٧ - رواية أخرى

وفي رواية أخرى، أن يحيى بن خالد بن برمك، عزم على ختان ولده، فأهدى إليه وجوه الدولة كل^(١) منهم بحسب حاله وقدرته، فصنع بعض المتجملين العاجزين خريطين^(٢)، وملاً إحداهما ملحاً مطيباً، والأخرى سَعْدًا^(٣) معطرًا، وكتب معهما رقعة فيها:

« لو تمت الإرادة، لأسفقت العادة، ولو ساعدت القدرة على بلوغ النعمة، لتقدمت السابقين إلى خدمتك، وأتعبت المجتهدين في كرامتك، لكن قعدت بي القدرة عن مساواة أهل النعمة، وقصرت بي الجدة^(٤) عن مباهاة أهل المكينة^(٥)، وخشيت أن تطوى صحيفة البر، وليس لي فيها ذكر، فأفقدت المفتاح يمينه وبركته، وهو الملح، والمختتم يطيبه ونظافته وهو الشعد، باسطاً يد المذيرة، صابراً على ألم التقصير، متجرعاً غصص الاقتصار على اليسير، والقائم بعذري في ذلك: « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج » والخادم ضارع في الامتنان عليه بقبول خدمته ومعذرتة، والإحسان إليه، بالإعراض عن جراته، والرأى أسمى »

ثم دخل دار يحيى، ووضع الخريطين والرقعة بين يديه، فلما قرأ الرقعة أمر أن تقرأ وتقرأ إحداهما دنائير والأخرى دراهم.

(عرر الحقائق الواضحة ص ٤٤٨)

(١) الخريطة : وعاء من آدم وعيره .

(٢) السعد : نبت طيب الريح .

(٣) الجدة : الغنى .

(٤) المكينة : القوة والشدة .

٨ - كتابه إلى صديق له

وكتب إبراهيم بن المهدي إلى صديق له :

« لو كانت الثُّخْفة على حَسَبِ ما يوجبُ حقُّك ، لأَجَحَفَ بنا أدَّتِي
حقوقك ، ولكنه على قدر ما يُخْرِجُ الوَخْشَةَ ، ويُوجِبُ الأُنْسَ ، وقد بعثتُ
بكذا وكذا » . (المقد العريد ٣ : ٣٠٩)

٩ - كتاب له

« وصل كتابك السَّارُّ المُوئِيسُ ، فكان أسراً طالِعاً إلى ، وأحسنَه مَوْقِعاً
منى ، إذ كنت أَسْتَعْلِي بَعْلُوكَ ، وأرى نِعْمَتَكَ تَحْطُّ إلى ، ويتَّصل بي ما يتصل
بالأذنين من لُحْمَتِكَ ^(١) ، وَحَمَلَةٌ شُكْرِكَ ، وَمَظَانٌّ مَرُوفِكَ ، والمقيمين على
تَأْمِيلِكَ ، فلا أَعْدَى نِي الله ما أَسْتَجْنِي [مِنْكَ] ^(٢) ، ولا أزال عني ظِلَّكَ ، ولا
أَقْدَنِي شَخْصَكَ » . (الأوراق للصولي ٢ : ٣٧)

١٠ - كتاب له

كتبتُ إليك ونحن في عافية مجدِّدة ، والحمد لله المتطوِّلُ بالنعمة ،
المرجوُّ للمزيد ، ولست وإن باعدتُك الدارُ مني ، ونأى بك الزمنُ عنا ،

(١) اللحمة : القراءة .

(٢) استجنى : طلب الحلى ، والمعنى ما أعلمه وآمله منك ، وكلمة « منك » يست في الأصل ،
والمقام يقتضها .

بِمَقْصِيِّ الْقَلْبِ عَنْ بَرِّكَ بِالذِّكْرِ وَالْعَنَايَةِ ، وَلَا اللِّسَانِ بِالْدُّعَاءِ وَالْمَسْأَلَةِ ، وَلَا
النِّيَّةِ فِي الْإِخْلَاصِ وَالْمَحَبَّةِ لِإِحْيَاءِ الْعَهْدِ بِالْمَكَاتِبَةِ ، وَتَجْدِيدِ الْوُصْلَةِ بِالْمُرَاسَلَةِ ،
فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « التَّوَاصُلُ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْحَضَرِ التَّزَاوُرُ ،
وَفِي السَّفَرِ التَّكَاتُّبُ » . (الأوراق للصولي ٢ : ٣٧)

١١ - كتاب له في التشوق

« أَمَا بَعْدُ ، فَإِنِّي مُذْ فَارَقْتُكَ ، وَغَابَ عَنِّي شَخْصُكَ ، وَبَعُدَ مِنِّي قُرْبُكَ ،
أَجِدُ مِنْ نَفْسِي مُنَازِعًا إِلَيْكَ ، وَأَمَلًا وَاقِفًا عَلَيْكَ ، وَشَوْقًا مُزِعِّجًا إِلَى قُرْبِكَ ،
وَالْأَخْذِ بِالْحِظِّ مِنْكَ ، وَإِنْ عَدَانِي عَنْ مَشَاهِدَتِكَ بِاللِّقَاءِ ، أَوْ بِكِتَابٍ ،
تَقْصِيرُهُ مَشُوبٌ بِعَذْرِ ، وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ رَاغِبًا إِلَيْهِ أَنْ يَجْمَعَنَا فِي دَوَامٍ مِنْ نِعْمَتِهِ ،
وَيُظِلَّ مِنْ كِرَامَتِهِ ، وَكَيْفَايَةِ مِنْ حِرَاسَتِهِ » . (اختيار الطوم والمنثور ١٣ : ٣٩٥)

١٢ - كتاب له

وله في ترك وداع عند فراق :

« أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ جَعَلَ لَنَا مِنَ الْأَنْسِ بِمُودَّتِكَ ،
وَالسُّرُورِ بِمَكَانَتِكَ ، مَا لَوْ وَصَفْنَاهُ فَأُطْبِنَا ، لَجَاوَزَ^(١) ذَلِكَ مَا نَنْطَوِي عَلَيْهِ ،
وَقَدْ تَرَكْتَ مِنْ تَوْدِيْعِكَ عِنْدَ شَخْصِي عَنْ الْبَلَدِ الَّذِي يَجْمَعُنَا ، مَا لَوْ لَا حَسَنُ

(١) في الأصل « اسادر » وهو تحريف .

ظنى بك ، لَوَقَعَ منى بأعظمِ مواقعِ المساءِ والغيظِ على نفسى ، وأنتَ من
أَعَدَّهُ سرورى وأنسى ، وأهوى مشاهدةَ غُدُوِّى وَرَواجِى إليه ، ولَقَلَّ
ما أعلمُ أنه ما استتمَّ لى سرورٌ بعدك ، أو نزلَ بأحدٍ ما نزلَ بى من الشوقِ
إليك ، أو حلَّ منى أحدٌ بمثلِ مكانك ، أو استصفتُ لذةً أو راحةً إلا معك
وفى قُربك . (اختيار المطوم والمشور ١٣ : ٣٩٥)

١٣ - كتاب له

وكتب^(١) إبراهيم بن المهدي :
« كتابى إليك كتابٌ مُخَيَّرٌ وسائِلٌ ؛ فأما الإخبارُ ، فمن تصرفِ
الخطوبِ ، على ما يوجب العذرَ عندَ صديقِ العزيزِ على^(٢) ، فى إبطائى عنه بالتمهيدِ
له ، وأما السؤالُ ، فمن إمساكِ هذا الأخِ الوادِ^(٣) عن مثلِ ذلك ، فإن العذرَ^(٤)
كاشِفٌ لما أسلفَ ، مُصْلِحٌ لما استأنفَ .

راختيار المطوم والمشور ١٣ : ٣٧٧ والعقد ١٠٢ : ٢

(١) فى المطوم والمشور أن هذا الكتاب إبراهيم بن العباس .

(٢) فى العقد « هذا الأخ الودود الودود » .

(٣) وفيه « فإن الدل » .

١٤ - كتاب له

وكتب :

« أما بعد ، فإنك لو عَرَفْتَ فضل الحَسَنِ ، لتَجَنَّبْتَ شَيْنَ القَبِيحِ ،
ورَأَيْتُكَ : آثَرُ القولِ عندك ما يضرُّكَ ، فكنت فيما كان منك ومنا ، كما قال
زُهَيْر بن أَبِي سُلَيمٍ :

وَذِي خَطَلٍ فِي الْقَوْلِ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُصِيبٌ ، فَمَا يُلَمِّمُ بِهِ فَمَهْوٍ قَاتِلُهُ^(١)
عَبَاتٌ لَهُ حِلْمًا وَأَكْرَمَتْ غِيْرَهُ وَأَعْرَضَتْ عَنْهُ وَهُوَ بِإِدِمَقَاتِلُهُ^(٢)
وَأَنْ مِنْ إِحْسَانِ اللَّهِ إِلَيْنَا ، وَإِسَاءَتِكَ إِلَى نَفْسِكَ ، أَنَا صَفَحْنَا عَمَّا أَمَكْنَا ،
وَتَنَاوَلْتَ مَا أَحْجَزَكَ ، فَلَهُ الْحَمْدُ كَمَا هُوَ أَهْلُهُ .

(القد العريد ٢ : ١٩٧ ، والأوراق للصولي ٢ : ٣٦)

١٥ - كتابه إلى منصور بن المهدى

وفصل منه إلى المنصور بن المهدى :

« وما الحقُّ إلا حقُّ الله ، فمن أدَّاه فلنفسه ، ومن قَصَّرَ عنه فعلها ،
نسأل الله أن يعمِّرنا بالحق ، ويُصلِّحنا بالتوفيق ، ويحصِّننا بالتقوى » .

(الأوراق للصولي ٢ : ٣٥)

(١) الحطل : الخطأ .

(٢) عا الأمر كع : هبأه .

١٦ - كتابه إلى العباس بن موسى

« عبد الرحمن بن عبد الله ، مَنْ لا أحتاج إلى وصف حاله لك ، ولعلّي عَرَفْتُها بعدك ، غير أنّي أحبُّ مَسَرَّتَهُ ، بقضاء حقه ، وواجب حُرْمَتِهِ ، في مودّته وموالاته ، وقد جعلك ممن يحافظ على ذلك ومثله ، أراك الله ما تحبُّ أن تحفظني ونفْسَك فيه ، وتُؤَيِّيه ما جعلك الله أهله ، وجعله حقيقةً به .
(الأوراق للصولي ٢ : ٣٥)

١٧ - فصل له

« لم يبق لنا بعد هذا الجنس شيء نَمُدُّ أعيننا إليه . إلا الله الذي هو الرجاء ، قبله ومعه وبعده » . (الأوراق للصولي ٢ : ٦٣)

١٨ - فصل له

« أمّا الصَّبْرُ ، فمَصِير كل ذي مصيبة ، غير أن الحازم يقدم ذلك عند اللوعة طلباً للمثوبة ، والعاجز يؤخّر ذلك إلى السَّلْوة ، فيكون مغبوناً نصيب الصابرين ، ولو أن الثواب الذي جعل الله لنا على الصبر كان على الجزع ، لكان ذلك أثقل علينا ، لأن جزع الانسان قليل ، وصبره طويل ، والصبر في أوانه أيسرُ مثونةً من الجزع بعد السَّلْوة ، ومع هذا فإن سبيلنا من أنفسنا على ما ملكنا الله منها ألا نقول ولا تفعل ما كان لله مُسْتَخِطاً ، فأما ما يملكه الله من حُسن عِزاء النفس ، فلا نملكه من أنفسنا .

١٩ - كتاب يعقوب الكندي إلى بعض إخوانه

وأهدى يعقوب^(١) الكندي إلى بعض إخوانه سيفاً وكتب معه :
 « الحمد لله الذي خصّك بمنافع ما أهدى إليك : فجعلك تهتزاً للمكارم ،
 اهتزاز الصّارم ، وتمضي في الأمور ، مضاء المأثور^(٢) ، وتصون عرضك
 بالإرفاد^(٣) ، كما تصان السيوف في الأغمد ، ويظهر دم الحياء في صفحة خدك
 المشوف^(٤) ، كما يشفّ الرّوثق في صفحات السيوف ، وتصل شرفك
 بالمعطيات ، كما تصلّ متون المشرفيات^(٥) . »

(غرر الحقائق الواضحة ص ٤٤٧)

(١) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد بن الأشعث بن
 قيس الكندي ، كان أبوه إسحق أميراً على الكوفة للهدى والرشد ، وكان يعقوب عظيم المنزلة
 عند المأمون والمعتصم ، فاضل دهره ، وواحد عصره في معرفة العلوم القديمة بأسرها ، ويسمى
 فيلسوف العرب ، وله مؤلفات كثيرة في عارم مختلفة من المنطق والفلسفة والهندسة والحساب (الأرنطاطيق)
 والموسيقى والسجوم وغيرها ، وقد عدله ابن النديم ٢٣١ كتاباً في ١٧ علماً .
 وله حديث مع أبي تمام ، حين أنشد المعتصم سنيته المشهورة في مدحه (وفيات الأعيان ١ : ١٢٢)
 انظر ترجمته في الفهرست لابن النديم ص ٣٥٧ ، وتاريخ الحكماء لابن القطي ص ٣٦٦ (طبع
 أوربة) وطبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ١ : ٢٠٦ .
 هذا إن صح أنه كاتب هذه الرسالة وأشك في أنه هو ، لأن الصبغة البديعة البيئة الأثر في أسلوبها
 لم تقش إلا بعد ذلك العصر .

(٢) سيف مأثور : في منه أثر بالفتح والكسر : وهو فرند السيف وروقه ودياجته .

(٣) الإرفاد : الإعطاء والإعانة .

(٤) المشوف : المجلوّ ، من شافه شوقاً ، أي جلاه ، ودينار مشوف : محلو ، وفي الأصل
 « مشروف » وهو تحريف .

(٥) المشرف : السيف ، نسبة إلى مشارف الشام ، وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف ،
 وقيل : نسبة إلى موضع باليمن .

٢٠ — بين عبد الله بن الحسن الأصبهاني وابن الزيات

وكان عبد الله بن الحسن الأصبهاني، يخلف عمرو بن مسعدة على ديوان الرسائل، فكتب إلى خاله بن يزيد بن مزيد:

« إن المعتصم أمير المؤمنين ينفخ منك في غير فهم، ويخاطب امرأ غير ذي فهم ».

فقال محمد بن عبد الملك الزيات: هذا كلام ساقط سخي، جعل أمير المؤمنين ينفخ بالزق^(١) كأنه حداد! وأبطل الكتاب.

ثم كتب محمد بن عبد الملك إلى عبد الله بن طاهر:

« وأنت تُجرى أمرك على الأربح فالأربح، والأرجح فالأرجح، لاتسمى بتقصان، ولا تميل برُجحان ».

فقال عبد الله الأصبهاني: الحمد لله، قد أظهر من سخافة اللفظ، ما دل على رجوعه إلى صناعته من التجارة^(٢)، بذكره ربح السِّلَع، ورجحان الميزان، وتقصان الكيل، والخسران من رأس المال، فضحك المعتصم وقال:

ما أسرع ما انتصف الأصبهاني من محمد، وحققها عليه ابن الزيات حتى نكبه.

(الأماي ٢٠ : ٤٩)

(١) الرق : اسقاء .

(٢) وذلك أنه كان حده أمار . نزل الریت من مواضعه إلى عداد ويتجر فيه ، ، أقام هو وولده عند الملك الكرج (محله عداد) فشأ عند الملك في التجارة ، وحد حتى صار من نادر الكرج المياسير ، وكان تحت إداره محدا على التجاره وما لزمته ، فيأني إلا الكتابة ، وحملها وقصد المعالي ، حتى دمه منها أن ورر ثلاث دعات ، كما قدما .

٢١ - كتاب الحسن بن وهب إلى ابن الزيات

وروى أنه دامت الأمطار بسراً مَنْ رَأَى ، فتأخر الحسن بن وهب عن محمد بن عبد الملك الزيات ، وهو يومئذ وزير ، والحسن يكتب له ، فاستبطأه محمد ، فكتب إليه الحسن يقول :

أَوْجَبَ الْعُذْرَ فِي تَرَاحِيِ اللَّقَاءِ مَا تَوَالَى مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاءِ^(١)
لَسْتُ أُدْرِى مَاذَا أَقُولُ وَأَشْكُو مِنْ سَمَاءٍ تَعُوْثُنِي عَنْ سَمَاءِ^(٢)
غَيْرِ أَنِّي أَدْعُو عَلَى تِلْكَ بِالشُّكْلِ وَأَدْعُو لِهَذِهِ بِالْبَقَاءِ^(٣)
فَسَلَامُ الْإِلَهِ أَهْدِيهِ غَضًّا لَكَ مِنْي يَا سَيِّدَ الْوُزَرَاءِ^(٤)

(الأمانى ٥٤: ٢٠ والمقد العريد ٢ : ١٩٣)

٢٢ - كتاب الحسن بن وهب إلى ابن الزيات

واعتل الحسن بن وهب فتأخر عن محمد بن عبد الملك أياما كثيرة ، فلم يأت به رسوله ، ولا تعرف خبره^(٥) ، فكتب إليه الحسن :

أَيُّهَا ذَا الْوَزِيرِ أَيُّدُكَ اللَّهُ وَأَبْقَاكَ لِي بَقَاءً طَوِيلًا

(١) الأنواء جمع نوء بالفتح : وهو سقوط نجم من المارل في العرب مع القمر ، وطلوع رقيه من المشرق يقابله من ساعته ، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها ، وقيل إلى الطالع ، فتقول « مطرنا بنوء كذا » .

(٢) السماء الأولى : المطر ، والسماء الثانية يريد بها الوزير .

(٣) الشك : الموت والهلاك .

(٤) النقص : الناصر .

(٥) هذه رواية الأمانى ، وفي المقد العريد : « وكان شاعر يختلف إلى يحيى بن خالد بن برمك ويعتدحه ، فغاب عنه أياما لعله عرضت له فلم يعتدده يحيى ، ولم يسأل عنه ، فلما أفاق الرجل من غيبته كتب إليه ... الخ » .

أَجِيلًا تَرَاهُ ، يَا أَكْرَمَ النَّاسِ لَكِنَّا أَرَاهُ أَيْضًا جِيلًا
أَنْتَى قَدْ أَقَمْتُ عَشْرًا عَلِيلًا مَا تَرَى مُرْسِلًا إِلَى رَسُولًا
إِنْ يَكُنْ مُوجِبُ التَّعَهُدِ فِي الصُّحَّةِ مَنَا عَلَى مَنْكَ طَوِيلًا^(١)
فَهُوَ أَوْلَى بِالسَّيِّدِ النَّاسِ بِرًّا وَافْتِقَادًا لِمَنْ يَكُونُ عَلِيلًا
فَلَمَّاذَا تَرَكْتَنِي غَرَضَةَ الظَّنِّ مِنَ الْخَاسِدِينَ جِيلًا فَجِيلًا
الذَّنْبِ ؟ فَمَا عَلِمْتَ سِوَى الشُّكْرِ قَرِينًا لِنَيْتِي وَدَخِيلًا
أَمْ مَلَالٍ ؟ فَمَا عَلِمْتَكَ لِلصَّاحِبِ مِثْلِي عَلَى الزَّمَانِ مَلُولًا
قَدْ أَتَى اللَّهَ بِالشُّفَاءِ ، فَمَا أَعْرِفُ مِمَّا أَنْكَرْتُ إِلَّا قَلِيلًا
وَأَكَلْتُ الدَّرَّاجَ ، وَهُوَ غَذَاءٌ أَفَلَتَ عَلَيَّ عَلَيْهِ أَفُولًا^(٢)
بَعْدَ مَا كُنْتُ قَدْ حَمَلْتُ مِنَ الْعِلَّةِ عَيْنًا عَلَى الطَّبَاعِ ثَقِيلًا
وَلَعَلِّي - قُدِّمْتُ قَبْلَكَ - آتِيكَ غَدًا إِنْ وَجَدْتُ فِيهِ سَبِيلًا
(الْأَمَانِيُّ ٢٠ : ٥٤ والعقد المريد ١ : ٢٣٠)

٢٣ - رداً بن الزيات عليه

فَأَجَابَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ^(٣) :

دَفَعَ اللَّهُ عَنْكَ نَائِبَةَ الدَّهْرِ وَحَاشَاكَ أَنْ تَكُونَ عَائِلًا
أَشْهَدُ اللَّهَ مَا عَلِمْتُ وَمَاذَا لَكَ مِنَ الْعُذْرِ جَائِزًا مَقْبُولًا
وَلَعَمْرِي أَنْ لَوْ عَلِمْتُ فَلَا مَمْنُوكَ حَوْلًا لَكَانَ عِنْدِي قَلِيلًا

(١) فِي الْأَمَانِيِّ « التَّعَهُدُ » وَهُوَ نَحْرِي .

(٢) الدَّرَّاجُ : طَائِرٌ مِنَ طَيْرِ الْعِرَاقِ ، وَأَقْلُ النَّحَمِ : عَابَ .

(٣) فِي الْعَقْدِ الْمُرِيدِ : « وَكَتَبَ الْوَزِيرُ يَعْتَفِرُ ... الخ » .

إِنِّي أُرْتَجَى (وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَا كَانَ مِمَّا تَقَمْتُ إِلَّا جَلِيلًا)
 أَنْ أَكُونَ الَّذِي إِذَا أَضْمَرَ الْإِخْلَاصَ لَمْ يَلْتَمَسْ عَلَيْهِ كَفِيلًا
 ثُمَّ لَا يَبْذُلُ الْمَوَدَّةَ حَتَّى يَجْعَلَ الْجَهْدَ دُونَهَا مَبْذُولًا
 فَإِذَا قَالَ كَانَ مَا قَالَ إِذْ كَانَ بَعِيدًا مِنْ طَبِيعِهِ أَنْ يَقُولَا
 فَاجْعَلْنِي لِي إِلَى التَّعَلُّقِ بِالْعَذْرِ سَبِيلًا إِنْ لَمْ أَجِدْ لِي سَبِيلًا
 فَقَدِيمًا مَا جَاءَ بِالصَّفْحِ وَالْعَفْوِ مَا سَامِحَ الْخَلِيلُ الْخَلِيلَا
 (الْأَعَانِي ٢٠ : ٥٥ والعقد المريد ١ : ٢٣٠)

٢٤ - كتاب ابن الزيات إلى الحسن بن وهب

وكتب محمد بن عبد الملك إلى الحسن بن وهب ، وقد تأخر عنه :
 قَالُوا : جَفَاكَ فَلَا عَهْدَ وَلَا خَبَرَ مَاذَا تَرَاهُ دَهَاهُ ؟ قُلْتُ : أَيْلُولُ^(١)
 شَهْرٌ يُجَذُّ حِبَالُ الْوَصْلِ فِيهِ فَمَا عَقْدٌ مِنَ الْوَصْلِ إِلَّا وَهُوَ مُحْلُولُ^(٢)
 (الْأَعَانِي ٢٠ : ٥٥)

٢٥ - رد الحسن بن وهب على ابن الزيات

وكان محمد قد ندبه لأن يخرج في أمر مهم ، فأجابه الحسن فقال :
 إِنِّي بِمَحْوَلِ أَمْرٍ أَعْلَيْتَ رُبَّتَهُ فحظه منك تعظيمٌ وتبجيلٌ
 وَأَنْتَ عُذَّتْهُ فِي نَيْلِ هِمَّتِهِ وَأَنْتَ فِي كُلِّ مَا يَهْوَاهُ مَأْمُولٌ
 مَا غَالَنِي عَنْكَ أَيْلُولُ بَلَدَّتْهُ وَطِيبُهُ وَلَنْعَمَ الشَّهْرُ أَيْلُولُ

(١) أيلول : سهر من شهور الروم .

(٢) تجذ : تقطع .

الليل لا قصر فيه ولا طول
والعود مستنطق عن كل مُعْجِبَةٍ
لكن توقع وشك البين عن بلد
مالى (إذا شئرت بى عنك مبتكراً
إلا رعاياتك اللاتى يعود بها
والجو صافٍ، وظهر الكأس مرَّحُولٌ^(١)
يصحى بها كل قلب وهو متبول^(٢)
تحله ، فوكاء العين محلول^(٣)
دُهم البغال أو الهوج المراسيل^(٤)
حد الحوادث عني وهو مَقُولُ
(الأمان ٢٠ : ٥٥)

٢٦ - كتاب ابن الزيات إلى الحسن بن وهب

واستسقى الحسن بن وهب من محمد بن عبد الملك نبذا ببلاد الروم ،
وهو مع المعتصم ، فسقاه وكتب إليه :

لم تلق مثلى صاحباً أندى دأ وأعم جوداً
يسقى النديم بقفرة لم يسقى فيها الماء عوداً
صفراء صافية كأن تكأسها ذراً نصيذاً
وأجود حين أجود لا حصراً بذاك ولا بليداً
وإذا استقل بشكرها أوجبت بالشكر المزيداً^(٥)

(١) رجل العير كرم : حط عليه الرجل . فهو مرحول ، أى مهيأ للركوب . والمعنى ها : أن الكأس مهيأ للشرب .

(٢) صفا السكران كعدا وصحى كرمى : أفاق ، ولم يسول : إذا غلب عليه الحب وهيمه ، وتله الحب كصر : أسقمه وأفسده

(٣) وشك البين : قرب العراق ، والوكاء . رباط العرة وغيرها ، والمعنى : مسالت عهده .

(٤) اتكر : تكرر . والدم جمع أدم : وهو الأسود . والهوج جمع هوجاء : وهى الافة السريعة حتى كأن بها هوجاء . والمراسيل جمع مراسل : وهى الافة السريعة السير .

(٥) استقل : نهى .

خَذَهَا إِلَيْكَ كَانَمَا كُسِيتَ زَجَاجَتَهَا عُقُودًا
وَاجْعَلْ عَلَيْكَ بِأَنْ تَقُو مَ بِشْكُرِهَا أَبَدًا عُهُودًا

(الأمانى ٢٠ : ٥٦)

٣٧ - كتاب الحسن بن وهب إلى ابن الحسن بن سهل

وكتب الحسن بن وهب ، يعزى ابن الحسن بن سهل ، عن أبيه^(١)
الحسن :

« إن أحقَّ النعم المرتجعة ، والعواري المستردة ، بأن تودعها النفوسُ
بالسكون عليها ، والرضا عن الله عز وجل فيها ، والسخاء عما ارتجع واستردَّ
منها ، نعمة عارية أعظم الله قدرها^(٢) ، وأجلَّ خطرَها ، وفَسَحَ في مدتها ،
وأطالَ الانتفاع بها ، حتى إذا حداها^(٣) طولُ الثَّواء بأهلها ، وتقادم الإلفِ
بينهما ، فخرى تجزى أخلق الأشياء بالدوام ، - إن^(٤) كان الدوام في شئٍ
مأمولا - وأبعدِها من النِّفاد - إن^(٥) كان النِّفادُ على شئٍ مأمونا - فكانوا
لذلك من حالها [في غيرة^(٦)] عنها ، وإغفالٍ لموقعها ، أمضى^(٧) الله أمره
الذى هو فناء كلِّ مادونه ، رهلاك كلِّ شئٍ إلا وجهه ، فكان ذلك قضاءه

(١) في الأصل « عن ابنه » وهو تصحيف .

(٢) في الأصل « فقدما » .

(٣) من حدا الليل النهار أى نعه ، وحدا الإيل أى ساقها ، والمعنى : معها ولارمها ، والثَّواء :

الإقامة ، وفي الأصل « حتى إذا حرامها طول الثَّواء أهلها » وهو تحريف .

(٤) في الأصل « وإن » .

(٥) في الأصل « وإن أيضا » .

(٦) في الأصل « لمرمهم » وقد أصلحته كما ترى .

(٧) جواب إذا .

القضاء الفصل ، وحُكْمُه الحكم الذي ليس مرَدّ ، ثم نبّه به على فقد ما منح منه ، حتى عاد مشكوراً ، وعلى ما يجب به التسليم ، حتى عاد مُطاعاً .
 وإن أميرنا وسيدنا وموئِلَ نعمتنا ، ومبتدئ أسلافنا ، وكافل أعقابنا ، وعامِرَ مجدِّنا ، وباني مكارمنا ، بالبرِّ الذي هو كان المعتقد له ، ثم بالأدب الذي رفع مناره وأعلامه ، وأثمن^(١) به لأهله ، وأقام له سوقه ، فلم يقرب إلا عليه ، ولم يُحْظَ إلا من ناحيته . فالتمسهُ الناسُ حين التمسوه من جهتيه اللتين : إحداهما الرغبةُ فيه لفضله ، والأخرى طلبُ التحيّر لمعرفته أبا محمد ، رضى الله عنه كلُّ الرضا ، ورحمةُ الله كلُّ الرحمة عليه ، كان ذلك النعمة التي دامت أحسن دوام ، وتلك العارية التي ثَوَّتْ طول الثواء ، فما أحقُّك - بموضعك من ولادته - وأحقُّنا - بموضعنا من جميل بلائه - أن نكون على ما وفاه من أمره شاكرين ، وعنه تبارك وتعالى راضين ، وأن تقول قولَ المحسنين المُجْمِلين المسلمين (إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) وأنا أسأل الله أن يصلي على محمد وعلى آل محمد ويسلم تسليماً ، وأن يحسن لنا ولك العزاء ، ويوفّر علينا وعليك الآخر والثواب ، وأن يجزى أبا محمد خيراً ، بِنَيْتِه الجميلة ، وَسَعِيهِ الحميد ، وأن يسدَّ بك ويأخوتك - أبقاك لله لهم ، وأبقاهم لك ومعك - ما فلت^(٢) الأيام من مكانه ، وأخلت من مشاهدته وأوطانه ، حتى لا يعفوله أثر ، ولا يُفقد منه إلا ما فُقد ، وأن يستقبل بكم أيّامكم ، بأحسن ما مضى تمامه ، لمن

(١) في الأصل « وآثر » وأرى أن صوابه « وآثى » يقال : آسَه - معه وآثى له : أعاده شيئاً والمعنى : أحرأهل الأدب وحمام ، ويؤيد هذا التصويب ، قوله عند « وأقام له سوقه » وربما كان « وآثر به أهله » .

(٢) أى نلت ، وفي الأصل « ماملت » وهو تحريف .

مضى منكم ، فيجعلكم الخلف الذي لا وصية معه ، ولا وخشة عليه في نفسه ،
وأسأله أن يتولاكم ويتولانا فيكم بما هو أهله ووليته .

وكتابك - أكرمك الله - بما أخضركم الله من توفيقه ، الذي أرجو
الأن يغيب عنكم ، وإرشاده الذي أرجو أن يكون مقروناً بكم في كل أحوالكم ،
ما يلزمك في مروءتك وأخلاقك ، لا تُخْلِي مني ، ولا تؤخر إيناسي بتعجيله ،
تولاك الله بكل صالحة ، وعوض بك من كل رزية ، وأتم عليك النعمة ،
ولا أخلاك فيها من الزيادة » . (اختيار المطوم والماثور ١٣ : ٣١٤)

٢٨ - كتاب الحسن بن وهب إلى القاسم بن الحسن بن سهل

وكتب الحسن بن وهب ، إلى القاسم بن الحسن بن سهل ، يعزیه :
« مد الله في عمرك ، موفوراً غير متقص ، وممنوحاً غير ممتحن ،
ومنعطى غير مستلب » . (رهر الآداب ٣ : ١٩٩)

٢٩ - كتاب الحسن بن وهب إلى محمد بن إسحق

وكتب الحسن بن وهب ، إلى محمد بن إسحق ، يعزیه عن ابنه إسحق :
« الأمير أعلم بالدين ، من أن يذكرك به ، وبالدين ، من أن يدل على ما خلقت
له ، وقد ورد - أعز الله الأمير - ما كان من النبأ العظيم ، والخطب الجليل ،
في سيف الخلافة ودعائمها ، ورُكنها في يومها وغدها ، فلو أن حادثاً سبق
بالنفوس آجالها ، وأعجلها عن الآجال المقدرة ، لكانت الرزية أحق الزايا

بذلك ، فكنتُ أحق المنكوبين بمصابه أن ينالني ذلك منه .

(اختيار المطوم والشور ١٣ : ٣١٢)

٣٠ - كتابه إلى إسحق بن يحيى

وكتب الحسن ، إلى إسحق بن يحيى بن مُعَاذ ، يعزّيه عن ابنه :

« مَنْ شَكَّ فِي مَوْضِعٍ مِنْ هَذِهِ الْمَصِيبَةِ ، وَبِمَوْقِعِهَا مِنِّي ، فَأَنْتَ - أَعَزُّكَ اللَّهُ - غَيْرُ شَاكٍّ فِي ذَلِكَ وَلَا مَرْتَابَ بِهِ ، فَإِنَا كُنَّا مِنْ صَفَاءِ الْخُلَّةِ ^(١) عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ أُخْرَ مَوَدَّةً ، نَعِيبُ إِذَا غَبْنَا ، عَلَى إِخْلَاصٍ وَمِقَّةٍ ، وَنَحْضُرُ إِذَا حَضَرْنَا ، عَلَى بِرٍّ وَصِلَّةٍ ، وَنَتَقَارِضُ الْمَحَبَّةَ قَرُوضًا مَجْزِيَّةً ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَشَكَرَ لَهُ مَا كُنْتُ أَعْتَدُ بِهِ مِنْهُ ، وَلَقَدْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَرْدَادًا حَا إِلَى بِمَكَانِهِ ، وَتُضَعَّفُ حَسَنًا فِي عَيْنِي بِحَيَاتِهِ ، وَلَقَدْ أَحْدَثْتُ لِي مَيِّتَةً زُهْدًا فِي الْحَيَاةِ ، وَقَصْدًا فِي الشُّحِّ عَلَيْهَا ، وَذَمًّا لِلدُّنْيَا ، وَاسْتِقْبَاحًا لِصُورِهَا ، وَلَكِنْ مَا الْحِيلَةُ ، جُعِلَتْ فِدَاؤُكَ ؟ وَمِمَّنِ الظُّلَامَةُ ؟ وَمَا نَصْنَعُ بِهَذِهِ الْغَرَارَةِ ، الَّتِي سِيرَتَهَا - مِنْذُ كَانَتْ - سِيرَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَأَحْكَامُهَا فِي كَدَرِ الصَّفَاءِ ، وَتَنْغِيصِ السَّرُورِ ، أَحْكَامُ رَاتِبَةٍ ^(٢) ؟ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ ، وَالْمَشْتَكَى إِلَيْهِ . وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، لَا نَقْصَ لَكَ عِدْدًا ، وَلَا أَرَاكَ فِي شَيْءٍ مِنْ نِعْمِهِ عِنْدَكَ فَجَعًا وَلَا تَبْدِيلًا . »

(اختيار المطوم والشور ١٣ : ٣١٢)

(١) الخلة : الصداقة المحصنة لاحتلال ميثاقها .

(٢) راتبة : أى ثابته لا تتغير .

٣١ - كتابه إلى محمد بن عبد الله بن طاهر

وله إلى محمد بن عبد الله بن طاهر ، يعزيه :

« أطل الله بقاء الأمير مسروراً غير محزون ، ومُعْطَى غير مسلوب ،
ووفقّه في إحواله كلها بما يستديم به النعم ، ويستحق به المثوبة .
أفطعني^(١) ما رأيت في الأمير - أعزه الله - من أثر هذه الرزية ، التي
تكاد أن تكون أشبه بالنعم ، منها بالرزاياء ، لما وفرّ الله للأمير - إن شاء الله - من
ثوابها له ، وحاطه من بعدها في نفسه ، فإن حياة الأمير - أعزه الله - حياة
لأهله وذوي نائله ، بعد الذي جعل الله للدين والخلافة والعز بسلامته ،
وللأمة من جمال مكانه وموضعه ، فوفرّ الله للأمير المؤمنين ، ولا نقصه ،
وتولاه بحسن المدافعة عنه ، والحياطة له ، ولا أراه سوءاً في نفس ولا حيم
بقدرته ، وأعاذ الأمير من المكاره ، وأعاذنا فيه منها ، إنه ولي قدير . »

(اختيار المطوم والمشور ١٣ : ٣١٦)

٣٢ - جواب تعزية له

وللحسن بن وهب جواب تعزية عن ابنه ، إلى الطائي^(٢) الشاعر :

« أمتعني الله بما وفرّ عليّ من موافقتك ، وبلوغ الوطر كل الوطر من
استتمام اليد عليك ، وإحاطة الملك لك ، زاد الله في النعمة عندك بطول حياتك ،

(١) أفطعه : وحده فطيحا ، أي شق عليه وأحرقه .

(٢) المصنوع منه ، أنه أوتى تمام حبيب بن أوس الطائي ، الشاعر العباسي المعروف .

وتراقى أيامك ، وغفلة الدهر عنك وعن حظي منك .
 كتابي ، بأبي أنت وأمي ، وطاري في وتلادي ، وكتابك في يدي ،
 وفلان عندي ، ونحن نصعد ونصوب في الشعر العجيب ، الذي أنفذه
 في درجته^(١) ، وبيتنا من ذكرك أطيب من روائح الرياض غيب القطر ،
 والحال سارة ، والعافية شاملة بحمد الله على النعمة ، ونسأله أحسن التمام
 والزيادة ، وذكرت مشاركتك^(٢) إياي في المصيبة ، وما كان أحوَجني - حين
 طرقت بها الأيام - إلى أن تكون حاضرا ، فتؤيد ضعفا . وتعم سدادا^(٣) ،
 فإنها^(٤) كانت حالا وافت غريراً بها ، شديدة الغفلة عنها ، حتى كأنني كنت
 لا أحسب الأيام على هذه الخليفة . ولا الدهر على هذه العادة ، فسبحان الله
 لهذا السهو الطويل ، والتفريط الذي لا يشبه السفة ، فضلاً عما يحب أن
 يقال عاقل حليم ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، لا انفككت أقدارُ السوء تسقط
 دونك ، والردي يخطئك ، وكلاءة الله تُحيط بك .

(اختيار المطوع والنسور ١٣ : ١٥)

٣٣ - تعزية له

وله تعزية :

« جَبَلَك الله على التسليم لأمره والرضا بقضائه ، وصبرك على ما واقع

(١) - درجه : أي في طيه .

(٢) في الأصل « مشاورتك » وهو خريب .

(٣) في الأصل « وتم سداد » والمعنى : وتعم السداد وترشدنا إلى وجوب التمسك بعسر والتك
 عن الخرع ، وربما كان الأصل « وتعلم سدادا » أو « وتسم سرادا » .

(٤) في الأصل « فأما » وهو سريب .

أقداره ، واحتمالِ الحقوق لنعمته ، إن الله عز وجل جعل النعم سبيلا لاختبار الشكر، والمحَن سبيلَ ابتلاء الصبر؛ وأحقُّ الناس بالشكر على النعمة ، والصبر عند المِحْنة ، مَنْ قَرَنَ الله له بين الحالين ، فلم يُخْلِهِ من النعمة التي حقها الشكرُ ، ولا من المِحْنة التي حقها الصبرُ ، وهي حالك التي أصبحت عليها بحمد الله ، إلى الأحوال المتظرة لك بعدها ، المرجوة زيادةُ الله إياك في أحسنها .

وكانت الحادثة في أبي فلان وما آثره من طاعة مَنْ مضى من خلفائه ، وطاعة أمير المؤمنين ، الرزية المرجوة المتظريومها ، صنعَ الله بك وفيك في غدها ، وحلَّت من أمير المؤمنين ومن أوليائه وعوام رعيته محلَّها ، ثم كنت من أمير المؤمنين بموضع الرجاء لسدِّ ثلمها ، ولمْ شَعْنها . حتى تَعَفَوْا بإذن الله آثارُ كُلِّومِها^(١) ، ويعود الصلاح في جميعها إلى أجلٍ ما جَرَتْ به مادةُ الله فيها ولها ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ، فَبُولَا من الله تبارك وتعالى لقوله ، وانتهاء إلى أمره ، وَوَلِيكَ الله في هذه المصيبة بأعظم الأجر ، وأجزل الذخر ، وألهمك الله في النعم أحسن ما ألهمه محتسباً لنعمة ، أوقائماً بحق ، وسرِّبك من بعد مَنْ كنا نضينُ ببقائه ، ونشحُّ على حياته ، ونعتدُّ بنعمة الله فيه ، نضر الله وجهه ، ونسأل الله أن يهبَ له جزاء الآخرة ، وشريفَ منازلها ، ومرافقة النبي صلى الله عليه وسلم أفضل ما تَقَلَّه عنه من حظوظ الدنيا التي قد كان نشأ فيها ، وتقلب في أعلى مراتبها ، وأثابه الله أجلاً ما أثاب

(١) عما الأثر : درس وإمعى ، والكلم جمع كلم بالفتح : وهو الجرح .

شاكرًا لأنعمه ، مؤدّيًا لما يستحقُّ به من طاعته ، وهناك الله ما أعطاك من
رأى خليفته ، ووفّقك لاستقبال ما استدعى به مرضاته ، والزلفاة لديه ، بقدرته .
(اختيار النظم والمشور ١٣ : ٣١٥)

٣٤ — كتابه إلى إسحق بن إبراهيم

وكتب الحسن بن وهب ، إلى إسحق بن إبراهيم يعزّيه ، عن يحيى
ابن خاقان :

« صرّف الله المكارهَ كلّها عن الأمير ، وأبعدّها عن جنابه ومقرّ
داره ، ولا فجّة بوليّ يؤيّد عزّه ، وينهي^(١) بفضائله ، ويقدّح بزنده ،
ويخطّب في حبله ، ويُرادي من راداه^(٢) وعند^(٣) عن طاعته ، كان يحيى
ابن خاقان أحد الشيوخ ، أو شيخ الشيوخ العارفين بفضائل الأمير ،
الحافظين لما أثر أسلافه ، فلا أعلمني رأيتُ في دار الأمير رجلاً أصفى من
جانبه ، ولا أظهر من محبّته ، ولا غائبًا كان يغيب عنها بأنقى من غيبه ،
وسريته ، ولا أنصح من جيبه ونيّته ، وكان لي مع ذلك أبا بعد أبي ، وكافلا
بعد من كان يكفّلني ، وكانت عنايته بلغني . حتى خلّطني بإخوته وأقاربه .

وأثاني خبر مُصابه ، فوَحَقَّ الأمير الذي أعظمه ، لقد هدّني ، وبلغَ
مساءتي وكُرهي ، وتذكّرتُ ما يتعطلُّ على الأمير من عِمارة الأُنس به ،

(١) أنهى الشيء : أمله .

(٢) رادى عن الغوم : رمى عنهم بالحجارة .

(٣) عند عن الطريق كصر وسمع وكرم : مال .

والإفضاء إليه ، والاستراحة إلى خلوته ، فاستوحشتُ لذلك ، وإن كنت أرجو أن يؤنس الله الأميرَ من سلامته ، بما يسدُّ كلَّ خللٍ وثُلْمةٍ ، ويدملُ^(١) كلَّ كَلَمٍ ورزِيَّةٍ ، فعظمَ الله أجرَ الأميرِ ، وتظاهرتُ عنده مِنَّنُ الله وطَوَّلَه وقدرتُه على ما يشاء في عبادته .

(اختيار المنظوم والمشور : ١٣ : ٣١٧)

٣٥ — كتابه إلى عبد الرحمن بن خاقان

وله تعزية إلى عبد الرحمن بن خاقان :

« حَرَمَكَ اللهُ مِنَ الْمَكَارِهِ وَالْغَيْرِ ، مُؤَيِّدًا بِالتَّوْفِيقِ وَالْعَصْمَةِ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، إِنْ نِعْمَ اللهُ عَلَيْكَ فِيمَا عَصَمَ مِنْ دِينِكَ وَنَفْسِكَ ، وَأَلْهَمَكَ حِفْظَكَ وَرُشْدَكَ فِي السَّعْيِ لِمَعَادِكَ ، وَالتَّمَسُّقِ الْقُرْبَى إِلَى رَبِّكَ ، النِّعْمَةُ الْجَلِيلَةُ الَّتِي تَضَعُ أَكْثَرَ الْمَثُونَةِ عَنِ التَّمَسُّقِ تَذَكِيرُكَ بِاللَّهِ وَآيَاتِهِ . وَوَعَظُّكَ بِمَا يُلْزِمُكَ مِنْ تَلَقُّي نِعَمِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشُكْرِهَا ، وَرِغْمَتِهِ بِالتَّسْلِيمِ لَهَا وَالصَّبْرِ عَلَيْهَا .

وقد وافانا من خبر الحادثة فيمن أكرم الله مشواه ومُنْقَلَبِهِ ، مَا جَلَّ حَتَّى اسْتَفْرَغَ الْجَمِيعَ ، وَعَمَّ حَتَّى كَادَ يَسُوِّي بَيْنَ الْأَقْرَبِ وَالْأَبْعَدِ ، فَالَى اللهُ نَشْكُو ذَلِكَ ، كَمَا نَرْغَبُ إِلَيْهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي التَّجَاوُزِ عَنْهُ وَالرَّحْمَةُ لَهُ ، وَأَنْ يَوْفَقَكَ وَإِيَانَا مِنَ الصَّبْرِ عَلَى رَزِيئَتِهِ مَا يُؤْمِنُنَا مِنْ حُبُوطِ الْأَجْرِ ، وَيُكْمِلُ لَنَا وَلَكَ

جزيلَ الذُّخْرِ »^(٢) . (اختيار المنظوم والمشور : ١٣ : ٣١٧)

(١) دمل المرح كعرج واندمل : برئ والتحم وتماثل ، ودمله الدواء كصره : أبرأه ، والكلم : المرح .

(٢) في الأصل « الأجر » وأرى أنه سهو من الناسخ ، إذ تقدمت هذه الكلمة في الفقرة السابقة

٣٦ - كتاب تعزية له

وله تعزية أيضا :

« قد تقد كتابي إليك في التعزية عن السيد الذي لا تُفجع بمثله ، ولا تؤمل عوصاً منه ، إلا باتصال أيامك ، وجميل جياطة الله إياك ، بما أرجو أن يكون قد وصل والحمد لله ، وإليه أوجه الرغبة في إلهامك الصبر ، وحسن المعاونة لك على قضاء الحق عليك ، وقضاء الحق لك ، وما أعتد به من مودتك ، التي تقتصر على مادونها الثقة ، وتستحکم بأقل منها الأسباب والمقاة .
(اختيار المطوم والمنثور ١٣ : ٣١٧)

٢٧ - كتاب له في الشكر

وكتب الحسن بن وهب في الشكر :

« من شكرك على درجة رفعتك إليها ، أو ثروة أفدرته عليها ، فإن شكرى لك على منحة أحييتهم ، وحشاشة^(١) أبقيتها ، وورق أمسكت به ، وقت بين التلّف وبينه ، فكل نعمة من نعم الدنيا حدّ ينتهى إليه ، وقدنى يؤقف عنده . وغاي من الشكر بسمو إليها تحرف . خلا هذه النعمة التي قد فاقت الوصف ، وطالت الشكر ، وتجاوزت قدره . وأنت من وراء كل فاة ، رددت عنا كيد العدو . وأرغمت أنف الحسود . فنحن نلجأ منك فيها إلى ظل ظليل وكنف كريم . فكيف يسكر الشاكر ، رأتى ببلغ جهد المجتهد ؟ » .
(مقدم برید ٢ : ٩٥)

(١) الحشاشة : بنية الروح في الاليس والخرج .

٣٨ - كتاب في الشكر

قال ابن طيفور :

ومن مختار ما كتب به من باب الشكر :

« أما بعد ، فما أعجزَ تعدادي عما أتعرفُ منك وأتعرفُ بك دانياً ونائياً ، وما أدرى ما ابتدأتني به من مبروفك ، أرهنُ لشكري ؟ أم ما ثنيت به من برك ، لبذلتك بعنايتك على نائيك ؟ أم ما ألبستني جلاله ، على لسانك ، بإطرائك وثنائك ؟ أم ما عقدته لي عند غيرك بتلطُّفك وتأييدك ^(١) ؟ غير أنني أعلم أنك لم تقصّر في استحقاق شكري على ، وأرجو ألا أكون مقصراً في معرفة ذلك منك ، ومن لم يقصّر عنه ولم يؤن ^(٢) في شكره إلا من عظم المعروفِ عنده مع جهده ، فقد دخل بالعلم والجهد في الشاكرين ، غير أن الذي آسنتني به من رفدك ^(٣) وتوطيدك ، قد زادني وخشةً إليك ، وإن حفظَ من حفظني فيك - وإن لم يكن مقصراً - قد جدّد لي المعرفة بوسيلة ^(٤) مكاني عندك ، ولقد بلغت أن أصاحت لي الأمور والرجال ، وأصلحتني إلى صلاحي لنفسك ، فليس كتابي هذا باستبطاء لأحد حتى يستبطئه ، ولا شكري حتى يكون البدء منك ، ولكن رَوَّحتُ عن نفسي بذكرك ، وزينتها بشكرك ، وزكيتها بالإقرار بفضلك » . (اختيار المظوم والمتنور ١٣ ، ٣٧٨)

(١) تأتي للأمر : ترفق وأناه من وجهه .

(٢) أبيت وأبيت وثأيت واستأنيت : تأخرت وأبطأت ، وفي الأصل « ولم يؤت » والأول عدى أولى .

(٣) الرفد : العطاء والصلة ، والتوطيد : الثبوت ، ووطد له منزلة : مهدها .

(٤) من وثر الفى . ككرم : إذا لان وسهل .

٣٩ — كتاب الحسن بن وهب إلى إبراهيم بن العباس

وكتب الحسن بن وهب إلى إبراهيم بن العباس :

« وصل كتابك ، فما رأيت كتابا أسهل قُنُونًا ، ولا أَمْلَسَ مُتُونًا ، ولا
أَكْثَرَ عُيُونًا ، ولا أَحْسَنَ مَقَاطِعَ وَمَطَالِعَ مِنْهُ ، أَنْجَزَتْ فِيهِ عِدَّةَ الرَّأْيِ ،
وَبُشِّرَى الْفِرَاسَةِ ، وَعَادَ الظَّنُّ يَقِينًا ، وَالْأَمَلُ مَبْلُوغًا ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ
تَمَّ الصَّالِحَاتُ » . (العقد العرید ٢ : ١٩٦)

٤. -- كتابه إلى أبي تمام الطائي

وكتب الحسن بن وهب إلى أبي تمام الطائي :

« أَنْتَ - حَفِظْتَكَ اللَّهُ - تَحْتَذِي مِنَ الْبَيَانِ فِي النُّظَامِ ، مِثْلَ مَا يُقْصَدُ
بِحَرْفٍ فِي لَذَرٍّ مِنَ الْأَفْهَامِ ، وَالْفَضْلُ لَكَ - أَعَزُّكَ اللَّهُ - إِذْ كُنْتَ تَأْتِي بِهِ فِي
غَايَةِ الْاِقْتِدَارِ ، عَلَى غَايَةِ الْاِقْتِدَارِ ، فِي مَنْظُومِ الْأَشْعَارِ ، فَتَحُلُّ مُتَعَقِّدَهُ ،
وَتَرْبِطُ مُتَشَرِّدَهُ ، وَتَنْظِمُ أَشْطَارَهُ ، وَتَجْلُو أَنْوَارَهُ ، وَتَفْصِّلُهُ فِي حُدُودِهِ ،
وَتَخْرِجُهُ فِي قِيُودِهِ ، ثُمَّ لَا تَأْتِي بِهِ مِمَّا اقْبَسْتَهُ مُشْتَرَكًا فَنُلبَسَ . وَلَا تَعْقِدَا
فِيَطُولُ ، وَلَا مَتَكَافَا فَيَحُولُ ، فَهُوَ كَالْمَعْجِزَةِ ، تُضْرَبُ فِيهَا الْأَمْثَالُ ، وَيُشْرَحُ
فِيهَا الْمَقَالُ ، فَلَا أَعْدَمْنَا اللَّهُ هَدَايَاكَ وَارِدَةً ، وَفَرَايِدَكَ وَافِدَةً »

٤١ - كتاب له

« لَا تَرْضَ لِي يَسِيرَ النَّظَرُ ، فَإِنِّي لَمْ أَرْضَ لَكَ يَسِيرَ الشُّكْرِ ، وَضَعْتُ
عَنِ مُؤَنَّةِ التَّقَاضِي ، مَا وَضَعْتُ عَنْكَ مُؤَنَّةَ الْإِلْحَاحِ ، وَأَحْضِرْتُ قَلْبِي مِنْ
ذِكْرِكَ مَا هُوَ أَكْفَى مِنْ قَعُودِي بِصَدَدِ عَيْنِكَ ، فَإِنِّي أَحَقُّ مَنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ
بِهِ ، كَمَا أَنَّكَ أَحَقُّ مَنْ فَعَلَهُ بِي ، وَحَقَّقَ الظَّنَّ ، فَلَيْسَ وَرَاءَكَ مَذْهَبٌ ، وَلَا
عَنْكَ مُقَصِّرٌ » (اختيار المطوم والمشور ١٣ : ٣٨٣)

٤٢ - كتاب ميمون بن إبراهيم إلى الحسن بن وهب

وكتب ميمون^(١) بن إبراهيم إلى الحسن بن وهب يعزيه عن أمه :
« خُطُوبُ الْأَيَّامِ مَقْضِيَّةٌ عَلَى هَذَا الْخَلْقِ ، وَلَوْ كَانَتْ مَدْفُوعَةً عَنْ
أَحَدٍ ، لِكَثْرَةِ مَنْ يَقِيهِ مِنْ إِخْوَانِهِ ، وَيَقْدِيهِ مِنْهُمْ الْأَخْصُثُ فَلَا أَخْصُثُ مِنْ
أَعِزَّائِهِ وَخُلَائِهِ ، سَلِمَتْ مِنْهَا وَعَرِيَتْ مِنْ مُلْهَمِهَا ، وَكَانَ سَبْقِي إِلَى ذَلِكَ أَبرَزَ
سَبْقٍ ، وَحَظِّي فِي التَّقَدُّمِ فِيهِ أَوْفَرَ حَظٍّ ، وَمَصِيبَتِكَ - أَكْرَمَكَ اللَّهُ -
بِالْوَالِدَةِ لِي مَصِيبَةٌ ، وَمَا نَالَكَ مِنْ ذَلِكَ لِقَلْبِي مُوجِعٌ . وَلَوْ كَانَ فِي طَاقَتِي أَنْ
أَعْلَمَ كُنْهَ مَا خَافَ قَلْبُكَ مِنْ أَلَمِ ذَلِكَ ، لَحَمَلْتُ مِثْلَهُ عَلَى نَفْسِي ، وَإِنِّي أَحَبُّ
أَنْ أَكُونَ أُسْوَتَكَ فِي كُلِّ سَارٍ وَغَامٍ ، وَلَا أَتَمَتَّعَ بِأَيَّامِ غَمُّومِكَ ، وَلَا أَقْصُرَ
فِيهَا عَنْ مَقْدَارِ حَالِكَ ، فَعَظَّمَ اللَّهُ أَجْرَكَ ، وَجَبَرَ مُصَابِكَ ، وَضَاعَفَ
ثَوَابَكَ ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُحْمَدُ عَلَى الْمَكْرُوهِ

(١) كان إليه حاشى المكاشات في أيام التوكل ، وكان بليغا فصيحاً منسلاً . . . انظر المهرست

غيره . ثم الحمد لله الذى جعلك مكثفياً بنفسك فى مواطن حقوق الله عليك ،
والمرجع فى اقتصارى على الكتاب - إذ كان دون الذى ينبغى فيما يلزمنى ،
وإن كنت قد سلكت نفسى أول من لقيك مُعزّياً ومؤامساً - إلى علمك
بالحال فى ذلك ، وإن كنت أثق بأنى ممن لا يحتاج إلى اعتذار عندك ، فإن
رأيت أن تُدخل إلى الروح^(١) بكتابك وخبرك فى نفسك ، ومارزقك الله
من حسن التعزّي عند مصيبتك ، لِأُحمد الله على النعمة عندي فيما ألهمك
من التوفيق والعصمة فعلت ، والتعزية - جعلت فداءك - تجدد اللوعة
للمحزون ، وقد توقيت ذلك فى ألى أيوب^(٢) إشفافاً عليه ، فجعل الله لكل
عبرة أفضتها ، وجرة تجرعناها فى هذه المصيبة ، حجاباً لكما من كل
سوء ، ووقاية لكما من كل محذور . (اخبار المطوم والمشور ١٣ : ٣١٧)

٤٣ - كتاب الحسين بن الحسن بن سهل

إلى صديق له

وكتب الحسين بن الحسن بن سهل إلى صديق له :
« نحن فى مأذبة^(١) ، تُشرف على روضة ، تُضاحك الشمس حُسناً ،
قد باتت السماء تعلها^(٢) ، فهى شرقة بمائها ، حالية بتوارها ، فأراك فىنا ،
لنكون على سواء من استمتع بعضنا ببعض . »

(١) الروح : الراحة .

(٢) أى سليمان بن وهب .

(٣) علا كصرب وصر وأعله : سقاء مرة بعد مرة .

٤٤ — رد صديقه عليه

فكتب إليه :

« هذه صفة لو كانت في أقاصى الأرض لوجب اجتاعها ، وَحَثُّ
المَطْيِ في ابتغاءها ، فكيف في موضع أنت تسكنه ، ويجمعُ إلى أنيق منظره
حُسْنَ وجهك ، وطيبَ شمائلك ! وأنا الجواب . »

(المقد العريد ٢ : ١٩٢)

٤٥ — كتاب عبد الرحمن بن أحمد الحراني

إلى محمد بن سهل

وكتب عبد الرحمن بن أحمد الحراني إلى محمد بن سهل :

« أعزك الله ، إن كل مجازاة قاصرة عن حق السابق إلى افتتاح الود ،
وقد علمت أنى استقبلك من الإقبال عليك بما لم تستدعيه ، واعتدتك
من الرغبة فيك بما لم تؤله » (المقد العريد ٢ : ١٩٢)

٤٦ — كتاب ابن الزيات بالعهد للوائح على مكة

وكتب محمد بن عبد الملك الزيات عهد الوائح على مكة بحضرة المعتصم :

« أما بعد : فإن أمير المؤمنين قلدك مكة وزمزم ، ثرائك الأقدم
وجددك الأكرم ، ورخصة جبريل ، وسقيا إسماعيل ، وحفر عبد المطاب ،

وسقاية العباس^(١) ، فعليك بتقوى الله تعالى ، والتوسعة على أهل بيته .
(زهر الآداب ٣ : ٣٥٩)

٤٧ — كتاب إبراهيم بن العباس إلى الواثق

ولما توفى المعتصم ، وولي الخلافة بعده ابنه الواثق ، كتب إليه إبراهيم^(٢) بن العباس الصولي يعزيه بأبيه ويهتبه بالخلافة :
« إن أحق الناس بالشكر من جاء به عن الله ، وأولاهم بالصبر من كان سلفه رسول الله ، وأمير المؤمنين - أعزه الله - وآبؤه - نصرهم الله - أولو الكتاب الناطق عن الله بالشكر ، وعترته رسوله المخصوصون بالصبر ، وفي كتاب الله أعظم الشفاء ، وفي رسوله أحسن العزاء .
وقد كان من وفاة أمير المؤمنين المعتصم بالله ، ومن مشيئة الله في ولاية أمير المؤمنين الواثق بالله ، ما عفا^(٣) على أوله آخره ، وتلافت بدأته عاقبته ،

(١) زمزم : بئر مكة ، ويعني بأبيه : إسماعيل ، وبخده : إبراهيم ، عليهما السلام ، وكانت هاجر أم إسماعيل أمة لسارة زوج إبراهيم ، فوهبها لإبراهيم فولدت منه إسماعيل فبارت منها سارة واشدت لإبراهيم أن يخرجهما عنها ، فأخرجهما إلى أرض مكة ، وذلك حيث يقول تعالى حكاية عن إبراهيم :
« رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ » فأدع الله لهما

عين زمزم وذلك حيث يقول ابن الريات (وركضة حبريل) وأسقامهما منها ، ثم ضمت تلك الثرى ومارالت مطبومة إلى زمس عد المطلب بن هاشم ، فأنه آت وهو قائم بالحجر فأمره بخرها ، فخرها وأقم سقاية رمرم للحاج ، وكانت السقاية في الجاهلية بيد أنه أبي طالب لم سلمها إلى أخيه عباس بن عبد المطلب .

(٢) هو إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول (ابن عم عمرو بن مسعدة ، كان شاعرا مجيدا ، وكتبا بارعا ، وهو وأخوه عبد الله من صائغ دى الرياستين الفضل بن سهل ، اتصل به مرمع منها ، ونقل إبراهيم في الأعمال الجليله والدواوين ، فكان إليه ديوان الرسائل في مدة جماعة من الخلفاء العباسيين ، وكان واليا على الأهوار ، ومات في حادثة المتوكل سر من رأى ، وهو نقل ديوان انضياح والتفقات سنة ٢٤٣ - انظر ترجمته في وفيات الأعيان ١ : ٩ والمهرست لأن الدم ص ١٧٦ ومروج الذهب ٢ : ٣٨٢ والأغانى ٩ : ٢٠ ومعجم الأدباء ١ : ١٦٤ .

(٣) عما وعفى : عفا .

فَحَقُّ اللَّهِ فِي الْأُولَى الصَّبْرُ ، وَفَرَضُهُ فِي الْآخِرَى الشُّكْرُ ، فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَسْتَنْجِزَ ثَوَابَ اللَّهِ بِصَبْرِهِ ، وَيَسْتَدْعِيَ زِيَادَتَهُ بِشُكْرِهِ ، فَقَلَّ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَخَذَهُ . (معجم الأدباء ١ : ١٨٩)

٤٨ - كتاب إبراهيم بن العباس إلى ابن الزيات

وكان إبراهيم بن العباس الصُّولي صديقاً لمحمد بن عبد الملك الزيات ،
فَوَلَّى محمد الوزارة ، وإبراهيم والٍ على الأهواز ، فقَصَدَهُ وَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِأَبِي الْجَهْمِ
أحمد بن سيف ، وأمره بكشفه^(١) ، فتَحَامَلَ عَلَيْهِ تَحَامِلاً شَدِيداً ، فكَتَبَ
إبراهيم إلى ابن الزيات يشكو إليه أبا الجهم ويقول : هــ كَافِرٌ لَا يَبَالِي بِمَا عَمِلَ ،
وهو القائل لما مات غلامه يخاطب مَلَكَ الْمَوْتِ :

تَرَكْتَ عَيْدَ بَنِي طَاهِرٍ وَقَدْ مَاتُوا الْأَرْضَ عَرَضًا وَطُولًا
وَأَقْبَلْتَ تَسْعَى إِلَى وَاحِدِي ضِرَارًا كَأَنْ قَدْ قَتَلْتَ الرَّسُولَ
فَسَوْفَ أُدِينُ بِتَرْكِ الصَّلَاةِ وَأَصْطَبِحَ الْحَمْرَ صِرْفًا شَمُولًا^(٢)
فكان محمد لعصبيته على إبراهيم وقصده له يقول : ليس هذا الشعر لأبي
الجهم ، وإنما إبراهيم قاله ونسبه إليه .

(الأغانى ٩ : ٢٤ ومعجم الأدباء ١ : ١٦٩)

(١) أى بكشف أمره ومحاسبته على مآلديه من الأموال .

(٢) اصطبح : شرب الصبوح وهو القرب بالغداة ، صرفاً : غير ممزوجة بالماء ، شمولاً : باردة

٤٩ — كتاب إبراهيم بن العباس إلى ابن الزيات

وعزل ابن الزيات إبراهيم بن العباس عن الأهواز واعتقله بها وآذاه — وكان يؤمل منه أن يساعده ويطلقه لقديم صحبتِهِ له — فكتب إليه :

فلو إذنبًا دهرٌ وأنكر صاحبٌ وسلط أعداءٌ وغاب نصير^(١)
تكون عن الأهوازِ دارٍ ينجوةً ولكن مقاديرٌ جرتْ وأمور^(٢)
وإني لأرجو بعد هذا محمدًا لأفضل ما يُرجى أخٌ ووزير
(الأغانى ٩ : ٢٤ ومعجم الأدباء ١٦٩)

٥٠ — كتابه إلى عمر بن فرج

وكتب إبراهيم بن العباس إلى عمر بن فرج بعد أن عُزل عن الأهواز ، وابنُ الزيات يعضُّ به بالناحية

« ولستُ أعزُّك الله واحداً من عِدَدٍ تُحَصِّلُهُم وتقدِّمُهُم ، فتوسَّعَ على نفسك فى أمرى ، أنا واللهِ واحدُك ، بالأسباب التى تجتمع لى فيك وبك ، ولا تجتمع فى غيرى ، من أخ ولا ولي ولا صاحب . وقد كنت تدخرنى أعزُّك الله لطاعتك والوفاء لك . فقد والله فعلتُ غيرَ مُمتَنٍّ بذلك ، وقد كنت أرجو ألا أضامَ فى جِيرتك ومَعك . فلا تخذلنى . فإنى فى حالةٍ إن أخليتنى فيها من نُصرتك . لم يرجع علىّ من ذلك مقدارٌ فى نعمتى ونفسى ، إلا رَجَعَ عليك أكرُّ منه فى نعمتك وقَدْرِكَ ، والسلام »

(احبار المطوم والمثور ١٣٠ : ٣٦٥)

(١) مائة الرمد : حفاة .

(٢) النجوة : ما رجع من الأرض .

٥١ - كتابه إلى ابن الزيات

وكتب إبراهيم بن العباس إلى ابن الزيات يستعطفه :
 « كتبتُ إليك وقد بلغتِ المُدَّةَ المَحْزَّةَ^(١) ، وعدتِ الأيام بك على ،
 بعد عذوى بك عليها ، وكان أسوأ ظنى ، وأكثر خوفي ، أن تسكن في وقت
 حركتها ، وتكف عند أذاها ، فصرت على أضر منها ، وكف الصديق عن
 نصرتي خوفا منك ، وبأدر إلى العدو تقربا إليك » .
 وكتب تحت ذلك :

أخ يبنى وبين الدهر صاحب أينا غلبا
 صديقي ما استقام ، فإن نبا دهره على نبا
 وثبت على الزمان به فعاد به وقد وثبا
 ولو عاد الزمان لنا لعاد به أخا حديبا^(٢)

(الأمازي ٩ : ٢٦ ومعجم الأدباء ١ : ١٧٠)

٥٢ - كتابه إلى ابن الزيات

قال ابن طيفور :
 وكتب إبراهيم بن العباس إلى محمد بن عبد الملك الزيات وهو واقف
 على بابه ، وقد حُجِب عنه بعد أن عزل عن الأهوار :
 « جعلت فداءك ، بالحين^(٣) وقعت ، وإلا فمن كان أعز بحالة رَضِيها في

(١) ومن أمثالهم « بلغ السكين العظم » يصر عند بلوغ الشدة مسهاها .

(٢) حديبا : أى عطوفا .

(٣) الحين : الهلاك والهة أى وقعت على الهلاك وصرت إليه .

نفسه وعند إخوانه مني ؟ ومن كان واحدك إذا حصلتَ واحداً ؟ وواحدى
إذا خفتُ من زمانِ نبوةٍ ؟ أما والله لو أميتك لقلتُ ، ولكنى أخاف منك
حالةً لا تحتملها لى ، وأتوقى منك عتياً لا تُصِفُنِي فيه ، وما قُدِّرَ فقد كان
ويكون ، وعن كل حادثة أُحدِثُهُ ، ولا أقولُ والله - أعزك الله - إني
غلطت على نفسى ، فتبدلتُ بحالة كنت مغبوطاً فيها ، حالة أنا فى
مكروهما ، بل أقول : إني قهرتُ ، فلما فرغتُ إلى ناصرى الذى كنت
أعدُّه^(١) ، وجدتُ من قهرنى أقلَّ نيةً فى ظلمى ، ممن استنصرتُ فى نُصرتى ،
وتسببتُ للمقادير أسبابها ، وتجلتُ عما تجلتُ عنه فى أمرى^(٢) ، وأحمدُ الله
وأشكرُهُ »^(٣) .

وكتب فى آخره :

وكنْتَ أخى يا خاء الزمان فلما نبأ صرتَ حرباً عواناً^(٥)
وكنْتُ أذمُّ إليك الزمانَ فأصبحتُ منك أذم الزمانا
وكنْتُ أَعِدُّكَ للنائباتِ فهأنا أطلبُ منك الأمانا^(٦)

(اختيار المطوع والنور ١٣ : ٣٦٥ والأعار ٩ : ٢٧ ، ومعجم الأدباء ١ : ١٧١)
(وفيات الأعيان ١ : ١٠)

(١) أعد : أى أعدته عدة .

(٢) فى الأصل « وتجلت عما تجلت عنه أمرى » .

(٣) وصورة هذا الكتاب فى الأعار ومعجم الأدباء « أما والله لو أمت ودك مت ، واسكى
أخاف منك عتياً لا تصمى فيه ، وأحشى من نفسى لأتته لا تحتملها لى ، وما قد يدركهم كائن ، وعن
كل حادثة أُحدِثُهُ ، وما استبدات حالة كنت فيها مغبوطاً ، حنة أما فى مكروهما وأنها أشد على من
أتى فرغت إلى ناصرى عند ظلم حبرى ، فوجدت من يظلم أحب نية فى ظلمى منه ، واحمد الله كثيراً
ثم كتب فى أسفلها : الأبيات . وه يرد منه فى وفيات الأعيان إلا الأبيات خُطب .

٥٣ - كتابه إلى ابن الزيات

ومما كتب إلى ابن الزيات :

« مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ مِثْلَ أَخِي لِي كَانَ عَوْنِي عَلَى الزَّمَانِ وَخِلِّي
رُفِعَتْ حَالُهُ فَخَاوَلَ حَطِّي وَأَبَى أَنْ يَعِزَّ إِلَّا بِدُلِّي »



وكتب إليه يستعطفه :

فَهَبْنِي مَسِيثًا مِثْلَ مَا قَلْتَ ظَالِمًا فَعَفُوا جِيلاَكَ يَكُونُ لَكَ الْفَضْلُ
فَإِنْ لَمْ أَكُنْ لِلْعَفْوِ مِنْكَ - لَسَوْدَمَا جَنَيْتُ بِهِ - أَهْلًا فَأَنْتَ لَهُ أَهْلُ
(معجم الأدباء ١ : ١٨٥)



وأقام ابن الزيات على الإساءة إليه ، حتى بلغ منه كل مكروه ، ثم وقف
الواثق على تحامله عليه ، فرفع يده عنه ، وأمر أن يقبل منه مारفعه ، وردده إلى
الحضرة مصونا ، فبسط لسانه في ابن الزيات وهجاه هجاء كثيرا .
(الأغانى ٩ : ٢٧)

٥٤ - كتاب ابن الزيات عن الخليفة إلى أحد عماله

وكتب عن الخليفة إلى أحد العمال :

« أَمَا بَعْدَ ، فَقَدْ انْتَهَى إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (كَذَا) فَأَنْكَرَهُ ، وَلَا تَخْلُ
مِنْ إِحْدَى مَنَزَلَتَيْنِ ، لَيْسَ فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَذْرٌ يُوجِبُ حُجَّةً ، وَلَا يُزِيلُ

لائمة^(١) : إما تقصيرٌ في عمالك للإخلال بالحزم ، والتفريط في الواجب ، وإما مظاهر^(٢) لأهل الفساد ، ومُداهنة لأهل الرئب ، وأية هاتين كانت منك ، مُحلة الشكر بك ، ومُوجبة العقوبة عليك ، لولا ما يلقاك به أمير المؤمنين من الأمانة والنظرة^(٣) . والأخذ بالحجة ، والتقدم في الإعذار والإنذار ، وعلى حسب ما أُقِلت من عظيم العثرة ، يجب اجتهادك في تلافِي التقصير والإصاعة ، والسلام . (القدر المردد ٢ : ١٩٨)

٥٥ فصول لابن الزيات

وكتب ابن الزيات :

« إن حقَّ الأولياء على السلطان تنفيذ أمورهم ، وتقويم أودهم ، ورياضة أخلاقهم ، وأن يميز بينهم : فيقدمُ مُحسنهم ، ويؤخرُ مُسيئهم ، ليزداد هؤلاء في إحسانهم ، ويزدجر هؤلاء عن إساءتهم . »
وفصل له

« إن من أعظم الحق حقَّ الدين ، وأوجب الحُرمة حُرمة المسلمين ، فحقيق لمن راعى ذلك الحق . وحفظ تلك الحُرمة ، أن يُراعى له ، حسب ما رعاها الله ويُحفظ له . حسب ما حفظ الله على يديه . »
وفصل له :

« إن الله أوجب لخلفائه على عباده حقَّ الطاعة والنصيحة وابعده

(١) اللائمة : اللوم .

(٢) ماهره : عاوه .

(٣) الأمانة : الحلم ، واسطرة : تاحير .

على خلفائه بسط العدل والرافة ، وإحياء الشئ الصالحة ، فإذا أدى كل إلى كل حقه ، كان ذلك سببا لتمام المعونة ، واتصال الزيادة ، واتساق الكلمة ، ودوام اللفة . (العقد الفريد ٢ : ١٩٨)

٥٦ - كتاب لابن الزيات

وتوسل رجل إلى رجل بمحمد بن عبد الملك الزيات وأدعى قرابته منه ، وبلغ ذلك محمداً ، فكتب إلى المتوسل إليه :
« بلغني أن رجلاً ادعى قرابتي ، وأورد عليك كتاباً ذكر أنه مني ، وما أنكر أن ينتفع بي من توسل بنسبي ، إلا أنه من ادعى قرابة ولا قرابة له ، كأن استعمال الشفاعة في أمره أولى »

(اختيار المطوم والمشور ١٢ : ٢٦٧)

٥٧ - كتاب رجل إلى ابن الزيات

وكتب رجل إلى ابن الزيات :

« إن مما يُطمعني في بقاء النعمة عليك ، ويُرِيدُنِي بصيرة في العلم بدوامها لديك ، أنك أخذتها بحقها ، واستوجبتها بما فيك من أسبابها . ومن شأن الأجناس أن تتواصل ، وشأن الأشكال أن تتقاوم ^(١) ، والشئ يتغلغل في معدنه ، ويحني إلى عُصْرِهِ ، فإذا صادف منبته ، ولز ^(٢) في مغْرِسه ، ضرب

(١) هو من تقاوموا في الحرب أي قام بعضهم لبعض ، والمعنى : تتعاضد ويتصل بعضها ببعض .

(٢) لزمه كرده : شدّه وألصقه .

بِعِرْقِهِ ، وَسَقَّ^(١) يَفْرَعُهُ ، وَتَمَكَّنَ تَمَكَّنَ الْإِقَامَةَ ، وَثَبَّتَ ثَبَاتَ الطَّبِيعَةِ .
(عيون الأخبار ١ : ٩٥)

٥٨ - كتاب الجاحظ إلى محمد بن عبد الملك الزيات

قال الجاحظ^(٢) :

تشاغلت مع الحسن بن وهب أخى سليمان بن وهب بِشُرْبِ النَّبِيذِ
أَيَّامًا ، فَطَلَبَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ لِمَوَاسَّتِهِ . فَأُخْبِرْتُ بِاتِّصَالِ شَغْلِي مَعَ الْحَسَنِ بْنِ
وَهَبٍ . فَتَكَرَّرَ لِي ، وَتَلَوَّنَ عَلَيَّ ، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ رُقْعَةً نَسَخْتُهَا :
أَمَّا ذَاكَ اللَّهُ مِنْ سَوْءِ الْفَضْبِ ، وَعَصَصَكَ مِنْ سَرَفِ الْهَوَى ، وَصَرَفَ
مَا أَطَارَكَ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى حُبِّ الْإِنْصَافِ . وَرَجَّعَ فِي قَلْبِكَ إِثَارَ الْأَنَاءِ^(٣) ، فَقَدْ
خِفْتُ - أَيْدِكَ اللَّهُ - أَنْ أَكُونَ عِنْدَكَ مِنَ الْمُنْسَوِينَ إِلَى تَرْقِ السُّفْهَاءِ .
وَمُجَانِبَةِ سُبُلِ الْحُكَمَاءِ ، وَبَعْدُ ، فَقَدْ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ :
وإن امرأً أمسى وأصبحَ سألِمًا من الناسِ إلَّا ما جنى أسعيد^(٤)

(١) سَقَّ كَصَرَ : ارْتَفَعَ وَعَلَا وَحَالَ .

(٢) هُوَ أَبُو عَثْمَانَ سَمَرُو الْجَاظُ بْنُ خُرَّ ، صَاحِبُ الرِّسَالِ الْمُدَّةِ وَالنَّصَافِ . . . وَهُوَ أَشْهُرُ
مَنْ أَنْ يَذْكَرَ ، شَأْنُ الْبَصَرِ ، وَكَانَ يَتَجَمَّعُ مَدَادُ أَوَّاحِرِ عَصْرِ الْمَأْمُونِ ، وَبِى عَصْرِ مُعْصَمٍ وَالْوَلَقِ
وَعَصْرِ الْمُتَوَكَّلِ ، وَكَانَ مَحْتَصَاةً مِنَ الرِّيَاضِ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ٢٥٥ - بِطَرِ رَحْمَةِ فِي وَفَاتِ الْأَعْيَانِ
١ : ٣٨٨ وَرَحِمَهُ الْأَلْفَا فِي طَبَاتِ الْأَدْنَى ٢٥٤ وَبَارِئِ عَدَادِ ١٢ : ١٢ وَابْتِهَاسِ ١٦٩
وَمُعْصَمِ الْأَدَاءِ ٦ : ٥٦ (طَبْعُ مَطْبَعَةِ هِنْدِيَّةِ) وَأَمَّا لِلْمَرْتَبَةِ ١ : ١٣٨ وَمَرْوَحِ الدَّهَبِ ٢ : ٢٠٠
و ٤٣٩ وَسِرْجِ الْعَيُونِ ١٢٠ وَالْبَيْتِ وَالْأَمَلِ ٣٩ ، وَ أَحْزَانِ مَتَرَقَةٍ فِي الْأَعْيَانِ ، وَالْفَرْقِ بَيْنَ
الْفَرْقِ ، وَالْإِنْصَافِ ، وَاللُّلِّ وَالْحُلِّ ، وَغَيْرِهَا .

(٣) الْأَنَاءُ : الْحِلْمُ ، وَالْبِرُّ الطَّيِّبُ .

(٤) وَيُرْوَى هَذَا الْبَيْتُ لِحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ - بِطَرِ دِيُونِ حَسَّانَ ١٤٢ - وَفِي دِيَوَانِ الْحَمَاسَةِ ٢ :

١٥ أَمْ لِرَحْلِ مَنْ بِي قَرِيعَ .

وقال الآخر^(١) :

ومن دعا الناسَ إلى ذمِّه — ذمُّوه بالحقِّ وبالباطل
فإن كنتُ اجترأت عليك — أصلحك الله — فلم أجترئ إلا لأن دوامَ
تغافلِكَ عني شبيهٌ بالإهمال الذي يُورث الإغفالَ ، والعموُّ المتتابعُ يؤمِّنُ
من المكافأة^(٢) ، ولذلك قال عُمَيْيَةُ^(٣) بن حصن بن حذيفةَ لِعِثْمَانَ رَحِمَهُ اللهُ :
« عُمَرُ كَانَ خَيْرًا لِي مِنْكَ : أَرْهَبُنِي فَأَتَّقَانِي . وَأَعْطَانِي فَأَغْنَانِي »^(٤) .

فإن كنتَ لَا تَهَبُ عِقَابِي — أيدِكَ اللهُ — لِحُرْمَةٍ^(٥) ، فَهَبْهُ لِأَيَادِيكَ
عِنْدِي ، فَإِنَّ النِّعْمَةَ تَشْفَعُ فِي النِّقْمَةِ ، وَإِلَّا تَفْعَلْ ذَلِكَ لَذَلِكَ ، فَعُدْ إِلَى حَسَنِ
الْعَادَةِ ، وَإِلَّا فَافْعَلْ ذَلِكَ لِحُسْنِ الْأَخْدُوتَةِ ، وَإِلَّا فَأَتِ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ مِنَ
الْعَفْوِ ، دُونَ مَا أَنَا أَهْلُهُ مِنْ اسْتِحْقَاقِ الْعُقُوبَةِ ، فَسُبْحَانَ مَنْ جَمَلَكَ تَعْفُو عَنْ
الْمُتَعَمِّدِ ، وَتَجَاقَى عِقَابَ الْمَصِيرِ ، حَتَّى إِذَا صِرْتَ إِلَى مِنْ هَفْوَتِهِ بِكَرٍّ^(٦) ،

(١) ذكر صاحب رهر الآداب أنه عهد بن حارم الهاشمي ، وفي الأمازي (ح ١٣ : ص ١٠) أنه
العتاني أو الحكم بن قنبر ، وقله :

مقالة السوء إلى أهلها أسرع من محذر سائل

(٢) المكافأة : المحاربة

(٣) هو عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفراري ، أحد المؤلفة قلوبهم ، أعطاه رسول الله
صلى الله عليه وسلم من عناءهم هو ابن مائة نعيم — انظر سيرة ابن هشام ١ : ٣٢١ .

(٤) سبط الخياط معاني هذه الرسالة بصورة أوسع ، في رسالته « الترييع والتدوير » وأورد
فيها أكثر فقرها مألوفها — انظر الفصول المختارة من كتب الخياط على هامش الكامل للمبرد
ص ٦٠ وما بعدها ، ومجموعة رسائل الخياط ، طبع الساسي ص ١١٢ .

(٥) في الأصل « لخدمه » وهو تحريف وصوابه « لحرمة » والتصويب عن رسالة الترييع والتدوير
نفسها « لحرمتي » .

(٦) في الأصل « ذكر » وهو تحريف ، والتصويب عن رسالة الترييع والتدوير أيضا (من
الفصول المختارة) والسكر : أول كل شيء ، وكل فاعله لم يتقدمها مثلها .

وَذَنْبُهُ نِسْيَانٌ ، وَمَنْ لَا يَعْرِفُ الشُّكْرَ إِلَّا لَكَ ، وَلَا إِلَّا نَعَامَ إِلَّا مِنْكَ ^(١) ،
هَجَمْتَ عَلَيْهِ بِالْعُقُوبَةِ .

واعلم - أيدك الله - أن شَيْنَ غَضَبِكَ عَلَى كَزَيْنِ صَفِيحِكَ ^(٢) غَنَى ،
وَأَنْ مَوْتَ ذِكْرِي مَعَ انْقِطَاعِ سَبَبِي مِنْكَ ، كَحَيَاةِ ذِكْرِي ^(٣) مَعَ اتِّصَالِ سَبَبِي
بِكَ ، واعلم أَنَّ لَكَ فِطْنَةً عَلِيمَ . وَغَفْلَةً كَرِيمَ ، وَالسَّلَامَ
(زهر الآداب ٢ : ١٠٨)

٥٩ - كتاب الجاحظ إلى أحمد بن أبي دواد

وكتب الجاحظ إلى أحمد ^(٤) بن أبي دواد يستعطفه :

« لَيْسَ عِنْدِي - أَعَزُّكَ اللَّهُ - سَبَبٌ ، وَلَا قُدِيرٌ عَلَى شَفِيعٍ ، إِلَّا مَا طَبَعَكَ
اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْكَرَمِ وَالرَّحْمَةِ وَالتَّأْمِيلِ الَّذِي لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ نَتَاجِ حُسْنِ
الظَّنِّ ، وَإِبَابِ الْفَضْلِ بِحَالِ الْمَأْمُولِ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُتَّقَاءِ
الشَّاكِرِينَ ، فَتَكُونَ خَيْرَ مُعْتَبٍ ^(٥) ، وَأَكُونَ أَفْضَلَ شَاكِرٍ ، وَاعْلَمْ أَنَّ

(١) جاء في رسالة الترمذ وتداول مد ذلك « ولا العلم إلا من ماديك ، ولا الأحاسن إلا من
تقوى لك ، ولا نصري من ماعك إلا ما رأي من أحمالك ، ولا نسي من مابك لك إلا ما داخلا
من مطيبيك ، صرت بوعده بصره » .

(٢) أي في مقدار الأثر ، أي أن الأول شديد جدا كما أن الثاني عظيم جدا ، وفي رسالة ترمذ
وتداول ذلك : « وأن معك إذا معب ، في ورن إعطائك إذا أعطيت ، وأن عفاك على حسب
ثوانك ، وأن حرمي من حرمانك ، في ورن سروري هوانك » .

(٣) في الأصل « ذكرك » وهو حريف . وصوابها « ذكرى » كما يقصده السياق وكما وردت
في رسالة الترمذ والتداول ، وقد كنت صحتها في زهر الآداب فل أن أمراها في لك ارسالة ،
وهذا التشبيه كالتشبيه السابق أيضا .

(٤) من كبار أئمة المعتزلة ، وكان مفرقا من الأمامون أثرا عسده ، ولما ولي المعصم الخلافة حطاه
قاصي العصاة ، وحسن به أحمد ، حتى كان لا يعمل فعلا باطلا ولا طاهرا إلا برأيه . وحسب حله عبد
الواثق في خلافة ، ثم ملج في أول خلافة الموكل ، وبنى سنة ٢٤٠ هـ - اطر برحمته في وفيات
الأعيان ١ : ٢٢

(٥) أعتبه : أرمناه .

يحمل هذا الأمر سبباً لهذا الإِنعام ، وهذا الإِنعام سبباً للاتقطاع إليكم ،
والكَوْنِ تحت أجنحتكم ، فيكون : لا أعظم بركة ، ولا أنمى بقية ، من
ذنب أصبحت فيه ، ومثلك - جُعلتُ فداك - عاد الذنب وسيلة ، والسيئة
حسنة ، ومثلك من اتقلب به الشر خيراً ، والغرم غناً .

من عاقب فقد أخذ حظّه ، وإنما الأجرُ في الآخرة ، وطيبُ الذِّكر في
الدنيا ، على قدر الاحتمال ، وتجرع المرأثر ، وأرجو ألا أضيع وأهلك فيما
بين كرمك وعقلك ، وما أكثر من يعفو عن صغر ذنبه وعظم حقه ، وإنما
الفضل والثناء : العفو عن عظيم الجرم ، ضعيف الحرمة ، وإن كان العفو عظيماً
مُستطرفاً من غيركم ، فهو تِلَاذٌ فيكم ، حتى ربما دعا ذلك كثيراً من الناس إلى
مخالفة أمركم ، فلا أنتم عن ذلك تنكّلون ^(١) ، ولا على سالف إحسانكم تندمون ،
وما مثلكم إلا كمثل عيسى بن مريم عليه السلام حين كان لا يمرُّ بمَلَأٍ من
بنى إسرائيل إلا أسمعوه شراً وأسمعهم خيراً ، فقال له شمعون الصفا : ما رأيتُ
كالיום ! كلما أسمعوك شراً أسمعهم خيراً ! فقال « كل امرئ يُنفق مما
عنده » وليس عندكم إلا الخير ، ولا في أوعيتكم إلا الرحمة ، « وكل إناء بالذى
فيه ينضح » . (سرح العيون ص ١٧٥)

(١) لكل عه كصرت وصر وعلم : نكس .

٦٠ — كتاب له في الاستعطاف

« زَيْنُّكَ اللهُ بِالتَّقْوَى ، وَكَفَاكَ مَا تَهَمُّكَ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ، مَنْ عَاقَبَ
— أَبَقَاكَ اللهُ تَعَالَى — عَلَى الصَّغِيرَةِ عُقُوبَةً الْكَبِيرَةِ ، وَعَلَى الْهَفْوَةِ عَقُوبَةً
الْإِصْرَارِ ، فَقَدْ تَنَاهَى فِي الظُّلْمِ ، وَمَنْ لَمْ يَفَرِّقْ بَيْنَ الْأَسَافِلِ وَالْأَعَالَى ،
وَالْأَدَانِي وَالْأَقَاصِي ، فَقَدْ قَصَّرَ ، وَاللَّهُ لَقَدْ كُنْتَ أَكْرَهُ سَرَفِ الرِّضَا ، مَخَافَةَ
أَنْ يُوَدِّيَ إِلَى سَرَفِ الْهَوَى ، فَمَا ظَنُّكَ بِسَرَفِ الْغَيْظِ وَغَايَةِ الْغَضَبِ ، مَنْ
طَيَّاشٍ ، عَجُولٍ لِحَاشٍ ، وَمَعَهُ مِنَ الْخُرْقِ بِقَدْرِ قِسْطِهِ مِنَ التَّهَابِ الْمِرَّةُ ^(١)
الْحَمْرَاءُ ، وَأَنْتَ رُوحٌ كَمَا أَنْتَ جَسْمٌ ، وَكَذَلِكَ جَنْسُكَ وَنَوْعُكَ ، إِلَّا أَنْ
التَّأَثُّرَ فِي الرَّقَاقِ أَسْرَعُ ، وَضِدَّهُ فِي الْغِلَاطِ الْجَفَاةِ أَكْمَلُ ، وَلِذَلِكَ اشْتَدَّ جَزَعِي

(١) المِرَّةُ وَالْخَلَطُ (بِالْكَسْرِ وَجْهٌ ١ : لَاطُ) وَالزَّجَاجُ (بِالْكَسْرِ أَيْضًا وَجْهٌ ٢ : مُزْجَجَةٌ) : وَاحِدٌ ، وَهُوَ مَارِكَبٌ عَلَيْهِ الْبَدَنُ مِنَ الطَّبَائِعِ الْأَرْبَعِ : الدَّمُ وَالْمَرْتِنُ الصَّفْرَاءُ وَالسُّودَاءُ وَالْبَلْغَمُ ، وَهِيَ فِي الْمَقْدُ الْفَرِيدِ ٣ : ٢٨٧ فِي بَابِ طَبَائِعِ الْإِنْسَانِ : « زَعَمَ عُلَمَاءُ الطَّبِّ أَنَّ فِي الْحَسَدِ مِنَ الطَّبَائِعِ الْأَرْبَعِ اثْنَيْ عَشَرَ رَطَالًا ، فَلِلدَّمِ مِنْهَا سِتَّةُ أَرْطَالٍ ، وَلِلْمَرَّةِ الصَّفْرَاءِ وَالسُّودَاءِ وَالْبَلْغَمِ سِتَّةُ أَرْطَالٍ ... » وَفِيهِ أَيْضًا : « عَنْ وَهْبِ بْنِ مَنبَهٍ أَنَّهُ قَرَأَ فِي التَّوْرَةِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حِينَ خَلَقَ آدَمَ ، رَكَّبَ جَسَدَهُ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ ثُمَّ جَعَلَهَا وَرَاثَةً فِي وَلَدِهِ ، تَسَوَّى فِي أَجْسَادِهِمْ ، وَيَنُمُونَ عَلَيْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ : رَطْبٌ وَيَاسٌ وَسَخْنٌ وَبَارِدٌ ، قَالَ : وَذَلِكَ أَنِّي خَلَقْتُهُ مِنْ تَرَابٍ وَمَاءٍ وَحَمَلْتُ فِيهِ بَسًا ، فَيَبُوسَةُ كُلِّ جَسَدٍ مِنْ قِلِّ التَّرَابِ ، وَرَطُوبَتُهُ مِنْ قَبْلِ الْمَاءِ ، وَحَرَارَتُهُ مِنْ قَبْلِ النَّفْسِ ، وَبُرُودُهُ مِنْ قَبْلِ الرُّوحِ ، ثُمَّ خَفِيَ لِلْحَسَدِ بَعْدَ هَذَا الْخَلْقِ الْأَوَّلِ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ أَحْرٌ ، وَهِيَ مَلَائِكَةُ الْجَسَدِ وَقَوَامُهُ ، فَإِذَا لَاقُوا الْحَسَدَ إِلَّا بِهِنَ ، وَلَا يَقُومُ وَاحِدَةٌ إِلَّا بِالْأُخْرَى : الْمَرَّةُ السُّودَاءُ ، وَالْمَرَّةُ الصَّفْرَاءُ ، وَاللَّهُ الرُّطْبُ الْحَارُّ ، وَالْبَلْغَمُ الْبَارِدُ ، ثُمَّ أَسْكَنْتُ بِمِثْلِ هَذَا الْخَلْقِ فِي مِثْلِ ، لَحَلَّتْ مَسْكَنُ الْيَبُوسَةِ فِي الْمَرَّةِ السُّودَاءِ ، وَمَسْكَنُ الرُّطُوبَةِ فِي الدَّمِ ، وَمَسْكَنُ الْبُرُودَةِ فِي الْبَلْغَمِ ، وَمَسْكَنُ الْحَرَارَةِ فِي الْمَرَّةِ الصَّفْرَاءِ ، فَأَمَّا حَسَدُ اعْتَدَلَتْ فِيهِ هَذِهِ الْمَطَرُ الْأَرْبَعُ ، وَكَانَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ فِيهِ وَفْقًا لِأَنْزِيدٍ وَلَا تَنْقُصُ ، كَمَا تَصَحُّحُهُ ، وَاعْتَدَلَتْ بَيْتُهُ ، وَإِنْ زَادَتْ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ غَلَبَتْهُنَّ وَقَهَرَتْهُنَّ وَمَالَتْ بِهِنَّ ، وَدَخَلَ عَلَى أَخَوَاتِهَا السَّقَمُ مِنْ نَاحِيهَا فَقَدَرُ مَارَادَتْ ، وَإِنْ كَانَتْ نَاقِصَةً عَنْهُنَّ مَلَنَ بِهَا وَعَلَوْنَهَا ، وَدَخَلَ عَلَيْهَا السَّقَمُ مِنْ نَوَاحِيهِنَّ ، لَقَلَّتْهَا عَنْهُنَّ ، حَتَّى تَضَعُفَ عَنْ طَائِفَتِهِنَّ ، وَتَعْجُزَ عَنْ مَقَاوِمَتِهِنَّ » ١ هـ .

عليك من سلطان الفيض وغلبته ، فإذا أردت أن تعرف مقدار الذنب إليك ، من مقدار عقابك عليه ، فانظر في علته ، وفي سبب إخراجه إلى معدنه الذي منه نجم ، وعُشّه الذي منه درج ، وإلى جهة صاحبه في التسرع والثبات ، وإلى حِلْمه عند التعريض ، وفطنته عند التوبة ، فكلُّ ذنب كان سببه ضيق صدر من جهة القبض^(١) في المقادير ، أو من طريق الأتفة ، وغلبة طباع الجمية من جهة الجفوة ، أو من جهة استحقاقه فيما زين له عمله أنه مقصّره في حقه ، مؤخر عن رتبته ، أو كان مبلّغا عنه مكذوبا عليه ، أو كان ذلك جائزا فيه غير ممتنع عنه ، فإذا كانت ذنوبه من هذا الشكل ، فليس يقف عليها كريم ، ولا ينظر فيها حلیم ، ولست أسميه بكثرة معروفة كريما ، حتى يكون عقله خامرا لعله ، وعلمه غالبا على طباعه ، كما لا أسميه بكف العقاب حكما ، حتى يكون عارفا بمقدار ما أخذ وترك ، ومتى وجدت الذنب بعد ذلك لا سبب له إلا البغض المحض ، والنّفارُ الغالب ، فلم ترض لصاحبه بعقاب دون قعر جهنم ، لعذرِكَ كثير من العقلاء ، وصوب رأيك عالم من الأشراف ، والأناة أقرب من الحمد ، وأبعد من الذم ، وأنأى من خوف العجلة ، وقد قال الأول : « عليك بالأناة ، فإنك على إيقاع ما تتوقعه أقدر منك على ردّ ما قد أوقعته » وليس يصارع الغضب أيام شبابه شيء إلا صرّعه ، ولا ينازعه قبل انتهائه إلا قهره ، وإنما يُحتال له قبل هيّجه ، فتى تمكن واستفحل ، وأذكى ناره وأشعل ، ثم لاقى من صاحبه قُدرة ، ومن أعوانه سمعا وطاعة ،

(١) في الأصل « الفيض » .

قلو استبطنته بالتوراة ، وأوجرته^(١) بالإنجيل ، ولدته^(٢) بالزبور ، وأفرغت
على رأسه القرآن إفراغا ، وأتيت به بآدم شفيعا ، لما قصردون أقصى قوته ،
ولن يسكن غضب العبد إلا ذكره غضب الرب .

فلا تقف - حفظك الله - بعد مضيك في عتابي التماسا للعفو عني ، ولا
تقصر عن إفراطك من طريق الرحمة بي ، ولكن قف وقفة من يتهم
الغضب على عقله ، والشيطان على دينه ، ويعلم أن للكرم أعداء ، ونمسيك
إمساك من لا يرى نفسه من الهوى ، ولا يرى الهوى من الخطأ ، ولا تنكر
لنفسك أن ترل ، ولعقلك أن يهفو ، فقد زل آدم صلى الله عليه وسلم ، وقد
خلقه بيده ، ولست أسألك إلا ريثما تسكن نفسك ، ويرتد إليك ذهنك ،
وترى الحلم وما يجلب من السلامة وطيب الأحداث ، والله يعلم - وكفى به
علما - لقد أردت أن أفديك بنفسى في مكاتباتى ، وكنت عند نفسى في
عداد الموتى ، وفي حيز الهلكى ، فرأيت أن من الخيانة لك ، ومن اللوم
في معاملتك ، أن أفديك بنفسى ميتة ، وأن أريك أنى قد جعلت لك أنفاس
ذخيرة ، والذخر معدوم ، وأنا أقول كما قال أخو نقيف « مودة الأخ التالذ
وإن أخلق ، خير من مودة الأخ الطارف وإن ظهرت مساعيه ، وراقت
جذته » سلمك الله . وسلم عليك ، وكان لك ومعك .

(شرح العيون ص ١٧٦)

(١) وحرته الدواء ، وأوجرته إياه : حمله في فيه ، والوحر كصور : الدواء يوحري
وسطا .
(٢) اللدود كصور ، وككرم : ما يصب بالمسقط من الدواء في أحد شقي العم ، ومولده
إياه وألده .

٦١ - كتابه إلى بعض إخوانه في ذم الزمان

وكتب الجاحظ إلى بعض إخوانه في ذم الزمان :

«بسم الله الرحمن الرحيم : حَفِظَكَ اللهُ حِفْظًا مِنْ وَفَّقَهُ لِلْقَنَاعَةِ ، وَاسْتَعْمَلَهُ بِالطَّاعَةِ ، كَتَبْتُ إِلَيْكَ وَحَالِي حَالٌ مِّنْ كَشُفْتُ نُغْمُوهُ ، وَأَشْكَلْتُ عَلَيْهِ أُمُورُهُ ، وَاشْتَبَهَ عَلَيْهِ حَالُ دَهْرِهِ ، وَخَرَجُ أَمْرِهِ ، وَقُلُّ عِنْدَهُ مَن يَثِقُ بِوَفَائِهِ ، أَوْ يَحْمَدُ مَغَبَّةَ^(١) إِخَائِهِ ، لِاسْتِحَالَةِ زَمَانِنَا ، وَفَسَادِ أَيْامِنَا ، وَدَوَلَةِ أَنْدَالِنَا ، وَقَدِّمًا كَانَ مَن قَدَّمَ الْحَيَاءَ عَلَى نَفْسِهِ ، وَحَكَّمَ الصَّدَقَ فِي قَوْلِهِ ، وَآثَرَ الْحَقَّ فِي أُمُورِهِ . وَنَبَذَ الْمُسْتَبْهَاتِ عَلَيْهِ مِنْ شَتُونِهِ ، تَمَّتْ لَهُ السَّلَامَةُ ، وَفَازَ بِوَفُورِ حَظِّ الْعَافِيَةِ ، وَحَمْدِ مَغَبَّةِ مَكْرُوهِ الْعَاقِبَةِ ، فَنَظَرْنَا إِذْ حَالَ عِنْدَنَا حُكْمُهُ ، وَتَحَوَّلَتْ دَوْلَتُهُ ، فَوَجَدْنَا الْحَيَاءَ مُتَّصِلًا بِالْجُرْمَانِ ، وَالصَّدَقَ آفَةً عَلَى الْمَالِ ، وَالْقَصْدَ فِي الطَّلَبِ - بِتَرْكِ اسْتِعْمَالِ الْقِحَّةِ^(٢) ، وَإِخْلَاقِ الْعِرْضِ مِنْ طَرِيقِ التَّوَكُّلِ - دَلِيلًا عَلَى سَخَافَةِ الرَّأْيِ ، إِذْ صَارَتْ الْحُظُوءَةُ الْبَاسِقَةَ^(٣) ، وَالنِّعْمَةُ السَّابِغَةُ ، فِي لَوْثِ الْمَشِيئَةِ ، وَسَنَاءِ^(٤) الرِّزْقِ . مِنْ جِهَةِ مُحَاشَاةِ الرَّخَاءِ^(٥) ، وَمَلَابَسَةِ مَعَرَّةِ الْعَارِ .

ثُمَّ نَظَرْنَا فِي تَعَقُّبِ الْمُتَعَقِّبِ لِقَوْلِنَا ، وَالْكَاشِرِ^(٦) لِحُجَّتِنَا ، فَأَقْنَاهُ

(١) المنة : العاقبة .

(٢) القحة والوقاحة : قلة الحياء .

(٣) الخطوة بالصم والكسر : الكفاة ، والخط من الرق ، والباسقة : العالية ، وسعة سامة : أى تامة .

(٤) الساء : الرمة .

(٥) أى من جهة الناعد عن أسباب الرخاء ، وذلك بالعود عن العمل ، والإحلال إلى الراحة والكسل .

(٦) الكاشرة : من كفر له إذا تمر له ، وأرى صوابه « والكاسر » نالسين

عَلَمًا وَاضِحًا ، وشاهدًا قَائِمًا ، وَمَنَارًا يَبِينُ ، إِذْ وَجَدْنَا مَنْ فِيهِ السُّمُولِيَّةُ
الوَاضِحَةُ ، وَالمَثَالِبُ^(١) الْفَاضِحَةُ ، وَالكَذِبُ الْمُبْرَحُ ، وَالخُلْفُ الْمَصْرَحُ ،
وَالْجَهَالَةُ الْمُفْرِطَةُ ، وَالرَّكَكَةُ الْمُسْتَخَفَّةُ ، وَضعْفُ اليَقِينِ وَالاستِثْبَاتِ ،
وَسُرْعَةُ الغَضَبِ وَالْجَرَاءَةُ . قَدْ اسْتَكْمَلَ مَرْوَرُهُ وَاعْتَدَلَتْ أُمُورُهُ وَفَازَ بِالسَّهْمِ
الْأَغْلَبِ^(٢) وَالْحِظُّ الْأَوْفَرُ . وَالْقَدْرُ الرَّفِيعُ ، وَالْجَوَازُ الطَّائِعُ ، وَالْأَمْرُ النَّاظِدُ ،
إِنْ زَلَّ قِيلَ حَكَمٌ ، وَإِنْ أَخْطَأَ قِيلَ أَصَابَ ، وَإِنْ هَدَى فِي كَلَامِهِ وَهُوَ
يَقْظَانُ قِيلَ رُؤْيَا صَادِقَةً ، مِنْ نَسَمَةٍ^(٣) مَبَارَكَةٍ .

فَهَذِهِ حُجَّتُنَا وَاللَّهِ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْجَهْلَ يَنْخَفِضُ . وَأَنَّ التُّوْكَ^(٤) يُرْدِي ،
وَأَنَّ الكَذِبَ يَضُرُّ ، وَأَنَّ الخُلْفَ يُزْرِى .

ثُمَّ نَظَرْنَا فِي الْوَفَاءِ وَالْأَمَانَةِ وَالنَّبْلِ وَالبَلَاغَةِ وَحُسْنِ الْمَذْهَبِ وَكَمَالِ الْمُرُوءَةِ
وَسَعَةِ الصَّدْرِ ، وَقِلَّةِ الغَضَبِ ، وَكَرَمِ الطَّبِيعَةِ ، وَالفَائِقِ فِي سَعَةِ عِلْمِهِ ، وَالْحَاكِمِ
عَلَى نَفْسِهِ ، وَالغَالِبِ لِهَوَاهُ ، فَوَجَدْنَا فُلَانًا بَنَ فُلَانًا ، ثُمَّ وَجَدْنَا الزَّمَانَ لَمْ
يُنْصِفْهُ مِنْ حَقِّهِ ، وَلَا قَامَ لَهُ بِوِظَائِفِ قَرَضِهِ . وَوَجَدْنَا فُضَائِلَهُ الْقَائِمَةَ لَهُ
قَاعِدَةً بِهِ ، فَهَذَا دَلِيلُ أَنَّ الطَّلَاحَ^(٥) ، أَجْدَى مِنَ الصَّلَاحِ ، وَأَنَّ الْفَضْلَ قَدْ
مَضَى زَمَانُهُ ، وَعَفَتْ آثَارُهُ ، وَصَارَتِ الدَّائِرَةُ عَلَيْهِ ، كَمَا كَانَتِ الدَّائِرَةُ عَلَى
ضِدِّهِ ، وَوَجَدْنَا الْعَقْلَ يَشْقَى بِهِ قَرِينُهُ ، كَمَا أَنَّ الْجَهْلَ وَالْحَقُّقَ يَحْظَى بِهِ

(١) المَثَالِبُ : المَغَائِبُ ، جَمْعُ مَثَلِبَةٍ بَقَعَتْ الْمِيمُ مَعَ فَتْحِ اللَّامِ وَضَمِّهَا ، وَالْمُبْرَحُ : الشَّدِيدُ ، وَالْمَصْرَحُ :
الْمُسْجَلُ الْحَالِصُ ، مِنْ مَصْرَحَتْ الْخَرَّ تَصْرَعًا : أَيْ انْحَلَّتْ رِبْدَاهَا تَخَلَّصَتْ .

(٢) يُقَالُ : هَضْبَةٌ غَلْبَاءُ : أَيْ عَظِيمَةٌ مَعْرِفَةٌ ، وَعِزَّةٌ غَلْبَاءُ كَذَلِكَ عَلَى الْمَثَلِ .

(٣) النَسَمَةُ : النَفْسُ .

(٤) التُّوْكَ بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ : الْحَقُّ .

(٥) الطَّلَاحُ : ضِدُّ الصَّلَاحِ .

خَدِينُهُ^(١)، ووجدنا الشعر ناطقا على الزمان، ومُعْرِبًا عن الأيام حيث يقول:

تَحَامَقَ مع الْحَقِّ إِذَا مَا لَقِيَتْهُمْ وَلَا قَهْمٌ بِالْجَهْلِ، فَعَلَّ أَخِي الْجَهْلُ
وخلَطَ إِذَا لَا قِيَتَ يَوْمًا مَخْلُطًا يَخْلُطُ فِي قَوْلٍ صَحِيحٍ وَفِي هَزَلٍ
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْمَرْءَ يَشْتَقِي بِعَقْلِهِ كَمَا كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ يَسْعُدُ بِالْعَقْلِ

فَبَقِيْتُ - أَبْقَاكَ اللَّهُ - مِثْلَ مَنْ أَصْبَحَ عَلَى أَوْفَازٍ^(٢)، وَمِنَ النُّقْلَةِ عَلَى جِهَازٍ
لَا يَسُوغُ لَهُ نِعْمَةٌ، وَلَا تَطْعَمُ عَيْنُهُ غَمَضَةً، فِي أَهَاوِيلَ يُبَاكِرُهُ مَكْرُوهُهَا،
وَيُرَاوِحُهُ عِقَابُهَا. فَلَوْ أَنَّ الدَّعَاءَ أَجِيبَ، وَالتَّضَرُّعَ سُمِّعَ، لَكَانَتِ الْعِدَّةُ
الْعَظْمَى^(٣)، وَالرَّجْفَةُ الْكُبْرَى، فَلَيْتَ - أَيُّ أَخِي - مَا أَسْتَثْبِطُهُ مِنَ
النَّفْخَةِ، وَمِنَ فَجَاءَةِ الصَّيْحَةِ، قُضِيَ لِحَانٌ، وَأُذِنَ بِهِ فَكَانَ، فَوَاللَّهِ مَا عُدَّتْ
أُمَّةٌ بَرَجْفَةً وَلَا رِيحٌ وَلَا سَخْطَةً، عَذَابَ عَيْنِي بِرُؤْيَةِ الْمَغَايِظَةِ الْمَذْمُونَةِ،
وَالْأَخْبَارِ الْمُهْلِكَةِ، كَأَنَّ الزَّمَانَ يُوَكِّلُ بَعْدَابِي، أَوْ يُنْصَبُ بِأَيَّامِي، فَمَا عِشْتُ
مَنْ لَا يُسَرُّ بِأَخٍ شَفِيقٍ، وَلَا يَصْطَبِیحُ فِي أَوَّلِ نَهَارِهِ إِلَّا بِرُؤْيَةِ مَنْ يَكْرَهُهُ،
وَبُغْمَةٍ مِّنْ يُغْمُهُ طَلْعَتُهُ، فَقَدْ طَالَتِ النُّعْمَةُ، وَوَاظَبَتِ الْكَرْبَةُ، وَادْلَهَمَّتْ^(٤)
الظُّلْمَةُ، وَخَدَّ السَّرَاجِ، وَتَبَاطَأَ الْإِنْفِرَاجُ» (المقد الفريد ١ : ١٩٥)

(١) الحدين والحدن بالكسر: الصاحب .

(٢) يقال : لقينه على أوفاز : أى على عجلة ، أو على سفر قد أشغص ، وانحدها وفر بالتحريك
والسكون : وهو العجلة .

(٣) يعنى الموت وموافاة الأجل المحتوم .

(٤) ادلهم الظلام : كثف واسود .

٦٢ - كتاب الجاحظ في استنجاز وعد

وكتب الجاحظ إلى رجل وعده:

« أما بعدُ، فإن شجرة وَعْدِكَ قد أُورِقَتْ، فليكن ثَمَرُهَا سالماً من
جَوَائِحِ الْمَطْلِ، والسلام » . (العقد المرید ١ : ٢٥٠ : ٢ : ١٩٩)

٦٣ - كتاب آخر

وكتب أيضاً:

« أما بعدُ، فإن محائب وعدك قد برَقَتْ، فليكن وِثْلُهَا سالماً من
صَوَاقِ الْمَطْلِ والاعتلال » . (العقد المرید ٢ : ١٩٩)

٦٤ - كتاب آخر

وكتب أيضاً:

« أما بعدُ، فقد رَسَفْنَا^(١) في قيود مواعيدك، وطال مُقَامُنَا في سُجُونِ
مَظْلِكِ، فَأُطْلِقْنَا - أَبْقَاكَ اللهُ - من ضيقها وشديد غَمِّهَا بِنَعَمٍ، منك، مُشْرِقةً،
أولاً، مُريحةً » . (العقد المرید ٢ : ١٩٩)

(١) رَسَفَ كَصَرَّ وَصَرَبَ - مَقَى مَقَى الْمُقِيدِ .

٦٥ - كتاب له في الاستمناح

وكتب :

« أما بعدُ ، فما أَقْبَحَ الْأَخْذُوثَةُ مِنْ مُسْتَمْنِحٍ حَرَمْتَهُ ، وَطَالِبٍ حَاجَةٍ رَدَدْتَهُ ، وَمُثَابِرٍ حَاجَتَهُ ، وَمُنْبَسِطٍ إِلَيْكَ قَبَضْتَهُ ، وَمُقْبِلٍ إِلَيْكَ بَعَايَتَهُ لَوَيْتَ عَنْهُ ، فَتَبَيَّنَتْ فِي ذَلِكَ « وَلَا تُطِيعُ كُلَّ خَلَافٍ مَهِينٍ ، هَمَّازٍ مَشَاءٍ يَنْمِيمٍ »
(العقد العريد ٢ : ١٩٩)

٦٦ - كتابه إلى أبي حاتم السجستاني

وكتب إلى أبي حاتم السُّجِسْتَانِي^(١) - وبلغه عنه أنه نال منه - :
« أما بعدُ فلو كَفَفْتَ عَنَّا مِنْ غَرْبِكَ^(٢) ، لَكُنَّا أَهْلًا لَذَلِكَ مِنْكَ ،
والسلام .

فلم يعد أبو حاتم إلى ذكره بقيح . (العقد العريد ٢ : ١٩٩)

٦٧ - كتابه إلى قلب المغربي

وكتب إلى قَلْبِ الْمَغْرِبِي .

« وَاللَّهِ يَا قُلَيْبُ لَوْلَا أَنْ كَبِدِي فِي هَوَاكَ مَقْرُوحَةٌ ، وَرُوحِي بِكَ
مَجْرُوحَةٌ ، لَسَاجَلْتُكَ^(٣) هَذِهِ الْقَطِيعَةَ . وَمَا دَذْتُكَ حَبْلَ الْمَصَارِمَةِ ، وَأَرْجُو

(١) من شيوخ أبي الهاس المردي .

(٢) العرب : الحدة .

(٣) ساجله : لاراه .

أن الله تعالى يُدِيلُ^(١) صَبْرِي مِنْ جَفَائِكَ ، فِيرُدُّكَ إِلَى مَوَدَّتِي ، وَأَنْفُ الْقَلِي^(٢) رَاغِمٌ ، فَقَدْ طَالَ الْعَهْدُ بِالْاجْتِمَاعِ ، حَتَّى كِدْنَا نَتَنَاكَرُ عِنْدَ الْإِلْتِقَاءِ .

(شرح العيون ص ١٧٥)

٦٨ - فصول للجاحظ

« أما بعد ، فَإِنْ أَحَقَّ مَنْ أَسْعَفْتَهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَأَجَبْتَهُ إِلَى طَلْبَتِهِ ، مَنْ تَوَسَّلَ إِلَيْكَ بِالْأَمَلِ ، وَتَزَعَّ نَحْوُكَ بِالرَّجَاءِ »



« أما بعد ، فَإِنْ فَلَانَا أَسْبَابُهُ مُتَّصِلَةٌ بِنَا ، يَلْزَمُنَا ذِمَامُهُ^(٣) ، وَبُلُوغُ موافقته من أياديك عندنا ، وَأَنْتَ لَنَا مَوْضِعُ الثِّقَةِ مِنْ مَكَافَاتِهِ ، فَأَوَّلُنَا فِيهِ مَا يَعْرِفُ بِهِ مَوْقِفُنَا مِنْ حَسَنِ رَأْيِكَ ، وَيَكُونُ مَكَافَأَةً لِحَقِّهِ عَلَيْنَا .



« أما بعد ، فَإِنْ الْمَاضِي قَبْلَكَ الْبَاقِي لَكَ ، وَالْبَاقِي بَعْدَكَ الْمَاجُورُ فَيْكَ ، وَإِنَّمَا يُؤَوِّفِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ » .



« أما بعد ، فَإِنْ فِي اللَّهِ الْعِزَّاءُ مِنْ كُلِّ هَالِكٍ ، وَاخْلَفَ مِنْ كُلِّ مُصَابٍ ، وَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَتَعَزَّ بِعِزِّ اللَّهِ تَنْقَطِعَ نَفْسُهُ عَنِ الدُّنْيَا حَسْرَةً » .

(١) أداله الله من عدوه : نصره عليه .

(٢) القلي : العصى والكراهية . وراعى : دليل .

(٣) الذمام : الحق والحرمة .

❖❖❖
« أما بعد ، فإن الصبر يَعْقِبُهُ الأجر ، والجَزَعُ يَعْقِبُهُ الهَلَعُ ، فتمسكْ
بمحظك من الصبر ، تنلْ به الذي تطلب ، وتُدْرِكْ به الذي تأمل » .

❖❖❖
« أما بعد ، فكفى بكتاب الله واعظا ، ولدوى الأبواب زاجرا ، فعليك
بالتلاوة ، تنبُحُ مما أوعد الله أهل المعصية » . (العقد العريد ٢ : ١٩٩ ، ٢٠٠)

❖❖❖
وله فصول في الاعتذار :
« أما بعد ، فنعيم البديل من الزلة الاعتذار ، وبئس العوض من التوبة
الإصرار » .

❖❖❖
أما بعد ، فإن أحقَّ مَنْ عطفَ عليه بحلمك ، من لم يتشفَّعْ إليك بغيرك .
❖❖❖
أما بعد ، فإنه لا عوض من إغاثك ، ولا خلف من حسن رأيك ،
وقد انتقمْت مني في زلَّتِي بِجَفَاكَ ، فأطلقْ أسيْرَ تشوْقِي إلى لقائك .

❖❖❖
أما بعد ، فإنني بمعرفتي ببلوغ حلمك ، وغاية عفوك ، ضمنتُ لنفسي العفو
عن زلَّتِها عندك .

❖❖❖
أما بعد ، فإن من جحد إحسانك بسوء مقالته فيك ، مكذبٌ نفسه
بما يبدو للناس منه .

❖❖❖
أما بعد ، فقد مسَّني من الألم ما لم يشفيه غير مواسلتك ، مع حبسك

الاعتذار عن هفوتك ، ولكن ذنبك تغتفره مودتك ، فامُنْ علينا بصِلَتك ،
تكن بدلًا من مساءتك ، وعوضًا من هفوتك .



أما بعد ، فلا خيرَ فيمن استغرقت مَوجِدته عليك قَدْرَكَ عنده ، ولم يتسع
لَهْنَات الإخوان .



أما بعد ، فإن أوَّلَى الناس عندي بالصفح ، من أسأله إلى ملكك التماسُ
رضاك ، من غير مقدرة منك عليه .



أما بعد ، فإن كنت ذممتني على الإساءة فلم رضيت لنفسك المكافأة .
(العقد المرید ٢ : ١٩٩)

٦١ - رسالة الجاحظ في بني أمية

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أطال الله بقاءك ، وأتمَّ نعمته عليك ،
وكرامته لك ، اعلم - أرشد الله أمرك - أن هذه الأمة قد صارت بعد
إسلامها ، والخروج من جاهليتها ، إلى طبقات متفاوتة ، ومنازل مختلفة :
فالطبقة الأولى : عَصْرُ النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبي بكر ، وعمر رضي الله
عنهما ، وستُّ مِئين من خلافة عثمان رضي الله عنه ، كانوا على التوحيد
الصحيح ، والإخلاص المحض ، مع الألفة واجتماع الكلمة على الكتاب
والسنة ، وليس هناك عملٌ قبيح ، ولا بدعةٌ فاجشة ، ولا نزعٌ يدٍ من طاعة ،
ولا حسد ولا غِلٌّ ولا تأوُّلٌ ، حتى كان الذي كان : من قتلِ عثمان رضي الله

عنه ، وما انتُهيك منه ، ومن خَبَطَهم إياه بالسلاح ، وَبَعَجَ^(١) بطنه بالحِراب ،
وَفَرَى أَوْدَاجِهِ بِالْمَشَاقِصِ^(٢) ، وَشَدَخَ هَامَتِهِ^(٣) بِالْعُمْدِ ، مع كَفَّه عن البَسْطِ ،
ونَهيه عن الامتناع ، مع تعريفه لهم قبل ذلك ، مِنْ كَمْ وَجْهٍ يَجُوزُ قَتْلُ مَنْ^(٤)
شَهِدَ الشَّهَادَةَ ؟ وَصَلَّى الْقِبْلَةَ ، وَأَكَلَ الذَّبِيحَةَ ، ومع ضَرْبِ نِسَائِهِ بِحَضْرَتِهِ ،
وإِحْقَامِ الرِّجَالِ عَلَى حُرْمَتِهِ ، مع اتِّقَاءِ نَائِلَةِ بِنْتِ الْفَرَاغِصَةِ عَنْهُ يَدَيْهَا ، حَتَّى
أَطْنُوا^(٥) إصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِهَا ، وَقَدْ كَشَفَتْ عَنْ قَنَاعِهَا ، وَرَفَعَتْ عَنْ ذَيْلِهَا ،
لِيَكُونَ ذَلِكَ رَادِعًا لَهُمْ ، وَكَامِرًا مِنْ غَرَبِهِمْ^(٦) ، مع وَطْئِهِمْ فِي أَضْلَاعِهِ بَعْدَ
مَوْتِهِ ، وَإِلْقَائِهِمْ عَلَى الْمَرْبَلَةِ جَسَدَهُ مَجْرَدًا بَعْدَ مَسْحِهِ ! ؟ وَهِيَ الْخَرْزَةُ^(٧) الَّتِي
جَعَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُفْنًا لِبَنَاتِهِ^(٨) وَأَيَّامًا وَعَقَائِلًا ، بَعْدَ
السَّبِّ وَالتَّعْطِيشِ وَالْخَصْرِ الشَّدِيدِ ، وَالْمَنْعِ مِنَ الْقَوْتِ ، مع احتجاجه عليهم
وإِفْخَامِهِ لَهُمْ ، وَمَعَ اجْتِمَاعِهِمْ عَلَى أَنَّ دَمَ الْفَاسِقِ حَرَامٌ كَدَمِ الْمُؤْمِنِ ، إِلَّا مَنْ

(١) بَعَجَهُ كَنَعَهُ : شَقَّهُ .

(٢) فَرَاهُ كَرَمَاهُ : شَقَّهُ أَيْضًا ، وَالْأَوْدَاجُ جَمْعُ وَدَجٍ بِالتَّحْرِيكِ : وَهُوَ عَرَقٌ فِي الْعُنُقِ ، وَالْمَشَاقِصُ جَمْعُ مَشَقَصٍ كَثِيرٍ : وَهُوَ النَّصْلُ الطَّوِيلُ ، أَوْ سَهْمٌ فِيهِ ذَلِكَ يَرْمَى بِهِ الْوَحْشَ .

(٣) الْهَامَةُ : الرَّأْسُ ، وَشَدَخَهُ كَنَعَهُ : كَسَرَهُ .

(٤) أَيْ الْمُسْلِمَ ، أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كِتَابِهِ إِلَى الْمُنِيرِ بْنِ سَاوَى : « فَإِنْ مِنْ صَلَّى صَلَاتَنَا ، وَاسْتَقْبَلَ قِبَاتَنَا ، وَأَكَلَ ذَيْحَتَنَا ، فَذَاكَ الْمُسْلِمُ » - انظر الجزء الأول ص ٤١ وكان فيما قاله عثمان في أثناء حصاره : « سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » . يَقُولُ : « لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا فِي إِحْدَى ثَلَاثٍ : رَجُلٌ كَفَرَ بَعْدَ إِسْلَامِهِ فَيُقْتَلُ ، أَوْ رَجُلٌ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانِهِ فَيُرْجَمُ ، أَوْ رَجُلٌ قَتَلَ نَفْسًا بغيرِ نَفْسٍ » فَمِمَّ أُقْتَلُ ؟ - انظر تاريخ الطبري ٥ : ١٢٢ .

(٥) أَطْنُوا أَيْ قَطَعُوا .

(٦) مِنْ غَرَبِهِمْ أَيْ حَدَّتِهِمْ .

(٧) الْخَرْزَةُ : الْجَوْهَرَةُ ، وَفِي الْأَصْلِ « الْخَزْرَةُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٨) نَزَّوَجُ عُثْمَانَ رَقِيَّةً وَأُمُّ كُلثُومُ ابْنَتِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالْأَيَّامُ جَمْعُ أَيَّامٍ ، وَامْرَأَةُ أَيْمٍ : لِأَزْوَاجِهَا بَكْرًا كَانَتْ أَوْ ثَيِّبًا ، وَالْعَقَائِلُ جَمْعُ عَقِيلَةٍ ، وَعَقِيلَةٌ كُلُّ شَيْءٍ أَكْرَمَهُ .

ارتدَّ بعد إسلام ، أوزنني بعد إحسان^(١) أو قتل مؤمنا على عمد ، أو رجلٍ
عدا على الناس بسيفه ، فكان في امتناعهم منه عَظْبُهُ^(٢) ، ومع اجتماعهم
على ألا يُقتل من هذه الأمة مُوَلٍّ ، ولا يُجهز منها على جريح ، ثم مع ذلك
كله ذَمُّوا^(٣) عليه وعلى أزواجه وحُرْمه ، وهو جالس في مخراجه ، ومُصَحِّفه
يَلُوح في حجره ، لن يُرى أن موحدًا يُقدِّم على قتل من كان في مثل
صفته وحاله .

لا جَرَم^(٤) لقد احتلبُوا به دَمًا لا تطير رَغْوَتُهُ ، ولا تَسْكُنُ فَوْرَتُهُ ،
ولا يموت نائره ، ولا يَكِلُ طالِبُهُ ، وكيف يضيِّع الله دمَ وَلِيَّهِ ، والمتقيم له ؟
وما سمعنا بدم يحيى^(٥) بن زكريا عليهما السلام غلا غليانه ، وقُتل
سافِحه^(٦) وأدرك بطائِلَتَهُ ، وبلغ كل محبته ، كَدَمِهِ ، رحمة الله عليه .

ولقد كان لهم في أخذه وفي إقامته للناس ، والاقتصاصِ منه ، وفي بيع
ما ظهر من رِبَاعِهِ^(٧) وحَدَائِقِهِ وسائر أمواله ، وفي حبسه بما بقي عليه ، وفي
طَمَرِهِ^(٨) حتى لا يُحَسَّ بذكروه ، ما يُغْنِيهم عن قتله إن كان قد رَكِبَ كلَّ
ما قَذَفوه به ، وأدَّعَوْه عليه ، وهذا كله بِحَضْرَةِ جِلَّةٍ^(٩) المهاجرين والسلف
المقدِّمين ، والأنصار والتابعين .

(١) أحسن الرجل : تروج . (٢) أى هلاكه .

(٣) الذمر : الحس والتهدد ، وفعله كنصر .

(٤) لاجرم : كلمة كانت في الأصل بمنزلة لاد ولا محالة ، حوت على ذلك وكثرت حتى تحولت إلى

معنى القسم ، وصارت بمنزلة حقا ، فلذلك يحاب عنها باللام كما يحاب بها عن القسم .

(٥) مات يحيى مقتولا - انظر تفصيل الخبر في ذلك في تاريخ الطبرى ٢ : ١٦ .

(٦) سفع دمه كقطعه : سفكه ، والطائلة : الثأر .

(٧) الرباع جمع ربع : وهو النزل . (٨) الطمر : الحبء .

(٩) أى من عظمائهم وساداتهم وذوى الأخطار فيهم .

ولكن الناس كانوا على طبقات مختلفة ، ومراتب متباينة ، من قاتلي ، ومن شاذي على عضده ، ومن خاذلي عن نصرته ، والعاجز ناصري بإرادته ، ومطيع بحسن نيته ، وإنما الشك منّا فيه وفي خاذله ، ومن أراد عزله والاستبدال به ، فأما قاتله والمعين على دمه والمريد لذلك منه ، فضلال ، لاشكّ فيهم ، ومراق ، لا امتراء^(١) في حكمهم ، على أن هذا لم يعد منهم الفجور : إما على سوء تأويل ، وإما على تعمد للشقاء . ثم مازالت الفتن متصلة ، والحروب مترادفة ، كحرب الجمل ، وكوقائع صفين ، وكيوم النهروان ، وقبل ذلك يوم الزابوقة^(٢) ، وفيه اسير ابن حنيفة^(٣) ، وقُتل حكيم بن جبلة ، إلى أن قتل أشقاها^(٤) على بن أبي طالب ، رضوان الله عليه ، فأسعده الله بالشهادة ، وأوجب لقاتله النار واللّعة ، إلى أن كان من اعتزال الحسن عليه السلام الحروب ، وتخلّيته الأمور ، عند انتشار أصحابه ، ومارأى من الخلل في عسكره ، وما عرف من اختلافهم على أبيه ، وكثرة تلوّثهم عليه ، فعندها استوى معاوية على الملك ، واستبد على بقية الشوري ، وعلى جماعة المسلمين من الأنصار والمهاجرين ، في العام الذي تمّوه عام^(٥) الجماعة ، وما كان عام جماعة ، بل كان عام رقة وقهر وجبريّة وغلبة ، والعام الذي تحولت فيه الإمامة ملكا كسرويا ، والخلافة غصبا قيصريا ، ولم يعد ذلك أجمع الضلال والفسق ، ثم مازالت معاصيه من جنس ما حكينا

(١) أي لاشك .

(٢) الزابوقة : موضع قريب من البصرة ، كانت فيه وقعة الجمل أول النهار .

(٣) أي عثمان بن حنيف ، وقد تقدم خبر ذلك في الجزء الأول ص ٣٦٥ - ٣٦٦ .

(٤) هو عبد الرحمن بن ملجم المرادي لعه الله .

(٥) هو عام ٤١ هـ إذ اجتمع الناس على معاوية وبأيده أهل الأمصار كلها .

وعلى منازل مارتبنا ، حتى رد قضية رسول الله صلى الله عليه وسلم ردا مكشوفاً ، وجحد حُكمه جحدا ظاهراً ، في وَلَدِ الفِرَاش وما يجب للعاهر^(١) ، مع اجتماع الأمة أن سُمِّيَّة لم تكن لأبي سُفيان فِرَاشاً ، وأنه إنما كان بها عاهراً ، فخرج بذلك من حكم الفُجَّار إلى حكم الكفار ، أوليس قتلُ حُجْر^(٢) ابن عَدِيٍّ ، وإطعامُ عمرو بن العاص خراجَ مصر ، وبيعةُ يزيد الخليع ، والاستئثارُ بالنبي ، واختيارُ الولاية على الهوى ، وتعطيلُ الحدود بالشفاعة والقرابة ، من جنس جحد الأحكام المنصوصة ، والشرائع المشهورة ، والسنن المنصوبة ؟ وسواء في باب ما يستحق من الكفار ، جحدُ الكتاب ، وردُّ السنة إذا كانت السنة في شهرة الكتاب وظهوره ، إلا أن أحدهما أعظم ، وعقاب الآخرة عليه أشد ، فهذه أول كفره كانت من الأمة ، ثم لم تكن إلا فيمن يدعى إمامتها والخلافة عليها ! على أن كثيراً من أهل ذلك العصر قد كفروا بترك إكفاره ، وقد أُرِبت^(٣) عليهم نايّةُ عصرنا ، ومُبتدعةُ دهرنا ، فقالت : « لا تُسَبِّوه فإن له صحبة ! وسبُّ معاوية بدعة ، ومن يُبغِضه فقد خالف السنة » فزعمت أن من السنة ترك البراءة ممن جحد السنة ! ثم الذي كان من يزيد ابنه ، ومن عماله وأهل نصرته ، ثم غزو مكة ، ورعى الكعبة^(٤) .

(١) يعنى اسلحافه زيادا وقد تقدم حر ذلك في الجزء الثانى ص ٣٢ .

(٢) انظر الجزء الثانى ص ٤٦ .

(٣) أُرِبت : رادت . والنايثة : الناشئة .

(٤) يعنى عرو مكة فى عهد يزيد . سار إليها حصين بن غير السكوى فى جيش من أهل الشام بعد مراعاتهم من وقعة الحرة بالمدينة لعمال عبد الله بن الزبير سنة ٦٤ هـ ، وقد قدموا البيت الحرام بالمحابق وحرقوه بالنار ، وأحدوا يرمحرون ويقولون .

خطارة مثل الصيق الردى رعى بها أعواد هذا المسجد

واستباحة المدينة^(١) ، وقتل الحسين^(٢) عليه السلام في أكثر أهل بيته ، مصاييح الظلام ، وأوتاد الإسلام ، بعد الذي أعطى من نفسه ، من تفريق أتباعه ، والرجوع إلى داره وحرمة ، أو الذهاب في الأرض حتى لا يُحسَّ به ، أو المقام حيث أمر به ، فأبوا إلا قتله ، والتزول على حكمهم ، وسواء قتل نفسه يده ، أو أسلمها إلى عدوه ، وخير فيها من لا يزيد غليله إلا بشرب دمه ، فأحسبوا قتله ليس بكفر ، وإباحة المدينة وهتك الحرمة ليس بحجة ، كيف تقولون في رمي الكعبة ، وهدم البيت الحرام ، وقبلة المسلمين ؟ فإن قلتم ليس ذلك أرادوا ، بل إنما أرادوا المتحرز به^(٣) ، والمتحصن بحيطانه ، أفما كان في حق البيت وحرمة أن يحصروه فيه ، إلى أن يُعطى يده ؟ وأي شيء بقي من رجل قد أخذت عليه الأرض إلا موضع قدمه ؟ واحسبوا ما رَووا عليه من الأشعار ، التي قولها سيرك ، والتمثل بها كُفر . شيئاً مصنوعاً ، كيف تصنع . ننقر القضيبي بين تنيي الحسين^(٤) عليه السلام ، ونخل بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم حواسر على أكتاف العارية^(٥) ، والإبل

(والميق : الفعل المكرم لا يودي ولا ركب ، لكرامته على أهله) - انظر تاريخ الطبري

٢ : ١٤ - .

(١) يشير إلى وقعة الحرة . انظر الجزء الثاني ص ٩١ .

(٢) انظر الجزء الثاني ص ٩٢ .

(٣) هو عند الله من الرير .

(٤) وذلك أنه لما وجه عبيد الله بن زياد آل الحسين عليه السلام إلى يريد بدمشق ، وملوا بين يديه ، أمر برأس الحسين فأمر في طست ، فخل يكت ثيابه فقصب في يده ، ويقول :

* ليت أشياحي سدر سهدوا .. * الأبيات .

(٥) حواسر : جمع حاسر ، وكل مكشوفة الرأس والذراعين حاسر . الأفتاب : جمع قتب بالتحريك ، وهو الإكاف الصغير على قدر سام العير .

الصعاب. والكشف عن عورة علي بن الحسين عند الشك في بلوغه : على أنهم إن وجدوه وقد أنبت^(١) قتلوه ، وإن لم يكن أنبت حملوه ، كما يصنع أمير جيش المسلمين بذرارى المشركين ، وكيف تقول في قول عبيد الله بن زياد لإخوته وخاصته : دُعُونِي أَقْتُلْهُ ، فإنه بقية هذا النسل ، فأخسِمَ به هذا القرن ، وأُمِيتَ به هذا الداء ، وأقطع به هذه المادة .

خبرونا ! علام تدل هذه القسوة ، وهذه الغلظة ، بعد أن شفوا أنفسهم بقتلهم ، ونالوا ما أحبوا فيهم ؟ أتدل على نصب^(٢) وسوء رأيٍ وحقد وبغضاء ونفاق ، وعلى يقين مدخول ، وإيمان مخروج ، أم تدل على الإخلاص ، وعلى حب النبي صلى الله عليه وسلم ، والحفظ له ، وعلى براءة الساحة وصحة السريرة ؟ فإن كان ما وصفنا لا يعدو الفسق والضلال - وذلك أدنى منازل - فالفاسق ملعون ، ومن نهي عن [سَبِّ^(٣)] الملعون فلعون .

(١) أنبت الغلام : نبت طائفة ، جاء في تاريخ الطبرى ٦ : ٢٦٣ .
« أنه لما عرض على بن الحسين على عبيد الله بن زياد ، قال له : ما اسمك ؟ قال : أنا على بن الحسين قال : أولم يقتل الله على بن الحسين ؟ فسكت ، فقال له ابن زياد : مالك لا تتكلم ؟ قال : قد كان لى أخ يقال له أيضا على فقتله الناس ، قال : إن الله قد قتله ، فسكت على ؟ فقال له : مالك لا تتكلم ؟ قال : « الله يتوفى الأنفس حين موتها » « وَمَا كَانَ لِلنَّفْسِ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ » قال : أنت والله منهم ويحك ! انظروا هل أدرك ؟ والله إني لأحسبه رجلا ، فكشف عنه مرعى بن معاذ الأجرى ، فقال : نعم قد أدرك ، فقال : اقتله ، فقال على بن الحسين : من توكل بهؤلاء النسوة ؟ وتعلقت به زينب عمته ، فقالت : يا بن زياد . حسبك إنا ، أما رويت من دماثنا ؟ وهل أبقيت منا أحدا ؟ فاعتنقه فقالت : أسألك بالله إن كنت لمؤمننا إن قتله لما قتلنى معه ، وناداه على فقال : يا بن زياد ، إن كانت بينك وبينهم قرابة قابض معهن رجلا تقيا يصحبهن بصحبة الإسلام ، فنظر إليها ساعة ، ثم نظر إلى القوم ، فقال : عجبا للرحم ! والله إني لأظنها ودت لو أنى قتلتها أنى قتلها معه ، دعوا الغلام ، انطلق مع نسائك .

(٢) نصب له : عاداه ، وأهل الصب : المتدينون بيفضة على رضى الله عنه ، لأنهم نصبوا له .

(٣) فى الأصل « نهى » محل هذه الكلمة ، والسياق يقتضى ما ذكرته .

وزعمت نابتة عصرنا ومبتدعة دهرنا : أن سبّ ولاة السوء فتنة ،
ولعن الجورة بدعة ، وإن كانوا يأخذون السميّ بالسميّ ، والوليّ بالوليّ^(١)
والقريب بالقریب ، وأخافوا الأولياء ، وأمنوا الأعداء ، وحكموا بالشفاعة
والهوى ، وإظهار الغدرة والتهاون بالأمة ، والقمع للرعية ، وأنهم في غير
مداراة ولا تقيّة . وإن عدا ذلك إلى الكفر ، وجاوز الضلال إلى الجحْد ، فذاك
أضلُّ ممن كفَّ عن شتمهم والبراءة منهم ، على أنه ليس من استحق اسم
الكفر بالقتل ، كمن استحقه بردّ السنة وهدم الكعبة ، وليس من استحق اسم
الكفر بذلك ، كمن شبه الله بخلقه ، وليس من استحق الكفر بالتشبيه كمن
استحقه بالتجوير^(٢) ، والنابتة في هذا الوجه أکفر من يزيد وأبيه ، وابن

(١) يرض زياد ابن أبيه إذ يقول في خطبته البتراء : « ولاني أقسم بالله لأخذنّ الولي بالمولي ... »
انظر جمهرة خطب العرب ٢ : ٢٥٨ وبالحجاج إذ يقول في كتابه إلى المهلب : « فإني أرى أن آخذ
الولي بالولي ، والسمي بالسمي » انظر الجزء الثاني ص ١٦٤ من جمهرة رسائل العرب .
(٢) جوره : نسبه إلى التجوير ، وفيه تعريض بغير المعتزلة ، وكان المعتزلة يسمون أنفسهم أهل
العدل لقولهم بعدل الله وحكمته ، قال الشهرستاني في الملل والنحل ج ١ : ص ٥٢ : « واتفق
المعتزلة على أن العبد قادر لأفعاله خيرا وشرها ، مستحق على ما يفعله ثوابا وعقابا في الدار الآخرة ،
والرب تعالى منزّه أن يضاف إليه شر أو ظلم ، وفعل هو كفر ومعصية ، لأنه لو خلق الظلم كان ظالما ،
كما لو خلق العدل كان عادلا ، واتفقوا على أن الحكيم لا يفعل إلا الصالح والخير ، ويجب من حيث
الحكمة رعاية مصالح العباد ، وسموا هذا النمط عدلا » اهـ . وجاء أيضا في مروج الذهب ج ٢ :
ص ١٩٠ في تفسير الأصول الخمسة التي يذهب إليها المعتزلة : « وأما القول بالعدل — وهو الأصل
الثاني — فهو أن الله لا يحب الفساد ، ولا يخلق أفعال العباد ، بل يفعلون ما أمروا به ونهوا عنه ،
بالقدرة التي جعلها الله لهم ، وركبها فيهم ... الخ » ومن ذلك ترى أنهم ينزهون الله تعالى عن أن
يقدر على العبد المعصية ثم يعذبه عليها ، بل العبد هو الذي يفعل أفعاله جميعا بإرادته وقدرته ، ويستحق
عليها الثواب أو العقاب ، وهذا عدل منه تعالى .

ولا يغيب عنك أن الجاحظ كان من شيوخ المعتزلة وكبرائهم ، وهو تلميذ أبي إسحق إبراهيم
ابن سيار النظام ، المعتزليّ المصهور ، وقد نصر الجاحظ مذهب المعتزلة بفصاحته وكتبه البليغة حتى صار
لسان المعتزلة في زمانه ، وكان رئيس فرقة منهم نسبت إليه ، فسيت « الجاحظية » — انظر الملل
والنحل ١ : ٨٠ وسرح الميرون ص ١٧٠ ووفيات الأعيان .

زياد وأبيه ، ولو ثبت أيضاً على يزيد أنه تمثل بقول ابن الزبيري^(١) :
 لَيْتَ أَشْيَاخِي يَسْدِرُ شَهِيدُوا جَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقَعِ الْأَسْلِ^(٢)
 لَا سَتَظَارُوا وَاسْتَهَلُّوا فَرْحًا ثُمَّ قَالُوا يَا يَزِيدُ لَا تَشَلْ^(٣)
 قَدْ قَتَلْنَا الْغُرَّ مِنْ سَادَاتِهِمْ وَعَدَلْنَا بِسَدْرِ قَاعِدِلْ^(٤)
 كَانَ تَجْوِيرُ النَّابِتِ لِرَبِّهِ ، وَتَشْبِيهُهُ بِخَلْقِهِ ، أَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ وَأَفْظَعَ ، عَلَى
 أَنَّهُمْ يُجْمَعُونَ عَلَى أَنَّهُ : مُلْعُونٌ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنًا ، مُتَمَمِّدًا أَوْ مُتَأَوِّلًا ، فَإِذَا كَانَ
 الْقَاتِلُ سُلْطَانًا جَائِرًا ، أَوْ أَمِيرًا حَاصِيًا ، لَمْ يَسْتَحِلُّوا سَبَّهُ وَلَا خَلْعَهُ وَلَا تَقْيَهُ وَلَا
 عَيْبَهُ : وَإِنْ أَخَافَ الصُّلَحَاءَ ، وَقَتَلَ الْفُقَهَاءَ ، وَأَجَاعَ الْفُقِيرَ ، وَظَلَمَ الضَّعِيفَ ،
 وَعَطَّلَ الْحُدُودَ وَالثُّغُورَ . وَشَرِبَ الْخُمُورَ ، وَأَظْهَرَ الْفُجُورَ ! ثُمَّ مَا زَالَ النَّاسُ
 يَتَسَكَّعُونَ مَرَّةً ، وَيَدَاهِنُونَهُمْ مَرَّةً ، وَيَقَارِبُونَهُمْ مَرَّةً ، رِيْشَارَكُونَهُمْ مَرَّةً ،

(١) هو عبد الله بن الزبيري . أحد شعراء قريش العدوديين ، وكان يهجو المسلمين ، ويحرض
 عليهم كفار قريش في شعره ، ثم أسلم قبل النبي لإسلامه وأمنه يوم الفتح - انظر ترجمته في الأغاني
 ١٤ : ١١ - وفي رواية أن يزيد تمثل بقول ابن الزبيري حينما جرى إليه برأس الحسين وآله كما قدما -
 انظر بلاغات النساء ص ٢٥ - وفي رواية أخرى أنه حين بعث إليه مسلم بن عقبة المري برءوس أهل
 المدينة (بعد انتصاره عليهم في وقعة الحرة سنة ٦٣) وألقيت بين يديه ، جعل يتمثل بقول ابن الزبيري
 المذكور ، فقال له رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارتددت عن الإسلام يا أمير
 المؤمنين . قال : بلى نستعصر الله ، قال : والله لا ساكتك أرضاً أبداً وخرج عنه - انظر العقد المرید
 ٢ : ٢٥٧ - .

(٢) هذا البيت من قصيدة قالها ابن الزبيري يوم أحد (وهو حينئذ مفرك) انظرها في سيرة
 ابن هشام ٢ : ١١٢ ، ونسج ابن أبي الحديد م ٣ ص ٣٨٢ - وكانت الغلبة يوم بدر للمسلمين .
 ويوم أحد للمفركين ، والأسل : الرماح والصل ، والخزرج : قبيلة من الأصار .
 (٣) كل من رنح صوته فقد أهل إهلالاً ، واسهل أسهللاً ، وشلت يده تشل : كتب يتعب
 وأشلت وشلت مبنيين للمجهول : يست ، وهي جملة دعائية ، وفي الأصل « لا سل » وهو تصحيف
 - وهذا البيت من قول يزيد - .

(٤) في سيرة ابن هشام :

فقتلنا الضعف من أشراهم وعدلنا ميل بدر قاعدل

وفي ابن أبي الحديد : فقتلنا الضعف ... « وفي بلاغات النساء : « جزيناكم بيدر مثلها » .

إِلَّا بَقِيَّةً يَمْنَعُ عَصَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ ، حَتَّى قَامَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ ، وَابْنَهُ الْوَلِيدَ ، وَعَامِلُهُمَا الْحَجَّاجُ بْنُ يَوْسُفَ ، وَمَوْلَاهُ يُزَيْدُ بْنُ أَبِي مُسْلِمٍ ، فَأَعَادُوا عَلَى الْبَيْتِ بِالْهَدْمِ ^(١) ، وَعَلَى حَرَمِ الْمَدِينَةِ بِالْغَزْوِ ^(٢) ، فَهَدَمُوا الْكَعْبَةَ ، وَاسْتَبَاحُوا الْحُرْمَةَ ، وَحَوَّلُوا قِبْلَةَ وَاسِطِ ^(٣) ، وَأَخْرَوْا صَلَاةَ الْجُمُعَةِ إِلَى مُخَيَّرِ بْنِ ^(٤) الشَّمْسِ ، فَإِنْ قَالَ رَجُلٌ لِأَحَدِهِمْ اتَّقِ اللَّهَ فَقَدْ أَخْرَجْتَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا ، قَتَلَهُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ جِهَارًا غَيْرَ خَتَلٍ ^(٥) ، وَعَلَانِيَةً غَيْرَ سِرٍّ ، وَلَا يُعْلَمُ الْقَتْلُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا أَقْبَحَ مِنْ إنْكَارِهِ ، فَكَيْفَ يَكْفُرُ الْعَبْدُ بِشَيْءٍ وَلَا يَكْفُرُ بِأَعْظَمَ مِنْهُ ؟

وَقَدْ كَانَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ رُبَّمَا وَعَظَ الْجَبَابِرَةَ ، وَخَوَّفَهُمُ الْعَوَاقِبَ ، وَأَرَاهُمْ أَنَّ فِي النَّاسِ بَقِيَّةً يَنْهَوْنَ عَنِ الْفُسَادِ فِي الْأَرْضِ ، حَتَّى قَامَ عَبْدُ الْمَلِكِ

(١) يَعْنِي مَا كَانَ مِنْ مَقَاتِلَةِ الْحَجَّاجِ عَدَاةَ اللَّهِ بْنِ الرَّيْرِ بِمَكَّةَ وَحَصْرِهِ إِيَّاهُ وَرَمِيهِ الْكَعْبَةَ بِالْمَنْجَنِيْقِ فِي عَهْدِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ سَنَةَ ٧٣ — انْظُرْ تَارِيخَ الطَّبَرِيِّ ٧ : ٢٠٢ (وَالْمَنْجَنِيْقُ يَفْتَحُ الْمِمْ وَتَنْكُسِرُ : آتَةٌ تَرْمِي بِهَا الْحَجَّارَةُ) .

(٢) بَعَثَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ سَنَةَ ٦٠ حَبِيشَ بْنَ دُلْجَةَ الْفَيْسِيَّ فِي سَعَةِ آلَافٍ إِلَى الْمَدِينَةِ فَدَخَلَهَا ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الرِّبْدَةِ (قُرْبَ الْمَدِينَةِ) وَقَدِمَ عَلَيْهِ مَدَدٌ مِنَ الشَّامِ ، وَكَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ إِلَى عِيَّاشِ بْنِ سَهْلٍ السَّاعِدِيِّ بِالْمَدِينَةِ أَنْ يَسِيرَ إِلَى حَبِيشٍ فَسَارَ إِلَيْهِ ، وَقَدْ وَاثَقَهُ مَدَدٌ مِنَ الْبَصْرَةِ ، وَنَشَبَ الْقِتَالُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ ، فَقَتَلَ حَبِيشٌ وَمَنْ مَعَهُ — انْظُرِ الْعَقْدَ الْفَرِيدَ ٢ : ٢٦٣ ، وَتَارِيخَ الطَّبَرِيِّ ٧ : ٨٤ .

(٣) انْظُرْ ص ١ مِنَ الْحِزْمِ الثَّالِثِ .

(٤) أَيْ إِلَى غُرُوبِهَا ، نَقَلَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ فِي شَرْحِهِ م ٣ : ص ٤٧٠ : « كَانَ بَنُو أُمَيَّةٍ يُؤْخِرُونَ صَلَاةَ الْجُمُعَةِ تَشَاغُلًا عَنْهَا بِالْحُطْبَةِ ، وَيَطِيلُونَ فِيهَا إِلَى أَنْ تَتَجَاوَزَ وَقْتُ الْعَصْرِ ، وَتَكَادُ الشَّمْسُ تَصْفَرُ ، فَعَلَّ ذَلِكَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَيُزَيْدُ أَخُوهُ ، وَالْحَجَّاجُ عَامِلُهُمْ ، وَوَكَّلَ بِهِمُ الْحَجَّاجُ الْمَسَالِحَ مَعَهُ (وَالْمَسَالِحُ جَمْعُ مَسْلُحَةٍ بِالْفَتْحِ : وَهِيَ الْقَوْمُ ذَوُو السِّلَاحِ) وَالسِّيُوفُ عَلَى رءُوسِهِمْ ، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَصِلُوا الْجُمُعَةَ فِي وَقْتِهَا ، وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : وَاعْجَبَا مِنْ أَخِيْفِشِ أَعْيَاشَ ، جَاءَنَا فَقَتَلْنَا عَنْ دِينِنَا ، وَصَعِدَ عَلَى مَنبَرِنَا ، فَيَخْطُبُ وَالنَّاسُ يَلْتَفِتُونَ إِلَى الشَّمْسِ ، فَيَقُولُ : مَا بِالْكُمْ تَلْتَفِتُونَ إِلَى الشَّمْسِ ! إِنَّمَا وَاللَّهِ مَا نَصَلِّيُ لِلشَّمْسِ ، إِنَّمَا نَصَلِّيُ لِرَبِّ الشَّمْسِ ، أَفَلَا تَقُولُونَ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، إِنْ لَمْ يَكُنْ حَقًّا بِاللَّيْلِ لَا يَقْبَلُهُ بِالنَّهَارِ ، وَحَقًّا بِالنَّهَارِ لَا يَقْبَلُهُ بِاللَّيْلِ ؟ ثُمَّ يَقُولُ الْحَسَنُ : وَكَيْفَ يَقُولُونَ ذَلِكَ ، وَعَلَى رَأْسِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلِيجٌ قَائِمٌ بِالسَّيْفِ ، أَقْرَأُ هُنَاكَ فَصْلًا طَوِيلًا فِي مَقَابِحِ بَنِي أُمَيَّةِ .

(٥) الْخَتَلُ : الْحِدَاجُ .

ابن مَرْوَانَ ، والحجاجُ بن يوسف ، فزَجَرَا عن ذلك وفاقبَا عليه ، وقتَلَا فيه ،
فصاروا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرِ فَعْلُوهُ ، فَاحْسِبْ تَحْوِيلَ الْقِبْلَةِ كَانَ غُلَاطًا ،
وَهَدَمَ الْبَيْتَ كَانَ تَأْوِيلًا ، وَاحْسِبْ مَا رَوَوْا مِنْ كُلِّ وَجْهِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَزْعُمُونَ
أَنَّ خَلِيفَةَ الْمَرْءِ فِي أَهْلِهِ أَرْفَعُ عِنْدَهُ مِنْ رَسُولِهِ إِلَيْهِمْ^(١) ، بَاطِلًا وَمُسْمُوعًا مُوَلَّدًا ،
وَاحْسِبْ وَتَمَّ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ^(٢) ، وَتَقَشَّ أَيْدِي الْمَسْلَمَاتِ ، وَرَدَّاهُمْ بَعْدَ الْهَجْرَةِ
إِلَى قِرَامٍ ، وَقَتَلَ الْفُقَهَاءَ ، وَسَبَّ أُمَّةَ الْهَدْيِ . وَالنَّصَبَ لِعِثْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَا يَكُونُ كُفْرًا ، كَيْفَ تَقُولُ فِي جَمْعِ ثَلَاثِ صَلَوَاتٍ فِيْهِنَّ
الْجُمُعَةُ ، وَلَا يُصَلُّونَ أَوْلَاهُنَّ حَتَّى تَصِيرَ الشَّمْسُ عَلَى أَعَالَى الْجُدْرَانِ كَالْمُلَاءِ
الْمُعْصِفِرِ^(٣) ، فَإِنْ نَطَقَ مُسْلِمٌ خُبِطَ بِالسَّيْفِ ، وَأَخَذَتْهُ الْعُمْدُ ، وَشُكَّ بِالرَّمَاكِ ،
وَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : اتَّقِ اللَّهَ ، أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ، ثُمَّ لَمْ يَرْضَ إِلَّا بِثَرْدِمَاعِهِ
عَلَى صَدْرِهِ ، وَبِصَلْبِهِ حَيْثُ تَرَاهُ عِيَالَهُ .

ومما يدل على أن القوم لم يكونوا إلا في طريق التمرّد على الله عز وجل ،

(١) عقد صاحب العقد الفريد ١٩ في أخبار الحجاج فصلا فيمن زعم أنه كان كافرا (ج ٣ :
ص ١٩) جاء فيه أنه قال في كلام له : « وعلمكم ! أخليفة أحدكم في أهله أكرم عليه ، أم رسوله
إليهم ؟ » وجاء في شرح ابن أبي الحديد م ٣ : ص ٤٧٠ « وخطب الحجاج بالكوفة فذكر
الذين يزورون قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله بالمدينة فقال : تباه لهم ، إنما يطوفون بأهواد
ورمة بالية ، هلا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك ! ألا يعلمون أن خليفة المرء خير من رسوله ! »
(٢) وجاء في شرح ابن أبي الحديد أيضا : « وكانت بنو أمية تحتم في أعناق المسلمين كما توسم الخيل
علامة لاستعبادهم ، وتقشوا أكف المسلمين علامة لاسترقاقهم ، كما يصنع بالعلاج من الروم والحبشة »
وجاء في تاريخ الطبري ٧ : ٢٠٦ « وفي سنة ٧٤ استعمل عبد الملك الحجاج على المدينة ، وكان
يتعبث بأهلها ويتغنتهم ، واستخف فيها بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نخم في أعناقهم ، وعن
إسحق بن يزيد أنه رأى أس بن مالك مختوما في عنقه ، يريد أن ينله بذلك ، ودعا الحجاج سهل بن
سعد ، فقال : ما منعك أن تنصر أمير المؤمنين عثمان بن عفان ؟ قال : قد فعلت ، قال : كذبت ، ثم
أمر به نخم في عنقه برصاص » .

(٣) أي المصبوغ بالعصفر كبرقع وهو صبيغ أصفر .

والاستخفاف بالدين ، والتهاون بالمسلمين ، والابتذال لأهل الحق ، أكل
أمرائهم الطعام ، وشربهم الشراب ، على منابرهم أيام مجئهم^(١) وجموعهم ،
فعل ذلك حبيش بن دجلة^(٢) ، وطارق^(٣) مولى عثمان ، والحجاج بن يوسف
وغيرهم ، وذلك إن كان كفرا كله فلم يبلغ كفر نابتة عصرنا ، وروافض
دهرنا ، لأن جنس كفر هؤلاء غير كفر أولئك . كان اختلاف الناس في
القدر على أن طائفة تقول : كل شيء بقضاء وقدر ، وتقول طائفة أخرى :
كل شيء بقضاء وقدر إلا المعاصي ، ولم يكن أحد يقول : إن الله يعذب
الأبناء ليغيظ الآباء ، وإن الكفر والإيمان مخلوقان في الإنسان مثل العمى
والبصر ، وكانت طائفة منهم تقول : إن الله يرى ، لا تريد على ذلك ، فإن
خافت أن يُظنَّ بها التشبيه ، قالت : يرى بلا كُفٍ ، تقززا من التجسيم
والتصوير ، حتى نبئت هذه النابتة ، وتكلمت هذه الرافضة . فقالت
جسما ، وجعلت له صورة وحدا ، وأكفرت من قال بالرؤية على غير
التجسيم والتصوير .

ثم زعم أكثرهم أن كلام الله حسن^(٤) وبين حجة وبرهان ، وأن التوراة
غير الزبور ، والزبور غير الإنجيل ، والإنجيل غير القرآن ، والبقرة غير

(١) وجاء في شرح ابن أبي الحديد أيضاً : « وكانت خطباء بني أمية تأكل وتمرب على المنبر يوم الجمعة ، لإطاعتهم في الخطبة ، وكان المسلمون تحت منبر الخطبة يأكلون ويمربون » .

(٢) في الأصل « حسن » وهو تحريف ، وقد قدمنا لك أن عبد الملك بعته في جيش إلى المدينة ، فلما دخلها جلس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا بحبز ولحم فأكل ، ثم دعا بماء فتوضأ على المنبر - انظر العقد الفريد ٢ : ٢٦٣ .

(٣) هو طارق بن عمرو ، مولى عثمان ، ولاء عبد الملك المدينة سنة ٧٣ هـ ، فوليا خمسة أشهر ، ثم عزله عنها واستعمل عليها الحجاج سنة ٧٤ هـ - انظر تاريخ الطبري ٧ : ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

آل عمران ، وأن الله تولى تأليفه ، وجعله بُرْهَانَهُ على صدق رسوله ، وأنه لو شاء أن يَزِيدَ فيه زاد ، ولو شاء أن يَنْقُصَ منه نَقْصَ ، ولو شاء أن يبدِّله بدِّله ، ولو شاء أن يَنْسَخَه كله بغيره نَسَخَه . وأنه نَزَلَهُ تنزيلاً . وأنه فَصَّلَهُ تفصيلاً ، وأنه بالله كان دون غيره ، ولا يقدر عليه إلا هو ، غير أن الله مع ذلك كله لم يَخْلُقْهُ ، فَأَعْطَوْا جميع صفات الخلق ، وَمَنَعُوا اسمَ الخلق .

والعجب أن الخلق عند العرب إنما هو التقدير نفسه ، فلذا قالوا : خلق كذا وكذا ، ولذلك قال : « أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ » وقال : « وَتَخْلُقُونَ إِفْكَاً » وقال : « وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ » فقالوا : صَنَعَهُ وَجَعَلَهُ وَقَدَّرَهُ ، وأنزله وفصله وأحدثه ، وَمَنَعُوا « خَلَقَهُ » وليس تأويلُ « خَلَقَهُ » أكثر من « قَدَّرَهُ » ولو قالوا بدلَ قولهم « قَدَّرَهُ ولم يَخْلُقْهُ » : « خَلَقَهُ ولم يُقَدِّرْهُ » ما كانت المسألة عليهم إلا من وجه واحد . والعجب أن الذي مَنَعَهُ بزعمه أن يزعم أنه مخلوق ، أنه لم يسمع ذلك من سلفه ، وهو يعلم أنه لم يسمع أيضاً من سلفه أنه ليس بمخلوق ، وليس ذلك يَهُمُّ ، ولكن لما كان الكلام من الله تعالى عندهم على مثل خروج الصوت من الجوف ، وعلى جهة تقطيع الحروف وإعمال اللسان والشفتين ، وما كان على غير هذه الصورة والصفة فليس بكلام ، ولما كنا عندهم على غير هذه الصفة ، وكنا لإِكلامنا غير خالقين ، وَجَبَ أن الله عز وجل لكلامه غيرُ خالق ، إذ كنا لإِكلامنا غير خالقين ، فإنما قالوا ذلك لأنهم لم يجدوا بين كلامنا وكلامه فرقا ، وإن لم يُقَرِّوا بذلك بالسنتهم ، فذلك معناه وقصدهم .

وقد كانت هذه الأمة لا تُجاوز معاصيها الإثم والضلال ، إلا ما حكيتُ لك عن بنى أمية وبنى مروان وعَمَّالهم ، ومن لم يدنْ بِكفارهم ، حتى نَجَمَتِ النوابتُ ، وتابَعَتِها هذه العوامُ ، فصار الغالبُ على هذا القرن الكفر ، وهو التشبيه والجبر ، فصار كفرهم أعظم من كفر من مَضَى في الأعمال التي هي الفِسْق ، وصاروا شركاء^(١) مَنْ كفر منهم بتوليهم وترك الكفارهم ، قال الله عز وجل من قائل « وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ » .

وأرجو أن يكون الله قد أغاث المُحِقِّين ، وَرَحَّمَهم ، وَقَوَّى ضَعْفَهُمْ ، وَكَثَّرَ قُلَّتَهُمْ ، حتى صار وُلاة أمرنا في هذا الدهر الصعب ، والزمن الفاسد ، أشدَّ استبصارا في التشبيه من عَلَيَّتِنَا ، وَأَعْلَمَ بما يلزم فيه منا ، وأكشفَ للقِنَاع من رؤسائنا ، وصادَفوا^(٢) الناس وقد انتظموا معانٍ^(٣) الفساد أجمع ، وبلغوا فَاياتِ البِدْع ، ثم قرنوا بذلك العصبية التي هلك بها عالمٌ بعد عالم ، والحَمِيَّة التي لا تبقى دينا إلا أفسدته ، ولا دُنيا إلا أَهْلَكَتْها ، وهو ما صارت إليه المعجم من مذهب الشُعْوَويَّة^(٤) ، وما قد صار إليه الموالي من الفخر على المعجم والعرب ، وقد نَجَمَت من الموالي نَاجِمَةٌ ، وَنَبَتَتْ مِنْهُمْ نَابِتَةٌ ، تزعم أن المَوْلى بَوْلَانُهُ قد صار عريبا ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « مَوْلى القومِ مِنْهُمْ » ولقوله : « الْوَلَاءُ لُحْمَةٌ^(٥) كُلُّحْمَةِ النَّسَبِ ، لا يباع ولا يوهَب » قال : فقد علمنا

(١) في الأصل « وشركاء » .

(٢) في الأصل : « وصادَفوا » وهو تحريف .

(٣) المعان : المباءة والمنزل .

(٤) هم محقرو أمر العرب .

(٥) اللحم : القرابة .

أن العجم حين كان فيهم الملك والنبوة كانوا أشرف من العرب ، ولما حوّل ذلك إلى العرب صارت العرب أشرف منهم ، قالوا : فنحن معاشر الموالى - بقديعنا في العجم - أشرف من العرب ، - وبالحديث الذي صار لنا في العرب - أشرف من العجم ، وللعرب القديم دون الحديث ، ولنا خصلتان جميعا وافرتان فينا ، وصاحب الخصلتين أفضل من صاحب الخصلة ، وقد جعل الله المولى - بعد أن كان عجميا - عريبا بولائه ، كما جعل خليف قریش من العرب قرشيًا بحلفه ، وجعل إسماعيل - بعد أن كان أعجميا - عريبا ، ولولا قول النبي صلى الله عليه وسلم « إن إسماعيل كان عريبا » ما كان عندنا إلا أعجميا ، لأن الأعجمي لا يصير عريبا ، كما أن العربي لا يصير أعجميا ، فإنما علمنا أن إسماعيل صيره الله عريبا بعد أن كان أعجميا ، بقول النبي صلى الله عليه وسلم ، فكذلك حكم قوله « مولى القوم منهم » وقوله « الولاء لحمة » قالوا : وقد جعل الله إبراهيم عليه السلام أبًا لمن لم يلد ، كما جعله أبًا لمن ولد ، وجعل أزواج النبي أمّات المؤمنين^(١) - ولم يلدن منهم أحدا - وجعل الجار والد من لم يلد في قول ، وغير هذا كثير قد أتينا عليه في موضعه ، وليس أدعى إلى الفساد ، ولا أجلب للشر من المفاخرة ، وليس على ظهرها إلا نخور - إلا قليل - وأى شيء أغيظ من أن يكون عبدك يزعم أنه أشرف منك - وهو مقرر أنه صار شريفا بعثتك إياه - ؟ .

وقد كتبت - مد الله في عمرك - كتبنا في مفاخرة قحطان ، وفي

(١) قال تعالى : « النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ » .

تفضيل عَدَنان . وفي ردِّ الموالى إلى مكانهم من الفضل والنقص ، وإلى قَدْر ما جعل الله تعالى لهم بالعرب من الشرف ، وأرجو أن يكون عَدْلًا بينهم ، وداعيةً إلى صلاحهم ، ومُنْهيةً عليهم ولهم ، وقد أردتُ أن أُرْسِلَ بالجزء الأول إليك ، ثم رأيتُ ألا يكون إلا بعد استئذانك واستئثارك^(١) ، والانتهاء في ذلك إلى رغبتك ، فرأيك فيه مُوَفَّقٌ إن شاء الله عز وجل وبه الثقةُ » : « رسالة للجاحظ في بني أمية (٢) » .

٧٠ — رسالة أبي العاص^(٣) بن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى إلى الثقفى

« بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعدُ ، فإن جلوسك إلى الأصمعى^(٤) ، ومُحِبِّكَ بسَهْلَ بن هُروَن ، واسترجاحك إسماعيلَ بن غَزَوَانَ ، وطعنك على مَوَيْسِ بن عِمْرَانَ ، وخِلْطَتَكَ^(٥) بَابِنِ مُشَارِك ، واختلافك إلى ابن التَّوَّعْم ، وإكثارك من ذِكْرِ المال وإصلاحِهِ ، والقيامِ عليه واصطناعِهِ ، وإطنابك في وصف الترويح والتشهير^(٦) ، وحسنِ التعمُّد والتوفير ، دليلٌ على خِيءٍ سَوْءٍ ، وشاهدٌ على عيبٍ وإدبارٍ ، بعد أن كنت تستثقلُ ذكْرَهُمْ ، وتستشنعُ

(١) الاستئثار : المشاورة .

(٢) رسالة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية رقم ١٨٥٥ أدب .

(٣) ذكره صاحب الأغاني في خلال ترجمة محمد بن منذر — إذ كان أخوه عبد المجيد بن عبد الوهاب

صديقاً حميلاً لابن منذر — الطرج ١٢ : ص ١٢ .

(٤) هو الراوية المصهور ، وكان بجيلاً ، توفي سنة ٢١٦ هـ .

(٥) الخلطة بالكسر : العشرة (وبالضم : الشركة) .

(٦) ثمر ماله : نعماء وكثره .

فِعْلُهُمْ ، وَتَعَجَّبَ مِنْ مَذْهَبِهِمْ ، وَتُسْرِفَ فِي ذَمِّهِمْ ، وَلَيْسَ يَلْهَجُ بِذِكْرِ الْجَمْعِ^(١) إِلَّا مَنْ قَدْ عَزَمَ عَلَى الْجَمْعِ ، وَلَا يَأْنَسُ بِالْبَخْلَاءِ إِلَّا الْمُسْتَوْحِشُ مِنَ الْأَسْخِيَاءِ ، وَفِي تَحْفُظِكَ قَوْلَ سَهْلِ بْنِ هُرُوفَ : فِي الْإِسْتِعْدَادِ فِي حَالِ الْمُهْلَةِ ، وَفِي الْأَخْذِ بِالثِّقَةِ^(٢) ، وَأَنْ أَقْبَحَ التَّفْرِيطِ مَا جَاءَ مَعَ طَوْلِ الْمُدَّةِ ، وَأَنْ الْحَزْمَ كُلَّ الْحَزْمِ ، وَالصَّوَابَ كُلَّ الصَّوَابِ ، أَنْ تَسْتَظْهَرَ عَلَى الْحَدَثَانِ^(٣) ، وَأَنْ تَجْعَلَ مَا فَضَّلَ عَنْ قِيَامِ الْأَبْدَانِ ، رِدًّا^(٤) دُونَ صُرُوفِ الزَّمَانِ ، وَأَنَا لَا تُنْسَبُ إِلَى الْحِكْمَةِ ، حَتَّى تَحُوطَ أَصْلَ النِّعْمَةِ ، بِأَنْ نَجْعَلَ دُونَ فَضُولِهَا جُنَّةً^(٥) ، شَاهِدٌ^(٦) عَلَى مُجْبِكَ بِمَذْهَبِهِ ، وَبِرْهَانٌ عَلَى مِيلِكَ إِلَى سَبِيلِهِ ، وَفِي اسْتِحْسَانِكَ رَوَايَةَ الْأَسْمَعِيِّ فِي : « أَنْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ النِّسَاءُ وَالْفُقَرَاءُ ، وَأَنْ أَكْثَرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْبُلَّةُ وَالْأَغْنِيَاءُ ، وَأَنْ أَرْبَابَ الدُّثُورِ هُمُ الَّذِينَ ذَهَبُوا بِالْأَجُورِ^(٧) » بِرْهَانٌ^(٨) عَلَى صِحَّةِ حُكْمِنَا عَلَيْكَ ، وَدَلِيلٌ عَلَى صَوَابِ رَأْيِنَا فِيكَ ، وَفِي تَفْضِيلِكَ^(٩) كَلَامَ ابْنِ غَزَوَانَ حِينَ قَالَ : تَنْعَمُ بِالطَّعَامِ الطَّيِّبِ ، وَبِالْثِّيَابِ الْفَاخِرَةِ ، وَبِالشَّرَابِ الرَّقِيقِ ، وَبِالْغِنَاءِ الْمُطْرِبِ ، وَتَنْعَمُنَا

(١) أَيْ جَمْعُ الْأَمْوَالِ .

(٢) أَيْ بِادْخَالِ مَا يُمْكِنُ ادِّخَارُهُ حَتَّى يَثِقَ الْمَرْءُ بِقُدْرَتِهِ عَلَى مَكَاخِطِ الْخَطُوبِ إِنْ بَرَّتْ بِهِ .

(٣) تَسْتَظْهَرُ : تَسْتَعِينُ ، وَالْحَدَثَانِ : حَوَادِثُ الدَّهْرِ وَنَوْبِهِ .

(٤) الرَّدُّ : الْعَوْنُ وَالْمَادَّةُ .

(٥) الْحِصْنَةُ : الْوَقَايَةُ .

(٦) مُبْتَدَأُ خَبَرِهِ « فِي تَحْفُظِكَ » .

(٧) جَاءَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ : « وَرَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ : ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ

بِالْأَحُورِ ، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : وَاحِدُ الدُّثُورِ دُثْرٌ بِالْفَتْحِ ، وَهُوَ الْمَالُ الْكَثِيرُ ، يُقَالُ : هُمْ أَهْلُ دُثْرٍ وَدُثُورٍ ، وَمَالٌ دُثْرٌ » .

(٨) مُبْتَدَأُ خَبَرِهِ : « فِي اسْتِحْسَانِكَ » .

(٩) مُعْطُوفٌ عَلَى الْخَبَرِ السَّاقِ .

بِعِزِّ الثَّرْوَةِ ، وَبِصَوَابِ النَّظَرِ فِي الْعَاقِبَةِ ، وَبِكَثْرَةِ الْمَالِ ، وَالْأَمْنِ مِنْ سُوءِ
الْحَالِ ، وَمِنْ ذَلِ الرِّغْبَةِ إِلَى الرِّجَالِ ، وَالْعِجْزِ عَنْ مَصْلَحَةِ الْعِيَالِ ، فَتِلْكَ
لِذِّتِكُمْ ، وَهَذِهِ لِدُنَا ، وَهَذَا رَأْيُنَا فِي التَّسَلُّمِ مِنَ الدَّمِ ، وَذَاكَ رَأْيُكُمْ فِي التَّعَرُّضِ
لِلْحَمْدِ ، وَإِنَّمَا يَنْتَفِعُ بِالْحَمْدِ السَّلِيمِ الْفَارِغُ الْبَالِ ، وَيُسَرُّ بِاللِّذَاتِ الصَّحِيحِ
الصَّادِقِ الْحَسِّ ، فَأَمَّا الْفَقِيرُ فَمَا أَغْنَاهُ عَنْ الْحَمْدِ ، وَأَفْقَرُهُ إِلَى مَا بِهِ يَجِدُ طَعْمَ
الْحَمْدِ ، وَالطَّمَامُ الَّذِي آثَرْتُمُوهُ يَعُودُ رَجِيْعًا^(١) ، وَالشَّرَابُ يَصِيرُ بَوْلًا ، وَالْبِنَاءُ
يَعُودُ تَقْضًا^(٢) ، وَالْعِيَاءُ^(٣) رِيحٌ هَابَةٌ ، وَمُسْتَقِطٌ لِلْمُرُوءَةِ ، وَسَخَافَةٌ تَقْسِدُ ،
وَرَنَةٌ تَسِيرُ^(٤) ، فَلِذِّتِكُمْ فِيمَا حَوَى لَكُمْ الْفَقْرَ وَنَقَضَ الْمُرُوءَةَ ، وَلِدُنَا فِيمَا
حَوَى لَنَا الْغِنَى وَبَنَى الْمُرُوءَةَ ، فَنَحْنُ فِي بِنَاءٍ ، وَأَنْتُمْ فِي هَدْمٍ وَنَحْنُ فِي إِبْرَامٍ ،
وَأَنْتُمْ فِي تَقْضٍ ، وَنَحْنُ فِي التَّمَّاسِ الْعِزِّ الدَّائِمِ مَعَ مَوْتِ بَعْضِ اللَّذَّةِ ، وَأَنْتُمْ
فِي التَّعَرُّضِ لِلذَّلِّ الدَّائِمِ مَعَ فَوْتِ كُلِّ مُرُوءَةٍ ، وَقَدْ فَهِمْنَا مَعْنَى حِكَايَتِكَ ،
وَمَا لَهَجْتَ بِهِ مِنْ رَوَايَةٍ ، وَالِدَالِيلُ عَلَى انْتِقَاضِ طِبَاعِكَ ، وَإِدْبَارُ أَمْرِكَ ،
اسْتِحْسَانُكَ ضِدَّ مَا كُنْتَ تَسْتَحْسِنُ ، وَعِشْقُكَ لِمَا لَمْ تَزَلْ تَحْقُتْ ، فَبَعْدًا
وَسُخْقًا . وَلَا يُبْعِدُ اللَّهُ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ، وَالشَّاعِرُ أَبْصَرُ بِكُمْ حَيْثُ يَقُولُ :

فَإِنْ سَمِعْتَ بِهَلْكَ الْبَخِيلِ فَقُلْ بُعْدًا وَسُخْقًا لِمَنْ هَالَكَ مُودِي^(٥)
ثَرَاتُهُ جَنَّةٌ لِلْوَارِثِينَ إِذَا أَوْدَى وَجُثَامُهُ لِلتُّرْبِ وَالْدُّودِ

(١) الرَجِيْعُ : الرُّوْثُ .

(٢) التَّقْضُ : الْمَقْصُوفُ ، وَهُوَ الْبِنَاءُ الْمَهْدُومُ .

(٣) فِي بَعْضِ النُّسخِ « وَالشَّاءُ » .

(٤) أَيْ تَذْهَبُ فِي الْهَوَاءِ وَتُرْوَلُ .

(٥) أَوْدَى : هَلَكَ .

وقال آخر:

تَبَلَّى مَحَاسِنُ وَجْهِهِ فِي قَبْرِهِ وَالْمَالُ بَيْنَ عَدُوِّهِ مَقْسُومُ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُمَتِّتْ حَتَّى أَرَانِيكَ وَكِيلًا فِي مَالِكَ^(١) ، وَأَجِيرَا
لِوَارِثِكَ ، وَأَمَّا أَنْتَ فَقَدْ تَعَجَّلْتَ الْفَقْرَ قَبْلَ أَوَانِهِ ، وَصَرْتَ كَالْمَجْلُودِ فِي
غَيْرِ لَذَةٍ ، وَهَلْ تَرِيدُ حَالًا مَنْ اتَّفَقَ جَمِيعَ مَالِهِ ، وَرَأَى الْمَكْرُوهَ فِي
عِيَالِهِ ، وَظَهَرَ فَقْرُهُ ، وَشَمِتَ بِهِ عَدُوُّهُ ، عَلَى أَكْثَرِ مِنْ انْصِرَافِ الْمُؤَنِّسِينَ
عَنْهُ ، وَعَلَى بُنْغَضِ عِيَالِهِ ، وَعَلَى خُشُونَةِ الْمَلْبَسِ وَخَشُونَةِ الْمَأْكَلِ ،
وَهَذَا كُلُّهُ مَجْتَمِعٌ فِي مَسْكٍ^(٢) الْبَخِيلِ ، وَمَصْصُوبٍ عَلَى هَامَةٍ^(٣)
الشَّحِيحِ ، وَمَعْجَلٍ لِلثِّمِ ، وَمُتْلَازِمٍ لِلْمَنْوَعِ ، أَلَا إِنَّ الْمُنْفِقَ قَدْ رَجَحَ الْمَخْمَدَةَ ،
وَتَمَتَّعَ بِالنِّعَةِ ، وَلَمْ يَعْطِلْ الْقُدْرَةَ^(٤) ، وَوَفَّى كُلَّ خَصْلَةٍ مِنْ هَذِهِ حَقَّهَا ، وَوَفَّرَ
عَلَيْهَا نَصِيبَهَا ، وَالْمُنْسِكَ مَعَذَّبٌ بِحَضَرِ نَفْسِهِ ، وَبِالْكَدِّ لغيرِهِ ، مَعَ لُزُومِ
الْحُجَّةِ ، وَسَقُوطِ الْهَمَةِ ، وَالتَّعَرُّضِ لِلذَّمِّ وَالْإِهَانَةِ ، وَمَعَ تَحْكِيمِ الْمِرَّةِ^(٥)
السُّودَاءِ فِي نَفْسِهِ ، وَتَسْلِيْطِهَا عَلَى عِرْضِهِ ، وَتَمْكِينِهَا مِنْ عَيْشِهِ وَسُرُورِ قَلْبِهِ ،
وَلَقَدْ سَرَى إِلَيْكَ عِرْقٌ^(٦) ، وَلَقَدْ دَخَلَ أَعْرَاقُكَ جَوْرٌ^(٧) ، وَلَقَدْ عَمِلَ فِيهَا قَادِحٌ^(٨) ،

(١) أَى وَكِيلًا فِي مَالِكَ لَوَارِثِكَ ، لَا تَنْتَمِعُ بِهِ اِتِّفَاعَ الْمَالِكِ .

(٢) الْمَسْكُ : الْحَلْدُ ، وَالْمَرَادُ النَّعْسُ .

(٣) الْهَامَةُ : الرَّأْسُ ، وَالْجَمْعُ هَامٌ .

(٤) أَى لَمْ يَعْطِلْ الْقُدْرَةَ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرِ وَكَسْبِ الثَّنَاءِ .

(٥) الْمِرَّةُ : الْمَزَاجُ ، وَالْمَزَاجُ الْأَسْوَدُ : هُوَ الْمَرَاغُ الْمُضْطَرِبُ الْكَثِيرُ الْمَخَافِ وَالْوَسَاوِسُ .

(٦) أَى اِنْدَسَ فِي أَعْرَاقِ نَفْسِكَ عِرْقٌ خَسِيسٌ لَيْسَ مِنْهَا .

(٧) الْمَرَادُ بِالْجَوْرِ هُنَا الْاِبْتِعَادُ عَنِ الطَّرِيقِ الْقَوِيمِ .

(٨) الْقَادِحُ : أَكَالُ يَمْعُ فِي الشَّجَرِ وَالْأَسْنَانِ ، وَالْقَادِحُ : الْعَمَسُ ، يَقُولُ : أَصِيبَ هَذِهِ الْأَعْرَاقُ

وَالصِّفَاتُ بَعْلَةٌ قَضَتْ عَلَيْهَا .

وَلَقَدْ خَالَهَا غُولٌ، وما هذا المذهبُ من أخلاقِ صَمِيمٍ ثَقِيفٍ، ولا من شَيْمٍ أَعْرَقَتْ^(١) فيها قريشٌ، ولقد عَرَضَ لك إِرَافٌ^(٢)، ولقد أَفْسَدَتْكَ هُجْنَةٌ^(٣)، ولقد قال معاوية: «من لم يكن من بنى عبد المطلب جَوَادًا فهو دَخِيلٌ»^(٤)، ومن لم يكن من آل الزبير شجاعا فهو لَزِيقٌ^(٥)، ومن لم يكن من بنى الْمُغِيرَةِ تَيَّاهَا فهو سَنِيدٌ^(٦). وقال سَلَمٌ بن قُتَيْبَةَ: «إِذَا رَأَيْتَ الثَّقَفَ يَعِزُّ مِنْ غَيْرِ إِطْعَامٍ»^(٧)، وَيَكْسِبُ لَغِيرِ إِنْتَاقٍ، فَبَهْرِجْهُ^(٨) ثم بَهْرِجْهُ ثُمَّ بَهْرِجْهُ» وقال ابن أبي بَرْزَةَ: «لَوْ لَا شَبَابٌ ثَقِيفٌ وَسَفَهَاؤُهُمْ، مَا كَانَ لِأَهْلِ الْبَصْرَةِ مَالٌ»^(٩) «إِنَّ اللَّهَ جَوَادٌ لَا يَبْخُلُ، وَصَدُوقٌ لَا يَكْذِبُ. وَوَفِيٌّ لَا يَغْدِرُ، وَحَلِيمٌ لَا يَعْجَلُ، وَعَدْلٌ لَا يَظْلِمُ، وَقَدْ أَمَرْنَا بِالْجُودِ، وَنَهَانَا عَنِ الْبَخْلِ، وَأَمَرْنَا بِالْصَّدَقِ وَنَهَانَا عَنِ الْكُذْبِ، وَأَمَرْنَا بِالْحِلْمِ، وَنَهَانَا عَنِ الْعَجَلَةِ؛ وَأَمَرْنَا بِالْعَدْلِ، وَنَهَانَا عَنِ الظُّلْمِ، وَأَمَرْنَا بِالْوَفَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْغَدْرِ، فَلَمْ يَأْمُرْنَا إِلَّا بِمَا اخْتَارَهُ لِنَفْسِهِ، وَلَمْ يَنْزُجُرْنَا إِلَّا عَمَّا لَمْ يَرْضَهُ لِنَفْسِهِ، وَقَدْ قَالُوا بِأَجْمَعِهِمْ: إِنَّ اللَّهَ أَجْوَدُ الْأَجْوَدِينَ، وَأَعْجَدُ الْأَعْجَدِينَ، كَمَا قَالُوا: أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وَأَحْسَنُ الْخَالِقِينَ، وَقَالُوا فِي التَّأْدِيبِ لِسَائِلِهِمْ، وَالتَّعْلِيمِ لِأَجْوَادِهِمْ: لَا تَجَاوِدُوا»^(١٠) اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ جَلُّ

(١) صارت عريقة في الكرم .

(٢) القرف : من كانت أمه عربية وأبوه أعجمي ، والمراد بالإِرَافِ ههنا ما شبهه الإِرَافِ : أى كَأَمَكْ لم تكن عريباً صمياً .

(٣) الهجنة : أن تكون الأم غير عربية والأب عربياً .

(٤) الدخيل : من يعيش بين القوم وليس منهم .

(٥) من لَزِقَ بنسب قوم وليس منهم .

(٦) السنيد : الدعي ، وهو من ينتمى إلى غير أهله .

(٧) المعنى دون أن يعى بإطعام الفقراء ومساعدة المحتاجين . وفى الأصل « طعام » .

(٨) بهرجه : أهمله .

(٩) أى لكثرة ما ينفقون فى البصرة ويبدلون .

(١٠) أى لا تحاولوا أن تصلوا فى الجود إلى مثل حود الله .

ذكره أجود وأمجّد ، وذكر نفسه جلّ جلاله وتقدّست أسماؤه ، فقال :
« ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ »^(١) ، وقال « ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ » وقال : « ذُو الْجَلَالِ
وَالْإِكْرَامِ » وذكروا النبيّ صلى الله عليه وسلم فقالوا : لم يضع درهما على درهم ،
ولا لبنّة على لبنّة ، ومَلَكَ جزيرة العرب فقبض الصدقات ، وجيّت له
الأموال ما بين عُذْرَانِ العراق إلى شِخْرُ ثَمَانٍ^(٢) ، إلى أقصى تخاليف^(٣) اليمن ،
ثم نُوْفِيّ وعليه دينٌ ، ودرّعه مرهونةً ، ولم يُسأل حاجة قطّ فقال : لا ، وكان
إذا سُئِلَ أعطى ، وإذا وعد أو أطمع كان وعده كالبيان^(٤) ، وإطماعه كالإنجاز ،
ومدّحته الشعراء بالجود ، وذكرته الخطباء بالسّماح ، ولقد كان يهب للرجل
الواحد الضّاحجة^(٥) من الشّاء ، والعرج^(٦) من الإبل - وكان أكثر ما يهبُ
المَلِكُ من العرب مائة بعير فيقال : وهب هنيئدة^(٧) ، وإنما يقال ذلك إذا
أريد بالقول غاية المدح - ولقد وهب^(٨) لرجل ألف بعير فلما رآها تردحم في
الهُوَادِي^(٩) ، قال : أشهد أنك نبيّ ، وما هذا مما تجود به لأنفس ، وفخرت
هاشم على سائر قريش فقالوا : نحن أطعمم للطعام ، وأضربم للهام ، وذكرها

(١) الإفضال والإسام .

(٢) ساحل البحرين بين عمان وعدن .

(٣) المخلاف : الكورة ، بلغة أهل اليمن .

(٤) مصدر طين السوء : أبصره . والمعنى : أن وعده في الوثوق بحقيقته كالشيء المشاهد .

(٥) الضّاحجة : الغنم الكثيرة .

(٦) العرج بالفتح والكسر من الإبل : ما بين السعين إلى الثمانين . وقيل : هو ما بين الثمانين

إلى التسعين ، وقيل مائة وخمسون وفوق ذلك ، وقيل من خمسمائة إلى ألف .

(٧) هند وهنيئة : اسم للمائة من الإبل خاصة .

(٨) أي النبي صلى الله عليه وسلم .

(٩) الهادية والهادي : العتق ، والهادية من كل شيء : أوله وما تقدم منه ، وفي النسخ

« الهوادي » ولا معنى لها .

بعض العلماء فقالوا : أجوادٌ أمجادٌ ، ذَوُو ألسنةٍ حِداد ، وأجمعتِ الأمُّ كلُّها :
بَحِيلُهَا وَسَخِيْهَا وَمَمَزُوجُهَا ^(١) ، على ذم البخل وحمد الجود ، كما أجمعوا على ذم
الكذب وحمد الصدق ، وقالوا : أفضلُ الجُودِ الجُودُ بالمجهود ^(٢) ، وحتى قالوا
في جُهدِ المُقِلِّ ^(٣) ، وفيمن أخرج الجهدَ وأعطى الكلَّ ^(٤) ، وحتى جعلوا لمن
جاد بنفسه فضيلةً على من جاد بماله ، فقال الفرزدق :

على ساعةٍ لو كان في القوم حاتمٌ على جُوده ، صَنَّتْ به نفسُ حاتمٍ ^(٥)
ولم يكن الفرزدق ليضربَ المثلَ في هذا الموضع بكعب بن مامة ، وقد
جاد بحَوْبائه عند المصافنة ^(٦) ، فما رأينا عريًّا سَفَّةَ حِلْمِ حاتمٍ لجوده بجميع ماله ،

(١) أى من امتزج فيه السخاء بالبخل ، فكان وسطا بين الكريم والبخل .

(٢) المجهود هنا : الجهد ، أى الجود بقدر الجهد والطاقة ولو كان المعطى مقلا .

(٣) أى قالوا فى الثناء على الفقير الذى يجود بما يستطيع ، فى الأثر : « أفضل العطية جهد المقل » . وقالوا : « جهد المقل أفضل من غنى المكث » .

(٤) أى وقالوا فىمن بذل جهده على إقلاقه ، وفيمن خرج عن كل ماله فى بذل المعروف .

(٥) كان الفرزدق قد صافن رجلا من بني العنبر بن عمرو بن تميم . فطلب منه العنبرى أن يؤثره على نفسه ففعل (والمصافنة فى السفر : أن يقاسم الرقيق رفيقه الماء حتى لا يفنى أحدهما الآخر) ويروى البيت :

على ساعة لو أن فى القوم حاتما على جوده ماجاد بالماء حاتم

بكسر ميم حاتم على أنه بدل من الضمير فى جوده .

(٦) الحوباء : النفس . وكان كعب بن مامة الإيادى أحد أجواد العرب الذين ضرب بهم المثل فى الجود ، فقيل : « أجود من كعب بن مامة » . ومن حديثه أنه خرج فى ركب فىهم رجل من النمر ابن قاسط فضلوا فتصافنوا ماءهم ، فقدموا للعرب ، فلما دار القعب فاتمى إلى كعب أبصر النمرى يحدد النظر إليه فآثره بمائه وقال للساقى : اسق أخاك النمرى ، فمرب النمرى مصيب كعب ذلك اليوم من الماء ، ثم نزلوا من غدهم المنزل الآخر فتصافنوا بقية ماءهم ، فنظر إليه النمرى كمنظرة أمسه ، فقال كعب كفو له أمس ، وارتحل القوم ، وقالوا : يا كعب ارتحل فلم يكن به قوة للنهوض ، وكانوا قد قربوا من الماء ، فقيل له : رد — كعب — لك رواد ، فعجز عن الجواب ومات عطشا ، فقال أبوه مامة يرثيه : أوفى على الماء كعب ثم قيل له رد كعب لك واد فصار ودا

« مجمع الأمثال ١ : ١٢٣ » وقوله « ولم يكن الفرزدق ليضرب المثل » أى ليشبه بكعب بن مامة — لأنه آثر هو أيضا العنبرى على نفسه — وفى الكلام حذف ، والقدير : لم يكن ليفعل ذلك إلا لبلوغه الغاية فى كرم النفوس .

ولا رأينا أحدا منهم سَفَهَ حِلْمَ كُفْبٍ على جوده بنفسه ، بل جعلوا ذلك من كعبٍ لإيادٍ مَفْتَحَرَا ، وجعلوا ذلك من حاتم طيٍّ مَأْثَرَةً لَعَدْنَانٍ على قَحْطَانٍ ، ثم للعرب على المعجم ، ثم لسُكَّانِ جزيرة العرب ولأهل تلك البرِّيَّةِ على سائر الجزائر والتَّربِ ، فمن أراد أن يخالف ماوصف الله جلَّ ذِكْرُهُ به نفسه ، وما مَنَحَ من ذلك نبيَّه صلى الله عليه وسلم ، وما فَطَرَ على تفضيله العربَ قاطبةً والأُمَمَ كافَّةً ، لم يكن عندنا فيه إلا إكْفَارُهُ واستسقاطُهُ ، ولم نَرَ الأُمَّةَ أَبْغَضَتْ جَوَادًا قَطُّ ولا حَقَرَتْهُ ، بل أَحَبَّتْهُ وأعظَّمَتْهُ ، بل أَحَبَّتْ عَقِبَهُ وأعظَّمَتْ من أَجْلِهِ رَهْطَهُ ، ولا وجدناهم أَبْغَضُوا جَوَادًا لمجاوزته حَدَّ الجودِ إلى السَّرَفِ ولا حَقَرَتْهُ ، بل وجدناهم يتعلمون مناقِبَهُ ، ويتدارسون محاسنَهُ ، وحتى أضافوا إليه من نوادر الجميل^(١) ما لم يفعلهُ ، ونَحَلُّوه^(٢) من غرائب الكرم ما لم يكن يَبْلُغُهُ ، ولذلك زعموا أن الشَّاءَ في الدنيا يُضَاعَفُ كما تُضَاعَفُ الحَسَنَاتُ في الآخرة ، نعم وحتى أضافوا إليه كلَّ مديحٍ شَارِدٍ ، وكلَّ معروفٍ مجهولٍ الصَّاحِبِ . ثم وجدنا هؤلاء بأعيانهم^(٣) للبخل على صِدْقِ هذه الصِّفَةِ ، وعلى خلافِ هذا المذهب ، وجدناهم يُبْغِضُونَهُ مرةً ، ويَحْقِرُونَهُ مرةً ، وَيُبْغِضُونَ بِفَضْلِ بَغْضِهِ وَلَدَهُ ، ويَحْتَقِرُونَ بِفَضْلِ احْتِقَارِهِمْ لَهُ رَهْطَهُ ، وَيُضَيِّفُونَ إِلَيْهِ مِنْ نَوَادِرِ اللُّؤْمِ ما لم يَبْلُغُهُ ، ومن غرائب البخل ما لم يفعلهُ ، وحتى ضاعفوا عليه من سوء الشَّاءِ بقدر ما ضاعفوا

(١) أى العمل الجميل .

(٢) نحلوه : سبوا إليه .

(٣) فى السنخ « بأنعامهم » .

للجواد من حُسن الثناء ، وعلى أَنَّا لا نجد الجوائح^(١) إلى أموال الأسخياء
أسرعَ منها إلى أموال البخلاء ، ولا رأينا عددَ مَنْ اقتقر من البخلاء أَقلَّ ،
والبخيلُ عند الناس ليس هو الذى يخل على نفسه فقط ، فقد يستحقُّ
عندهم اسمَ البخيل ، ويستوجب الذمَّ ، من لا يدع^(٢) لنفسه هوى إلا
ركبَه ، ولا حاجةً إلا قضاها ، ولا شهوةً إلا ركبها ، وبلغ فيها غايته ،
وإنما يقع عليه اسمُ البخيل إذا كان زاهداً فى كل ما أوجبَ الشكرَ ، ونوّه
بالذكر ، وادّخر الأجر ، وقد يعلّق البخيلُ على نفسه من المؤن ، ويلزمها
من الكُلف ، ويتخذ من الجوارى والخدم ، ومن الدوابِّ والحشم^(٣) ،
ومن الآنية العجيبة ، ومن البرّة^(٤) الفاخرة ، والشارّة^(٥) الحسنة ، ما يُرِي^(٦)
على نفقة السّخّي المثرى ، ويضعف^(٧) على جود الجواد الكريم ، فيذهبُ
ماله وهو مذموم ، ويتغيّر حاله وهو مَلُوم ، وربما غلبَ عليه حُبُّ
اأقِيان^(٨) ، واشتهر^(٩) بالخِصيان ، وربما أفرط فى حُبِّ الصيد ، واستولى
عليه حُبُّ المراكب^(١٠) ، وربما كان إتلافه فى العُرُس والخُرُس^(١١) والوليمة ،

(١) جمع جائحة : وهى الآفة .

(٢) فى بعض النسخ « ولا يدع » .

(٣) الحشم : الخدم .

(٤) الهيئة ، يقال : هو حسن البرّة .

(٥) الشارة هنا : الزينة واللباس .

(٦) يقال : أربى الفىء على كذا أى زاد عليه .

(٧) ضعف يضعف من باب كرم : زاد ، وفى الحديث « تضعف صلاة الجماعة على صلاة الفرد

خمسة وعشرين درجة » أى تزيد عليها .

(٨) جمع قينة : وهى الأمة البيضاء ، مغنية أو غير مغنية .

(٩) أى اشتهر بمحابة الخِصيان ، وذلك ضرب من البذخ .

(١٠) جمع مركب : وهو ما يركب من الخيل ونحوها .

(١١) الحرس بالضم والحراس بالكسر : طعام يصنع ابتهاجا بالولادة .

وإسرافه في الإعذار^(١) وفي العقيقة^(٢) والوكيرة^(٣) ، وربما ذهبت أمواله في الوضائع^(٤) والودائع ، وربما كان شديد البخل شديد الحب للذكر ، ويكون بخله أو شج ، ولو لم يمتدح ، فينفق أمواله ، ويؤلف خزائنه ، ولم يخرج كفافا^(٥) ولم ينبج سليما ، كأنك لم تربخيا مخدوما^(٦) ، وبخيا مضعوبا^(٧) ، وبخيا مضيا ، وبخيا نقاجا^(٨) ، وبخيا ذهب ماله في البناء ، وبخيا ذهب ماله في الكيمياء^(٩) ، وبخيا أنفق ماله في طمع كاذب ، وعلى أمل خائب ، وفي طلب الولايات ، والدخول في القبالات^(١٠) ، وكانت فتنته بما يؤمل من الإمرة ، فوق فتنته بما قد حواه من الذهب والفضة ، قد رأينا ينفق على مائتته وفاكته ألف درهم في كل يوم ، وعنده في كل يوم عرس^(١١) ، ولأن يطعن طاعن في الإسلام أهون عليه من أن يطعن طاعن في الرغيف الثاني ، وأشق عصا الدين أهون عليه من شق رغيف ، لا يعدُّ

(١) الإعذار والعتذار (الكسر) والعذر والعذرة : ولية الحتان ، وطعام البناء .
(٢) الشاة تدبغ في اليوم السابع من ولادة المولود ابتهاجا به . وأصل العقيقة : الشعر الذي يكون على رأس الصبي حين يولد ، وإنما سميت تلك الشاة التي تدبغ في تلك الحال عقيقة ، لأنه يخلق عنه ذلك الشعر عند الدبغ .

(٣) الطعام يتخذ الرجل ويدعو إليه عند انتهاء ما كان بينه .

(٤) جمع وضعة : وهي ما يرمعه الدائن عن المدين من الدين .

(٥) الأصل في معنى الكفاف ما يكف عن سؤال الناس ويعي ، ومعنى لم يخرج كفافا هنا : لم يخرج خاليا من الذم .

(٦) بتخيل الكاتب أن المخاطب مكر دعواه لما فيها من الغرابة فهو يتجه إليه قائلا : كأنك لم تربخيا مخدوما الخ .

(٧) المضعوف : ضعيف الرأي .

(٨) العجاج : المدعى التباهي بما ليس فيه .

(٩) الكيمياء ، في زعمهم تحويل المعادن الحسيسة بالصناعة إلى معادن نفيسة .

(١٠) القباله : اسم لما يلتزمه الإنسان من عمل ودين ونسوها ، والقبيل : الكفيل والضامن ، وقد

قبل به كنصر وسمع وصر ب .

(١١) العرس : من معانيه الوليمة .

الثَّلمة^(١) في عِرْضه ثلمة ، ويُعْذُّها في ثريدته من أعظم الثُّلم ، وإنما صارت الآفات إلى أموال البخلاء أسرع ، والجوائحُ عليهم أَكَلَبَ^(٢) ، لأنهم أقلُّ توَكُّلاً ، وأسوأ بالله ظناً ، والجَوَادُّ إما أن يكون متوكلاً ، وإما أن يكون أحسن بالله ظناً ، وهو على كل حال بالمتوَكِّل أشبه ، وإلى ما أشبهه أنزع^(٣) ، وكيفما دارَ أمرُه ، ورجعتِ الحال^(٤) به ، فليس ممن يتَّكِل على حزمه ، ويلجأ إلى كَيْسِه ، ويرجع إلى جَوْدَة احتياطه ، وشدة احتراسه ، واعتلال البخل بالحدَثان^(٥) ، وسوء الظن بتقلُّب الزمان ، إنما هو كناية عن سوء الظن بخالق الحدَثان ، وبالذي يُحدِث الأزمانَ وأهل الزمان ، وهل تَجْرِي الأحداثُ إلا على تقدير المُحدِث لها ؟ وهل تختلف الأزمنةُ إلا على تصرف من دَبَّرَها ؟ أولسنا وإن جَهِلْنَا أسبابها فقد^(٦) أَيْقَنَّا بأنها تَجْرِي إلى غاياتها ؟ والدليلُ على أنه ليس بهم خوفُ الفقر ، وَأَنَّ الجمعَ والمنعَ إما أن يكون عادةً منهم ، أو طبيعةً فيهم ، أَنَّكَ قد تجد الملكَ بخيلاً ، ومملكته أوسع ، وخرَجُه أَدْرُ ، وعدوُّه أَسْكَنُ ، وتجد آخرًا أكثرَ منه جُوداً^(٧) ، وإن كانت مملكته أضيق ، وخرَجُه أَقلُّ ، وعدوُّه أشدَّ حركةً ، وقد عَلِمْنَا أن الزَّنجَ أقصرُ الناسِ مِرَّةً^(٨) ورويةً ، وأذهَلُهُم عن معرفة العاقبة^(٩) ، فلو كان سخاوُهم إنما

(١) الثلمة : الشق .

(٢) أَكَلَبَ . (٣) أميل .

(٤) تشابهت الحوادث عليه .

(٥) أى بالخوف من حوادث الدهر .

(٦) الفاء زائدة .

(٧) فى بعض النسخ « وتجد أحزم منه جواداً » .

(٨) المرة : العقل والأصالة والإحكام ، وفى الأصل « مدة » وهو تحريف .

(٩) أى وهم مع ذلك أسخياء .

هو لِكَلالِ حَدِّمْ^(١)، ونقص عقولهم، وقلة معرفتهم، لكان ينبغي لفارس أن تكون أبخل من الروم، وتكون الروم أبخل من الصقالبة^(٢)، وكان ينبغي في الرجال - في الجملة - أن يكونوا أبخل من النساء - في الجملة - وكان ينبغي للصبيان أن يكونوا أسخى من النساء، وكان ينبغي أن يكون أقل البخلاء عقلا أعقل من أشد الأجواد عقلا، وكان ينبغي للكلب - وهو المضروب به المثل في اللؤم - أن يكون أعرف بالأمور من الديك المضروب به المثل في الجود^(٣)، وقالوا هو أسخى من لافظة^(٤)، والأم من كلب على جيفة^(٥)، والأم من كلب على عرق^(٦)، وقالوا: أجمع كلبك يتبعك^(٧)،

(١) كلال الحد: أصله في السيف والسكين ونحوهما، والمراد هنا قلة الذكاء.

(٢) الصقالبة: جيل تناخم بلادهم بلاد الخزر (في روسيا الآن) - وبحر الخزر بالتحريك هو بحر قزوين - .

(٣) وصف الديك بالجود لأن من عادته أن يدعو الدجاج ويشير لها الحب.

(٤) من أمثال العرب « أسمع من لافظة » قال الميداني: « قد اختلفوا فيها فقال بعضهم: هي الديك لأنه يأخذ الحبة بمنقاره فلا يأكلها ولكن يلقها إلى الدجاجة - والهاء فيها للمبالغة هاهنا - وقال بعضهم: هي العنز التي تشلى للحلب فتجىء لافظة بجرتها فرحا بالحلب. وقال بعضهم: هي الحمامة، لأنها تخرج مافي بطنها لفرخها، وقال بعضهم: هي الرحى، لأنها تلفظ ما تطحنه أي تعذب به، وقال بعضهم هي البحر، لأنه يلفظ بالدارة التي لا قيمة لها (أي لنفاستها) قال الشاعر:

تجود فتجزل قبل السؤال وكفك أسمع من لافظة

- انظر مجمع الأمثال ١: ٢٣٨ - .

(٥) أورده الميداني في مجمع الأمثال ١: ١٥٤ « أحرص » .

(٦) ورد في مجمع الأمثال ٢: ١٣٨ والعرق العظم أكل لحمه أولم يؤكل .

(٧) ويروى « جوع » مثل يضرب في معاينة اللثام وما ينبغي أن يعاملوا به، وأول من قال ذلك ملك من ملوك حمير. كان عنيقا على أهل مملكته يفصمهم أموالهم ويسلبهم مافي أيديهم وكانت الكهنة تخبره أنهم سيقتلونه فلا يحفل بذلك. وصمعت امرأته أصوات السؤال فقالت: إني لأرحم هؤلاء لما يلقون من الجهد، ونحن في العيش الرغد، وإني لأخاف عليك أن يصيروا سباعا، وقد كانوا لنا أنبعا، فرد عليها: جوع كلبك يتبعك، وأرسلها مثلا، فلبث بذلك زمانا، ثم أغرام فغنموا ولم يقسم فيهم شيئا، فلما خرجوا من عنده قالوا لأخيه وهو أميرهم: قد ترى مانعنا فيه من

وَنَعِمَ كَلْبٌ فِي بُوْسِ أَهْلِهِ^(١)، وَسَمِّنَ كَلْبَكَ يَا كَلْبُكَ^(٢) وَأَحْرَصُ مِنْ كَلْبٍ
عَلَى عَقِي صَبِي^(٣)، وَأَجُوعٌ مِنْ كَلْبَةٍ حَوَمَلٍ^(٤)، وَلَهُوَ أَبْدَأُ مِنْ كَلْبٍ^(٥)،
وَحَشٌّ فَلَانٌ مِنْ خُرءِ الْكَلْبِ^(٦)، وَاخْسَأُ، كَمَا يُقَالُ لِلْكَلْبِ^(٧)، وَكَالْكَلْبِ
فِي الْآرِي^(٨)، لَا هُوَ يَعْتَلِفُ، وَلَا هُوَ يَتْرَكَ الدَّابَّةَ تَعْتَلِفُ، وَقَالَ الشَّاعِرُ:
سَرَتْ مَا سَرَتْ مِنْ لَيْلِهَا ثُمَّ عَرَّسَتْ عَلَى رَجُلٍ بِالْعَرَجِ الْأَمِّ مِنْ كَلْبٍ^(٩)

الجهد، ونجن نكره خروج الملك منكم أهل البيت إلى غيركم، فساعدنا على قتل أخيك واجلس مكانه،
وكان قد عرف بغيه واعتداه عليهم فأجابهم إلى ذلك، فوثبوا عليه فقتلوه، فرب به عامر بن جذيمة
وهو مقتول وقد سمع بقوله «حوم كلبك يتبعك» فقال: ربما أكل الكلب مؤدبه، إذا لم ينل
شبعه، فأرسلها مثلاً — مجمع الأمثال ١: ١١١.

(١) ويروى «نعم الكلب في بؤس أهله» و«في بؤس أهله» وذلك أن الجذب والبؤس يكثر
الموتى والجيف، وذلك نعم الكلب. قيل أصله أن بعض الأعراب كان له بعير يكره فينتفع بما يعود
منه، وله كلب يقصر في إطعامه فهو يتلف جوعاً، فبات البعير، فرجع الرجل إلى سوء حال،
والكلب إلى خصب، يضرب مثلاً للرجل ينتفع بضرر غيره، مجمع الأمثال ٢: ١٩٥ وجهرة الأمثال
٢: ٢٣٤.

(٢) ويروى «أسمن» قالوا: أول من قال ذلك حازم بن المنذر الحناني. وذلك أنه مر بمحلة همدان
فاذا هو بسلام ملفوف في ثوب خلق مبتذل، فرحه وحمله على مقدم سرجه حتى أتى به منزله، وأمر
أمة له أن ترضعه فأرضعته حتى فطم، وأدرك وراحم الحلم فجعله راعياً لغمه، وكان لحازم ابنة،
فهويت الغلام وهويها، وكان ذا منظر وجمال، فكانت تتبعه إلى موضع الكلاء فيتغازلان، ولبثا على
ذلك أياماً، ثم إن أباهما افتقدهما يوماً وفطن لها فرصدها حتى إذا خرجت نعبها، فأتتهما إليهما وهما
على سوءة، فلما رآهما قال: سمين كلبك يا كلبك، فأرسلها مثلاً، وأفلت الغلام ولحق بقومه همدان
واختنقت الفتاة فماتت. وقيل: إن رجلاً من طسم ارتبط كلباً، فكان يسمنه ويطعمه رجاء أن
يصيد به، فاحتبس عليه يطعمه يوماً فدخل عليه صاحبه فوثب عليه فاقتصره — مجمع الأمثال ١: ٢٢٦.

(٣) مجمع الأمثال ١: ١٥٤ والمعنى: أول حدث الصبي، وفي النسخ «عقي ظبي» وهو تحريف.
(٤) حومل: امرأة من العرب كانت تجمع كلبه لها، فكانت تربطها بالليل للحراسة، وتطردّها
بالنهار، وتقول: التمس لنفسك لاملتمس لك، فلما طال ذلك عليها أكلت ذنبها من الجوع، قال
الكميت يذكر بني أمية ويذكر أن رعايتهم للأمة كراية حومل لكلبتها:

كما رضيت جوعاً وسوء رعاية لكلبتها في سالف الدهر حومل

(٥) أي أخش، وبذاءة الكلب هنا: كثرة هريره لسبب وأغير سبب.

(٦) حش المال: كثرة، أي كثر فلان ماله من أدنى الوجوه التي تشبه خرد الكلب.

(٧) أي وقالوا لمن يطرد أخساً كما يقال للكلب.

(٨) الآري: محبس الدابة. وحبل تشد به الدابة في محبسها.

(٩) الضمير يعود إلى الناقة، والتعريس: نزول المسافر في آخر الليل للاستراحة، والمرج: بلدة

وقال الله جل ذكره : « فَشَلُّهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ ،
أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ » وكان ينبغي في هذا القياس أن يكون المَرَاوِزَةُ^(١) أعقلَ
البرية ، وأهل خراسان أذرى البرية^(٢) ، ونحن لا نجد الجواد يفرُّ من اسم
السرف إلى الجود ، كما نجد البخيل يفرُّ من اسم البخل إلى الاقتصاد ، ونجد
الشجاع يفرُّ من اسم المنهزم ، والمستحي يفرُّ من اسم الخجل ولو قيل
لخطيب ثابت الجنان « وَقَاحٌ^(٣) » لجَزِعَ ، فلولم يكن من فضيلة الجود
إلا أن جميع المتجاوزين لحدود أصناف الخير يكرهون اسم تلك الفضلة^(٤)
إلا الجواد ، لقد كان في ذلك ما يبين قدره ، ويظهر فضله ، المال فاتنٌ ، والنفسُ

بالين ، وواد بالحجاز ذو نخيل ، وموضع بيلاد هذيل ، ومنزل بطريق مكة .
(١) المَرَاوِزَةُ : أهل مرو الشارهبان : أشهر مدن خراسان وقصبتها ، جمع مروزي ، نسبة
إلى مرو على غير قياس ، كأشاعرة جمع أشعري — انظر معجم البلدان ٨ : ٣٣ .
(٢) أى لأنهم أشد الناس بخلًا ، وقد عقد الجاحظ في كتاب البخل (ص ١٤) فصلاً طويلاً في
وصف بخلهم قال فيه : « نبدأ بأهل خراسان ، لا كثر الناس في أهل خراسان ، ونخص بذلك
أهل مرو بقدر ما خصوا به . قال أصحابنا : يقول المروزي للزائر إذا أتاه ، وللجليل إذا طال جلوسه ،
تفديت اليوم ؟ فإن قال نعم ، قال : لولا أنك تفديت لفديتك بغداء طيب ، وإن قال لا ، قال :
لو كنت تفديت لسقيتك خمسة أقداح ، فلا يصير في يده على الوجهين قليل ولا كثير ، وكنت في منزل
ابن أبي كريمة — وأصله من مرو — فرآني أتوضأ من كوز خزف ، فقال : سبحان الله ، تتوضأ
بالعذب ، والبثر لك معرضة ! قلت : ليس بعذب ، إنما هو من ماء البثر ، قال : ففسد علينا كوزنا
بالموحة ! فلم أدر كيف أتخلص منه .

وقال ثمامة : لم أر الديك في بلدة قط إلا وهو لا قط ، يأخذ الحبة بمنقاره ثم يلفظها قدام
الدجاجة إلا ديكه مرو ، فإني رأيت ديكه مرو تسلب الدجاجة ما في مناقيرها من الحب ، قال : فعلت أن
بخلهم شيء في طبع البلاد وفي جواهر الماء ، فن تم عم جميع حيواناتهم ، فحدثت بهذا الحديث أحمد
ابن رشيد فقال : كنت عند شيخ من أهل مرو وصبي له صغير يلعب بين يديه ، فقلت له — إما عابثاً
ولما ممتحناً — : أطعمني من خبزكم ، قال : لا تريده ، هو مرء ، فقلت : فاسقني من مائكم ، قال :
لا تريده ، هو مالخ ، قلت : هات من كذا وكذا ، قال : لا تريده هو كذا وكذا ، إلى أن عددت
أصنافاً كثيرة ، كل ذلك يمنعني ويمنعه إلى ، فضحك أبوه ، وقال : ما ذنبنا ، هذا من علمه ما تسمع ؟
يعني أن البخل طبع فيهم وفي أعراقهم وطيتهم ... » .

(٣) الرجل الصلب الذي قل حياؤه .

(٤) أى الزيادة في الفضيلة وتجاوز الحد فيها .

راغبة ، والأموالُ ممنوعة ، وهي^(١) على ما مُنِعَتْ حريصةٌ ، والنفوسُ في المكاثرةِ عِلَّةٌ معروفةٌ ، لأن من لافكرة له ولا روية ، مُوَكَّلٌ^(٢) بتعظيم ذى الثروة ، وإن لم تكن منه منالة^(٣) ، وقد قال الأول :

وزادها كلفاً بالحُبِّ أن مُنِعَتْ وحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مُنِعَا

وفي بعض كتب الفرس : كلُّ عزيز تحت القدرة فهو ذليل .

وقالت مُعَاذَةُ الْمَدَوِيَّةُ : كل مقدورٍ عليه فَقْلِي^(٤) أو محقور : ولو كانوا لأولادهم يجمعون ، ولهم يكُدُّون ، ومن أجْلهم يحْرِصون ، لجعلوا لهم كثيراً مما يطلبون ، ولتركوا محاسبتهم في كثير مما يشتهون ، وهذا بعضُ ما بَغَضَ بعضَ المورثين إلى الوارثين ، وزهد الأخلاف^(٥) في طول عمر الأسلاف ، ولو كانوا لأولادهم يُمَهِّدُونَ ، ولهم يجمعون ، لما جمع الخِصْيَانُ الأموال ، ولما كَنَزَ الرُّهْبَانُ الْكُنُوزَ ، ولا ستراح العاقرُ من ذلِّ الرغبة ، ولستِمِ الْعَقِيمُ من كدِّ الْحِرْصِ ، وكيف ونحن نبجده بعد أن يموت ابنه الذى كان يعتلُّ به ، والذى مِنْ أَجْلِهِ كَانَ يجمع ، على حاله^(٦) فى الطَّلَبِ والحِرْصِ ، وعلى مثل ما كان عليه من الجَمْعِ والمنع ، والعامة لم تقصِّر فى الطلب والحُسْكَرة^(٧) ،

(١) أى النفس .

(٢) أى جاعل تعظيم ذى الثروة من شغله كأنه مولع به مفتون .

(٣) النال والمنالة والنال مصدر نلت أنال ، ويقال : نلت له بفسى أى جدت .

(٤) قلاه يقلبه قلى وقلاء ، ويقلاه لغة طيء : أبغضه غاية البغض ، قال ابن السكيت ولا يكون فى

البغض إلا قليت ، وفى النسخ « فقلو » .

(٥) أخلاف جمع خلف بالتحريك : وهم أبناء الإنسان الذين يخلفونه بعد موته .

(٦) متعلق الجار والمجرور مفعول ثانٍ لتجد .

(٧) اسم من الاحتكار .

والبخلاء لم يحدوا شيئاً من جهدهم^(١) ، ولا عَفَوْا بعد قدرتهم^(٢) ، ولا قَصَرُوا
 في شيء من الحرص والحصر^(٣) ، لأنهم في دار قلعة^(٤) ، وتعرض ثقله^(٥) ،
 حتى لو كانوا بالخلود موقنين لأغفلوا تلك الفضول ، فالبخيل مجتهد ، والعامي
 غير مقصر ، فمن لم يستعن على ما وصفنا^(٦) بطبيعة قوية ، وبشهوة شديدة ،
 وبنظر شاف ، كان إما عامياً ، وإما بخيلاً شقيماً ، فقيم اعتلائهم بأولادهم ،
 واحتجاجهم بخوف التلون من أزمتههم ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 لو افيد كذب عنده كذبة - وكان جواداً - : « لولا خصلة^(٧) ومقك الله
 عليها ، لشردت بك من وافر قوم » وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم : هل لك
 في ييض النساء وأدم الإبل^(٨) ؟ قال : ومن هم ؟ قال : بنو مذحج ، قال :
 « يمنعني من ذلك قراهم الضيف ، وصلتهم الرحيم » وقال لهم أيضاً : « إذا
 نَحَرُوا ثَجُّوا^(٩) ، وإذا لَبَّؤا عَجُّوا^(١٠) » وقال للأَنْصار : مَنْ سيدكم ؟ قالوا :
 الحر^(١١) بن قيس ، على أنه يُزَنُّ^(١٢) فينا يُنخل ، فقال : « وأى داء أدوا من

-
- (١) في السح « لم يحدوا » والصواب « لم يحدوا » أي لم يحسوا جهدهم في جمع الأموال .
 (٢) في السح « ولا عفوا » بالص ، والصواب « ولا عفوا » أي عن الكد والكدح بعد قدرتهم
 على العيش بما تجمع لديهم من مال .
 (٣) الحصر : البخل .
 (٤) يقال : الدنيا دار قلعة ، أي اعلال وارحال .
 (٥) أي إن الدنيا دار يتعرض فيها المرء للانتقال .
 (٦) وهو ممكن العمل والحشع في العوس . (٧) ومقه : أحبه .
 (٨) الأدم جمع آدم وأدماء ، والأدمة في الإبل بالصم : لون مشرب سواداً أو بياضاً أو هوالياص
 الواصح والتقدير : هل لك في قوم ييض النساء ..
 (٩) ثجوا : أسالوا دماء الدائح في الحش .
 (١٠) التلية في الحش : قول ليك اللهم ليك ، وعش يصح بالكسر والفتح : صاح ورفع صوته .
 (١١) هكذا في العقد المريد ، وفي السح « حد بن قيس » .
 (١٢) يزن : يطن وتهم .

البخل ؟ » ثم جعله من أدول الداء ، وقال للأَنْصار : « أَمَا وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُكُمْ إِلَّا لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفَزَعِ ، وَتَقْلُونَ عِنْدَ الطَّمَعِ » وقال : « كَفَى بِالْمَرْءِ حِرْصًا رَكُوبُهُ الْبَحْرَ » وقال : « لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَيْنِ مِنْ مَالٍ لَا يَتَغَيُّ ثَلَاثًا ، وَلَا يُشْبِعُ ابْنَ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ » وقال : « السَّخَاءُ مِنَ الْحَيَاءِ ، وَالْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ » وقال : « إِنْ اللَّهُ جَوَادٌ يُحِبُّ الْجَوَادَ » وقال : « أَنْفِقْ يَا بَلَاءُ وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا ^(١) » وقال : « لَا تُؤْكِرْ فِتْوَىكَ عَلَيْكَ ^(٢) » وقال : « لَا تُخْصِ فِخْصِي عَلَيْكَ » وقالوا : لَا يَنْفَعُكَ مِنْ زَادٍ مَا تَبَقَّى ^(٣) ، وَلَمْ يُسَمِّ الدَّهَبَ وَالْفِضَّةَ بِالْحَجَرَيْنِ إِلَّا وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَضَعَ مِنْ أَقْدَارِهَا ، وَمِنْ فِتْنَةِ النَّاسِ بِهِمَا ، وَقَالَ لَقَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ : « إِنَّمَا لَكَ مِنْ مَالِكَ مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ ، وَمَا لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ ، وَأَوْعَيْتَ فَأَمْضَيْتَ ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَلِلْوَارِثِ » وَقَالَ النَّبِيُّ بْنُ تَوَلَّبَ :

وَحَشَّتْ عَلَى جَمِيعٍ وَمَنْعَ ، وَنَفْسُهَا لَهَا فِي صُرُوفِ الدَّهْرِ حَقٌّ كَذُوبٍ ^(٤)
وَكَاثِنٌ رَأَيْنَا مِنْ كَرِيمٍ مُرْزَأٍ أَخِي ثِقَةً طَلَّقَ الْيَدَيْنِ وَهُوبٍ ^(٥)
شَهِدْتُ وَفَاتُونِي ، وَكُنْتُ حَسِبْتَنِي فَقِيرًا إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا وَتَغْيِي ^(٦)

(١) في المصحف : « أَنْفِقْ مَالًا ، وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا » .

(٢) أَوْكِيَ السَّخَاءُ : شَدَّ قَبْلَهُ لِحْل . وَالْمَعْنَى : لَا تَخْصِ الْخَيْرَ عَنِ النَّاسِ فَيُحْسِنَ عَلَيْكَ .

(٣) أَيُّ مَا رَأَى عَلَى حَاجَتِكَ .

(٤) الضمير في حَشَّتْ يعود على روحته ، يَقُولُ حَتَّى عَلَى جَمْعِ الْأَمْوَالِ وَمَعَ السَّائِلِينَ وَقَدْ كَدَّتْهَا نَفْسُهَا حَقًّا عِنْدَ مَا صَوَّرَتْ لَهَا الْخَوْفُ مِنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ وَأَحْدَانِهِ .

(٥) الْمُرَادُ : الْكَرِيمُ يَصَابُ مِنْ مَالِهِ كَثِيرًا .

(٦) يَقُولُ . قَدْ شَهِدْتَنِي وَطَابَ عَنِّي هَؤُلَاءِ الْكَرَمَاءُ ، وَكُنْتُ أَطْبَى فِي حَاجَةٍ إِلَيَّ أَنْ يَحْصِرُونِي لِأَنَّهُمْ عَلَى شَاكِلِي فِي الْكَرَمِ وَالْحُودِ وَتَغْيِي عَنِّي لِأَنَّهُمْ بِأَمْرِي عِنْدَ لَا يَلَاثُمُ شَيْئِي مِنَ الْجَمْعِ وَالْمَعْنَى .

أَعَاذِلْ إِنْ يُصْبِحُ صَدَايَ بِقَفْرَةٍ بَعِيدًا نَأْنِي صَاحِبِي وَقَرِيبِي ^(١)
تَرَى أَنْ مَا أَبْقَيْتُ لَمْ أَكُ رَبَّهُ وَأَنْ الَّذِي أَمْضَيْتُ كَانَ نَصِيبِي ^(٢)
وَذِي إِبْلِ يَسْعَى وَيَحْسِبُهَا لَهُ أَخِي نَصَبٍ فِي رَغْبِهَا وَذُؤْبٍ ^(٣)
غَدَتُ وَغَدَا رَبٌّ سِوَاهُ يَسُوقُهَا وَبُذِّلَ أَحْجَارًا وَجَالَ قَلِيبٍ ^(٤)
وَقَالَ أَيْضًا .

قَامَتْ تَبَاكِي أَنْ سَبَّاتُ لَفْتِيَةٍ زِقًا وَخَايِيَةً بِعَوْدٍ مُقْطَعٍ ^(٥)
وَقَرَيْتُ فِي مَقَرِّي قَلَائِصَ أَرْبَعًا وَقَرَيْتُ بَعْدَ قَرِي قَلَائِصَ أَرْبَعٍ ^(٦)

(١) جاء في لسان العرب : « قال أبو العباس المبرد : الصدى على ستة أوجه أحدها : ما يبقى من الميت في قبره ، وهو جثته . قال النمر بن تولب :

أَعَاذِلْ إِنْ يُصْبِحُ صَدَايَ بِقَفْرَةٍ بَعِيدًا نَأْنِي صَاحِبِي وَقَرِيبِي
فصداه : بدنه وجثته ، وقوله : نَأْنِي : أي نَأَى عَنِّي ، (ثم قال : والصدى : الذكر من اليوم . وكانت العرب تقول : إذا قتل قتيل فلم يدرك به الثأر خرج من رأسه طائر كالبومة ، وهي الهامة والذكر الصدى ، فيصبح على قبره استقوني استقوني ، فان قتل قاتله كف عن صياحه) - وقد أورد المبرد معاني الصدى مفصلة في شرحه لهذا البيت في كتابه الكامل ج ١ : ص ١٧٨ - وقال صاحب اللسان أيضًا في مادة نَأَى : « قال المبرد : نَأْنِي فِيهِ وَجْهَانِ : أَحَدُهُمَا أَنَّهُ بِمَعْنَى أُبْعِدَنِي كَقَوْلِكَ زِدْتَهُ فَزَادَ وَتَقْصِصْتَهُ فَتَقْصَسَ . وَالْوَجْهَ الْآخَرَ فِي نَأْنِي أَنَّهُ بِمَعْنَى نَأَى عَنِّي ، قَالَ أَبُو مَنْصُورَ : وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الْمَعْرُوفُ الصَّحِيحُ ، وَجَاءَ فِي الْكَامِلِ : « تَأْوِيلُ قَوْلِهِ نَأْنِي مَكُونٌ عَلَى خَرِيرَيْنِ : يَكُونُ أُبْعِدَنِي ، وَأَحْسَنُ ذَلِكَ أَنْ يَقُولَ أَنَا نَأْنِي ، وَقَدْ رُوِيَ هَذِهِ اللَّفْظَةُ الْآخَرَى وَلَيْسَتْ بِالْحَسَنَةِ ، وَإِنَّمَا جَاءَتْ فِي حُرُوفٍ ، يَقَالُ : حَاضَ الْمَاءُ وَغَضِنَتْهُ ، وَتَرَحَّتْ الْبِثْرُ وَتَرَحَّتْهَا ، وَهَبَطَ الْمَاءُ وَهَبَطَتْهُ - وَبَنُو تَيْمٍ يَقُولُونَ أَهْطَنَتْهُ - وَأَحْرَفَ سِوَى هَذِهِ يَسِيرَةً ، وَالْوَجْهَ فِي فِعْلِ أَفْعَلْتَهُ نَحْوَ دَخَلَ وَأَدْخَلْتَهُ ، وَمَاتَ وَأَمَاتَهُ اللَّهُ ، فَهَذَا الْبَابُ الْمَطْرُودُ ، وَيَكُونُ نَأْنِي فِي مَوْضِعِ نَأَى عَنِّي ، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ « وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ » أَي كَالُوا لَهُمْ وَوَزَنُوا لَهُمْ .

(٢) لم أكُ ربه : أي لم أكُ صاحبه ، وإِنَّمَا هُوَ مَالُ الْوَارِثِ .

(٣) « فِي رَغْبِهَا » رَوَايَةُ الْمَبْرَدِ ، وَفِي الْأَصْلِ « فِي شَقِهَا » .

(٤) أَحْجَارًا : أَي أَحْجَارَ الْقَبْرِ ، وَالْجَالُ : نَاحِيَةُ الْقَبْرِ وَحَاجَتُهُ ، وَالْقَلِيبُ : الْبِثْرُ ، وَالْمُرَادُ هُنَا الْقَبْرُ

(٥) تَبَاكِي : أَي أَسْفَا لِكُرَةِ مَا أَبْذَلَ لِلضِّيُوفِ ، وَسَبَّاءُ الْحُرِّ كَحَمَلٍ : شَرَاهَا . وَالزَّقُ وَالْحَايَةُ :

وَعَاءَانِ ، وَالْعَوْدُ : الْمَسْنُونُ مِنَ الْإِبِلِ ، وَالْمُقْطَعُ : الْبَعِيرُ قَامَ مِنَ الْهَزَالِ .

(٦) قَرَى الضَّيْفَ كَرَمِي قَرَى بِالْكَسْرِ : أَضَافَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ (وَهُوَ هُنَا عَلَى مَعْنَى أَطْعَمْتُ) ،

وَالْقَرَى بِفَتْحِ الْمِيمِ : مَكَانُ الْقَرَى (وَبِالْكَسْرِ : الْحَفْنَةُ) وَالْقَلَائِصُ جَمْعُ قَلَوِصٍ كَصَبُورٍ وَهِيَ النَّاقَةُ

الشَّابَّةُ الْقَوِيَّةُ ، وَالْمَعَى : أَطْعَمْتُ أَضْيَافِي قَلَائِصَ أَرْبَعًا ثُمَّ قَرَيْتُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ .

أَتَبَكِّيَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ هَيْنٍ ؟ سَفَهُ بَكَاءِ الْعَيْنِ مَا لَمْ تَدْمَعِ^(١)
فَإِذَا أَتَانِي إِخْوَتِي فَدَعِيهِمْ يَتَعَلَّلُوا فِي الْعَيْشِ أَوْ يَلْهَوْا مَعِي^(٢)
لَا تَطْرُدِيهِمْ عَنْ فِرَاشِي ، إِنَّهُ لَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ سَيَخْطُو مَضْجَعِي^(٣)
هَلَّا سَأَلْتُ بِعَادِيَاءِ وَبَيْتِهِ وَالْخَلِيلِ وَالْخَمْرِ الَّتِي لَمْ تُنْمَعْ^(٤)
وَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ حِلْزَةَ :

يَبْنَا الْفَتَى يَسْـَـمَى وَيُسْعَى لَهُ تَاحَ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ خَالِجٌ^(٥)
يَتْرُكُ مَارْقَحَ مِنْ عَيْشِهِ يَعِثُ فِيهِ هَمَجٌ هَامِجٌ^(٦)
لَا تَكْشَعُ الشُّوْلَ بِأَغْبَارِهَا إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَنْ النَّاتِجُ^(٧)
وَقَالَ الْهَذَلِيُّ :

- (١) قصد بالتبكي هنا التباكي وهو تكلف البكاء .
(٢) يتعللوا بالعيش : يتشاغلوا ويظهروا به ، وفي الأصل « في العيش » .
(٣) أي سأموت .
(٤) عادياء : أبو السموءل ، ورواية صاحب اللسان « والحل » بدل « والخيل » .
(٥) تاح له الفتى يتوح ويتيح : تهايا ، خالج : قالع منتزع .
(٦) الترقيح والترقيح : إصلاح العيسة . والهمج : الرعاع من الناس والهمل الذين لا نظام لهم ، وهامج توكيد له كفولهم يوم أيوم وليل أليل وليل لائل وليلة ليلاء ووتدواتد .
(٧) الشائلة من الأليل : ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر جف لبنها ، جمعها شول على غير قياس ، وأغبار جمع غبر بالضم : وهو بقية اللبن في الضرع ، وكسح الباقه بغيرها كنم : ترك في خافها بقية من اللبن يريد بذلك تغزيرها ، وهو أشد له ، وإذا ولي الإنسان ناقة أو شاة ماخضا حتى تضع قيل نتجها نتجا من باب صرب ، فالإنسان كالتغابله لأنه يلقى الولد ويصلح من شأنه ، فهو ناتج والبهيمة منتوجة والولد نتيجة . وأورد صاحب اللسان بعد هذا البيت بيتا آخر وهو :

واحلب لأضيافك ألباتها فإن شر اللبن الوالج

قال « والوالج : أي الذي يابح في ظهورها من اللبن المكسوع ، يقول : لا تنزر إبلاني تطلب بذلك قوة نسلها ، واحلبها لأضيافك فلعل عدوا يبر عليها فيكون نتاجها له دوماك » وقال الأبرد في الكامل - ج ١ : ص ١٨٠ - « قوله * لا تكسع السول بأغبارها * فإن العرب كانت تضع على ضروعها الماء البارد ليكون أسمن لأولادها التي في بطونها ، والعبر بقية اللبن في الضرع ، فيقول : لاسق ذلك اللبن لسمن الأولاد فإنك لا تدري من ينتجها فلعلك تموت فتكون للوارث أو يفار عايبها »

إِن الصَّكْرَامَ مُنَاهِبُو ك الْمَجْدَ كُلَّهُمْ فَنَاهِبٌ^(١)
أَخْلِفَ وَأَتْلَفَ ، كُلُّ شَيْءٍ ذَرَعَتُهُ الرِّيحُ ذَاهِبٌ^(٢)
وقالت امرأة :

أَنْتِ وَهَبْتَ الْفِتْيَةَ السَّلَاحِبَ وإِبْلًا يَحَارُ فِيهَا الْحَالِبُ^(٣)
وَعَنَّا مِثْلَ الْجَرَادِ الْهَارِبِ مَتَاعُ أَيَّامٍ ، وَكُلُّ ذَاهِبٍ^(٤)
وقال تميم بن مقبل :

فَأَخْلِفَ ، وَأَتْلَفَ ، إِنَّمَا الْمَالُ عَارَةٌ^(٥) وَكُلُّهُ مَعَ الدَّهْرِ الَّذِي هُوَ آكِلُهُ^(٥)
وقال أبو ذرٍّ : لَكَ فِي مَالِكَ شَرِيكَانِ : الْوَارِثُ وَالْحَدَثَانُ « وقال الحطيئة :
مَنْ يَفْعَلْ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
وَجَاءَ فِي الْأَثَرِ : « إِنْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ »
وَفِي الْمَثَلِ : « اصْنَعِ الْخَيْرَ وَلَوْ إِلَى كَلْبٍ » وَفِي الْحَثِ^(٦) عَلَى الْقَلِيلِ - فَضْلًا عَنْ
الْكَثِيرِ - قَالَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : « فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ » وَقَالَتْ عَائِشَةُ فِي حَبَّةِ عَنَبٍ : « إِنْ فِيهَا لِمِثْقَالِ
ذَرٍّ » وَلِذَلِكَ قَالُوا فِي الْمَثَلِ « مَنْ حَقَرَ حَرَمٌ^(٨) » وَقَالَ سَلَمٌ بْنُ قَتَيْبَةَ : « يَسْتَحْيِ

(١) ناهبه : ناره في العدو ، ساهوك المجد : أى مسابوك في إحرازه .

(٢) ذرّعته : حركته ، وفي البيان والتبيين : زعرعته الريح ، ولسب الشعر إلى المسعودي .

(٣) السلاحب مفعول ثانٍ لو هبت جمع سلهب بكسر ، وهو من الخيل ماعظم وطال عظامه ، وحيرة الحالب في الإبل : كناية عن كثرتها أو غزارة لبنها .

(٤) أى وهذه متاع أيام قليلة .

(٥) العارة : العارية ، وهى الشيء يستعار ثم يرد إلى صاحبه .

(٦) في النسخ « وقال في الحث » وفيها « فضلاً على الكثير » .

(٧) المِثْقَالُ هـا : المقدار والوزن .

(٨) أى من حفر القليل الذى لديه فلم يبدله حرم كثيراً من ذوى الحاجة ، وقال الميداني في تفسيره « أى من حفر يسيراً ما يقدر عليه ولم يقدر على الكثير . ضاعت لديه الحقوق » .

أحدهم من تقريب القليل من الطعام ، ويأبى أعظم منه » وقال : « جُهد المرء أكثر من عَفْوهِ ^(١) » وقَدَّمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم جُهدَ الْمُقِلِّ على عَفْوِ الْمُكْثِرِ ، وإن كان مَبْلَغُ جهده قليلا ، ومَبْلَغُ عَفْوِ الْمُكْثِرِ كثيرا ، وقالوا : « لا يَمْنَعُكَ من معروف صِغَرُهُ » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اتقوا النار ولو بِشِقِّ ^(٢) تمر » وقال : « لا تَرُدُّوا السَّائِلَ ولو بِظِلْفِ مُخْرَقٍ ^(٣) » وقال : « لا تَرُدُّوه ولو بِفَرَسَنٍ ^(٤) شاةٍ » وقال : « لا تَحْقِرُوا اللقمة فإنها تعود كالجبل العظيم ^(٥) » ، لقول الله جل ذكره : « يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ » وقال : « لا تَرُدُّوه ولو بصلة حَبْلٍ ^(٦) » وقالت العرب : « أتاكم أخوكم يَسْتِثْمُكُمْ ^(٧) فَأَتِمُّوا لَهُ » وقالوا : « مانع الإِتِمَامِ أَلَوْمٌ » وقالوا : « البخیل إن سأل أَلَفَ ^(٨) وَإِنْ سُئِلَ سَوَّفَ » ، وقالوا : « إِنْ سُئِلَ جَحَدًا ، وَإِنْ أُعْطِيَ حَقَّدَ » وقالوا : « يَرُدُّ قَبْلَ أَنْ يَسْمَعَ ، وَيَغْضَبُ قَبْلَ أَنْ يَفْهَمَ » وقالوا : « البخیل إذا سُئِلَ ارْتَزَ ^(٩) » ، وإذا سُئِلَ الجواد اهْتَزَّ » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يُنَادِي كُلُّ يَوْمٍ مُنَادِيَانِ مِنَ السَّمَاءِ يَقُولُ أَحَدُهُمَا : اللَّهُمَّ عَجِّلْ لِمَنْفِقٍ خَلْفًا ، وَيَقُولُ الْآخَرُ :

(١) أى ما يبذله المرء عن جهد وقلة أكثر ثوابا مما يبذله عن زيادة وسعة .

(٢) الشق : النصف .

(٣) الظلف : ظفر كل ما اجتز ، وهو للبقر والشاة والظباء وشبهها بمنزلة القدم للإنسان .

(٤) الفرسن : طرف خف البعير ، وقد يستعار للشاة .

(٥) أى يعود ثوابها يوم القيامة فى عظمه كالجبل العظيم .

(٦) أى ولو بصلة من حبل .

(٧) يستم : يطلب تمام ما يحتاج إليه .

(٨) ألَفَ : ألح .

(٩) ارتز : أمسك وبخل .

« اللهم عَجِّلْ لِمُسِيكِ تَلَفًا » وقالوا : « شَرُّ الثَلَاثَةِ الْمَلِيمُ ^(١) ، يَمْنَعُ دَرَّهُ ^(٢) وَدَرُّ غَيْرِهِ » وقال الله جل ذكره : « الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ » وقالوا في المثل : « إِذَا أَجْلَاكَ الدَّهْرُ إِلَى بَخِيلٍ ، شَرُّ مَا أَجْلَاكَ إِلَى مُنَّةٍ عُرْقُوبٍ ^(٣) » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « قُلِ الْعَدْلَ ، وَأَعْطِ الْفَضْلَ » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَنَهَا كَمَ عَنْ عَقُوقِ الْأَمْهَاتِ ، وَوَادِ الْبَنَاتِ ، وَمَنْعِ وَهَاتِ » وقال الله عز وجل : « وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا » وقال « لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ » وقال : « وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ، وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » وقالوا في الصبر على النائية وفي عاقبة الصبر : « عند الصبح يَحْمَدُ الْقَوْمُ الشَّرِيَّ ^(٤) » وقالوا « الْغَمَرَاتُ تَمُوتُ تَنْجَلِينَ ^(٥) » وقال الخزيمى :

(١) الثلاثة : م الأخذ والمعطى ومن يلوم المعطى ، وألام : أتى ما يلام عليه .

(٢) الدر : الاب ، والمراد هنا الخير عامة .

(٣) أَلْجَاكَ : اضطررك ، ويروى في القاموس « شرما أجاءك إلى منة عرقوب » وفي جمع الأمثال « شرما يجيئك .. » — مضارع أجاء — قال الميداني : ويروى « مايشيئك » والثنين بدل من الجيم وهذه لغة تميم ، يقال : أجأته إلى كذا : أى أَلْجَأْتُهُ ، والمعنى : ما أَلْجَأَكَ إِلَى منة عرقوب إلا سرأى فقر وفاقة ! وذلك أن العرقوب لا مع له ولا نفع يحوج إليه من لا يقدر على شيء ، يضرب المضطر جدا يطلب من الشئ .

(٤) أول من قال ذلك خالد بن الوليد لما بعث إليه أبو بكر رضى الله عنهما وهو باليمامة : أن سر إلى العراق ، فأراد سلوك المعازة ، فقال له رافع الطائي : قد ساكنها في الحاهلية ، هي خمس للابل الواردة (والخمس بالكسر من أطماء الإبل ، وهي أن ترمى ثلاثة أيام ورد الرابع) ولا أهلك قدر عليها إلا أن تحمل من الماء ، فاشترى مائة شارف (والشارف : المسن الهرم من الإبل) فعطسها ثم سقاها الماء حتى رويت ، ثم كتمها (أى ختم حياءها) وأسم أفواهاها (أى شديدا) ثم سلك المعازة ، حتى إذا مضى يومان وخاف العطش على الناس والحيل ، وخشى أن يذهب مافى بطون الإبل ، سحر الإبل واستخرج مافى بطونها من الماء فسقى الناس والحيل ومضى ، فلما كان في الليلة الرابعة قال رافع : انظروا ، هل ترون سدرأ عظاما (والسدر بالكسر : شجر النبق) فإني رأيتموها وإلا فهو الهلاك ، فنظر الناس فرأوا السدر فأخبروه فكبر وكبر الناس ثم هجموا على الماء فقال خالد من أمات :

عند الصباح يحمد القوم السرى وشجلى عنهم غيابات الكرى

يضرب للرجل يحتمل المشقة رحاء الراحة .

(٥) يروى « الغمرات » وكأشبهه قال : هي الغمرات ، أو القصة الغمرات تظلم تم تنجلي . وروى

وَدُونَ النَّدَى فِي كُلِّ قَلْبٍ تَنْيَّةٌ لَهَا مَصْعَدٌ حَزَنٌ وَمُنْحَدَرٌ سَهْلٌ^(١)
وَوَدَّ الْفَتَى فِي كُلِّ نَيْلٍ يُنِيلُهُ (إِذَا مَا اتَّقَصَى) لَوْ أَنَّ نَائِلَهُ جَزَلٌ^(٢)

وَقَالُوا : « خَيْرُ النَّاسِ خَيْرُ النَّاسِ لِلنَّاسِ ، وَشَرُّ النَّاسِ شَرُّ النَّاسِ لِلنَّاسِ » وَقَالُوا :

« خَيْرُ مَا لَكَ مَا نَفَعَكَ » وَقَالُوا : « عَجَبًا لِفَرْطِ الْكِبَرَةِ مَعَ شَبَابِ الرِّغْبَةِ^(٣) »

وَقَالَ الرَّاجِزُ :

كَلْنَا يَا مُلُّ مَدًّا فِي الْأَجَلِ وَالْمَنَايَا هِيَ آفَاتُ الْأَمَلِ^(٤)

وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عِكْرَاشٍ : « زَمَنٌ خَثُونٌ ، وَوَارِثٌ شَفُونٌ^(٥) ، وَكَاسِبٌ

حَزُونٌ^(٦) ، فَلَا تَأْمَنُ الْخَثُونُ ، وَكُنْ وَارِثَ الشَّفُونِ^(٧) » وَقَالَ :

يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَيَشِيبُ مَعَهُ خَصْلَتَانِ : الْحَرَصُ وَالْأَمَلُ » وَكَانُوا يَعْيِبُونَ مَنْ

يَأْكُلُ وَحْدَهُ ، وَقَالُوا : « مَا أَكَلَ ابْنُ عَمْرٍ وَحْدَهُ قَطُّ » ، وَقَالُوا : « مَا أَكَلَ

الْحَسَنُ^(٨) وَحْدَهُ قَطُّ » وَسَمِعَ مُجَاشِعُ الرُّبَيْعِيِّ قَوْلَهُمْ : « الشَّحِيحُ أَعْذَرُ مِنْ

الظَّالِمِ » فَقَالَ : « أَخْزَى اللَّهُ أَمْرَيْنِ خَيْرُهُمَا الشَّحُّ » وَقَالَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ

« غمرات » : أى هذه غمرات وهى الشدائد جمع غمرة لأنها تغمر الواقع فيها بشدتها : أى تقهره ،
والمثل للأغلب العجلى ، يضرب فى احتمال الأمور العظام والصبر عليها .

(١) التنية : المكان المرتفع الصعب المطلع ، أى إن الكرم شاق على النفس — لأن الفضيلة شاقة
ولولا مشقتها لساد الناس جميعاً .

(٢) الجزل : العظيم .

(٣) أى عجباً لأمري هرم فان ورغبته فى الجمع والكدح فتية .

(٤) هكذا فى نسخة الشنيطى ، وفى غيرها آفات الأجل .

(٥) الشفون فى الأصل : الناظر بمؤخر عينه كراهة أو عجباً . والمعنى ها الكاره المترق وفاة مورثه

(٦) أى شديد الحزن .

(٧) أى أنفق بحيث لا تترك شيئاً لوارثك : فإذا مات استغدت من لإرثه ولم يستفد من لإرثك .

(٨) يعنى الحسن البصرى .

الْمُرْنَى : « لو كان هذا المسجد مُفْعَمًا بالرجال ثم قيل لى : مَنْ خيرهم ؟ لقلت : خيرهم لهم^(١) » وقال النبي صلى الله عليه وسلم « ألا أُنبئكم بشاركم ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « من نَزَلَ وَحْدَهُ ، ومنع رِفْدَهُ ، وجَلَدَ عَبْدَهُ » وقالت امرأة عند جَنَازة رجل : « أمّا والله ما كان مالك لبطنك ، ولا أمرك لِعَرْسِكَ^(٢) » .

٧١ - رسالة ابن التوم إلى الثقفى

فلما بلغت الرسالة ابن التوم ، كره أن يجيب أبا العاص ، لما فى ذلك من المناقشة والمباينة^(٣) ، وخاف أن يترقى الأمر إلى أكثر من ذلك ، فكتب هذه وبعث بها إلى الثقفى :

« بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعدُ فقد بلغنى ما كان من ذكر أبى العاص لنا ، وتنويهه^(٤) بأسمائنا ، وتشنيعه علينا ، وليس يمنعنا من جوابه إلا أنه إن أجابنا لم يكن جوابنا إيّاه على قوله الثانى أحقّ بالترك من جوابنا له على قوله الأول ، فإن نحن جعلنا لا بتدائه جوابا ، وجعلنا لجوابه الثانى جوابا ، خرجنا إلى التّهاتُر^(٥) ، وصرنا إلى التخابُر^(٦) ، ومن خرج إلى ذلك فقد

(١) أى خيرهم أكرمهم إسداء خير لهم .

(٢) العرس : الروجة ، أى كنت كريما مستقلا بتصرف أمورك .

(٣) أى الابتعاد والتهاجر .

(٤) التنويه ها : الذكر ، أى وذكر أسمائنا ، فقد تقدم قول أبى العاص فى أول رسالته إلى الثقفى « واختلافك إلى ابن التوم » .

(٥) تهانرا : ادعى كل على صاحبه باطلا .

(٦) تخابر الرجال : تعالوا فى العلم والعرفة ، يقال : خابره فى العلم تخبره : أى عالبه فعليه . وفى النسخ « التجابر » ولم نجد لها معنى .

رَضِيَ بِاللَّجَاجِ^(١) حَظًّا ، وبالسُّخْفِ^(٢) نصيبًا ، وليس يحترس من أسباب
 اللجاجة إلا من عَرَفَ أسباب البُلُوْى^(٣) ، ومن وقاه الله سوء التَكْنُفِ^(٤)
 وسُخْفَه ، وعَصَمَه من سوء التصميم^(٥) ونَكَدِه ، فقد اعتدلت طبائعُه ،
 وتساوت خواطرُه . ومن قامت أخلاقُه^(٦) على الاعتدال وتكافأت خواطرُه
 في الوزن ، لم يعرف من الأعمال إلا الاقتصادَ ، ولم يجد أفعاله أبدأ إلا بين
 التقصير والإفراط ، لأن الموزون لا يولّد إلا موزونا ، كما أن المختلف لا يولّد
 إلا مختلفًا^(٧) ، فالمتتابع^(٨) لا يثنّيه زجرٌ ، وليست له غايةٌ دون التَّلَفِ ،
 والمتكفّئ ليس له مأْتى ولا جهةٌ ، ولا له رُقِيَةٌ^(٩) ولا فيه حيلةٌ ، وكلُّ متلوّنٍ^(١٠)
 في الأرض فُنْحَلُ العقْد ، مُيسَّر لكل رِيح ، فدع عنك خِلْطَةَ الإِمْعَةِ^(١١)
 فإنه حارِصٌ^(١٢) لا خيرَ فيه ، واجتنب رَكوبَ الجمُوحِ ذى التَّزَوَاتِ ؛ فإن

-
- (١) التماذى فى الحصومة . (٢) السخف : ضعف العقل .
 (٣) أى لأن اللجاجة يؤدى حتما إلى شر ومصيبة ، فمن تجنب أسبابه تجنب أسباب المصائب .
 (٤) الذى فى لسان العرب : التكمؤ : التمايل إلى قدام ، يهمز ولا يهمز ، والأصل الهمز ، تكفأ
 تكفؤا كتقدم تقدما ، فاذا خفت الهزمة التحق بالمعتل وصار تكنى تكفيا كتنسى تسيا ، ولكن
 المراد بالتكنى هنا : اكتفاء المرء برأى نفسه وتشبته به واستبداده ، يؤيد ذلك الفقرة التالية .
 (٥) التصميم : المضى فى الأمر من غير إصغاء إلى نصيح .
 (٦) انظر هامش ص ٥٠ .
 (٧) أى لأن الأعمال آثار الأمزجة ، فاذا كانت الأمزجة معتدلة متزنة أنتجت أفعالا متزنة ،
 وإذا كانت مضطربة أنتجت أفعالا كذلك .
 (٨) المتتابع : التهاوت على الشر التماذى فيه المسرع إليه من غير تثبيت أو نظر فى الأمور .
 (٩) أى لا تحد مفذا لهدايته وإرشاده ، ولا تنفع فيه الوسائل ، وهو أشبه بمن مسته الجن ،
 لا تنفع فيه رقية . والرقية : ما يقرأ للمحوم والمصروع ليشفى .
 (١٠) المتلون المتقلب فى الرأى ، له فى كل ساعة رأى .
 (١١) الإيمع والإيمعة : الرجل يتابع كل إنسان على رأيه لا يثبت على شىء .
 (١٢) الحارص : الملتهم لا يكاد يترك شيئا .

فايته القتلُ الزَّوْافُ^(١)، ولا^(٢) في الحُرُونِ ذى التصميم ، والمتلونُ شر من المصمِّم ، إذ كنت لا تعرف له حالا يقصِد إليها ، ولا جهةً يعمل عليها ، ولذلك صار العاقل يخدعُ العاقلَ ولا يخدعُ الأحمق ؛ لأن أبواب تدبير العاقل وحيَله معروفةٌ ، وطُرُق خَوَاطِرِه مسلوكةٌ ، ومذاهبهُ محصورة معدودة ، وليس لتدبير الأحمق وحيَله جهةٌ واحدةٌ من أخطأها كَذَب^(٣) ، والخبرُ الصادق عن الشيء الواحد واحدٌ ، والخبر الكاذب عن الشيء الواحد لا يُحصى له عددٌ ، ولا يوقف منه على حدٍّ ، والمصمِّم قتلُه بالإِجهاز^(٤) ، والمتلون قتلُه بالتعذيب^(٥) ، فإن قلنا فليس إليه^(٦) تقصيد ، وإن احتججنا فلسنا عليه نَرَدٌ ، ولكننا إليك تقصيد بالقول ، وإليك تُريد بالمشورة ، وقد قالوا : « احفظ سِرَّك فإن سِرَّك من دمك » وسواء ذهابُ نفسك وذهابُ مابه يكون قِوامُ نفسك^(٧) ، قال المنجَابُ العنبريُّ : « ليس بكبير ما أصلحه المالُ^(٨) » وفقدُ الشيء الذى به تصلحُ الأمور ، أعظمُ من الأمور^(٩) ، ولهذا قالوا فى الإِبل : « لولم يكن فيها إلا أنها رَقْوَةٌ^(١٠) الدم » فالشيء الذى هو ثَمَنُ الإِبلِ وغيرِ الإِبلِ أحقُّ بالصون ،

(١) عبارة النسخ « واجتنب ركوب الجموح فإن عابته قبل الذواق ذى البدوات » وهى غير مفهومة . والقتل الزَّوْاف : السريع .
(٢) عطف على المجرور فى لآخر فيه ، أى ولاخير فى الحرون ، والحرون : الدابة تعصى صاحبها فتقف ولا تمضى .

(٣) أى ليس للأحمق اتجاه واحد فى تدبيره ، حتى إذا لم يهتد إليه لإنسان قيل إنه أخطأ .

(٤) المراد أن الضرر الذى يصل من المصمم يصل دفعة واحدة ، فهو كالقتل بالإِجهاز .

(٥) أى أن المتلون يأتىك منه الضرر فى ثوبات متقطعة ، فكأنه يقتل بالتعذيب .

(٦) الضمير فى إليه يعود إلى المتلون .

(٧) أى مادام السر جزءاً من الدم وهو قوام النفس ، فقدته يساوى فقد النفس .

(٨) أى كل ضرر يستطيع المال أن يصلحه ليس بكبير .

(٩) أى فقد المال الذى يصلح اخلال الأمور أعظم من فقد أى أمر .

(١٠) رقاً الدم : جف وسكن ، والرقوء كصبور : ما يوضع على الدم ليرقته : أى أنها تحفن الدماء

وقد قضوا بأن حفظ المال أشد من جمعه ، ولذلك قال الشاعر :

وحفظك مالا قد عُنيتَ بجمعه أشد من الجمع الذي أنت طالبة

ولذلك قال مشترى الأرض لبائعا حين قال له البائع : دفعتها إليك بطيئة

الإجابة ، عظيمة المثونة^(١) ، قال^(٢) : دفعتها^(٣) إليك بطيئة الاجتماع ، سريعة

التفرق ، والدرهم هو القطب الذي تدور عليه رَحَى الدنيا . واعلم أن التخلص

من نزوات الدرهم وتقلبه من سُكر الغنى وتقلته شديدة^(٤) ، فلو كان إذا تلبت

كان حارسه صحيح العقل سليم الجوارح كَرَدَه في عقاله ، ولشده بوثاقه ،

ولكننا وجدنا ضعفه عن ضبطه بقدر قلقه في يده^(٥) ، ولا تغتر بقولهم :

« مال صامت^(٦) » فإنه أنطق من كل خطيب ، وأنم من كل نعام . فلا

تكثر بقولهم : « هذين الحجرين^(٧) » فتوهم جمودهما وسكونهما وقلة

ظنهما وطول إقامتهما ، فإن عملهما وهما ساكنان . ونقضهما للطباع وهما

ثابتان ، أكثر من صنيع الشَّم الناقع ، والسَّبُع العادي ، فإن كنت لا تكتفي

لأنها تدفع في الديات فيكف صاحب الثأر عن طلبه فيخزن دم القاتل ، وحواب لو محذوف : أى لكهاها

فضلا وهو من قول أكرم بن صفي - انظر جمهرة خطب العرب ١ : ٣٠٠ .

(١) الضمير في دفعتها يعود للأرض أى أنها لا تمر إلا بعد مدة وهي تحتاج إلى نفقات كثيرة حتى

تثمر . (٢) الضمير في قال يعود للمشتري .

(٣) الضمير في دفعتها يعود للدرهم وهي ثمن الأرض .

(٤) ثقل الدرهم : انتقاله من يد إلى يد ، ويكون أكثر ثقل الدرهم بسبب الاعتزاز بالمال : أى لمن

رياضة الدرهم ومنعه من الثقل والفرار عند ما ندرك صاحبه لشوة المولى والاستهانة بالمال ليست بالأمر الهين .

(٥) أى أما شاهدنا ضعف مالك الدرهم عن حبسه مساويا لقلق الدرهم ورعبته في الفرار .

(٦) المال الصامت : الذهب والفضة ونحوهما ، والمال الناطق : الحيوان .

(٧) نصبه على تقدير : اجمع هذين الحجرين مثلا ، وهما الذهب والفضة .

بصنيعه^(١) حتى تُمدّه ، ولا تحتالُ فيه حتى يُحتالَ له ، فالقبرُ خيرُ لك من الفقر ، والسجنُ خيرُ لك من الذلِّ .

وقولِي هذا مرُّهُ يُعقِبُ حلاوةَ الأبد ، تخذ لنفسك بالثقة^(٢) ، فقوْلُك الماضي حلو يُعقِبُ مرارةَ الأبد ، تخذ لنفسك بالثقة ، ولا ترضَ أن يكون الحِرْبَاءُ الرَّاكِبُ العودِ أَحْزَمَ منك ، فإن الشاعر يقول :

أَنِّي أَتِيحَ لَهَا حِرْبَاءَ تَنْضِيَةٍ لَا يُرْسِلُ السَّاقَ إِلَّا مُمَسِّكًا سَاقًا^(٣)
واحذرْ أن تُخْرِجَ من مالك درهماً حتى تَرَى مكانه خيراً منه ، ولا تنظرُ إلى كثرتِه ، فإنَّ رملَ عالج^(٤) لو أخذ منه ولم يُردَّ عليه لذهبَ عن آخره ، إن القومَ قد أكثرُوا في ذكر الجود وتفضيله ، وفي ذكر الكرم وتشريفه ، وسمَّوا الشَّرْفَ جوداً وجعلوه كرماً ، وكيف يكون كذلك وهو نتاجُ ما بين الضعف والنَّفَجِ^(٥) ، وكيف والعطاء لا يكون سرفاً إلا بعد مجاوزة الحق ، وليس وراء الحق إلى الباطلِ كرمٌ ، وإذا كان الباطلُ كرماً كان الحقُّ لؤماً ، والسرفُ - حفظك الله - معصيةٌ ، وإذا كانت معصيةُ الله كرمًا ، كانت

(١) الضير في صنيعه يعود إلى الدرهم ، وحتى تمده : أى تساعده على التعلت .

(٢) أى حصن نفسك بالثقة بهذا القول .

(٣) الحِرْبَاءُ مذكر والتنضية : شجرة حجازية شائكة ، والحرباء يشتد عليه حر الشمس فيلجأ إلى ساق شجرة يستظل بظلها ، فإذا أدركته الشمس تحول إلى ساق أخرى ، وهو مثل يضرب لمن لا يدع له حاجة إلا سأل أخرى - انظر مجمع الأمثال ٢ : ١١١ ، وجاء في لسان العرب مادة حرب « قال أبو داود الأيادي : أنى أتيج له قال ابن بري : هكذا أشده الجوهري وصواب إنشاده « أنى أتيج لها » لأنه وصف ظعنا ساقها وأزعجها سائق مجد ، تتعب كيف أتيج لها هذا السائق المجد الحازم ، وهذا مثل يضرب للرجل الحازم ، لأن الحرباء لا يبارق العصف الأول حتى يثبت على العصف الآخر » .

(٤) عالج : رمال معروفة بالبادية .

(٥) النفع : التفاخر الكاذب بالمال .

طاعته لئوما ، ولئن جمعهما^(١) اسم واحد ، وشملهما حكم واحد (ومضادة^(٢) الحق للباطل كمضادة الصدق للكذب ، والوفاء للغدر ، والجور للعدل ، والعلم للجهل) لِيَجْمَعَ هَذِهِ الْخِصَالَ اسْمٌ وَاحِدٌ ، وَلِيَشْمَلَنَّهَا حُكْمٌ وَاحِدٌ ، وقد وجدنا الله عاب السرف ، وعاب الحمية^(٣) ، وعاب المعصية ، ووجدناه قد خص السرف بما لم يخص به الحمية^(٤) ، لأنه ليس حب المرء لرهطه من المعصية ، ولا أنفته من الضيم من حمية الجاهلية ، وإنما المعصية ما جاوز الحق ، والحمية المعيبة ما تعدى القصد ، فوجدنا اسم الأتفة قد يقع محموداً ومذموماً ، وما وجدنا اسم المعصية ولا اسم السرف يقع أبداً إلا مذموماً ، وإنما يُسَرُّ باسم السرف جاهل لا علم له . أو رجل إنما يُسَرُّ به لأن أحداً لا يسميه مُسْرِفاً حتى يكون عنده قد جاوز حد الجود . وحكم له بالحق ثم أردفه بالباطل^(٥) ، فإن سر من غير هذا الوجه^(٦) ، فقد شارك المادح في الخطأ ، وشاكله في وضع الشيء في غير موضعه .

وقد أكثروا في ذكر الكرم ، وما الكرم إلا كِبَاضُ الْخِصَالِ الْمَحْمُودَةِ الَّتِي لَمْ يَعْدَمْهَا بَعْضُ النِّدَمِ^(٧) ، وليس شيء يخلو من بعض النقص

(١) أي جمع السرف والكرم .

(٢) هذه الجملة حالية معترضة بين القسم (لئن جمعهما) وحواله (ليجمعن) .

(٣) الحمية : شدة الأتفة ، وهي الغضب والإياء للحماية ، قال تعالى : « إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ » .

(٤) أي مع أن الله عاب الحمية فإن هناك ضرباً من الحمية محموداً ، أما السرف والمعصية فمذموماً على الإطلاق ، وليس في أحدهما نوع محمود .

(٥) أي أنه يسر بوصفه بالسرف ، لأن هذا الوصف يتضمن معنى الجود ، ثم مجاوزة الحد فيه ، فواصفه في هذه الحال حكم له بالجود ضمناً ، وهذا حق ، ثم أردفه بالباطل وهو مدح السرف .

(٦) أي وظن أن مادحه يصفه بالجود المحمود الذي لم يخرج إلى السرف .

(٧) أي لم يفقد منها بعض النعم بتجاوزها القصد أو بالمغالاة فيها .

والوهن ، وقد زعم الأولون أن الكرم يسبب الغباء^(١) ، وأن الغباء يسبب البله^(٢) ، وأنه ليس وراء البله إلا العته^(٣) ، وقد حكوا عن كسرى أنه قال : « احذروا صولة الكريم إذا جاع ، واللثيم إذا شبع » وسواء جاع فظلم ، وأحفظ وعسف ، أم جاع وكذب ، وضرع وأسف^(٤) ، وسواء جاع فظلم غيره ، أم جاع فظلم نفسه ، والظلم لؤم ، وإن كان الظلم ليس بلؤم ، فالإنصاف ليس بكرم ، وإن كان الجود على من لا يستحق الجود كرما ، فالجود لمن وجب له ذلك ليس بكرم ، فالجود إذا كان لله كان شكرا له ، والشكر كرم ، ولن يكون الجود إذا كان معصية كرما ، وكيف يتكرم من يتوصل بأياديك إلى معصيتك ، وينعمك إلى سُخْطك ، فليس الكرم إلا الطاعة ، وليس اللؤم إلا المعصية ، وليس بجود ما جاوز الحق ، وليس بكرم ما خالف الشكر ، ولئن كان مجاوز الحق كريما لكونن المقصّر دونه كريما^(٥) ، فإن قضيتم بقول العامة^(٦) فالعامة ليست بقدوة . وكيف يكون قدوة من لا ينظر ولا يُحصّل ، ولا يفكر ولا يمتل^(٧) ، وإن قضيتم بأقاويل الشمراء وما كان عليه أهل الحاهلية الجهلاء ، فما قبّحوه مما لا يشك في حسنه أكثر من أن تقف عليه أو تتشاغل بانقصائه .

(١) العما : عدم العظة ، عى العىء وعه كمرح عا وعماوه ، وعارة السح « أن الكرم يسبب العى وأن العى ... » .

(٢) الله : ضعف العقل وماه فرح .

(٣) فى السح « المعتوه » والعته : نفس العقل أو فعه ، والمراد ها الثانى .

(٤) أسف : انحط إلى ديثاب الأمور .

(٥) أى إذا عد محاور الكرم إلى السرف كريما ، حار أن يعد المقصر دون حد الكرم كريما مادام معى الكرم لا يدرك إدراكا صحيحا .

(٦) وهو عدم كل سرف كرما .

(٧) لا يمتل : أى لا يصور الحقائق تصويرا صادقا .

على أنه ليس بجودٍ إلا ما أوجب الشكرَ ، كما أنه ليس يُخلِ إلا ما أوجب اللؤمَ ، ولن تكون العطيةُ نعمةً على المعطى حتى تُراوَدَ بها^(١) نفسُ ذلك المعطى ، ولن يجب عليه الشكرُ إلا مع شريطة القصد ، وكلُّ مَنْ كان جوده يرجع إليه - ولولا رجوعه إليه لَمَا جَادَ عليك ، ولو تهيأ له ذلك المعنى في سواك ، لَمَا قَصَدَ إليك - فإنما^(٢) جعلك مِعْبَرًا لَدَرْكِ حاجته ، ومَرَكَبًا لبلوغ محبته ، ولولا بعضُ القول^(٣) لَوَجَبَ لك عليه حق يجب به الشكر ، فليس يجب لمن كان كذلك شكرٌ ، وإن انتفعت بذلك منه ، إذ كَانَ لِنَفْسِهِ تَعْمَلُ ، لأنه لو تهيأ له ذلك النفعُ في غيرك لَمَا تَخَطَّاهُ إليك .

وإنما يوصف بالجود في الحقيقة ، ويُشكر على النفع في حُجَّةِ العقل ، الذى إن جاد عليك فلك جَادَ ، ونَفَعَكَ أَرَادَ ، من غير أن يرجع إليه جوده بشيء من المنافع على جهةٍ من الجهات . وهو الله وَحْدَهُ لا شريك له ، فإن شَكَرْنَا للناس على بعض ما قد جَرَى لنا على أيديهم ، فإنما هو لأمرين : أحدهما التعبُدُ ، وقد نعبُد الله بتعظيم الوالدين وإن كنا شيطانيين ، وتعظيم مَنْ هو أَسَنُ^(٤) منا ، وإن كنا أفضلَ منه ، والآخَرُ لأن النفس مالم تحصلِ الأمورَ وتميَّزِ المعاني ، فالسابقُ إليها حُبٌّ مَنْ جَرَى لها على يده خيرٌ ، وإن كان لم يُرِدْها ولم يقصدِ إليها .

ووجدنا عطية الرجل لصاحبه لا تخلو أن تكون لله ، أو لغير الله ، فإن

(١) تراود : أى قصد وتعى ، أى إلا إذا أريد بها نفس الآخذ لا ما ينظر منه من فائده .
(٢) جعله فإنما حذر للمستدل « وكل من كان حوده » وقرن الخبر بالغاء لدلالة المتدلى على العموم .
(٣) أى ولولا الخوف من بعض القول وهو أن تنهم بالمعاليه لعلنا نوحوب شكر الخواد للهود عليه
(٤) كذا في عيون الأحرار ، وفي السج « من هو شرما وإن كما أفضل منهم » .

كانت لله فتاؤه على الله ، وكيف يجب على في حُجَّة العقل شكره ، وهو لو صادف ابن سبيلٍ غيري لَمَا حَمَلَنِي^(١) ولا أعطاني ، وإما أن يكون إعطاؤه إياي للذكر ، فإذا كان الأمر كذلك فإنما جعلني سُلَّماً إلى تجارتِه ، وسَبَباً إلى بُغْيَتِه ، أو يكون إعطاؤه إياي من طريق الرحمة والرفقة ، ولَمَا يجد في فتاؤه من النُصَّة والألم ، فإن كان لذلك أُعْطِيَ فإنما دَاوَى نفسه من دائه ، وكان كالذي رَفَّه مِن خِناقِه ، وإن كان إنما أعطاني على طلب المجازاة وَحُبِّ المكافأة ، فَأَمْرُ هذا معروف ، وإن كان إنما أعطاني مِن خَوْفِ يدي أو لسانِي ، أو اجترار معونتي ونُصرتي^(٢) ، فسيبله سبيلُ جميع ما وصفنا وفضَّنا .

فَلِاسْمِ الجود موضعان : أحدهما حقيقة ، والآخر مجاز ، فالحقيقة : ما كان من الله ، والمجاز : المشتق من هذا الاسم^(٣) ، وما كان لله كان ممدوحاً ، وكان لله طاعةً ، فإذا لم تكن العطية من الله ، ولا لله ، فليس يجوز هذا فيما سَمَّوه جوداً ، فما ظنك بما سَمَّوه سَرَفاً ؟

افهم ما أنا مُورِده عليك ، وواصفه لك ، إن التبرُّح والتكسُّب والاستئْكال^(٤) بالخدمة والطَّعم الخبيثة فاشيةٌ غالبية ، ومستفيضَةٌ ظاهرة ، على أن كثيراً ممن يضافُ اليوم إلى النزاهة والتكْرُم ، وإلى الصيانة والتوقُّ ،

(١) حملة : أعطاه طهراً مركبه .

(٢) كذا في عيور الأخبار ، وفي السج « أو صرف معونتي ومصرتي » .

(٣) قسم الجود قسمين : حقيقي وهو ما كان من الله مباشرة ، ومحاري وهو ما كان مشتقاً ومعرطاً من جود الله وآتياً على يد مخلوق .

(٤) استأكل : أخذ أموال الضعفاء كالسوء واليتامى ونحوهم وعاش عليها .

لِيَأْخُذُ مِنْ ذَلِكَ بِنَصِيبٍ وَافِرٍ ، وَبِعُدِّ وَافٍ ^(١) ، فَمَا ظَنُّكَ بِدَهْمَاءِ النَّاسِ وَجُمْهُورِهِمْ ؟ بَلْ مَا ظَنُّكَ بِالشُّعْرَاءِ وَالْخُطَبَاءِ الَّذِينَ إِنَّمَا تَعَلَّمُوا الْمُنْطَقَ لَصْنَاعَةِ التَّكْسِبِ ؟ وَهُؤُلَاءِ قَوْمٌ يُوَدِّعُونَ أَنْ أَرْيَابَ الْأَمْوَالِ قَدْ جَاوَزُوا حَدَّ السَّلَامَةِ إِلَى الْغَفْلَةِ ، حَتَّى لَا يَكُونَ لِلْأَمْوَالِ حَارِسٌ ، وَلَا دُونَهَا مَانِعٌ ، فَاخْذَرِهِمْ ، وَلَا تَنْظُرْ إِلَى بَرَّةٍ ^(٢) أَحَدِهِمْ : فَإِنَّ الْمَسْكِينِ أَقْنَعُ مِنْهُ ، وَلَا تَنْظُرْ إِلَى مَوْكِبِهِ ، فَإِنَّ السَّائِلَ أَعْفَى مِنْهُ ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ فِي مَسْنِكَ ^(٣) مِسْكِينٍ ، وَإِنْ كَانَ فِي ثِيَابِ جَوَادٍ ^(٤) ، وَرُوحِهِ رُوحَ نَذْلٍ ، وَإِنْ كَانَ فِي جِرْمِ مَلِكٍ ، وَكُلُّهُمْ وَإِنْ اخْتَلَفَتْ وَجَرَهُ مُسْأَلَتُهُمْ ، وَاخْتَلَفَتْ أَقْدَارُ مُطَالِبِهِمْ ، فَهُوَ مَسْكِينٌ إِلَّا أَنْ وَاحِدًا يَطْلُبُ الْعَلِقَ ^(٥) ، وَآخِرُ يَطْلُبُ الْخِرْقَ ، وَآخِرُ يَطْلُبُ الدَّوَانِيقَ ^(٦) ، وَآخِرُ يَطْلُبُ الْأُلُوفَ ، فَجَهَةٌ هَذِهِ هِيَ جَهَةٌ هَذَا ، وَطُعْمَةٌ ^(٧) هَذِهِ طُعْمَةٌ هَذَا ، وَإِنَّمَا يَخْتَلِفُونَ فِي أَقْدَارِ مَا يَطْلُبُونَ عَلَى قَدْرِ الْحِذْقِ وَالسَّبَبِ ^(٨) ، فَاخْذَرُ رُقَامَ ^(٩) وَمَا نَصَا وَكَ لَكَ مِنَ الشَّرِّكَ ، وَاحْرُسْ نِعْمَتَكَ وَمَا دَسَّوْا لَهَا مِنَ الدَّوَاهِي ، وَاعْمَلْ عَلَى أَنْ سَحَرَهُمْ يَسْتَرِقُ الذَّهْنَ ، وَيَخْتَطِفُ الْبَصَرَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لِسِحْرًا » وَسَمِعَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَجُلًا يَتَكَلَّمُ فِي حَاجَةٍ فَقَالَ : « هَذَا وَاللَّهِ السُّحْرُ الْحَلَالُ » وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا خِلَابَةَ ^(١٠) »

(١) المد : مكيال مقداره رطل وثلاث وعشرون مثقالاً ، والمراد « هـا مطلق مقدار .

(٢) البرة : حسن الهيئة . (٣) المسك : الخلد .

(٤) في بعض النسخ « حداد » .

(٥) العلق : كسر وفتح : العيس من كل شيء .

(٦) الدانق : كسر النون وفتح والداق : سدس الدرهم .

(٧) الطعنة : وجه المكسب . (٨) السب : الوسيلة .

(٩) الرقي جمع رقية وهي كلمات تقرأ للمحجور والمصروع ليشفي . والمعنى أن لهم كلاماً كالسحر .

(١٠) الخلابة : الخداع ، وفي الحديث « إذا بايت فقل : لا خلابة » .

واحذر احتمال مديحهم ، فإن محتمل المديح في وجهه كإدح نفسه .
 إن مالك لا يسع مُريديه ، ولا يبلغ رضا طالبيه ، ولو أرضيتهم بإسقاط
 مثلهم لكان ذلك خسرانا مُبيناً ، فكيف ومن يسخط أضعاف من يرضى ؟
 وهجاه الساخط أضر من فقد مديح الراضى ، وعلى أنهم إذا اعتوروك
 بمشاقصهم^(١) ، وتداولوك بسهامهم ، لم تر ممن أرضيته بإسقاطهم أحداً
 يناضل عنك . ولا يهاجى شاعرا دونك ، بل يُخلّيك غرضا لسهامهم ،
 ودريئة^(٢) لنبالهم ، ثم يقول : وما كان عليه لو أرضاهم ! فكيف يرضيهم ،
 ورضا الجميع شئ لا يُنال ؟ وقد قال الأول : وكيف يتفق لك رضا المختلفين ؟
 وقالوا : منع الجميع أرضى للجميع ، إني أحذرك مصارع المخدوعين ،
 وأرفعك عن مضاجع المغبونين ، ولست^(٣) كمن لم يزل يُقاسى تعذّر
 الأمور ، ويتجرّع مرارة العيش ، ويتحمل ثقل الكد ، ويشرب بكأس
 الذل ، حتى كاد يَمُرُّن على ذلك جِلْدُهُ ، ويسكن عليه قلبه ، وفقر مثلك
 مضاعف الألم ، وجزع من لم يعرف الألم أشد ، ومن لم يزل فقيرا فهو
 لا يعرف الشامتين ، ولا يَدْخُلُهُ المكروه من سرور الحاسدين ، ولا يلام
 على فقره ، ولا يصير موعظة لغيره ، وحديثا يبق ذكره ، ويلعنه بعد
 المات ولده .

ودعنى من حكايات^(٤) المستأكلين ، ورُقى الخادعين . فما زال الناسُ

(١) المشاقص : جمع مشقص كسر ، وهو الصل العريس .

(٢) ما يستتر به .

(٣) في السح لك كس الح وهو عبر مناسب لسياق المعنى ، لأنه يريد أن يقول : لك لم تعتد
 الفقر حتى يكون ألمه خفيفا ، وفقره ثاك بعد المعنى تكون مضاعف الآلام شديد الوقع .

(٤) أى ما اخترعونه من حكايات مكذوبة في الكرم التى تتماوز الحد لخداع ضعفاء العقول .

يحفظون أموالهم من مواقع السَّرَف ، ويحنبونها وجوه التبذير ، ودعنى
حما لا نراه إلا فى الأشعار المتكلفة ، والأخبار المولدة ، والكتب الموضوعة ،
فقد قال بعض أهل زماننا : ذهبت المكارم إلا من الكتب .

نخذ فيما تعلم ، ودع نفسك مما لا تعلم ، هل رأيت أحدا قط أنفق
ماله على قوم كان غنام سبب فقره أنه سلم^(١) عليهم حين افتقر فردوا عليه ،
فضلاً على غير ذلك^(٢) ؟ أولست قد رأيتهم بين محققٍ ومحتجبٍ عنه ، وبين من
يقول : مهلاً أنزل حاجته بفلان الذى كان يفضله ويقدمه ويؤثره ويخصه ؟
ثم لعل بعضهم أن يتجنى عليه ذنوباً ليجعلها عذراً فى منعه ، وسبباً إلى حرمانه ،
قال الله جل ذكره « يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى الشُّجُودِ فَلَا
يَسْتَطِيعُونَ . خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى الشُّجُودِ
وَهُمْ سَآئِلُونَ^(٣) » فأننا القائم عليك بالموعظة والزجر والأمر والنهى ، وأنت
سالمٌ العقل والعرض ، وافِرُ المال ، حَسَنُ الحال ، فأتقِ أن أقومَ غداً على
رأسك بالتقريع والتعير ، وبالتوبيخ والتأنيب ، وأنت عليل القلب ، مختلُ
العرض ، عديمٌ من المال ، سيئُ الحال ، ليس جُهدُ البلاء^(٤) مَدَّ الأعناقِ ،
وانتظارَ وقعِ السيوف ، لأن الوقت قصير ، والحس مغمور ، ولكن جُهدُ
البلاء أن تظهرَ الخلة^(٥) ، وتطول المدة ، وتمجز الحيلة ، ثم لا تعدم صديقا

(١) الصدر المؤول بدل من أحدا .

(٢) أى فضلاً على الإيذاء والتشنيع وعدم الوفاء له .

(٣) سياق الآية الكريمة أن من استطاع أن يعمل شيئاً ولم يعمله ، أسف عند فوات الفرصة على
مجزئه من عمله .

(٤) جهد البلاء : عاية ماتصل إليه المصيبة .

(٥) الخلة : العاقبة والحاجة .

مؤثبا ، وابن عمّ شامتا ، وجارا حاسرا^(١) ، ووليا قد تحوّل عدوا ، وزوجة
مختلعة^(٢) ، وجارية مستبيعة^(٣) ، وعبدا يحقرك ، ولدا ينتهرك ، فانظر أين موقع
قوت الثناء من موقع ما عددنا عليك من هذا البلاء ؟ على أن الثناء طعم^(٤) ،
ولعلك ألا تطعمه^(٥) ، والحمد أرزاق^(٦) ولعلك ألا تحرمه ، وما يضيع من إحسان
الناس أكثر^(٧) .

وعلى أن الحفظ^(٧) قد ذهب بموت أهله ، ألا ترى أن الشعر لما كسد
أفحم أهله ، ولما دخل النقص على كل شيء أخذ الشعر منه بنصيبه ؟ ولما تحولت
الدولة في العجم - والعجم لا تحوّل الأنساب - ولا تحفظ المقامات ، لأن من
كان في الرّيف^(٨) والكفاية ، وكان مغمورا بسكر الغنى ، كثر نسيانه ،
وقلت خواطره ، ومن احتاج تحركت همته ، وكثر تنقيده^(٩) . وعيب الغنى
أنه يورث البلادة ، وفضيلة الفقر أنه يبعث الفكر ، وإن أنت صبحت الغنى
باهمال النفس أسكرك الغنى ، وسكر الغنى سبّة المستأكلين ، ونهزة
الخدّاء ، وإن كنت لا ترصى بحظّ النائم ، وبعيش البهائم ، وأحبيت أن

(١) الحاسر : المذهب الحرين

(٢) المختلعة : من دفعت إلى روحها مالا مطلقا .

(٣) استماعه الشيء : سأله أن يبيعه إياه . والحارة المسدعة : هي التي سألت سيدها أن يبيعها ،

والسبب ها فقره وصق الحاة عنده .

(٤) جمع طعمة : وهي الأكلة .

(٥) أي إن حدث وأسرمت ، وقوله « ألا تحرمه » أي إن عجلت وأمسكت ، ورعا كان الأصل

« أن تطعمه » على تقدير « إن عجل » كما هو التقدير في الثاني .

(٦) أي أن الصائم من أحوار الإحسان أكرم مما يبيع منها ، فلا تغتر بأن الإحسان ينفى لك حسن

الذكر فإنه عروسة للناس .

(٧) أي حفظ الحمل والمعروف أو حفظ أحوار الكرماء .

(٨) الرّم : الأرض فيها ررع وحصب .

(٩) أي يحثه عن الأسباب ومبارك الرجال وأحوار الناس وأيامهم ليتحد من ذلك لصناعة للمدح .

تجمع مع تمام نفس المثري ، ومع عز الغنى وسرور القدرة ، فطنة المخيف ،
وخواطر المقل ، ومعرفة الهارب ، واستدلال الطالب ، اقتصدت في
الإيفاق ، وكنت مَعِدًّا للحدثان ، ومحترسا من كل خداع .

لست تبلغ حيل لصوص النهار ، وحيل سُراق الليل ، وحيل طُراق
البلدان ، وحيل أصحاب الكيمياء ، وحيل التجار في الأسواق ، والصناع في
جميع الصناعات ، وحيل أصحاب الحروب ، وحيل المستأكلين والمتكسبين ،
ولو جمعت الخُبْر^(١) والسَّحْرَ والتَّمَائِمَ^(٢) والسم ، لكنت حيلهم في الناس أشد
تغلُّلا ، وأعرض وأسرى في مُحقِّ البدن ، وأدخل إلى سُويداء القلب وإلى
أُمِّ الدِّماغ ، وإلى صميم الكبد ، ولهي أدقُّ مسئكا ، وأبعدُ غاية من
العِرْق^(٣) السَّارِي ، والشَّبهِ النازع^(٤) . ولو اتَّخَذْتَ الحِيطَانَ الرفيعة الثَّخينة ،
والأقفال المُحكَّمة الوثيقة ، ولو اتَّخَذْتَ المَارِقَ^(٥) والجواسِقَ^(٦) والأبواب
الشَّداد ، والحَرَسَ المتناوِينَ بأغلظِ المؤن ، وأشدَّ الكُلَف ، وتركت التَّقدمَ
فيما هو أخضرُ ضررا^(٧) ، وأدومُ شرا ، ولا غُرَمَ عليك في الحِرَاسة فيه ، ولا
مشقة عليك في التحفظ منه^(٨) ، إياك إن فتحت لهم على نفسك مثلَ سَمٍّ

(١) الحر : عام المعرفة .

(٢) التَّمَائِم : جمع تَمِيمَة ، وهي حررة أو لها يعانها الأعراب على أولادهم لدفع الضر .

(٣) العرق : حدر السات .

(٤) أي شبه الأبناء بأبائهم وأجدادهم ، فإن الشبه قد يسرى إلى غاية بعيدة في النسب .

(٥) المارق : جمع مرق بالفتح ، وهو هنا المكان الحى للفرار .

(٦) جمع حوسق بالفتح : وهو العصر .

(٧) هو حيل المستأكلين وتعلق المحتدين .

(٨) جواب لو احدث المارق محذوف بدل عليه ماقله : أي لكات حيلهم أشد .

الْخِيَاطِ جَعَلُوا فِيهِ طَرِيقًا نَهْجًا ، وَلَقِيَ ^(١) رَحْبًا ، فَأَحْكِمْ بَابَكَ ، ثُمَّ أَدِمِ ^(٢) إِصْفَاقَهُ ، بَلْ أَدِمِ إِغْلَاقَهُ ، فَهُوَ أَوْلَى بِكَ ، وَإِنْ قَدَرْتَ عَلَى مُصْنَتِ ^(٣) لَاحِلَةٍ فِيهِ فَذَلِكَ أَشْبَهَ بِحَزْمِكَ ، وَلَوْ جَعَلْتَ الْبَابَ مُبْنَمًا ، وَالْقِفْلَ مُصْنَمًا ، لَتَسَوَّرُوا عَلَيْكَ مِنْ فَوْقِكَ ، وَلَوْ رَفَعْتَ سَمَكَةَ إِلَى الْعِثُوقِ ^(٤) لَنَقَبُوا عَلَيْكَ مِنْ تَحْتِكَ ، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ : « نِعْمَ صَوْمَعَةُ الْمُؤْمِنِ يَتَنَّهُ » وَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ : « الْعُزْلَةُ عِبَادَةٌ » .

وَحَلَاوَةُ حَدِيثِهِمْ ^(٥) تَدْعُو إِلَى الْإِسْتِكْثَارِ مِنْهُمْ ، وَتَدْعُو إِلَى إِحْضَارِ ^(٦) غَرَائِبِ شَهَوَاتِهِمْ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ : « كُلْ رِخْلَةً ^(٧) وَاشْرَبْ مِشْعَلًا ^(٨) ، ثُمَّ تَجَشَّأْ وَاحِدَةً لَوْ أَنَّ عَلَيْهَا رَحَى لَطَعَنْتَ » وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْآخَرِينَ دَخَلَ عَلَى قَوْمٍ وَهُمْ يَشْرَبُونَ ، وَعِنْدَهُمْ قِيَانٌ ، فَقَالُوا : اقْتَرِحْ أَيْ صَوْتِ شَيْءٍ ، قَالَ : « اقْتَرِحْ نَشِيشَ ^(٩) مِقْلَى » وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْمَدِينِيِّ ^(١٠) : « مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ مَوْزَاتٍ ، وَبَقَدَحَ مِنْ لَبَنِ ^(١١) الْأَوَارِكِ ، تَجَشَّأَ بِخُورِ ^(١٢) الْكَعْبَةِ » .

(١) اللقي في الأصل : اللقاء ، والمراد به هنا مكان اللقاء .

(٢) إصفاق الباب : رده بعد أن كان مفتوحاً .

(٣) المصنت والمبهم : الباب أو القفل لا يهتدى إلى طريقة فتحه إلا صاحبه .

(٤) العيثوق : نجم أحمر مضىء في طرف الهجرة الأيمن يتلو الثريا .

(٥) أي حديث المتأكلين والتكسين .

(٦) أحضر الفرس : عدا ، وإحضار غرائب الشهوات : تساقبها في الظهور .

(٧) الرخلة : الأنثى من أولاد الضأن .

(٨) المشعل : شيء يتخذه أهل البادية من جلود يخرز بعضها إلى بعض ، ثم يشد إلى أربع قوائم

من خشب فيصير كالحوض ينبذ فيه ، يقول : اشرب قدر ما في مشعل من نبيذ .

(٩) النشيش : صوت غليان القدر والمقلي ونحوهما .

(١٠) قال في القاموس : « والنسبة إلى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم مدني ، وإلى مدينة المنصور

وأصفهان وغيرهما مديني » .

(١١) الإبل الأوارك : التي اعتادت أكل الأراك ، وفي النسخ « من لبن الأوداك » .

(١٢) في النسخ « بحوز » وهي غير مفهومة .

ومن ذلك قولهم لبعض هؤلاء - وقدأتمهم خبيص^(١) - : « أئما
أطيب : أهذا أم الفالوذج^(٢) ، أم اللوزينج^(٣) ؟ » قال : « لا أقضي على
غائب » ومن ذلك كلام الجارود بن أبي سبرة لبلال بن أبي بريدة حين قال
له : صف لي عبد الأعلى^(٤) وطعامه ، قال : « يأتيه الخباز فيمثل بين يديه ،
فيقول : ما عندك ؟ فيقول : عندي جدي كذا ، وعناق^(٥) كذا ، وبطة
كذا ، حتى يأتي على جميع ما عنده » قال : وما يدعوه إلى هذا ؟ قال :
« ليقتصد^(٦) كل أمرئ في الأكل ، حتى إذا أتى بالذي يشتهي بلغ منه
حاجته » قال : ثم ماذا ؟ قال : « ثم يوثى بالمائدة فيتضايقون^(٧) حتى يخوى
تحوية الظليم^(٨) ، فيجدثون ويهزل ، حتى إذا فتروا أكل أكل الجائع
المقرور^(٩) » وقال آخر : « أشتي ثريدة دكنا^(١٠) من الفلفل ،

(١) الحبيص : نوع من الحلواء ، قال صاحب القاموس : يعمل من التمر والسمن .
(٢) الفالوذ والعالوذج والعالوذق : حلواء ، قال صاحب اللسان : تسوى من لب الخنطة ، فارسي
مغرب ، وسمع الحسن رجلا يبيع العالوذج فقال : لباب البر بلباب النحل بحال السمن ، ما عاب هذا
مسلم (العقد الفريد ٣ : ٣١٢ وعيون الأخبار ٩ : ٢٠٣) وقال الجاحظ في البغلاء ص ١٩٣ :
بومدحه أمة بن أبي الصلت فقال :

إلى روح من الشيزى عليها لباب البر يلبك بالشهاد

(٣) اللوزينج : حلواء شبه القطائف تؤدم بدهن اللوز ، فارسي مغرب .

(٤) يعنى عبد الأعلى بن عبد الله بن مامر .

(٥) العناق : الأنثى من ولد العز .

(٦) فى الأصل « ليقتصر » وهو تحريف .

(٧) أى أخذ كل واحد يضيق مكانه حول المائدة حتى تتسع لهم جميعا .

(٨) الضمير فى يخوى يعود إلى عبد الأعلى ، وخوى : فرج ما بين عضديه وجنبه ، والظلم :
ذكر النعام .

(٩) المقرور : الذى أصابه القر وهو البرد - اقرأ خبر هذا الحديث أيضا فى العقد الفريد ٣ : ٣١٢

ويعيون الأخبار ٩ : ٢١٥ .

(١٠) دكنا : يضرب لونها إلى السواد .

ورَقْطَاءُ^(١) من الحِمَص ، ذاتَ حِفَافَيْنِ^(٢) من اللحم ، لها جَنَاحَانِ من العِرَاقِ^(٣) ، أَضْرِبُ فيها ضَرْبَ الْيَتِيمِ عندَ وصيِّ الشَّوْءِ^(٤) .

وسئِلَ بعضهم عن حظوظ البلدان في الطعام ، وما قُسِمَ لكل قوم منه ؟ فقال : « ذهبَ الرومُ بِالْجُشَمِ^(٥) والحَشْوِ ، وذهبت فارس بالبارد والحُلُو » وقال عمر : « لفارس الشِّفَارِجُ^(٦) والْحُمُوضُ^(٧) ؟ فقال دَوْسَرُ المَدِينِي : « لنا المهرائسُ^(٨) والقَلَايَا ، ولأهل البَدْوَ اللَّبَاءُ^(٩) والسَّلَاةُ^(١٠) والجِرَادُ والسَكَنَاءُ^(١١) والخُبْزَةُ في الرائبِ والتَّمْرُ بالزُّبْدِ ، وقد قال الشاعر :

أَلَا لَيْتَ خَبْزَا قَدْ تَسَرَّبِلَ رَائِيَا وَخَيْلًا مِنَ الْبَرْنِي قُورَسَانِيَا الزُّبْدُ^(١٢)

(١) رَقْطَاء . أى سوداء يشوبها قط بيضاء ، أو بيضاء يشوبها قط سوداء .

(٢) الحفاف : الجانب .

(٣) قال في اللسان « العرق بالفتح : العظم أخذ عنه معظم اللحم وبقي عليه لحوم رقيقة طيبة فتكسر وتطبخ وتؤخذ لإهاتها من طفاحتها ويؤكل ما على العظام من لحم دقيق وتمشش العظام ، ولحمها من أطيب اللحمان عندهم ، وجمعه عراق بالضم ، قال ابن الأثير : وهو جمع نادر » .

(٤) الظاهر هذا الحديث أيضا في العقد الفريد ٣ : ٣١٣ - ٣١٤ ، وعيون الأخبار ٩ : ١٩٨ ، وفيهما « كما يضرب ولي السوء في مال اليتيم » وهو أولى .

(٥) الجشم : الجوف أو الصدر بضلوعه ، وفي عيون الأخبار ٩ : ٢٠٤ « أما الرومي فذهب بالحشو والأحشاء » وأما الفارسي فذهب بالبارد والحلواء .

(٦) في النسخ « الشفارق » وقال صاحب القاموس واللسان . « الشفارج : الطباق فيه الفيجات والسكرجات فارسي معرب » - والبيضة : (بالفتح) السكرجة ، (بضمت وتشديد الراء) فهو عطفه مرادف - قال صاحب اللسان : « السكرجة : إفاء صير يؤكل فيه الشيء القليل من الأدم ، وهي فارسية ، وأكثر ما يوضع فيها الكوامخ ونحوها » - وقال صاحب التاج في السكرجة : « إن العرب كانت تستعملها في الكوامخ وأشباهاها من الجرارش على الموائد حول الأظعمة للذهبي والهضم » .

(٧) الحموض : جمع حمض بالفتح ، وهو كل نبت في طعمه حموضة - والملوحة تسمى الحموضة .

(٨) المهرائس : جمع هريسة ، وهي طعام يعمل من الحب المدقوق واللحم ، والقلايا : جمع قليّة كرزية وهي مرقة تتخذ من لحوم الجزور وأكبادها .

(٩) اللَّبَاءُ : أول الابل في التناج .

(١٠) سَلَاةُ السمن كنع : طبخه وعالجه ، والاسم السلاء : ككتاب .

(١١) نأت بالبادية يقال له تنعم الأرض .

(١٢) البرني : نوع من التمر ، معرب .

ولهم البرمة^(١) والخلاصة^(٢) والحيس^(٣) والوطيئة^(٤) .
 وقال أعرابي : « أتينا بئر كأفواه البعران^(٥) نخبزنا منه خبزة
 زيت^(٦) في النار ، فجعل الجمر يتحدر عنها تحدر الحشور^(٧) عن البطان^(٨) ، ثم
 ترذناها فجعل الثريد يجرول في الإهالة^(٩) جولا^(١٠) لأن الضبعان في الضفيرة^(١١) ، ثم
 أتينا بتمر كأعيان الورلان^(١٢) يوحل فيه الضرمن^(١٣) .
 ونعت السويق^(١٤) بأنه من عدد المسافر ، وطعام العجلان ، وغذاء
 المبكر^(١٥) ، وبلغت المريض ، يشد فؤاد الحزين ، ويرد من نفس المحدود^(١٦) ،
 وحيد في السمين^(١٧) ، ومنعوت في الطيب ، قفاره يجلو البلغم ، ومسمونه^(١٨)
 يصفي الدم ، إن شئت كان ثريدا ، وإن شئت كان خبيصا ، وإن شئت كان
 طعاما . وإن شئت كان شرابا .

-
- (١) قدر من حجارة ، ولعلها تطلق على اسم طعام يطبخ فيها .
 (٢) خلاصة السنن : ماخلص منه .
 (٣) الحيس : تمر يخلط بسمن وأقط [والأقط مثله ويمر كوكشف ورجل ولابل : شيء يتخذ
 من الخيض الغني] فيعجن شديدا ثم يندر منه نواه ، وربما جعل فيه سويق .
 (٤) الوطيئة : تمر يخرج نواه ويعجن بلبس ، والأقط بالسكر .
 (٥) يشبه البر في ياضه بأفواه البعران (جمع بعير) لما يعلوها من الرغوة والزبد .
 (٦) أي خبزة عجنت بزيت .
 (٧) البطان : حزام قتب البعير . (٨) الإهالة : الشعم المذاب .
 (٩) الضبع ضم الباء وسكونها مؤنثة ، والذكر ضبعان بالكسر والأنتى ضبعانة أيضا . والضفيرة
 من الرمل : ما عظم وتجمع .
 (١٠) الورلان جمع ورل كسبب : وهو زاحف كالضب .
 (١١) السويق : ما يعمل من الخنطة والشعير .
 (١٢) من يقوم في بكرة النهار ، وفي النسخ « المتكره » .
 (١٣) المحدود : المحروم .
 (١٤) أي خير أنواع الطعام السمين ، وفي عيون الأخبار « وهو جيد في السمين » اقرأ هذا
 الوصف فيه ج ٩ : ص ٢٠٦ .
 (١٥) سمن الطعام : لثته بالسمن فهو مسمون .

وقيل لبعض هؤلاء اللعامة^(١) والمستأكلين والسفافين^(٢) المققعين -
ورُئي سميना - ما أَسْمَنَكَ؟ قال: «أَكَلِي الْحَارَّ، وَشُرْبِي الْقَارَّ، وَالْإِتْكَاءَ عَلَى
شِمَالِي، وَأَكَلِي مِنْ غَيْرِ مَالِي^(٣)» وقد قال الشاعر:

وإن امتلاء البطن في حَسَبِ الْفَتَى قَلِيلُ الْغَنَاءِ وَهُوَ فِي الْجِسْمِ صَالِحٌ^(٤)
وقيل لآخر: ما أَسْمَنَكَ؟ قال: «قَلَّةُ الْفِكْرَةِ، وَطُولُ الدَّعَةِ، وَالنُّومُ عَلَى
الْكِرْطَةِ^(٥)» وقال الحجاج للفضبان^(٦) بن القَبْعَثَرِيِّ: ما أَسْمَنَكَ؟ قال: الْقَيْدُ
وَالرَّتْمَةُ^(٧)، ومن كان في ضِيَاةِ الْأَمِيرِ سَمِينًا «وقيل لآخر: إِنَّكَ لِحَسَنُ
السَّحْنَةِ^(٨)»، قال: «آكُلْ لُبَابَ الْبُرِّ، وَصَغَارَ الْمِعْزِ، وَأَذْهِنْ بِخَامِ^(٩)
الْبَنْفَسَجِ، وَأَلْبَسْ السَّكَّتَانَ» وَاللَّهُ لَوْ كَانَ مِنْ يُسْأَلُ يُعْطَى لَمَا قَامَ كَرَمُ
الْعَطِيَةِ بِلَوْزِمِ الْمَسْأَلَةِ.

-
- (١) اللعامة: جمع لعمة بكسر اللام، وهو الحريس الشهوان النهم كاللسوظ (كصفور).
(٢) في النسخ «السفاف» والمققع: المنكس الرأس أدا.
(٣) اقرأ في عيون الأخبار ٩: ٢٠٤.
(٤) أي أن كثرة الأكل لا تفيد في إعلاء شرف الفتى، ولكنها تفيد الجسم، وفي النسخ
«الفتى» بدل «الفتى».
(٥) وهذا أيضا في عيون الأخبار، والسكطة: شيء يعتري الإنسان عند الامتلاء من الطعام.
(٦) من خبره أنه لما هلك بشر بن مروان وولى الحجاج العراق بلغ ذلك أهل العراق فقام الفضبان
خطيبا بالكوفة يؤلبهم على الحجاج، فكان فيما قال لهم «فاعترضوا هذا الحيث في الطريق فاقتلوه»
«فأطيعوني وتغدوا به قبل أن يتعشى لكم» فلما قدم الحجاج الكوفة بلغه مقالته، فأمر به فأقام
في حبسه ثلاث سنين - اقرأ خطبته في جبهة خطب العرب ٢: ٣٢٠.
(٧) الرتمة: الاتساع في الحصب، وهو مثل. وأول من قاله عمرو بن الصق بن خويلد بن ثعلبة
ابن عمرو بن كلاب، وكانت شاكر من همدان أسروه فأحسنوا إليه وروّحوا عنه، وقد كان يوم
فارق قومه نجيفا، فهرب من شاكر فلما وصل إلى قومه قالوا: أي عمرو، خرجت من عندنا نجيفا
وأنت اليوم بادن، فقال: القيد والرتمة، فأرسلها مثلا، وهذا كقولهم: العز والمنعة، والنجاة
والأمنة، وفي عيون الأخبار (٩: ٢٢٥) القيد والدعة.
(٨) السحنة بالفتح وتحرك: الهيئة واللون ولين البشرة، وفي عيون الأخبار «الشحنة».
(٩) الخام: الريح الطيبة تعبق بالثوب.

ومدار الصواب على طيب المكسبة والاقتصاد في النفقة ، وقد قال بعض العرب « اللهم إني أعوذ بك من بعض الرزق » حين رأى نافية^(١) من ماله من صدق أمه .

وأى سائل كان ألحف مسألة من الخطيئة والألم ؟ ومن الأم من جرير ابن الخطفي وأبخل ؟ ومن أمنع من كثير ، وأشح من ابن هرمة^(٢) ؟ ومن كان يشق غبار ابن أبي حفصة^(٣) ؟ ومن كان يصطي بنار أبي العتاهية ؟ ومن كأبي نواس في بخله ؟ أو كأبي يعقوب الخزيمي في دقة نظره وكثرة كسبه ؟ ومن كان أكثر نحرًا لجزرة^(٤) لم تخلق من ابن هرمة ؟ وأطعن برُمح لم ينبت ، وأطعم ليطعام لم يُزرع ، من الخزيمي^(٥) ؟ فأين أنت عن ابن يسير ؟ وأين تذهب عن ابن أبي كريمة ؟ ولم تقصر في ذكر الرقاشي ، ولم تذكر شره ؟

إن الأعرابي شرٌّ من الحاضر^(٦) . سائل جبّار ، وثابة ملاق ، إن مدح كذب ، وإن هجّا كذب ، وإن أيس كذب ، وإن طمع كذب ، لا يعرفه

(١) يقال : للإبل التي يرثها الرجل فكر بها إبله « نافية » .

(٢) هو إبراهيم بن هرمة شاعر عباسي ، وكان مولعا بالشراب ، ولما ولي المنصور شخص إليه فامتدحه فاستحسن شعره ووصله ، وسأله ابن هرمة أن يبيع له الشراب لأنه مغرم به فقال : ويحك هذا حد من حدود الله وما كنت لأعطيه ، قال : فاحتل لي فيه بأمر المؤمنين ، فكتب إلى عامله بالمدينة : من أذاك بابن هرمة سكران فاجلده مائة واجلد ابن هرمة ثمانين . فجعل الجلوّاز إذا مرّ بابن هرمة سكران قال : من يشتري ثمانين بمائة ؟ - انظر ترجمته في الأغاني ٤ : ١٠١ ، والشعر والشعراء ص ٢٨٩ .

(٣) يعني مرون بن أبي حفصة ، وهو شاعر عباسي مشهور .

(٤) الجزرة . الشاة السمينة وجمعها جزر .

(٥) يقول : إن الشعراء يتخلون وينسبون إلى أنفسهم كثيرا من أعمال الكرم والشجاعة .

(٦) الحاضر : ساكن الحضر .

إِلَّا نَطِفٌ^(١) أَوْ أَحَقُّ ، وَلَا يُعْطِيهِ إِلَّا مَنْ يَحِبُّهُ ، وَلَا يَحِبُّهُ إِلَّا مَنْ هُوَ
فِي طَبَاعِهِ .

مَا أَبْطَأَكُمْ عَنِ الْبَذْلِ فِي الْحَقِّ ، وَأَسْرَعَكُمْ إِلَى الْبَذْلِ فِي الْبَاطِلِ ، فَإِنْ
كُتِمَ الشُّعْرَاءُ تَفَضَّلُوا ، وَإِلَى قَوْلِهِمْ تَرْجِعُونَ ، فَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :

قَلِيلُ الْمَالِ تُصْلِحُهُ فَيُقَى وَلَا يَبْقَى الْكَثِيرُ عَلَى الْفُسَادِ
وَقَدْ قَالَ الشَّامُخُ بْنُ ضِرَّارٍ :

لَمَّا لُ الْمَرْءُ يُصْلِحُهُ فَيُقَى مَفَاقِرُهُ ، أَعْفُ مِنَ الْقُنُوعِ^(٢)
وَقَالَ أَحْيَاةُ بْنُ الْجَلَّاحِ :

اسْتَغْنِ أَوْمَتْ وَلَا يَغْرُزْكَ ذَوْنَشَبٍ مِنْ ابْنِ عَمٍّ وَلَا عَمٍّ وَلَا خَالٍ
إِنِّي أَكْبُثُ عَلَى الزُّورَاءِ أَعْمُرُهَا إِنْ الْكَرِيمُ عَلَى الْأَقْوَامِ ذُو الْمَالِ^(٣)
وَقَالَ أَيْضًا :

اسْتَغْنِ عَنْ كُلِّ ذِي قُرْبَى وَذِي رَحِمٍ إِنْ الْغَنَى مَنِ اسْتَغْنَى عَنِ النَّاسِ
وَالْبَسْ عَدُوَّكَ فِي رِفْقٍ وَفِي دَعَا لِبَاسَ ذِي إِرْبَةِ ، لِلدَّهْرِ أَبَاسٍ^(٤)
وَلَا يَغْرُثُكَ أَضْغَانٌ مُزْمَلَةٌ قَدْ يَضْرِبُ الدَّبِيرُ الدَّامِيَ بِأَخْلَاسٍ^(٥)
وَقَالَ سَهْلُ بْنُ هُرُونَ :

(١) النطف : المتهم بريية .

(٢) المفاقر : قيل جمع فقر على غير قياس ، وقيل جمع لا واحد له ، والقروع : السؤال والتذال .

(٣) الزوراء : أرض كانت لأحيحة بن الجلاح ، سميت بشتر كانت فيها (والزوراء : البئر البعيدة
الغمر) - انظر معجم البلدان ٤ : ٤١٢ - والبيت فيه :

إِنِّي أَكْبُثُ عَلَى الزُّورَاءِ أَعْمُرُهَا إِنْ الْكَرِيمُ عَلَى الْأَخْوَانِ ذُو الْمَالِ

(٤) الإربة : الدهاء .

(٥) مزملة : دية خفية ، من التزميل وهو الإخفاء والالف في التوب ، والدر : البعير أصيب

بقرحه من الرجل ، والأحلاس : جمع جلس كفرد ، وهو ما يوضع على ظهر البعير تحت الرجل .

إذا مروء ضاق عني لم يضيق خلقي
من أن يراني غنيا عنه باليامس
فلا يراني إذا لم يزعج أصرتي
مُسْتَعْرِياً ذَرَّراً منه بإيساس^(١)
لا أطلبُ المالَ كي أغنى بفضله
ما كان مطلبه فقراً إلى الناس^(٢)
وقال أبو العتاهية :

أنت ما استغنيتَ عن صا
حيك الدهر أخوه
فإذا احتجتَ إليه
ساعةً مجَّك فوه
وقال أحيحة بن الجلاح :

فلو أني أشاء نَعِمْتُ بالآ
وباكرني صَبُوحٌ أو نَشِيلٌ^(٣)
ولا عَنَى على الأنماط لُغْسٌ
على أنيابهنَّ الزَّنجِيلُ^(٤)
ولكني خُلِقْتُ إزاء مالٍ
فأبخلُ بعد ذلك أو أنيلُ
وقال آخر :

أيا مُصْلِحَ أَصْلِحْ ولا تَكْ مُفْسِدا
فإن صلاح المال خير من الفقر
ألم ترَ أن المرء يزاد عِزَّةً
على قومه أن يعلموا أنه مُثْرَى ؟
وقال عُروة بن الورد :

ذَرِينِي لِلْغِنَى أَسْمَى فَإِنِي
رَأَيْتُ النَّاسَ شَرَّهُمْ الْفَقِيرُ

(١) الأصرة : صلة المودة أو القرابة ، والمستعري : الحالب ، والذر : اللبن ، والإيساس : التلطف باللاقة عند الحلب بأن يقال لها سس بس تسكينا لها .
(٢) ما في « ما كان » مصدرية ظرفية أي مدة كون طلبه يحد فقرا إلى الناس .
(٣) باكرني : جاءني في بكرة النهار ، والصباح : ما حلب من اللبن بالغداة ، والنشيل : اللحم المطبوخ غير تابل ، أو اللبن ساعة يحلب .
(٤) الأنماط : جمع نمط كسبب ، وهو ثوب صوف ذو لون يفرش ، لفس : أي نساء لفس جمع لفساء . وصف من اللبس بالتحريك ، وهو سواد مستحسن في الشفة .

وَأَبْعَدُهُمْ وَأَهْوَنُهُمْ عَلَيْهِمْ وَإِنْ أُمْسَى لَهُ نَسَبٌ وَخَيْرٌ^(١)
وَيُقْصَى فِي النَّدَى وَتُرْدِيهِ حَلِيلَتُهُ وَيَنْهَرُهُ الصَّغِيرُ
وَتَلْقَى ذَا الْغِنَى وَلَهُ جَلَالٌ يَكَادُ فَرَادُ صَاحِبِهِ يَطِيرُ
قَلِيلٌ ذَنْبُهُ ، وَالذَّنْبُ جَمٌّ وَلَكِنْ الْغِنَى رَبٌّ غَفُورٌ
وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ بْنُ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ .

تِلْكَ عِرْسَايَ تَنْطِقَانِ عَلَى عَمْدٍ لِيَ الْيَوْمَ قَوْلَ زُورٍ وَهْتَرٍ^(٢)
سَأَلَتَانِي الطَّلَاقَ أَنْ رَأَيْتَا مَا لِي قَلِيلًا ، قَدْ جِثَمَانِي بُكْرٍ^(٣) !
فَلَعَلِّي أَنْ يَكْثُرَ الْمَالُ عِنْدِي وَيُعْرَى مِنَ الْمَغَارِمِ ظَهْرِي
وَيُرَى أَعْبُدُ لَنَا وَأَوَاقٍ وَمَنَاصِيفُ مِنْ خَوَادِمٍ عَشْرِ^(٤)
وَتُجَرُّ الْأَذْيَالُ فِي نِعْمَةٍ زَوْ لِي ، تَقُولَانِ ضَعْ عَصَاكَ لِدهْرِ^(٥)
وَيَ كَأَنْ مِنْ يَكُنْ لَهُ نَسَبٌ يُحْسِبُ ، وَمَنْ يَفْتَقِرُ يَعِشْ عِيشَ ضُرٍ^(٦)
وَيُجَنَّبُ سِرُّ النَّجَى وَلَكِنْ أَخَا الْمَالِ مُحْضَرٌ كُلُّ سِرٍّ^(٧)
وَقَالَ الْآخَرُ :

(١) الخير : الكرم والعرف ،

(٢) العرس : الزوجة ، والهتر : تمزيق العرض ، هتره كضرب وهتره : مزقه .

(٣) سال من باب خاف لفة في سأل الهموز .

(٤) الأواقي : جمع واقية ، وهي الحافظة الصائنة ، ويريد بها الحادمة . ومناصيف : جمع منصف

كثير ومقعد ، وهي الخادم ، وجعها مناصف ومناصيف .

(٥) الزول : الحسنه العجيبة ، ومعنى الشطر الثاني ، تقولان : ألقى عصاك لدهرك فلا تكدح فيه ،

ولا تنتقل في طلب الرزق فقد تمت عليك النعمة .

(٦) وي بمعنى أنه جب ، وكأن محقة من الثقلة ، وهي هنا بمعنى حقا ، والنشب المال الأصيل .

(٧) في النسخ « شر النجى » و « محضر كل شر » وفيها أيضا « أبا الفقر » والنجى :

من تسارّه .

وللمال منى جانبٌ لا أُضِيعه وللهو منى والبَطالةِ جانبٌ^(١)
وقال الأخنسُ بن شهاب :

وقد عشتُ دهرًا والغواةُ صحابتي أولئك إخواني الذين أصاحبُ
فأذيتُ عني، ما استعرتُ من الصبا وللمال منى اليومَ رايح وكاسبُ
وقال ابن أذينة التتفي :

أطعتُ النفسَ في الشهواتِ حتى أعادتني عسيفًا عبدَ عبدٍ^(٢)
إذا ما جشَّها قد بعْتُ عِتْقًا تعانقُ أو تُقبِلُ أو تُفدِّي^(٣)
فمن وجَدَ الغنى فليُضْطَئِعه ذخيرته ويجهَدُ كلَّ بهدٍ
وقال :

مَنْ يَجْمَعُ الْمَالَ وَلَا يَتَبَّهُ^(٤) ويتركُ العامَ لِعَامٍ جَدِيهِ^(٥)

* يَهْنُ عَلَى النَّاسِ هَوَانٌ كَلْبِي *

وقد قيل في المثل : « الكدُّ قبل المدَّ »^(٦) وقال لقيط : « ألقم وأذر
لللقاح ، وأحِدُ السلاح »^(٧) وقال أبو المعافى .

إن التواني أنكحَ العجزَ بنته وساقَ إليها حينَ زوجها مهرًا^(٨)

(١) الرواية المشهورة « ولله منى » .

(٢) العسيف : الأجير ، والعبد المستهان به .

(٣) العتق : الفرف والحرية ، أى إذا ما جئت النفس وقد بعثت شرفى وحريتى تسربنى .

(٤) ثبى المال : جمعه وكثره .

(٥) أى أنه إذا كان فى عام خصب ترك الادخار حتى يحل به عام قد يكون جدبا .

(٦) الكد : التعب ، والمد : البسط والسعة .

(٧) أى ألقم إبلك يديك إذا أبت أن تأكل بنفسها ، وأذر : أى ألقى الغذاء - من ذرت الرمح
القوى تدوره وأفرته وذرتة إذا أطارته - للقاح : وهى النوق التى لفتت أى حملت ، وأحَدُ السلاح :
أى سنّه ، والغرض من ذلك : العناية بالمال وأخذ العدة لحوادث الدهر .

(٨) أى أن التواني زوج ابنته للعجز ولم يكلفه مهرا ، بل بعث إليه بابنته وساق معها مهرها .

فِرَاشًا وَطِيبًا ثُمَّ قَالَ لَهَا اتَّكِي فَقَصَّرُ كَمَا لَا بُدَّ أَنْ تَلِدَا الْفَقْرَا^(١)

وقال عثمان بن أبي العاص : « ساعةٌ لَدُنْيَاكَ وساعةٌ لآخرتك » .

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . « أنها كم عن قِيلَ وقال ، وكثرة

السؤال ، وإضاعة المال » وقال . « خيرُ الصَّدقة ما أبقى غِنًى ، واليدُ العليا خيرُ

من اليد السفلى^(٢) ، وأبدَأُ بَمَنْ تَعُولُ » وقال النبي صلى الله عليه وسلم . « الثالثُ ،

والثالثُ كثير ، إنَّكَ أَنْ تَدَعَ وَلَدَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَتَكَفَّفُوا النَّاسَ »

وقال ابن عباس ، « وَدِدْتُ أَنْ النَّاسَ غَضُّوا مِنْ الثَّلاثِ شَيْئًا ، لقول النبي صلى

الله عليه وسلم . « الثالثُ ، والثالثُ كثير » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « كَفَى

بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ » .

وَأَنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّ الْمَجْدَ وَالْكَرَمَ أَنْ أَفْقَرَ نَفْسِي بِإِغْنَاءِ غَيْرِي ، وَأَنْ أُحُوطَ

عِيَالًا غَيْرِي بِإِضَاعَةِ عِيَالِي ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ ابْنُ هَرْمَةَ :

كَتَارَكَةٍ يَيْضُهَا بِالْعَرَاءِ وَمُلبَسَةٍ يَيْضُ أُخْرَى جَنَاحًا^(٣)

وقال آخر :

كُفْسِدِ أَدْنَاهُ وَمُصْلِحِ غَيْرِهِ وَلَمْ يَأْتِمِرْ فِي ذَاكَ أَمْرَ صَلَاحٍ

(١) فِرَاشًا بدل من مهرا : أى ثم قال لها ااتكى على هذا الفراش الوثير واستريحى ولا تعملى شيئا، وتصرك أن تفعل كذا ، وقصارك بالفتح ويضم وقصيرارك وقصارك بضمهما : أى جهدك وعانيتك ، أى عاية أمركما التى لامناس منها أن تلدا مولودا اسمه الفقر .

(٢) اليد العليا : المعطية ، والسفلى : المعطاة .

(٣) يعنى العامة ، وقد ضربوا بها المثل فى الحق فقالوا « أحق من عامة » قال الميدانى فى شرحه « وذلك أنها تنتشر للطعم فربما رأت ييس نعمة أخرى قد انتشرت لمثل ما انتشرت هى له فتحضن ييضا وتنسى ييضا نفسها ، ثم تجيء الأخرى فتري غيرها على ييضا نفسها ، فتعزلطيتها (أى لوجهها) وإياها عى ابن هرمة بقوله : كتاركة ييضا ... » ثم قال « وزعم أبو عبيدة أن ابن هرمة عى بقوله كتاركة ييضا العامة التى تحضن ييضا غيرها وتضيع ييضا نفسها » .

وقال آخر :

كَمْ رُضِيعَةٍ أَوْلَادَ أُخْرَى وَضِيعَتُ بَيْنَهَا وَلَمْ تَرْقَعْ بِذَلِكَ مَرَّةً
وقال الله تبارك وتعالى : « وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا . إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ » وقال : « وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ^(١) » فَأُذِنَ فِي الْعَفْوِ
ولم يأذن في الجهد ، وأُذِنَ فِي الْفُضُولِ ولم يأذن في الأصول ^(٢) ، وأراد كعبُ
ابن مالك أن يتصدق بماله ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « أَمْسِكْ عَلَيْكَ
مَالَكَ » فالنبي صلى الله عليه وسلم يمنعه من إخراج ماله في الصدقة ، وأنتم
تأمرونه بإخراجه في السرف والتبذير ! . وخرج غيلانُ بن سلمة من جميع
ماله ، فأكرهه عمر على الرجوع فيه ، وقال : « لَوْ مِتَّ لَرَجَمْتُ قَبْرَكَ كَمَا
يُرْجَمُ قَبْرُ أَبِي رِغَالٍ ^(٣) » وقال الله جل وعز . « لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ
وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ » وقال النبي صلى الله عليه وسلم .

(١) العفو : ما يفضل عن الحاجة .

(٢) الفضول جمع فضل : وهو الزيادة ، والمراد بالأصول : المال المحتاج إليه في حياة الرجل ، أو صناعته أو تجارته .

(٣) قال صاحب القاموس : « وأبو رغال ككتاب ، في سنن أبي داود ودلائل النبوة وغيرها عن ابن عمر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجنا معه إلى الطائف فررنا بقبر فقال : هذا قبر أبي رغال ، وهو أبو ثقيف وكان من ثمود . وكان بهذا الحرم يدفع عنه ، فلما خرج منه أصابته النقرة التي أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه » وقال صاحب اللسان : « أبو رغال : اسمه زيد بن مخلف ، عبد كان لصالح النبي صلى الله عليه وسلم على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، بعثه مصداقا ، وأنه آتى قوما ليس لهم لبن إلا شاة واحدة ولهم صبي قد ماتت أمه فهم يعاجونه بلبن تلك الشاة - يعنى يعذونه ، والمعجى كفى : الذى يغذى غير لبن أمه - فأبى أن يأخذ غيرها ، فقالوا : دعها نحايي بها هذا الصبي ، فأبى فيقال : إنه نزلت به قارعة من السماء ، ويقال : بل قتله رب الشاة ، فلما فقده صالح قام في الموسم ينشد الناس فأخبر بصنيعه فلعنه ، فقبره بين مكة والطائف يرجه الناس » - وقد قدمنا عنه كلمة في نسب ثقيف في الجزء الثانى ص ١٦٦ .

يكفيك ما بلغك المحل^(١)، وقال . « ما قل وكفى خير مما كثر وألهى » وقال
الله تبارك وتعالى : « الَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ
قَوَامًا » وقال النبي صلى الله عليه وسلم . « إن المنيبت لا أرضا قطع ولا ظهرا
أبقى^(٢) » وقال الله جل ذكره . « وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا
تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا » ولذلك قالوا . « خير ماله
ما تقصرك ، وخير الأمور أوساطها ، وشر السير الحقيقة^(٣) ، والحسنة بين
السيئتين » وقالوا : « دين الله بين المقصر والغالي^(٤) » وقالوا في المثل . « بينهما
يرى الراى^(٥) » وقالوا . « عليك بالسداد والاقتصاد ، لا وكس ولا شطط^(٦) »
وقالوا : « بين المنيخة والمجفاء^(٧) » وقالوا . « لا تكن حلوا فتبتلع ، ولا مراً

(١) يروى في خطبة أكرم بن صيني أمام كسرى « يكفيك من الزاد ما بلغك المحل » — انظر
جهرية خطب العرب ١ : ٢٢ .

(٢) المنبت : النقط من أصحابه في السفر ، والظهر الدابة ، قاله صلى الله عليه وسلم لرجل اجتهد
في العبادة حتى هجست عيناه : أى غارتا ، فلما رآه قال له : إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، إن
المنبت : أى الذى يجد في سيره حتى ينبت أخيراً — سماه بما تشول إليه عاقبته كقوله تعالى
« إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ » مثل يضرب لمن يبالغ في طلب الشيء ويفرط حتى ربما يفوته
على نفسه .

(٣) الحقيقة : أشد السير وأتعبه للظهر ، أو أن يلج في السير حتى تعطب راحلته أو تقطع ، قال
صاحب اللسان : « وتعب عبد الله بن مطرف بن الشخير فلم يقتصد ، فقال له أبوه : « يا عبد الله العلم
أفضل من العمل ، والحسنة بين السيئتين ، وخير الأمور أوساطها ، وشر السير الحقيقة » هو إشارة
إلى الرفق في العبادة ، يعنى : عليك بالقصد في العبادة ، ولا تحمل على نفسك فتسأم ، وخير العمل
مادام وإن قل ، وإذا حملت على نفسك من العبادة مالا تطيقه انقطعت به عن الدوام على العبادة وبقيت
حسيرا ، فتكلف من العبادة ما تطيقه ولا يحسرك » .

(٤) أى أن الدين هو الطريقة المثلى بين التقصير والمبالاة .

(٥) أى بين التقصير والمبالاة الاعتدال الذى يجب أن يقصد إليه القاصد .

(٦) الوكس : التقص ، والشطط : الجور .

(٧) أخت الشاة : ممئت ، والمجفاء : الهزيلة ، وهو مثل يضرب في التوسط

فَتُلْفَظُ ، وَقَالُوا فِي الْمَثَلِ . « لَيْسَ الرَّئِيُّ عَنِ التَّشَافِّ »^(١) ، وَقَالُوا : « يَا عَاقِدُ
 اذْكُرْ حَلًّا »^(٢) ، وَقَالُوا . « الرَّشْفُ »^(٣) أَنْتَقِعُ لِلظَّمَانِ ، وَقَالُوا . « الْقَلِيلُ الدَّائِمُ
 أَكْثَرُ مِنَ الْكَثِيرِ الْمُنْقَطِعِ » ، وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ : « إِنِّي لَا أُسْتَجِمْ نَفْسِي بِبَعْضِ
 الْبَاطِلِ ، كَرَاهَةً أَنْ أَجْعَلَ عَلَيْهَا مِنَ الْحَقِّ مَا يَمْلِكُهَا » ، وَقَالَ الشَّاعِرُ :
 وَإِنِّي لَحُلُوٌّ تَعْتَرِينِي مَرَارَةٌ وَإِنِّي لَصَعْبُ الرَّأْسِ غَيْرُ جَمُوحٍ^(٤)
 وَقَالُوا فِي عَذْلِ الْمُصْلِحِ وَلِائِمَةِ الْمُقْتَصِدِ : « الشَّحِيحُ أَعْذَرُ مِنَ الظَّالِمِ »^(٥)
 وَقَالُوا : « لَيْسَ مِنَ الْعَذْلِ سُرْعَةُ الْعَذْلِ » ، وَقَالُوا : « لَعَلَّ لَهُ عَذْرًا وَأَنْتَ تَلُومُ »^(٦)
 وَقَالُوا : « رَبِّ لَا تُؤْمِمْ مُلِيمٌ »^(٧) ، وَقَالَ الْأَخْنَفُ : « رَبِّ مَلُومٌ لَا ذَنْبَ لَهُ »^(٨)
 وَقَالَ : « إِعْطَاءُ السَّائِلِ تَضَرِيَةٌ »^(٩) ، وَإِعْطَاءُ الْمُلْحِفِ مَشَارَكَةٌ^(١٠) ، وَقَالَ

(١) الاشتفاف والتشاف : أن تضرب جميع ما في الإفاء ، مأخوذ من الشفافة بالضم ، وهي بقية الماء
 في الإفاء ، يقول : ليس من لا يشتف لا يروى ، فقد يكون الري دون ذلك . وهو مثل يضرب في
 قناعة الرجل ببعض ما ينال من حاجته : أي ليس قضاؤك الحاجة أن لاتدع قليلا ولا كثيرا إلا نلته ،
 فإذا نلت معظمها فافتع به .

(٢) ويروى « يا حامل » ، فإذا قلت يا عاقد فقولك حلا يكون تقيض العقْد ، وإذا رويت يا حامل
 فالحل بمعنى الحلول ، يقال حل بالمكان يحل حلا وحلولا ومحلا . وأصل المثل في الرجل يشد حملاه
 فيسرف في الاستيناق حتى يضرب ذلك به وبراحلته عند الحلول ، يضرب مثلا للنظر في العواقب .

(٣) الرشف : التأني في الضرب ، أنتقع : أذهب وأقطع للعطش ، مثل يضرب في ترك العجلة .

(٤) ويروى لحان بن ثابت :

وَإِنِّي لَحُلُوٌّ تَعْتَرِينِي مَرَارَةٌ وَإِنِّي لَتَرَاكُ لِمَا لَمْ أَعُودْ

(٥) يقول : إنهم حين تجنبوا على المقتصد ولأموه ووصفوه بالشح كذبا ، جعلوا له في شحه عذرا
 أقوى من عذر الظالم .

(٦) مثل يضرب لمن يلوم من له عذر لا يعلمه اللائم ، وهو عجز بيت ، وصدوره :

« تَأْنٍ وَلَا تَعْجَلْ بِلَوْمِكَ صَاحِبَا » .

(٧) ألام : آتي بما يلام عليه ، والمثل لأكرم بن صيني .

(٨) قال الميداني « هذا من قول أكرم بن صيني ، يقول : قد ظهر للناس منه أمر أنكروه عليه
 وهم لا يعرفون حجته وعذره فهو يلام عليه . وذكروا أن رجلا في مجلس الأخنف بن قيس قال :
 ليس شيء أبغض إليّ من التمر والزبد فقال الأخنف : « رب ملوم لا ذنب له » .

(٩) التضرية : التعويد والإغراء . وأصله من ضرى الكلب بالصيد كفرح : تعود ، وأضرأه
 صاحبه به وضراًه : عودته وأغراه .

(١٠) أي مشاركة له في الإلحاف لأنك باعطائه عاوته وجراته .

النبي صلى الله عليه وسلم : « لَا تَصْلُحُ الْمَسْأَلَةُ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ : فَقَرِ مُدْقِعٌ ^(١) ، وَغُرْمٌ مُفْطِيعٌ ، وَدَمٌ مُوجِعٌ ^(٢) » . وقال الشاعر :

الْحُرُّ يُلْحَى وَالْعَصَا لِلْعَبْدِ وَلَيْسَ لِلْمُلْحِفِ غَيْرُ الرَّدِّ ^(٣)

وقالوا : « إِذَا جَدَّ السُّؤَالُ جَدَّ ^(٤) الْمَنْعُ » وقالوا : « احْذَرِ إعْطَاءَ الْمَخْدُوعِينَ ^(٥) ، وَبِذَلِ الْمَغْبُونِينَ ، فَإِنَّ الْمَغْبُونَ لَا مَحْمُودَ وَلَا مَأْجُورَ » ولذلك قالوا : « لَا تَكُنْ أَدْنَى الْعَيْرِينَ ^(٦) إِلَى السَّهْمِ » يقول : إِذَا أُعْطِيَ السَّائِلِينَ مَالُكَ صَارَتْ مَقَاتِلُكَ أَظْهَرَ لَأَعْدَائِكَ مِنْ مَقَاتِلِهِمْ ، وقالوا : « الْفِرَارُ بِقِرَابِ أَكَيْسٍ ^(٧) » وقال أبو الأسود : « لَيْسَ مِنَ الْعِزِّ أَنْ تَتَعَرَّضَ لِلذِّلِّ ، وَلَا مِنَ الْكِرَمِ أَنْ تَسْتَدْعِيَ اللَّوْمَ » ومن أخرج ماله من يده افتقر ، ومن افتقر فلا بد له من أن يَضْرَعَ ^(٨) ، وَالضَّرْعُ لَوْمٌ . وَإِنْ كَانَ الْجُودُ شَقِيقَ الْكِرَمِ ، فَالْأَنْفَةُ أَوْلَى بِالْكَرَمِ ^(٩) ، وَقَدْ قَالَ الْأَوَّلُ : « اللَّهُمَّ لَا تُنْزِلْنِي ^(١٠) مَاءَ سَوَاءٍ ، فَأَكُونَ أَمْرًا سَوَاءً » وقد قال الشاعر :

-
- (١) أى شديد ملصق بالبقاء ، وهى الأرض .
 (٢) أى فى حال جمع المال لذة القتيل .
 (٣) يلحى : يلام ، لحاه يلحاه : لومه . (٤) أى قوى واشتد .
 (٥) المصدر مضاف لمفعله : أى احذر أن تعطى وأنت مخدوع .
 (٦) العير : الحمار ، والعيران هنا السائل والمشتول ، فإذا أعطى المشتول كل ماله للسائل تعرض لسهم أعدائه ولم يقو على نزاههم .
 (٧) القرباب : الغمد ، والمثل لحابر بن عمرو المازنى . وذلك أنه كان يسير يوما فى طريق إذ رأى أثر رجلين ، وكان عاثما فاثما (والعائف : المتكهن بالطير أو غيرها ، والعائف : من يعرف الآثار) فقال : أرى أثر رجلين متديدا كلبهما عززا سابهما والقرار بقرباب أكيس . أراد ذو القرار أى الذى يمر ومعه قرباب سيفه إذا فاته السيف أكيس ممن يفيت القرباب أيضا .
 (٨) أى يذل .
 (٩) يقول : إذا كان الجود شقيق كرم النفس ، وجب على الجواد ألا يسعى فى إذلال نفسه ، وأن يحافظ على أمتها وإياها ، وإنما يكون ذلك بالمحافظة على ماله .
 (١٠) هكذا فى الحوان للجاحظ ، وفى النسخ « لا تنزلى » .

واخْطُ مع الدهر إذا ما خَطَا واجرِ مع الدهر كما يجري
وقد قال الآخر :

يأليت لي نعلين من جِلْد الضَّبْع وشُرْكا من ثَغْرِهَا^(١) لا تَنْقَطِعُ
كلَّ الحِذاءِ يحْتَذِي الخافي الوَقْعَ^(٢)

وقد صدق قول القائل : « من احتاج اغتفر ، ومن اقتضى^(٣) تجاوز » وقيل .
لِدَيْسِيمُوس^(٤) : تأكل في السوق ! قال : « إن جاع [دَيْسِيمُوسُ^(٥)] في
السوق ، أكل في السوق » وقال^(٦) : « من أجْدَبَ اتَّجَعَ ، ومن جاع
جشِع » وقال : « احذروا نِقَارَ النعمة فانها نَوَارٌ^(٧) ، وليس كل شارِدٍ بمردود ،
ولا كل نادٍ^(٨) بمصروف » وقال علي بن أبي طالب : « قلما أدبرَ شيء
فأقبل » وقالوا : « رَبُّ أَكَلَةٍ تمنع أَكَلَاتِ^(٩) ، وَرَبُّ حَجَلَةٍ تهب رِيثًا^(١٠) »

(١) هكذا في مجمع الأمثال ، وفي النسخ « من استها » والشرك جمع : شرك ككتاب ، وهو سير النعل .

(٢) وقع الرجل كعرج : إذا حن من مره على الحجارة ، وهو مثل يضرب عند الحاجة تحمل على التعلق بما يقدر عليه .

(٣) اقتضى دينه وتقاضاه بمعنى .

(٤) جاء في كتاب الحيوان للجاحظ : « حدثني النبي قال : كان في اليونانيين ممرور (وهو الذي غلبت عليه المرة بالكسر : أي معتوه) له نوادر عجبية وكان يسمى ديسيموس ، قال : والحكماء يروون له أكثر من ثمانين نادرة » .

(٥) الريادة بين الفوسين من الحيوان للجاحظ .

(٦) القائل صعصعة بن صوحان ، تغدى عند معاوية فتناول من بين يديه شيئا ، فقال معاوية : يا بن صوحان اتجعت من بعد ، فقال : من أجْدَبَ اتَّجَعَ .

(٧) النوار كسحاب : المرأة العور من الربة .

(٨) ند البعير كصرب : ثغر وذهب على وجهه شاردا .

(٩) أول من قاله عامر بن الظرب العدواني ، وهو مل يضرب في ذم الحرص على الطعام .

(١٠) أول من قاله مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن محم الشيباني ، وكان سنان بن مالك ابن أبي عمرو بن عوف بن محم بنام غيا فأراد أن يرحل بأمراته - وهي أخت مالك بن عوف - فقال له مالك : أين تظعن يا أحمى ؟ قال : أطلب موقع هذه السحابة ، قال : لا تفعل فإنه ربما خيلت وليس فيها قطر ، وأنا أخاف عليك بعض مقاب العرب (جمع مقب كمنبر : وهو جماعة الخيل والفرسان)

وصابوا من قال : « أَكَلَتْ وَمَوْتَهُ ^(١) » وقالوا : « لَا تَطْلُبْ أَثْرًا بَعْدَ عَيْنٍ ^(٢) »
وقالوا : « لَا تَكُنْ كَمَنْ تَعْلِيهِ نَفْسُهُ عَلَى مَا يَظُنُّ ، وَلَا يَغْلِبُهَا عَلَى مَا يَسْتَيْقِنُ »
فانظر كيف تُخْرِجُ الدَّرْهَمَ ؟ وَلِمَ تُخْرِجُهُ ؟ وقالوا : « شَرٌّ مِنْ الْمَرْزُوءَةِ سُوءُ
الْخَلْفِ ^(٣) » وقال الشاعر :

إِنْ يَكُنْ مَا بِهِ أُصِيبَتْ جَلِيلًا فَذَهَابُ الْعَزَاءِ فِيهِ أَجْلٌ

وَلَا أَنْ تَفْتَقِرَ بِجَائِحَةٍ نَازِلَةٍ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَفْتَقِرَ بِجُنَايَةٍ مَكْتَسَبَةٍ ، وَمَنْ
كَانَ سَبَبًا لِدَهَابِ وَفَرِهِ ، لَمْ تَعْدَمْهُ الْحَسْرَةُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَاللَّائِمَةُ مِنْ غَيْرِهِ ،
وَقَلَّةُ الرَّحْمَةِ ، وَكَثْرَةُ الشَّمَاتَةِ ، مَعَ الْإِثْمِ الْمُوَبِّقِ وَالْهُوَانِ عَلَى الصَّاحِبِ ،
وَذَكَرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فُتَيَانَ قُرَيْشٍ وَسَرَفَهُمْ فِي الْإِنْفَاقِ ، وَمَسَابِقَتَهُمْ

قال : لكنني لست أخاف ذلك فمضى ، وعرض له مروان الفرظ بن زباج العبسي ، فأعجبه عنها وأطلق
بها وجعلها بين بناته وأخواته ولم يكشف لها سترها ، فقال مالك بن عوف لسان . ما فعلت أختي ؟
قال : قُتِلَتْ عنها الرماح ، فقال مالك : رب عجلة تهب ريشا ، ورب فروقة يدعى لنا (والفروقة بالفتح :
الجبان الشديد الفزع) ورب غيث لم يكن غيثا ، فأرسلها مثلا . يضرب للرجل يشدد حرصه على حاجة
ويحرق فيها حتى تذهب كلها .

(١) أى آكل وأملا بطنى ولو كان فى ذلك الموت .

(٢) من أمثالهم « تَطْلُبْ أَثْرًا بَعْدَ عَيْنٍ » و « لَا أَطْلُبْ أَثْرًا بَعْدَ عَيْنٍ » يضرب لمن ترك شيئا يراه
ثم تبع أثره بعد فوت عينه ، وأول من قاله مالك بن عمرو العاملى ، وذلك أن بعض ملوك غسان كان
يطلب فى عاملة ذحلا (أى ثأرا) فأخذ منهم رجلين يقال لهما مالك وسماك ابنا عمرو ، فاحتبسهما عنده
زمانا ثم دعاهما فقال لهما : إني قاتل أحديكما فأيكما أقتل ؟ فجعل كل واحد منهما يقول : اقتلى مكان
أخى ، فلما رأى ذلك قتل سماكا وخلق سبيل مالك ، فقال سماك حين ظن أنه مقتول أحياتا منها :
وأقسم لو قتلوا مالك لكنت لهم حية راصده

وانصرف مالك إلى قومه ، فلبث فيهم زمانا ، ثم إن ركبا مروا وأحدهم يتغنى بهذا البيت فسمعت
بذلك أم سماك ، فقالت : يا مالك قبح الله الحياة بعد سماك ، أخرج فى الطلب بأخيك ، تخرج فى الطلب
فلقى قاتل أخيه يسير فى ناس من قومه ، فقال : من أحسن لى الجمل الأحمر ؟ فقالوا له - وعرفوه - :
يا مالك له مائة من الإبل مكف ، فقال لا أطلب أثرا بعد عين ، فذهبت مثلا ، ثم حل على قاتل
أخيه . فقتله ، والمعنى : لا آخذ الدية وهى أثر الدم وتبعته ، وأترك العين يعنى القاتل .

(٣) المرزئة : المصيبة ، وسوء الخلف ما تخلفه من الجزع ، أى إذا فقدت مالك كان جزعك على
ضياعه أشد من ضياعه .

في التبذير ، فقال : « تُخْرِقَةُ^(١) أخدم أشدُّ عليَّ من عَيْلته » يقول : إن إغناء
الفقير أهون عليَّ من إصلاح الفاسد :

ولا تكن على نفسك أشامَ من خَوْتَمَةٍ^(٢) ، وعلى أهلك أشامَ من
البَسُوسِ^(٣) ، وعلى قومك أشامَ من عِطَرِ مَنْشِمٍ^(٤) ، ومن سلَّط الشهواتِ
على نفسه ، وحكم الهوى في ذات يده ، فبقي حسيرا ، فلا يلومَنَّ إلا نفسه ،
وطُوبَى لك يوم تقدِّر على قديم^(٥) تنتفع به ، وقال بعض الشعراء :

أَرَى كُلَّ قَوْمٍ يَمْنَعُونَ حَرِيمَهُمْ وليس لأصحاب النبذ حَرِيمُ

(١) الخرقه : الحق ، وسوء التصرف في الأمور . والعيلة : الفقر .
(٢) هو رجل من بني غفيلة بكهينة دل كثيف (كزير) بن عمرو التغلبي وأصحابه على بني الزبان
(بالفتح) الدهلي ، لثرة كانت له عند عمرو بن الزبان ، فأتوهم وهم قد جلسوا على الغداء ، فقال عمرو
لا تشب الحرب بيننا وبينك ، قال : كلا ، بل أقتلك وأقتل إخونك ، قال : فإن كنت فاعلا فأطلق
هؤلاء الثغية الذين لم يتلبسوا بالحروب ، فإن وراءهم طالبا أطلب مني ، يسى أباهم ، فقتلهم وجعل
رءوسهم في مخلاة ، وعلقها في عنق ناقة لهم يقال لها الدهيم (كزير) فجاءت الناقة والزبان جالس
أمام بيته ، فبركت ، فقال : يا جارية هذه ناقة عمرو وقد أبطأ هو وإخوته ، فقامت الجارية فجست
المخلاة فقالت : قد أصاب بنوك بيض لئام ، وأدخلت يدها فأخرجت رأس عمرو أول ما أخرجت ،
ثم رءوس إخوته ، ففسلها الزبان ووضعها على ترس وقال : آخر البز على القلوس ، فأرسلها مثلا
- والبز : القلوس - أي هذا آخر عهدي بهم لا أراهم بعده . وخبر أن خوتعة هو الذي دل على ولده ،
فأثخن في بني غفيلة حتى أبادهم - اقرأ المثل مطولا في مجمع الأمثال ١ : ٢٥٥ .

(٣) هي البسوس بنت منقذ التيمية خالة جساس بن مرة قاتل كليب ، والتي من أجلها نشبت حرب
البسوس المشهورة بين بكر وتغلب - اقرأ المثل مفصلا في مجمع الأمثال ١ : ٢٥٤ .

(٤) ويقال : « أشام من منهم » وكانت منهم امرأة عطارة تباع الطيب ، فكانوا إذا قصدوا
الحرب غمسوا أيديهم في طيبها وتحالفوا عليه أن يستميتوا في تلك الحرب ولا يولوا أو يقتلوا ، فكانوا
إذا دخلوا الحرب بطيب تلك المرأة يقول الناس : قد دقوا بينهم عطر منهم ، فلما كثر منهم هذا
القول سار مثلا ، فمن تمثل به زهير بن أبي سلمى حيث يقول :

تداركتما عبسا وذيان بعدما تقانوا ودقوا بينهم عطر منهم

وقيل إن منهم كانت امرأة تباع الخنوط ، وإنما سموا خنوطها عطرا في قولهم : قد دقوا بينهم عطر
منهم ، لأنهم أرادوا طيب الموتى .

(٥) يراد بالقديم : المال المدخر ، وفي السخ « على قدم » .

أخوهم إذا مادارت الكأسُ بينهم وكأهم رث الوصالِ سئومُ
فهذا بياني لم أقل بجهالةٍ ولكنتي بالفاسقين عليمُ
وقد كان هذا المعنى في أصحاب النبيذ أوجده^(١) ، فأما اليوم فقد استوى
الناسُ ، قال الأضبط بن قريع لما انتقل في القبائل فأساءوا جواره بعد أن
تأذى بني سعد : « بكل وادٍ بنو سعد » .

خذ بقولي ودع قول أبي العاص ، وخذ بقول من قال : « عَشٌّ ولا
تتَرَّه^(٢) » وبقول من قال : « لا تطلب أثرا بعد عين » وبقول من قال :
« املأ حُبَّكَ^(٣) من أول مطرة ، ودع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، أخوك من
صَدَقَكَ ، ومن أتاك من جهة عقلك ، ولم يأتك من جهة شهوتك ، وأخوك
من احتمال ثقل نصيحتك في حظك^(٤) » ، ولم تأمن لائمتَه إياك في غدك »
وقال الآخر :

إن أخاك الصَّدَقَ من لم يخدَعَكَ وَمَنْ يَضِيرُ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ^(٥)

-
- (١) أي أكثر وجودا فيهم .
(٢) مثل يضرب في الحث على الحيلة . وأصله أن رجلا أراد أن يفوز بابل ليلة وانكل على عشب
يجده في الطريق ، فقيل له : عَشٌّ ولا تتَرَّه « وفوز بابل : ركب بها المعازة » .
(٣) الحب : ولاء كبير للماء .
(٤) أي في سبيل سعادتك .
(٥) يقال : هذا الرجل الصدق بالفتح ، فإذا أضقت إليه كسرت الصاد ، وقوله لم يخدعك بنصب
الفعل بعد لم ، قال صاحب النقي : « وزعم اللحياني أن بعض العرب ينصب بها كقراءة بعضهم
« أَلَمْ تَشْرَحْ » وقوله :

في أي يومٍ من الموت أفرَّ أيوم لم يقدر أم يوم قدر
وخرجا على أن الأصل نشرحن ويقدرن ثم حذفت نون التوكيد الخفيفة وبقيت الفحة دليلا عليها ،
وفي هذا شذوذان : توكيد النقي لم ، وحذف النون لغير وقف ولا ساكنين ، اهـ . وربما كان
الأصل « من لن يخدعك » ويضير نفسه : يضرها ، والمثل في جمع الأمثال « إن أخا الهيجاء من يسر
معك ، ومن يضر نفسه لينفعك » يضرب في المساعدة .

وقد قال عبيد بن الأبرص :

واعلمن : علما يقيينا أنه ليس يُرجى لك من ليس معك
ولا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك ، وعين من عقلك على
طباعتك ، أو ما كان لك أخ نصيح ، ووزير شفيق ، والزوجة الصالحة عون
صدق ، والسعيد من وعظ بغيره ، فإن أنت لم تُرزق من هذه الخصال^(١)
خصلة واحدة ، فلا بُدَّ لك من نكبة موجعة ، يَبْقَى أثرها ، ويلوح لك
ذكرها ؛ ولذلك قالوا : « خير مالك ما نفعك » ولذلك قالوا : « لم يذهب^(٢)
من مالك ما وعظك » .

إن المال محروصٌ عليه ، ومطلوب في قعر البحار ، وفي رموس الجبال ،
وفي دغل الغياض^(٣) ، ومطلوب في الوعورة كما يُطلب في الشهولة ، وسواء
فيها^(٤) بطون الأودية ، وظهور الطرق ، ومشارق الأرض ومغاربها ،
فُطِبت بالمر ، وطلبت بالذل ، وطلبت بالوفاء ، وُطِبت بالغدر ، وطلبت
بالنسك كما طلبت بالفتك ، وُطِبت بالصدق كما طلبت بالكذب ، وُطِبت
بالبذاء ، وطلبت بالملق ، فلم تُترك فيها حيلة ولا رُقِيَة حتى طُلبت بالكفر
بالله ، كما طلبت بالإيمان ، وُطِبت بالشخف كما طلبت بالنبل ، فقد نصبوا
الفخاخ بكل موضع ، ونصبوا الشر^(٥) بكل رُبْع ، وقد طلبك من لا يقصّر
دون الظفر ، وحسدك من لا ينام دون الشفاء .

(١) أى الخصال التى ذكرت آفا ، وهى أن يكون له واعظ من نفسه الخ .
(٢) وروى « لم يضع » وهو مثل لأكرم بن صيفى قال المبرد : أى إذا ذهب من مالك شيء
فخُذرك أن يحمل بك مثله ، فتأديبه إياك عوض من ذهابه .
(٣) الدغل : الشجر الكثير المتلف . والغياض : جمع غيضة بالفتح ، وهى الأجمة ومجتمع الشجر .
(٤) فيها أى فى الأموال ، والمراد فى طلبها ، فهى مطلوبة فى بطون الأودية الخ .
(٥) الشرك : حبال الصائد ، واحدة شركة كقصة ، ويجمع على شرك كمنق نادرا . . .

وقد يهدأ الطالبُ الطَّوائِلَ^(١) والمطلوبُ بذات نفسه، ولا يهدأ الحريصُ،
يقال : إنه ليس في الأرض بلدة واسطة^(٢)، ولا بادية شاسعة، ولا طَرَف
من الأطراف، إلا وأنت واجدٌ بها المدينيَّ والبصريَّ والحِبريَّ، وقد ترى
شَنَفَ^(٣) الفقراء للأغنياء، وتسرعُ الرغبة إلى الملوك، وبُغْضَ الماشي
للراكب، وطمعَ الحسد في المتفاوتين، وإن لم تستعمل الحذرَ، وتأخذُ
بنصيبك من المداراة، وتعلمَ الحزمَ، وتُجالِسَ أصحابَ الاقتصاد، وتعرف
الدهورَ ودهركَ خاصَّةً، وتمثُلَ لنفسك الغيرَ^(٤) حتى تتوهم نفسك فقيراً
ضائعاً، وحتى تهتمَّ شمالك على يمينك، وسمتك على بصرك، ولا يكون أحد
أَتَمَّ^(٥) عند نفسك من نفسك، ولا أولى بأخذ الحذر منه من أمينك،
أَخْطِطْتَ اختطافاً^(٦)، واستلبت استلاباً، وذوَّبوا مالك وتحيَّفوه^(٧)،
وألزموه السِّلَّ ولم يُداووه، وقد قالوا : « يَلِي المالَ ربُّه وإن كان أحمق » فلا
تكونَنَّ دون ذلك الأحمق، وقالوا : « لا تعدم صنائعَ ثَلَّةٍ^(٨) » فلا تكونَنَّ
دون تلك الصنائع، وقد قال الأول في المال المضيع المسلط عليه شهواتُ
العِيال : « ليس لها راجع، ولكن حَلَبَةٌ^(٩) » .

(١) الطوائِل : جمع طائلة، وهي النار.

(٢) أي متوسطة .

(٣) شنف له شنفا كفرح : أبغضه وتكره .

(٤) حوادث الدهر المغيرة .

(٥) أي أكثر إتهاماً، من أتهمه كأكرمه إذا أتهمه.

(٦) في بعض النسخ « واحتفظت احتفاظاً » .

(٧) أي تنقصوه، من حيفه . والحيف كغيب جمع حيفة بالكسر : وهي الناحية.

(٨) امرأة صنائع البدين : حاذقة ماهرة بعمل البدين . والثلة : الصوف تغزله المرأة، مثل يضرب

لمن إذا عدم عملاً أخذ في آخر لحذقه وبصيرته .

(٩) الحلبة : جمع حالب، مثل يضرب للرجل يؤكل وليس له من يبقى عليه، وفي النسخ « خلية » .

وليس مالك المال المُنْعَى من الأضرار فيقال فيه : مَرَعَى ولا أَكُولَةَ^(١) ،
وعُشْبٌ ولا بعير ، قُصَّارَاكَ مع الإصلاح أن يقوم ببطنك وبحوائجك
وبما ينوبك ، ولا بقاء للمال على قلة الرَعَى وكثرة الحَلَب ، فكَيْسٌ^(٢) في
أمرك ، وتَقَدَّمَ في حفظ مالك ، فإن مَن حَفِظَ مَالَهُ فقد حَفِظَ الْكَرَمَيْنِ ،
والأكرمان : الدِّينُ ، والعِرْضُ ، وقد قيل : « للرمي يُرَاشُ السَّهْمُ^(٣) » و« عند
النُّطَاحِ تَغْلِبُ الْقَرَنَاءُ^(٤) » .

وإذا رأت العرب مستأكلاً وافق مُخْمَرًا^(٥) قالت : « ليس عليك نَسَجُهُ
فاسْحَبْ وخَرِّقْ^(٦) » وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الناس كلهم
سواء كَأَسْنَانِ الْمُشْطِ » والمرء كثير بأخيه ، ولا خير لك في صحبة من لا يرى
لك مثل ما يرى لنفسه ، فتعرَّفْ شَأْنَ أَصْحَابِكَ وَمَعْنَى^(٧) جلسائك ، فإن
كانوا في هذه الصفة فاستعمل الحِزْمَ ، وإن كانوا في خلاف ذلك فعملت
على حَسَبِ ذَلِكَ .

إني لست آمُرُكَ إلا بما أمرك به القرآنُ ، ولست أوصيك إلا بما
أوصاك به الرسولُ ، ولا أعظك إلا بما وَعَظَ به الصالحون بعضهم بعضاً ،

(١) الأَكُولَةُ : الشاة التي تعزل للأكل وتسمن ، مثل يضرب للمتبول لا آكل لماله .

(٢) أَمْرٌ مِنَ الْكَيْسِ بِالْفَتْحِ ، وَهُوَ الْعَقْلُ وَالْفُطْنَةُ .

(٣) رَاشُ السَّهْمِ يَرِيشُهُ : أَلْزَقَ عَلَيْهِ الرِّيشَ ، وَرَوَاهُ الْمِيدَانِيُّ فِي جَمْعِ الْأَمْثَالِ « قَبْلَ الرَّمِيِّ يَرِيشُ

السَّهْمُ » مِثْلَ يَضْرِبُ فِي تَهْيِئَةِ الْأَلَةِ قَبْلَ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا ، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِمْ « قَبْلَ الرَّمَاءِ تَعْمَلُ الْكِنَانُ »
أَيُّ تَوَخُّذِ الْأَهْبَةِ لِلْأَمْرِ قَبْلَ وَقُوعِهِ .

(٤) أَيْ ذَاتِ الْقَرْنِ ، وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ « عِنْدَ النَّطَاحِ يَغْلِبُ الْكَبِشُ الْأَجَمُ » وَيَغْلِبُ بِالْبِنَاءِ الْمَجْهُولُ ،

وَالْتِيسُ الْأَجَمُ : الَّذِي لَا قَرْنَ لَهُ ، يَضْرِبُ لِمَنْ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ بِمَا أَعَدَّهُ لَهُ .

(٥) الْفَرُّ بِالْفَتْحِ وَالضَّمُّ وَكَسْبٌ وَكَتِفٌ : مَنْ لَمْ يَجْرِبِ الْأُمُورَ .

(٦) رَوَاهُ الْمِيدَانِيُّ « لَيْسَ عَلَيْكَ نَسَجُهُ فَاسْحَبْ وَجَرَّ » أَيْ أَنْتَ لَمْ تَتَّصِفْ فِيهِ فَلِذَلِكَ تَفْسُدُهُ .

(٧) مَعْنَى : مُقْصِدٌ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اعقلها وتوكل » وقال مطرف بن الشخير : « من نام تحت صدف^(١) مائل وهو ينوى التوكل ، فليزم بنفسه من طمار^(٢) وهو ينوى التوكل » فأين التوقي الذي أمر الله به ، وأين التغير^(٣) الذي نهى عنه ؟ ومن طمع في السلامة من غير تسلم^(٤) ، فقد وضع الطمع في موضع الأمانى ، وإنما ينبغي الله الطمع إذا كان فيما أمر به ، وإنما يحقق من الأمل ما كان هو المسبب له ، وفرّ عمر من الطاعون فقال له أبو عبيدة : « أتفر من قدر الله ؟ » قال : « نعم إلى قدر الله » وقيل له : « هل ينفع الحذر من القدر ؟ » فقال : « لو كان الحذر لا ينفع لكان الأمر به لغوا » فإبلاء العذر^(٥) هو التوكل ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل قال في خُصومة : حسبي الله : « أبل الله عذرا ، فإذا أعجزك أمر فقل : حسبي الله » وقال الشاعر :

ومن يك مثلى ذا عيالٍ ومُقْتِرٍ من المال يطرح نفسه كل مَطْرَحٍ
ليُبْلَى عذرا أُرْلِيْبُلُغَ حاجَةً ومُبْلِغُ نفسٍ عُذْرَها مثلُ مُنْجِجٍ
وقال الآخر :

فإن يكن القاضى قَضَى غيرَ عادِلٍ فبَعْدَ أمورٍ لا ألومُ لها نفسى
وقال زهير الباني^(٥) : « إن كان التوكل أن أكون متى أخرجتُ مالى

(١) الصدف : كل شيء مرتفع من حائط ونحوه .

(٢) طمار : اسم للمكان العالي ، قال الشاعر :

« وآخر يهوى من طمار قتيل »

ينسد من طمار فتتح الرء ومن طمار بكسرهما منونا وغير منون ، وقيل هو اسم حل .

(٣) المراد بالتسلم هنا : الأخذ بأسباب السلامة والعمل لها .

(٤) إبلاء العذر : تقديمه ، وكل من لم يقصر في عمل شيء ولم ينجح فيه فقد أبلى عذرا .

(٥) قال ياقوت في معجم البلدان ٢ : ١٣ وينسب إلى باب الأبواب جماعة منهم زهير بن عيم الباني

وهو بعض النسخ « الثاني » وهو تصحيف .

أَيَقْنَتُ بِالْخَلْفِ ، وَجَعَلْتُ الْخَلْفَ مَا لَا يَرْجِعُ فِي كَيْسِي ، وَمَتَى مَا لَمْ أَحْفَظْهُ
 أَيَقْنَتُ بِأَنَّهُ مُحْفُوظٌ ، فَإِنِّي أَشْهَدُكُمْ أَنِّي لَمْ أَتَوَكَّلْ قَطُّ ، إِنَّمَا التَّوَكَّلُ أَنْ تَعْلَمَ
 أَنَّكَ مَتَى أَخَذْتَ بِأَدَبِ اللَّهِ تَتَقَلَّبُ فِي الْخَيْرِ فَتُجْزَى بِذَلِكَ إِمَّا عَاجِلًا وَإِمَّا
 آجِلًا . ثُمَّ قَالَ : فَلِمَ تَجَرَّ أَبُو بَكْرٍ ؟ وَلِمَ تَجَرَّ عُمَرُ ؟ وَلِمَ تَجَرَّ عِثْمَانُ ؟ وَلِمَ تَجَرَّ
 الزَّيْبِرُ ؟ وَلِمَ تَجَرَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ^(١) ؟ وَلِمَ عَلَّمَ عُمَرُ النَّاسَ يَتَجَرَّوْنَ ، وَكَيْفَ
 يَشْتَرُونَ وَيَبِيعُونَ ؟ ، وَلِمَ قَالَ عُمَرُ : « إِذَا اشْتَرَيْتَ جَمَلًا فَاجْعَلْهُ صَنَحًا ، فَإِن
 لَمْ يَبِعْهُ الْخَبْرُ ^(٢) بَاعَهُ الْمَنْظَرُ » ؟ ، وَلِمَ قَالَ عُمَرُ : « فَرِّقُوا بَيْنَ الْمَنَآيَا ، وَاجْعَلُوا
 الرَّأْسَ رَأْسِينَ ^(٣) » ؟ وَلِمَ قَالَ عِثْمَانُ حِينَ سَثَلَ عَنْ كَثْرَةِ أَرْبَاحِهِ : « لَمْ أُرَوْا مِنْ
 رِبْحٍ قَطُّ » ؟ ، وَلِمَ قِيلَ : « لَا تَشْتَرِعِيَا وَلَا شَيْبَا ^(٤) » ؟ ، وَهَلْ حَجَرَ عَلِيٌّ بَنَ
 أَبِي طَالِبٍ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ إِلَّا فِي إِخْرَاجِ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ ،
 وَإِعْطَائِهِ فِي هَوَاهُ ؟ ، وَهَلْ كَانَ ذَلِكَ إِلَّا فِي طَلَبِ الذِّكْرِ ، وَالتَّمَسِّ الشُّكْرِ ؟
 وَهَلْ قَالَ أَحَدٌ : إِنِ انْفَاقَهُ ^(٥) كَانَ فِي الْحُمُورِ وَالْقِمَارِ ، وَفِي الْفُسُؤَةِ ^(٦) وَالْفُجُورِ ؟
 وَهَلْ كَانَ إِلَّا فِيمَا تَسْمُونَهُ جُودًا . وَتَعُدُّونَهُ كَرَمًا ؟ وَمَنْ رَأَى أَنْ يَحْجُرَ عَلَى
 الْكِرَامِ لِكِرْمِهِمْ رَأَى أَنْ يَحْجُرَ عَلَى الْحُلَمَاءِ لِحِلْمِهِمْ ^(٧) ، وَأَيُّ إِمَامٍ بَعْدَ
 أَبِي بَكْرٍ تَرِيدُونَ ؟ وَبِأَيِّ سَلَفٍ بَعْدَ عَلِيٍّ تَقْتَدُونَ ؟ .

(١) أَيُّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ .

(٢) الْخَبْرُ : الْعِلْمُ وَالْمَعْرِفَةُ .

(٣) الْظَرْمُ ص ٤٦٨ مِنْ الْجُزْءِ الثَّالِثِ .

(٤) الشَّيْبُ مَعْرُوفٌ ، وَالْمَرَادُ هَاهُنَا لَازِمُهُ . وَهُوَ الضَّعْفُ ، وَكَبَرُ السِّنِّ ، أَيُّ لَا تَشْتَرِي دَا عَيْبَ
 وَلَا ذَا ضَعْفٍ .

(٥) الضَّمِيرُ فِيهِ يَعُودُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ .

(٦) الْفُسُؤَةُ : الدَّنَاءَةُ .

(٧) أَيُّ لَوْ كَانَ حَجَرَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ لِكِرْمِهِ لَسَاغَ الْحَجَرُ عَلَى الْحَلِيمِ ،
 وَسَاغَ الْحَجَرُ عَلَى كُلِّ ذِي فَضِيلَةٍ ، يَرِيدُ أَنْ يَقُولَ : إِنِ إِتَّفَقَ ابْنُ جَعْفَرٍ لَمْ يَكُنْ كَرَمًا .

وكيف نرجو الوفاء والقيام بالحق والصبر على النائبة من عند لُغْمُوظٍ^(١)
مستأكلٍ ، ومَلَّاقٍ مُخَادِعٍ ، ومنهوم بالطعام شَرِهٍ لا يبالى بأى شيء أخذ
الدرهم ، ومن أى وجه أصاب الدينار ؟ ولا يكثر للمنة ، ولا يبالى أن
يكون أبداً منهوماً منعوماً عليه ، وليس يبالى إذا أكل كيف كان ذلك
الطعام ؟ وكيف كان سببه ؟ وما حكمه ؟

فإن كان مالك قليلاً فائماً هو قوام عيالك ، وإن كان كثيراً فاجعل
الفاضل لعدة نوائبك ، ولا يأمن الأيام إلا المضلل ، ولا يفتقر بالسلامة إلا
المغفل ، فاحذر طوارق البلاء ، وخُدع رجال الدهاء ، سَمْنُكَ فى أديمك^(٢) ،
وغشك خير من سمين غيرك^(٣) لو وجدته ، فكيف ودونه أسل^(٤) جِدَادٌ ،
وأبواب شداد ؟ ، قالت امرأة لبعض العرب : « إن تزوجت كفتك »
فأنشأ يقول :

(١) الحريس المهنون .

(٢) من أمثالهم « سمنك هريق فى أديمك » وكثيراً ما يقولون « سمنك فى أديمك » يضرب للذى
لا يتجاوز خيره ، قال أبو عبيدة : الأديم : المأدوم من الطعام ، أى جعلوا سمنهم فيه ولم يفضلوا به .
وقال الأصمى : أصله فى قوم سافروا معهم نحرى سمن ، فأنصب على أديم لهم ، فكرهوا ذلك ، فقيل
لهم : ما نقص من سمنك زاد فى أديمك .

(٣) أول من قال هذا المثل معن بن عطية المنبجى . وذلك أنه كانت بينهم وبين سى من أحياء
العرب حرب شديدة ، فرّ معن فى حملة حملها برجل من حربه صريعاً فاستغاثه وقال : امس على كفت
البلاء ، فأرسلها مثلاً ، فأقامه معن وسار به حتى بلغه مأمه ، ثم عطف أولئك القوم على مذبح فهزموا
وأسروا معاً ، وأخاله يقال له روق - وكان يضعف ويحمق - فلما اصرفوا إذا صاحب معن الذى
نجاه أخو رئيس القوم فناداه معن ، وقال : يا خير جازيد أو ليتها نج منجيك

فعرفه صاحبه فقال لأخيه : هذا المان على ومتقذى بعد ما أشرفت على الموت . فبه لى ، فوهبه له
ثقل سبيله ، وقال : لى أحب أن أضاعف لك الجزاء ، فاختر أسيراً آخر ، فاختر معن أخاه روقاً ،
ولم يلتفت لى سيد مذبح وهو فى الأسارى ، ثم انطلق معن وأخوه راجعين ، فر بأسارى قومهما ،
فسألوا عن حاله فأخبرهم الخبر ، فقالوا لمن : قبلك الله ! تدع سيد قومك وشاعرهم لانك وتلك
أخاك هذا الأنوك الفسل الرذل ، فوالله ما نكأ جرحاً ، ولا أعمل رجاء ، ولا ذعر سرحاً ، ولأنه لقيح المنظر ،
سبي المخبر ، اتيم ، فقال معن : « عثك خير من سمين غيرك » فأرسلها مثلاً .

(٤) الأسل : الرماح ، واحده أسلة .

إذا لم يكن لي غير مالِكِ مَسْنَى خَصَّاصٌ وبان الحمدُ مِنِّي والأجرُ^(١)
وما خيرُ مالٍ ليس نافعَ أهله وليس لشيخ الحيِّ في أمره أمرٌ؟
وقال المَعْلُوْطُ القُرَيْعِيُّ :

أبا هانئٍ لا تسألِ الناسَ والتَّمسِ بكفِّيكِ سَتَرَ اللهِ فاللهُ واسع
فلو تسألُ الناسَ التُّرابَ لأوشكوا إذا قيلَ هاتُوا أن يَمَلُّوا فيمنعوا^(٢)
(كتاب البخلاء ص ١٢٩)

٧٢ - كتاب عمرو بن عثمان القيني

إلى محمد بن عبيد الله العتي

وكان محمد^(٣) بن عُبَيْدِ اللهِ العُتَيْبِيُّ صديقاً لعمرو بن عثمان القيني ،
فكتب إليه العتي كتاباً فزاده في الدعاء ، فكتب إليه عمرو :
يا بنَ الدَّوَائِبِ من قريشٍ والنَّذْرَى وسَلِيلَ سَادَةٍ ساكِني البَطْحَاءِ^(٤)
حاشاً لِمِثْلِكَ أن يراني قاتلاً بكَرَامَةٍ تُزْرِي لديه برائي
لم تَرْضَ إذ كُنَيْتَنِي وبدأتَ بي حتى دَعَوْتَ اللهُ لي ببقائي

(١) الخصاص : الفقر كالخصاصة .

(٢) اطلمت في خلال اشتغالي بهذا المؤلف على تحقيق وشرح لكتاب البخلاء لأستاذي الجليلين .
على بك الجارم ، وأحمد بك العوامري ، وقد استعنت بمجهودهما الموفق في هذه الرسالة فلهما مني ومن
قراء العربية جزيل الشكر .

(٣) هو محمد بن عبيد الله بن عمر بن معاوية بن عمر بن عتبة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية ،
وكان أدبياً فاضلاً وشاعراً مجيداً ، والعتبي : نسبة إلى جده عتبه بن أبي سفيان . قال ابن خلكان :
ويحوز أن تكون نسبته إلى عتبة التي كان يقول الشعر فيها ، وتوفي سنة ٢٢٨ هـ - انظر ترجمته في
وفيات الأعيان ١ : ٥٢٢ .

(٤) الدوائب : جمع ذؤابة بالضم ، وذؤابة كل شيء : أعلاه . والبطحاء : بطحاء مكة ، أي مسيل
واديها .

ولو اقتصرت على التي هي قيمتي فيما تَبَّتْ قَضِيَّةُ الْحُكْمِ
لَكَتَبْتُ لِي: «عمر بن عثمان» ولم تَتَّبِعْهُ فِي الْعُنْوَانِ حَرْفَ دُحَاءِ
فَاتْرُكْ - جُعِلَتْ فِدَاكَ - إِرَامِي بِمَا أَخْشَى بِهِ عِنْدَ الْوَرَى اسْتِغْبَائِي^(١)
فَالْعَيْنُ تُصَغِّرُ أَنْ تُقَدِّمَهَا عَلَى أَوْلَادِ «حَرْبِ» السَّادَةِ الْكِرْمَاءِ
حَلُّوا مِنَ الْعِزِّ الْمَنِيْعِ نِيَافَةً يَحْمُونَ غَيْرَهُمْ ذُرَى الْعِلْيَاءِ^(٢)
(أدب الكتاب ص ١٥٩)

٧٣ - كتاب المتوكل في الاعلان بلقبه

ولما مات هرون الواثق بن المعتصم سنة ٢٣٢ هـ ببيع بالخلافة أخوه
جعفر، ولُقِّبَ المتوكل على الله، فأحضر محمد بن عبد الملك الزيات وأمر بالكتاب
بذلك إلى الناس، فنقذت إليهم الكتب، نسخة ذلك :
« بسم الله الرحمن الرحيم : أمر - أبقاك الله - أمير المؤمنين - أطل
الله بقاءه - أن يكون الرسم الذي يجري به ذِكْرُهُ على أعواد منابره ، وفي
كُتُبِهِ إلى قُضَاتِهِ وكتابه وعماله وأصحاب دواوينه وغيرهم من سائر من
تجرى المكاتبه بينه وبينه : « من عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير
المؤمنين » فرأيت في العمل بذلك وإعلامي بوصول كتابي إليك موقفاً
إن شاء الله » . تاريخ الطبري ١١ : ٢٦

(١) أي عدتي من الأعياء .

(٢) اليباف : الحمل العالي الطويل ، والمراد هنا : القمة والدروه ، ويقال أيضا حمل ياف : أي
طويل في ارتفاع ، وتصر ياف : أي مرتفع ، قال في اللسان : « وقد محور أن يكون ياف مصدرا
ووصف به كما يوصف بالمصادر » .

٧٤٠ - كتاب المتوكل إلى عماله في النصارى وأهل الذمة

وفي سنة ٢٣٥ هـ كتب المتوكل إلى عماله في الآفاق، بشأن النصارى وأهل الذمة :

« بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد ، فإن الله تبارك وتعالى بعزته التي لا تحاؤل ، وقدرته على ما يريد ، اصطفى الإسلام فرضيه لنفسه ، وأكرم به ملائكته وبعث به رسوله ، وأيد به أوليائه ، وكفاه بالبر ، وحاطه بالنصر ، وحرسته من العاهة ، وأظهره على الأديان ، مبرراً من الشبهات ، معصوما من الآفات . محببوا بمناب الخير ، مخصوصا من الشرائع بأطهرها وأفضلها ، ومن الفرائض بأزكاها وأشرفها ، ومن الأحكام بأعدلها وأقنعها ، ومن الأعمال بأحسنها وأقصدتها ، وأكرم أهله بما أحل لهم من حلاله ، وحرّم عليهم من حرامه ، وبين لهم من شرائعه وأحكامه ، وحدّ لهم من حدوده ومناهجه ، وأعدّ لهم من سعة جزائه وثوابه ، فقال في كتابه فيما أمر به ونهى عنه ، وفيما حصّ عليه فيه ووعدّ : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » وقال فيما حرّم على أهله مما عمط^(١) فيه من ردىء المطعم والمشرب والمنكح ، لينزّهم عنه ، وليطهر به دينهم ليفضلهم عليهم تفضيلا : « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ^(٢) وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ

(١) أى عاه وثله .

(٢) أى مارع الصوت لغير الله به مدح على اسم غيره ، كقولهم : باسم اللات والعزى عند دحجه .
والمخنقة : التى مات بالحق . والموقودة : المقتولة صرعا محشة أو حمر . والمتردية : التى تردت

وَالْمُتَرَدِّيةُ وَالنَّطِيعَةُ ، وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذُكِّرْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ
وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ » ثم ختم ما حرم عليهم من ذلك
في هذه الآية بحراسة دينه ممن عند^(١) عنه ، وإتمام نعمته على أهله الذين
اصطفاهم ، فقال عز وجل : « الْيَوْمَ يَنْسَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا
يَخْشَوْنَهُمْ وَخَشَوْنَ ، الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ
نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » وقال عز وجل « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ
أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ
وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ
وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي
دَخَلْتُمْ بِهِنَّ ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ
أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ ، وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ، إِنَّ
اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا » وقال « إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ
رِجْسٌ^(٢) مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ

وسقطت من علوفات . والنطية : التي لطحتها أخرى فانت . وما أكل السبع : أى وما أكل
منه السبع فانت ، إلا ما ذكركم : الذبحة ، أى إلا ما أدركتم فيه الروح من هذه الأشياء
فدبحتموه ، وما ذبح على النصب : وهى أحجار كانت منصوبة حول الكعبة يذبحون عليها ويعدون
ذلك قربة ، وقيل هى الأصنام ، أى وما ذبح على اسم النصب ، وأن تستقسموا : أى تطلبوا معرفة
ما قسم لكم ، والأزلام : جمع زلم بفتح الزاى وضمها مع فتح اللام ، وهو قدح (كقرد) صغير لا ريش
له ولا نصل ، وكانوا إذا قصدوا فعلا ، أجالوا ثلاثة قداح ، مكتوب على أحدها أمرنى ربى ، وعلى
الآخرى نهانى ربى ، والثالث غفل . فإن خرج الأول مضوا فى الأمر ، وإن خرج الثانى تحنبوه ، وإن
خرج الثالث أجالوها ثانية .

(١) أى مال عنه .

(٢) الرجس : القذر .

الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ، فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ .

فَحَرَّمَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ مَا كِلَا أَهْلِ الْأَدْيَانِ أَرْجَسَهَا وَأَنْجَسَهَا ، وَمِنْ شَرَابِهِمْ أَذْهَابَهُ إِلَى الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ ، وَأَصَدَّهُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ، وَمِنْ مَنَاجِحِهِمْ أَعْظَمَهَا عِنْدَهُ وَزَرًا ، وَأَوَّلَاهَا عِنْدَ ذَوِي الْحِجَابِ وَالْأَلْبَابِ تَحْرِيمًا ، ثُمَّ حَبَّاهُمْ بِمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ ، وَفَضَائِلِ الْكِرَامَاتِ ، فَجَعَلَهُمْ أَهْلَ الْإِيمَانِ وَالْأَمَانَةِ ، وَالْفَضْلِ وَالتَّرَاحُمِ ، وَالْيَقِينِ وَالصَّدْقِ ، وَلَمْ يَجْعَلْ فِي دِينِهِمُ التَّقَاطُعَ وَالتَّدَابُرَ ، وَلَا الْحَمِيَّةَ وَلَا التَّكَبُّرَ ، وَلَا الْخِيَانَةَ وَلَا الْغَدْرَ ، وَلَا التَّبَاغِيَّ وَلَا التَّظَالُمَ ، بَلْ أَمَرَ بِالْأُولَى ، وَنَهَى عَنِ الْآخِرَى ، وَوَعَدَ وَأَوْعَدَ عَلَيْهَا جَنَّتَهُ وَنَارَهُ ، وَثَوَابَهُ وَعِقَابَهُ ، فَالْمُسْلِمُونَ بِمَا اخْتَصَّاهُمُ اللَّهُ مِنْ كِرَامَتِهِ ، وَجَعَلَ لَهُمْ مِنَ الْفَضِيلَةِ بِدِينِهِمُ الَّذِي اخْتَارَهُ لَهُمْ ، بِإِثْنُونٍ عَلَى الْأَدْيَانِ بِشَرَائِعِهِمُ الزَّاكِيَةِ ، وَأَحْكَامِهِمُ الْمَرْضِيَّةِ الطَّاهِرَةِ ، وَبِرَاهِينِهِمُ الْمُنِيرَةِ ، وَبِطُغْيَانِ اللَّهِ دِينَهُمْ بِمَا أَحَلَّ وَحَرَّمَ فِيهِ لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ ، قَضَاءً مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِعْزَازِ دِينِهِ حَقًّا ، وَمَشِيئَةً مِنْهُ فِي إِظْهَارِ حَقِّهِ مَاضِيَةً ، وَإِرَادَةً مِنْهُ فِي إِتْمَامِ نِعْمَتِهِ عَلَى أَهْلِهِ نَافِذَةً « لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ يَدِنَا وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ يَدِنَا » وَلِيَجْعَلَ اللَّهُ الْفُوزَ وَالْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ، وَالْخِزْيَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عَلَى الْكَافِرِينَ .

وَقَدْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - وَبِاللَّهِ تَوْفِيقُهُ وَإِرْشَادُهُ - أَنَّ يَحْمِلَ أَهْلَ الدِّمَّةِ جَمِيعًا بِحَضْرَتِهِ وَفِي نَوَاحِي أَعْمَالِهِ أَقْرَبِيهَا وَأَبْعَدِيهَا ، وَأَخْصَهُمْ وَأَخْسَهُمْ ، عَلَى

تصير طياليستهم^(١) التي يلبسونها ، من لبسها من تجارهم وكتّابهم وكبيرهم وصغيرهم ، على ألوان الثياب العسليّة ، لا يتجاوز ذلك منهم متجاوز إلى غيره ، ومن قصر عن هذه الطبقة من أتباعهم وأرذالهم ومن يقعد به حاله عن لبس الطيالة منهم ، أخذ بتركيب خرقتين ، صبغهما ذلك الصبغ ، يكون استدارة كل واحدة منهما شبرا تامّا في مثله ، على موضع أمام ثوبه الذي يلبسه تلقاء صدره ومن وراء ظهره ، وأن يؤخذ الجميع منهم في قلانسهم^(٢) بتركيب أزرة عليها ، يخالف ألوانها ألوان القلانس ، ترتفع في أماكنها التي تقع بها ، لثلا تلتصق فتستر ، ولا مايركب منها على حبال^(٣) فيتخفى ، وكذلك في سروجهم باتخاذ ركب^(٤) خشب لها ، ونصب أكر على قرائيسها^(٥) تكون ناتئة عنها وموفية عليها ، لا يرخص لهم في إزالتها عن قرائيسهم وتأخيرها إلى جوانبها ، بل تتفقد ذلك منهم ليقع ماوقع من الذي أمر أمير المؤمنين بحملهم عليه ظاهراً يبيّنه الناظر من غير تأمل ، وتأخذه الأعين من غير طلب ، وأن تؤخذ عبيدهم وإماؤهم ومن يلبس المناطق من تلك الطبقة بشد الزنانير والكساتييج^(٦) مكان المناطق التي كانت في

(١) الطبالسة جمع طبلسان بفتح الطاء وتثنية اللام : صرب من الأكسية أسود ، فارسي معرب .

(٢) القلانس : جمع قلنسوة بفتحين فسكون فضم ففتح ، وهي لباس الرأس .

(٣) الحاك : حبل يشد به على الوسط .

(٤) الرك ، جمع ركاب بالكسر ، والركاب للسرّج كالفرز للرجل .

(٥) القرايس : جمع قربوس بفتح أوله وثانيه ، وهو خنجر السرج (بكسر الحاء) ، وله قربوسان والكرة : معروفة ، وأصلها كرة خذفت الواو ، وتجمع على كرات وكرين ، وتجمع أيضا على أكر وأصله وكر مقلوب اللام إلى موضع العاء ، ثم أبدلت الواو همزة لاضمارها ، وناتئة : مرتفعة .

(٦) المناطق : جمع منطقة كمكنسة ، وهي مايشد على الوسط ، والزنانير : جمع زنار كتنفاح ، وهو مايشد على وسط الصاري والمجوس ، والكساتييج جمع كستيح بالصم : وهو خيط عريض يشده الذي فوق ثيابه دون الزنار .

أوساطهم ، وأن تُوعِزَ إلى عمّالك فيما أمر به أمير المؤمنين في ذلك إيعازاً
تُحذّوهم^(١) به إلى استقصاء ما تقدّم إليهم فيه ، وتُحذّروهم إذهاناً^(٢) وميلاً ،
وتتقدّم إليهم في إنزال العقوبة بمن خالف ذلك من جميع أهل الذمة عن
سبيل عنادٍ وتهوينٍ إلى غيره ، ليقصر الجميع منهم على طبقاتهم وأصنافهم ،
على السبيل التي أمر أمير المؤمنين بحملهم عليها ، وأخذهم بها إن شاء الله .

فاعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين وأمره ، وأنفذ إلى عمّالك في نواحي
عمّلك ما ورد عليك من كتاب أمير المؤمنين بما تعمل به إن شاء الله ، وأمير
المؤمنين يسأل الله ربّه ووليّه أن يصليّ على محمد عبده ورسوله ، صلى الله
عليه وملائكته ، وأن يحفظه فيما استخلفه عليه من أمر دينه ، ويتولّى
ماولاه مما لا يبلغ حقه فيه إلا بعونه ، حفظاً يحمل به ما حمّله . وولاية
يقضى بها حقه منه ، ويوجب بها له أكمل ثوابه ، وأفضل مزيده ، إنه
كريم رحيم .

وكتب إبراهيم بن العباس في شوال سنة خمس وثلاثين ومائتين .

(تاريخ الطبري ١١ : ٣٦)

٧٥ — كتاب المتوكل بولاية العهد لبنيه

وفي سنة ٢٣٥ هـ أيضاً عقد المتوكل البيعة لبنيه الثلاثة — المنتصر والمعتز
والمؤيد — بولاية العهد ، وضم إلى المنتصر إفريقية والمغرب وما يضاف

(١) أي تسوقهم .

(٢) الإذهان : الغش .

إليها ، وإلى المعتز كورخراسان وما يضاف إليها ، وإلى المؤيد الشام ، وكتب
بينهم كتابا نسخته :

« هذا كتاب كتبه عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين ،
وأشهد أنه على نفسه بجميع ما فيه ، ومن حضر من أهل بيته وشيعته وقواده
وقضاته وكفاته وفقهائه وغيرهم من المسلمين ، لمحمد المنتصر بالله
ولأبي عبد الله المعتز بالله ، وإبراهيم المؤيد بالله بنبي أمير المؤمنين ، في أصالة
من رأيه ، وعموم من عافية بدنه ، واجتماع من فهمه ، مختاراً لما شهد به ،
متوخياً بذلك طاعة ربه ، وسلامة رعيته واستقامتها ، وانقياد طاعتها ،
واتساع كلمتها ، وصلاح ذات بينها ، وذلك في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين
ومائتين ، إلى محمد المنتصر بالله بن جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين
ولاية عهد المسلمين في حياته ، والخلافة عليهم من بعده ، وأمره بتقوى الله
التي هي عصمة من اعتصم بها ، ونجاة من لجأ إليها ، وعز من اقتصر عليها ،
فإن بطاعة الله تتم النعمة ، وتجب من الله الرحمة ، والله غفور رحيم ، وجعل
عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين الخلافة من بعد محمد
المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين ، إلى أبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين ،
ثم من بعد أبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين الخلافة إلى إبراهيم
المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين .

وجعل عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين لمحمد
المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين ، على أبي عبد الله المعتز بالله وإبراهيم المؤيد بالله

أَبْنَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ وَالنَّصِيحَةَ وَالْمُشَايَعَةَ وَالْمُؤَالَاةَ لِأَوْلِيَائِهِ ،
وَالْمُعَادَاةَ لِأَعْدَائِهِ ، فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ ، وَالغَضَبَ وَالرِّضَا ، وَالْمَنْعَ وَالْإِعْطَاءَ ،
وَالْتِمَسْكَ بِبَيْعَتِهِ ، وَالْوَفَاءَ بِعَهْدِهِ ، لَا يَتَغَيَّرُ غَائِلَةً^(١) ، وَلَا يَحَاوِلَانَهُ مُخَالَاتَةً ،
وَلَا يُمَالِئَانِ^(٢) عَلَيْهِ عَدُوًّا ، وَلَا يَسْتَبِيدَانِ دُونَهُ بِأَمْرٍ يَكُونُ فِيهِ تَقْصُّ لِمَا
جَعَلَ إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، مِنْ وَلَايَةِ الْعَهْدِ فِي حَيَاتِهِ وَالْخِلَافَةِ مِنْ بَعْدِهِ ،

وَجَعَلَ عَبْدُ اللَّهِ جَعْفَرُ الْإِمَامِ الْمُتَوَكِّلُ عَلَى اللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مُحَمَّدٍ
الْمُنْتَصِرِ بِاللَّهِ ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمُعْتَزِّ بِاللَّهِ وَإِبْرَاهِيمَ الْمُؤَيَّدَ بِاللَّهِ
أَبْنَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : الْوَفَاءَ بِمَا عَقَّدَهُ لِهَمَا ، وَعَهْدَ بِهِ إِلَيْهِمَا ، مِنْ الْخِلَافَةِ
بَعْدَ مُحَمَّدٍ الْمُنْتَصِرِ بِاللَّهِ ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - وَإِبْرَاهِيمَ الْمُؤَيَّدَ بِاللَّهِ
ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمُعْتَزِّ بِاللَّهِ ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ -
وَالْإِتِّمَامَ عَلَى ذَلِكَ ، وَلَا يَخْلَعُهُمَا ، وَلَا وَاحِدًا مِنْهُمَا ، وَلَا يَعْقِدُ دُونَهُمَا وَلَا
دُونَ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَتِمُّ لَوْلَا وَلَا لِأَحَدٍ مِنْ جَمِيعِ الْبَرِيَّةِ ، وَلَا يُؤَخَّرُ مِنْهُمَا
مُقَدِّمًا ، وَلَا يَقْدَمُ مِنْهُمَا مُؤَخَّرًا ، وَلَا يَنْقُصُهُمَا ، وَلَا وَاحِدًا مِنْهُمَا شَيْئًا مِنْ
أَعْمَالِهِمَا الَّتِي وَلَّاهُمَا عَبْدُ اللَّهِ جَعْفَرُ الْإِمَامِ الْمُتَوَكِّلُ عَلَى اللَّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ،
وَكُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ، مِنَ الصَّلَاةِ وَالْمَعَاوِنِ وَالْقَضَاءِ وَالْمَظَالِمِ وَالْخَرَاجِ وَالضِّيَاعِ
وَالْغَنِيمَةِ وَالصَّدَقَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ حَقُوقِ أَعْمَالِهِمَا ، وَمَا فِي عَمَلٍ كُلِّ وَاحِدٍ
مِنْهُمَا مِنَ الْبَرِيدِ وَالطَّرَازِ^(٣) وَخَزَنَ بَيْوتِ الْأَمْوَالِ وَالْمَعَاوِنِ وَدُورِ الضَّرْبِ ،

(١) الْعَائِلَةُ : الدَّاهِيَةُ . وَالْمَحَالَّةُ : الْمَحَادَّةُ .

(٢) مَالَأَهُ عَلَى الْأَمْرِ : سَاعَدَهُ وَشَايَعَهُ .

(٣) الطَّرَازُ ٢٢٥ مِنْ الْحَرْزِ الثَّلَاثِ .

وجميع الأعمال التي جعلها أمير المؤمنين ويجعلها إلى كل واحد منهما ، ولا ينقل عن واحد منهما أحدا من ناحيته من القواد والجند والشاكرية^(١) والموالي والغلمان وغيرهم ، ولا يعترض عليه في شيء من ضياعه وإقطاعاته وسائر أمواله وذخائره وجميع ما في يده وما حواه ومَلَكَتْ يَدُهُ ، من تاليد وطارف ، وقديم ومستأنف ، وجميع ما يستفيده ويُستفاد له ، بنقص ، ولا بخزيم ، ولا يَحْنَفُ^(٢) ، ولا يعرض لأحد من عُمَّالِهِ وكتّابه وقضاته وخدمه ووكلائه وأصحابه وجميع أسبابه ، بمناظرة ولا محاسبة ، ولا غير ذلك من الوجوه والأسباب كلها ، ولا يَفْسَخُ فيما وكَّده أمير المؤمنين لهما في هذا العقد والعهد بما يُزِيلُ ذلك عن جهته ، أو يؤخره عن وقته ، أو يكون ناقضا لشيء منه .

وجعل عبد الله جعفر المتوكل على الله أمير المؤمنين على أبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين ، إن أفضت إليه الخلافة بعد محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين ، لإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين ، ومثل الشرائط التي اشترطها على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين ، بجميع ما سَمَّى فيه ووصف في هذا الكتاب ، وعلى ما بين وفسر ، مع الوفاء من أبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين ، بما جعله أمير المؤمنين لإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين من الخلافة وتسليم ذلك رَضِيًّا مَمْضِيًّا له مقدما ما فيه حق الله عليه وما أمره به أمير المؤمنين ، غير ناكث ولا ناكِبٍ^(٣) بذلك ولا مُبَدِّل ، فان الله تعالى

(١) الشاكرى : الأخير والمستخدم .

(٢) أصل الحرم : صم الحررة . ومعناه هنا : النقص . والحف : الميل والجور ، وفي الأصل

« ولا يحرّم ولا يحنف » وأراه مصححا . (٣) مك عنه كصر وصرح : عدل .

جَدُّهُ ، وَعَزَّ ذِكْرُهُ ، يَتَوَعَّدُ مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ ، وَعِنْدَ (١) عَنْ سَبِيلِهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ : « فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » .

على أن لأبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين ، ولإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين ، على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين [إذا أفضت الخلافة إليه (٢)] وهما مقيمان بحضرته ، أو أحدهما ، أو كانا غائبين عنه ، مجتمعين كانا أو متفرقين ، وليس أبو عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين في ولايته بخراسان وأعمالها المتصلة بها والمضمومة إليها ، وليس إبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين في ولايته بالشام وأجنادها ، فعلى محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين أن يُمَضِّيَ أبا عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين إلى خراسان وأعمالها المتصلة بها والمضمومة إليها ، وأن يَسْلُمَ له ولايتها وأعمالها كلها وأجنادها ، والكُورَ الداخلةَ فيما وَلَّى جعفرُ الإمامُ المتوكلُ على الله أمير المؤمنين أبا عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين ، فلا يُعَوِّقُهُ عنها ، ولا يحبسُهُ قِبَلَهُ ، ولا في شيء من البلدان دون خراسان والكُورِ والأعمالِ المضمومة إليها ، وأن يُعَجِّلَ إشخاصه إليها ، وإلياً عليها وعلى جميع أعمالها ، مُفَرِّداً بها ، مَفُوضاً إليه أعمالها كلها ، لِيَنْزِلَ حَيْثُ أَحَبَّ مِنْ كُورِ عمله ، ولا ينقله عنها ، وأن يُشَخِّصَ معه جميع مَنْ ضَمَّ إليه أمير المؤمنين ، وَيَضُمَّ مَنْ مَوَالِيهِ وقواده وشاكريته وأصحابه وكتابه وعماله وخدمه ، ومن اتبعه من صنوف الناس

(١) عدد عن الطريق كنصر وجمع وكرم : مال .

(٢) ما بين القوسين ساقط من الأصل ، والسياق يقتضيه ، وسيرد نظيره في الرسالة نفسها بعد .

بأهاليهم وأولادهم وعيالهم وأموالهم ، ولا يجبسُ عنه أحدا ، ولا يُشرك في شيء من أعماله أحدا ، ولا يوجه عليه أمينا ولا كاتباً ولا بريداً ، ولا يضرب^(١) على يده في قليل ولا كثير ، وأن يُطلق محمد المنتصر بالله لإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين الخروجَ إلى الشام وأجنادها ، فيمن ضمَّ أمير المؤمنين ويضمُّه إليه ، من مواليه وقواده وخدمه وجنوده وشاكريته وصحابته وعماله وخدّامه ، ومن اتبعه من صنوف الناس بأهاليهم وأولادهم وأموالهم ولا يجبسُ منهم أحدا ، ويسلم إليسه ولايتها وأعمالها وجنودها كلها ، لا يعوّقه عنها ولا يجبسه قبله ، ولا في شيء من البلدان دونها ، وأن يعجل لإشخاصه إلى الشام وأجنادها ، وإلياً عليها ، ولا ينقله عنها ، وأن عليه له فيمن ضمَّ إليه من القواد والموالي والعلمان والجنود والشاكريّة وأصناف الناس ، وفي جميع الأسباب والوجوه مثل الذي اشترطَ على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين لأبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين في خراسان وأعمالها ، على ما رسم من ذلك ويُنّ وتلخص وشرح في هذا الكتاب .

ولإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين على أبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين إذا أفضت الخلافةُ إليه وإبراهيم المؤيد بالله مقيم بالشام أن يُقرّه بها ، أو كان بحضرته ، أو كان غائبا عنه ، أن يُمنّضيه إلى عمله من الشام ، ويسلم إليه أجنادها وولايتها وأعمالها كلها ، ولا يعوّقه عنها ، ولا يجبسه قبله ولا في شيء من البلدان دونها ، وأن يعجل لإشخاصه إليها ، وإلياً عليها

(١) ضرب على يده : سعه من أمر أخذه به ، كجبر عليه .

وعلى جميع أعمالها ، على مثل الشرط الذي أخذ لأبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين ، في خراسان وأعمالها ، على مارُسيم ووصف وشرط في هذا الكتاب لم يجعل أمير المؤمنين لواحد ممن وقعت عليه وله هذه الشروط ، من محمد المنتصر بالله وأبي عبد الله المعتز بالله وإبراهيم المؤيد بالله بنى أمير المؤمنين ، أن يُزيل شيئاً مما اشترطنا في هذا الكتاب ووَكَّدنا ، وعليهم جميعاً الوفاء به ، لا يقبلُ الله منهم إلا ذلك ولا التمسك إلا بعهد الله فيه ، وكان عهدُ الله مسئولاً .

أشهد الله رب العالمين جعفر بن الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين ومن حضر من المسلمين بجميع ما في هذا الكتاب ، على إمضائه إياه ، على محمد المنتصر بالله وأبي عبد الله المعتز بالله وإبراهيم المؤيد بالله بنى أمير المؤمنين . بجميع ما سُمي ووصف فيه ، وكفى بالله شهيداً ومُعِيناً لمن أطاعه راجياً ، ووفى بعهدده خائفاً ، وحسبياً ومُعاقباً من خالفه مُعانداً ، أو صدَف^(١) عن أمره مجاهداً .

وقد كُتِبَ هذا الكتاب أربع نُسَخ ، وُقِّعت شهادةُ الشهود بِحَضْرَةِ أمير المؤمنين في كل نسخة منها ، في خزانة أمير المؤمنين نسخة ، وعند محمد المنتصر ابن أمير المؤمنين نسخة ، وعند أبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين نسخة ، ونسخة عند إبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين .

وقد وَلَّى جعفر بن الإمام المتوكل على الله أبا عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين أعمال فارس وأرمينية وأذربيجان إلى ما بلى أعمال خراسان

(١) صدق عنه كُصْر : أعرض .

وَكُورِهَا وَالْأَهْمَالُ الْمُتَّصِلَةُ بِهَا وَالْمُضْمُومَةُ إِلَيْهَا ، عَلَى أَنْ يُجْعَلَ لَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
الْمُنْتَصِرِ بِاللَّهِ ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ ، الَّذِي جَعَلَ لَهُ فِي الْحَيَاةِ فِي نَفْسِهِ ،
وَالْوَثَاقِ فِي أَعْمَالِهِ وَالْمُضْمُومِينَ إِلَيْهِ وَسَائِرَ مَنْ يَسْتَعِينُ بِهِ مِنَ النَّاسِ جَمِيعًا ،
فِي خِرَاسَانَ وَالْكُورِ الْمُضْمُومَةِ إِلَيْهَا وَالْمُتَّصِلَةِ بِهَا ، عَلَى مَا سَمَّيْتُ وَوَصَفْتُ فِي
هَذَا الْكِتَابِ . (تاريخ الطبري ١١ : ٣٩)

٧٦ - كتاب عبيد الله بن يحيى بن خاقان

إلى الحسن بن عثمان

وَفِي سَنَةِ ٢٤١ هـ ضُرِبَ عَيْسَى بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَاصِمٍ ، صَاحِبُ خَانَ
حَاصِمٍ بِبَغْدَادِ أَلْفِ سَوْطٍ فِيمَا قِيلَ .

وَكَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ شَهِدَ عَلَيْهِ عِنْدَ أَبِي حَسَّانَ الزِّيَادِيِّ قَاضِي
الشَّرْقِيَّةِ ، أَنَّهُ شَتَمَ أَبَا بَكْرٍ وَعَمْرَ وَمَائِشَةَ وَحَفْصَةَ ^(١) ، سَبْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا ،
شَهَادَاتِهِمْ فِيمَا ذَكَرَ مُخْتَلَفَةٌ مِنْ هَذَا النِّحْوِ ، فَكُتِبَ بِذَلِكَ صَاحِبُ بَرِيدِ
بَغْدَادٍ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ ^(٢) بْنِ يَحْيَى بْنِ خَاقَانَ ، فَأَنْهَى عُبَيْدَ اللَّهِ ذَلِكَ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ ^(٣) ،

(١) هي حفصة بنت عمر بن الخطاب .

(٢) وزير المتوكل - انظر الفخري ص ٢١٦ ، وذكر الطبري أنه استكتبه سنة ٢٣٦ هـ - تاريخ
الطبري ١١ : ٤٤ .

(٣) وكان مقر الخلافة يومئذ مدينة سر من رأى (سامرا) بفتح اليم ، وهي مدينة بين بغداد
وتكريت على شرف دجلة ، وذلك أن جيوش المعتصم كانوا قد كثروا حتى بلغ عدد مماليكه من
الأتراك سبعين ألفا ، فدوا أيديهم إلى حرم الناس ، وسعوا فيها بالفساد ، وضائق عنهم بغداد ،
وكان إذا ركب مات جاعة من الصبيان والعميان والضعفاء لازدحام الحيل وضغطهم ، فاجتمع أهل
الخير على باب المعتصم وقالوا له : إما أن تخرج من بغداد فإن الناس قد تأدوا بفسادك ، وإما أن
تخربك ، فقال : كيف تخاربوني ؟ قالوا : تخاربك بسهام السحر ، قال : وما سهام السحر ؟ قالوا :
ندعو عليك ، فقال : لا طاقة لي بذلك ، وخرج من بغداد وبى سر من رأى سنة ٢٢١ هـ ونزل بها ،
وأقام بها ابنه الواثق ثم المتوكل ، وبى بها قصورا كثيرة - ولم ين بها أحد من الخلفاء من الأبنية
الجليلة مثل ما بناه المتوكل ، ولم تزل في صلاح وزيادة ومهارة إلى آخر أيام المنتصر بن المتوكل ، ثم

فأمر المتوكل أن يكتب إلى محمد بن عبد الله بن طاهر^(١) يأمره بضرب عيسى هذا بالسياط ، فإذا مات رُمي به في دجلة ، ولم تدفع جيفته إلى أهله ، فكتب عبيد الله إلى الحسن بن عثمان^(٢) جواب كتابه إليه في عيسى :

« بسم الله الرحمن الرحيم : أبقاك الله وحفظك ، وأتم نعمته عليك ، وصل كتابك في الرجل المسمى عيسى بن جعفر بن محمد بن حاصم صاحب الخانات ، وما شهد به الشهود عليه من شتم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعنهم ولم كفارهم ورَميهم بالكبائر ، ونسبتهم إلى النفاق ، وغير ذلك مما خرج به إلى المعاندة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، وتبثيثك في أمر أولئك الشهود وما شهدوا به ، وما صحَّ عندك من عدالة من عدل منهم ، ووضَّح لك من الأمر فيما شهدوا به ، وشرَّحك ذلك في رُقعة درج^(٣) كتابك ، فعرضتُ على أمير المؤمنين - أعزه الله - ذلك ، فأمر بالكتاب إلى أبي العباس محمد بن عبد الله بن طاهر مولى أمير المؤمنين - أبقاه الله - بما قد تقدَّ إليه مما يُشبه ما عنده - أبقاه الله - من نُصرة دين الله وإحياء سنته ، والانتقام ممن ألحد فيه ، وأن يُضرب الرجل حدًّا في تجمُّع الناس حدَّ الشتم ، وخمسائة سوط بعد الحدِّ للأمور العظام التي اجتراً عليها ، فان مات أُلقي في الماء من غير صلاة ، ليكون ذلك ناهياً لكل مُلحد في الدين ، خارج من جماعة

أُخذت في التناقص إلى أن كان آخر من انقل إلى بغداد من الحلفاء وأقام بها وترك سر من رأى المعتضد بالله المتوفى سنة ٢٨٩ هـ - انظر معجم ياقوت ٥ : ١٢ والفخرى ص ٢١١ .

(١) قال الطبري (١١ : ٤٥) « وفي سنة ٢٣٧ قدم محمد بن عبد الله بن طاهر من خراسان ، فولى الفرطة والجربة وأعمال السواد وخلافة أمير المؤمنين بمدينة السلام ، ثم صار إلى بغداد » .

(٢) صاحب بريد بغداد .

(٣) الدرج : الذي يكتب فيه .

المسلمين ، وأعلمتُك ذلك لتعرفه إن شاء الله تعالى ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وذكر أن عيسى هذا لما ضرب ترك في الشمس حتى مات ، ثم رمى به في دجلة . (تاريخ الطبري ١١: ٥١)

٧٧ - كتاب أبي العيناء إلى عبيد الله بن يحيى بن خاقان

وحمل محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان أبا العيناء^(١) على دابة زعم أنه غير فار^(٢) ، فكتب إلى أبيه عبيد الله :

« أَعْلِمُ الْوَزِيرَ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - أَنَّ أَبَا عَلِيٍّ مُحَمَّدًا أَرَادَ أَنْ يَبْرِنِي فَعَقَّنِي ، وَأَنْ يُرَكِبَنِي فَأَرْجَلَنِي ، أَمَرَ لِي بِدَابَّةٍ تَقِفُ لِلنَّيْرةِ^(٣) ، وَتَعْتَرُ بِالْبَعْرَةِ ، كَالْقَضِيبِ الْيَابِسِ مَجْفَأً^(٤) ، وَكَالْعَاشِقِ الْمَهْجُورِ دَتَقًا^(٥) ، قَدْ أَذْكَرَتِ الرَّوَاةَ عُرْوَةً^(٦) »

(١) هو محمد بن القاسم بن خلاد ، وكان فصيحاً بليغاً شاعراً ، وكان من ظرفاء العالم ، وفيه من اللسن وسرعة الجواب والذكاء ما لم يكن في أحد من نظرائه ، وله مع المتوكل مجالس ، ولد سنة ١٩١ هـ وعمره أربعون سنة وتوفي سنة ٢٨٢ - انظر ترجمته في وفيات الأعيان ١ : ٥٠٤ ، وزهر الآداب ١ : ٢٨٩ - ٢٩٦ ، والفهرست لابن النديم ص ١٨١ .

(٢) الدابة : مادب من الحيوان ، وغلب على ما ركب ، ويقع على الذكر ، والفاره من الدواب : الجيد السير ، قالوا : ويقال للبغل والحمار والبرذون : فاره ، ولا يقال للفرس فاره ، ولكن رائع وجواد .

(٣) يقال : نبر الرجل نبرة : إذا تكلم بكلمة فيها علو ، والنبرة : صيحة الفزع ، ونبرة المغنى : رفع صوته عن خفض .

(٤) العجف : الهزال .

(٥) الدتف : المرض الملازم .

(٦) في الأصل « عنرة » وهو تحريف وصوابه « عروة » وهو عروة بن حزام بن مهاصر العذري صاحب عقراء بنت عقال بن مهاصر - بنت عمه - وهو شاعر إسلامي ، وأحد المتيسين الذين قتلهم الهوى ، مات من حب ابنة عمه عقراء - انظر ترجمته في الأغانى ٢٠ : ١٥٢ ، والشعر والشعراء ص ٢٣٧ ، وقرأ قصيدته النونية في الأغانى ، وفي كتاب النوادر لأبي علي القالي عقب ذيل الأمانى ، =

العُذْرِيَّ ، والمجنونَ العامريَّ^(١) ، مساعدٌ أعلاه لأسفله ، حُبَّاقُه^(٢) مقرون
بِسُعاله ، فلو أَمْسَكَ لَتَرْجَيْتُ ، ولو أَفْرَدَ لَتَعَزَّيْتُ ، ولكنه يجمعهما في
الطريق المعمور . والمجلس المشهور ، كأنه خطيبٌ مُرْشِدٌ ، أو شاعرٌ مُنْشِدٌ ،
تضحك من فعله الذُّنْوَانُ ، وتتناغى^(٣) من أجله الصُّبَّيَّانُ ، فَمِنْ صَائِحٍ يَصِيحُ
دَاوِيهِ بالطَّبَّاشِيرِ^(٤) ، ومن قائل يقول : نَوَّلَه^(٥) الشعيرَ ، قد حفظ الأشعارَ ،
وَرَوَى الأخبارَ ، وَلَحِقَ العلماءَ في الأمصارَ ، فلو أَعْيَنَ بنطق ، لَرَوَى بحقِّ
وَصِدْقٍ ، عن جابر الجعفيِّ ، وعامر الشعبيِّ^(٦) .

وإنما أُتِيْتُ مِنْ كَاتِبِهِ الْأَعْوَرِ ، الذي إذا اختار لنفسه أطابَ وأَكْثَرَ ،
وإن اختار لغيره أَخْبَثَ وَأَنْزَرَ^(٧) ، فَإِنْ رَأَى الْوَزِيرَ أَنْ يُبَدِّلَنِي بِهِ ، وَيُرِيحَنِي
مِنْهُ بِمَرْكُوبٍ يُضْحِكُنِي كَمَا أَضْحَكَ مِنِّي ، ويمحو بحُسْنِهِ وفراسته ، ماسطَرَّه

== والعذري نسبة إلى عذرة: قبيلة من اليمن ، وهم مشهورون بالشق والشفقة ، ومنهم جميل بن عبد الله
ابن معمر العذري صاحب بئنة ، وخبره مشهور - انظر ترجمته في الأغانى ٧: ٧٢ ، ووفيات الأعيان
١ : ١١٥ .

(١) هو قيس بن الملوح مجنون بى عامر ، صاحب ليلي ، وخبره مشهور أيضا - انظر خبره في
الأغانى ١ : ١٦١ ، ٢ : ٢ .

(٢) الحباق : الضراط .

(٣) ناغت المرأة الصبي : كلته عما يمجبه ويسره .

(٤) الطباشير : دواء يكون في جوف القنا الهندي .

(٥) نَوَّلَه : أعطاه .

(٦) الجعفي : نسبة إلى جعفي بن سعد العشيرة بن مدحج ، أبو حى باليمن ، وأعقب جعفى من ولديه
مران (كرمان) وصرم (كزير) ومن ولد مران جابر بن يزيد الفقيه - انظر شرح القاموس

٦ : ٥٧ ، وعامر الشعبي : هو عامر بن شراحيل (بفتح السين) كوفي تلميذ جليل القدر وافر العلم ،

قال الزهرى : « العلماء أربعة : سعيد بن المسيب بالمدينة ، والشعبي بالكوفة ، والحسن البصرى

بالبصرة ، ومكحول بالشام » والشعبي نسبة إلى شعب ، وهو بطن من همدان ، وكات أمه من سبي

جلولاء ، ووفى سنة ١٠٥ هـ - انظر ترجمته في وفيات الأعيان ١ : ٢٤٤ .

(٧) أَنْزَرَهُ : قلله .

الْمُعِيبُ بِقَبِيحِهِ وَدَمَامَتِهِ^(١)، ولست أذكر أمر سرجه ولجامه، فإن الوزير أكرم من أن يَسْلُبَ ما يُهْدِيهِ، أو ينقُضَ ما يُعْطِيهِ.»

فوجه عبيد الله إليه برذونا^(٢) من برأذينه بسرجه ولجامه، ثم اجتمع مع محمد بن عبيد الله عند أبيه، فقال عبيد الله: شكوت دابة محمد، وقد أخبرني الآن أنه يشتريه منك بمائة دينار، وما^(٣) هذا ثمنه لا يشتكى! فقال: أعز الله الوزير، لو لم أكذب مستريدا^(٤)، لم أنصرف مستفيدا، وإني وإياه لكما «قالت امرأة العزيز: الآن حصحص^(٥) الحق، أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين» فضحك عبيد الله وقال: حُجَّتْكَ للداحضة^(٦)، بملاحتك وظرفك، أبلغ من حجة غيرك البالغة.

(رهر الآداب ٢ : ١٦٥)

٧٨ - كتاب عبد الله بن خاقان إلى أبي الجهم

ولعبد الله^(٧) بن خاقان إلى أبي الجهم.

«أما بعد فإني إن بدأت بصفة فضلك، وما خصك الله به، فأنت أفضل مما أصفك، وإن قدّمت الصفة لنفسى فى الإخبار عنها بما هى عليه فى المودة

(١) الدمامة : القسح .

(٢) الرادين من الحيل : ما كان من غير متاع العراب .

(٣) ماها موصولة .

(٤) استراد فلان فلانا : إذا عتب عليه فى أمر لم يرضه .

(٥) حصحص : تبين وطهر .

(٦) حجة داحضة : باطلة .

(٧) ربما كان «عبيد الله» .

والهوى ، رأيتك قد ابتدأت متفضلاً متطوِّلاً بما لا يؤمل أكثر منه ،
ولا يلتبس على الاستحقاق في حدّ الجزاء .

(اختيار المنظوم والمشور ١٣: ٣٩٤)

٧٩ - كتاب أوى العناء إلى أبى نوح

وكتب أبو العناء إلى أبى نوح يهته بإسلامه :

« لقد عظمت نعمة الله عليك ، فى منابذة^(١) أهل الذلة والصغار ، والكفر
والإصرار ، الذين أحلوا قومهم دار البوار ، جهنم يصلونها وبئس القرار ،
والذين جعلوا لله أنداداً ، ودعوا للرحمن ولداً ، وما ينبغى للرحمن أن
يتخذ ولداً ، إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً ،
وليهنك نعمة الله عليك ، فى أخوة المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان ،
فقد أصبحت لهم أخا ، وأصبح الدعاء لهم عليك من الله فرضاً ، قال الله عز
وجل : « وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ
سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ، وَلَا تَجْعَلْ فى قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ، رَبَّنَا إِنَّكَ
رَءُوفٌ رَحِيمٌ » .

ولله أبوك ! لقد قدحت فأوريت ، واستضأت فاهتديت ، ومخضت
الأمر تم اقتنيت ، لا كمن فكر وقدر نقتل كيف قدر ، فالحمد لله الذى
أفاز^(٢) قدحك ، وأعلى كعبك ، وأتقذ من النار شلوك^(٣) ، وخاصك من لبس

(١) أى محالمة .

(٢) أى حمل العور من نصيبه ، يقال : أماره الله تكدا : أى أطهره .

(٣) الشلو : الحسد .

الحَيَّة ، وَجَزَّة الشُّرْك ، إِنْ الشُّرْك لَظَلَمَ عَظِيمٌ . وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ^(١) ، فَأَصْبَحْتَ - أَكْرَمَكَ اللَّهُ - وَقَدْ اسْتَبَدَلْتَ بِالْبَيْعِ الْمَسَاجِدَ ، وَبِالْآحَادِ الْجَمْعَ ، وَبِقِبْلَةِ الشَّامِ الْبَيْتَ الْحَرَامَ . وَبِتَحْرِيفِ الْإِنْجِيلِ صَحَّةَ التَّنْزِيلِ ، وَبَارْتِيَابِ الْمُشْرِكِينَ يَقِينَ الْمُوَحِّدِينَ ، وَبِحُكْمِ الْأَسْقُفِّ رَأْسِ الْمُلْحَدِينَ ، حُكْمَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، فَمَهْنَأَكَ اللَّهُ بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكَ ، وَأَحْسَنَ فِيهِ إِلَيْكَ ، وَأَوْزَعَكَ ^(٢) شُكْرَهُ ، وَزَادَكَ بِشُكْرِهِ مِنْ فَضْلِهِ .

(اختيار المنظوم والمثور ١٣ : ٣٠٥)

٨٠ - كتاب أبي علي البصير إلى عبيد الله بن يحيى بن خاقان

وَكَتَبَ أَبُو عَلِيٍّ الْبَصِيرُ ^(٣) إِلَى عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَاقَانَ :
« وَإِنْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَمَّا اسْتَخْلَصَكَ لِنَفْسِهِ ، وَأَتَمَّنَكَ عَلَى رِعِيَّتِهِ ، فَنَطَقَ بِلِسَانِكَ ، وَأَخَذَ وَأَعْطَى يَدَكَ ، وَأُورِدَ وَأُصْدِرَ عَنْ رَأْيِكَ ، وَكَانَ تَقْوِيضُهُ إِلَيْكَ بَعْدَ امْتِحَانِهِ إِيَّاكَ ، وَتَسْلِيطِهِ الْحَقَّ عَلَى الْهَوَى فَيْكَ ، وَبَعْدَ أَنْ مِيلَ ^(٤) يَدُوكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ سَمَوْا لِمَرْتَبَتِكَ ، وَجَرَوْا إِلَى غَايَتِكَ ، فَأَسْقَطَهُمْ مِضْمَارُكَ ^(٥) ، وَخَفُّوا فِي مِيزَانِكَ ، وَلَمْ يَزِدْكَ - أَكْرَمَكَ اللَّهُ - رَفْعَةً

(١) أى بريد .

(٢) أى ألهمك .

(٣) هو أبو علي الصريير الفضل بن جعفر ، شاعر بليغ مترسل . وهو أحد من جمع له حظ البلاغة في الوزن والمثور ، وكان بينه وبين أبي العناء مهاجرة ومكاتبات طيبة - انظر المهرست لابن الديم ص ١٧٨ ، ووفيات الأعيان ١ : ٥٠٤ ، وزهر الآداب ١ : ٣٤٠ .

(٤) التميل بين الشئتين كالترجيح بينهما ، وفي الأصل « مثل » .

(٥) المِضْمَار : عاية الفرس في السباق

وتشريفًا ، إلا ازددت له هيبةً وتعظيمًا ، ولا تسليطًا وتمكينًا ، إلا زدت
نفسك عن الدنيا عزوفًا^(١) وتنزيهاً ، ولا تقربًا واختصاصًا ، إلا ازددت
بالعامة رافةً ، وعليها حدباء^(٢) ، لا يُخرجك فرطُ النصح له عن النظر لرعيته ،
ولا إشارُ حقه ، عن الأخذ بحقها عنده ، ولا القيام بما هو له عن تضمّن
ما هو عليه ، ولا يشغلك مُعانةُ كبار الأمور عن تفقّد صغارها ، ولا الجدُّ
في إصلاح ما يُصلح منها عن النظر في عواقبها ، تُمضي ما كان الرشدُ في
إمضائه ، وترجي^(٣) ما كان الحزم في إرجائه ، وتبدّل ما كان الفضلُ في بدّله ،
وتمنع ما كانت المصلحة في منعه ، وتلين في غير تكبر ، وتخصّ في غير ميل ،
وتعمّ في غير تصنع ، لا يشقى بك المحقّ وإن كان عدوًّا ، ولا يسعد بك
المبطل وإن كان وليًّا ، فالسلطان يعتدّ لك من الغناء^(٤) والكفاية ، والذّبّ
والحيطة ، والنصح والأمانة ، والعِفّة والنزاهة ، والنّصب فيما أدّى إلى الراحة ،
بما يراك معه ، حيث انتهى إحسانه إليك ، مستوجبًا للزيادة ، وكافّة الرعية
- إلا من غمط^(٥) منهم النعمة - مُثنون عليك بحسن السيرة ، ويُمنّ
النّقية^(٦) ، ويعُدّون من ما ترك أنك لم تُدحِض^(٧) لأدحجة ، ولم تدفع
حقًا لشبهة ، وهذا يسيرٌ من كثير ، لو قصدنا لتفصيله ، لأنفدنا الزمان قبل
تحصيله ، ثم كان قصدنا الوقوف دون الغاية منه . (زهر الآداب ١ : ٤١)

(١) عزفت نفسه عنه كضرب عزوفًا : زهدت فيه وانصرفت عنه .

(٢) حدب عليه كفرح : عطف .

(٣) أرجأه : أخره . (٤) الغناء : الكفاية .

(٥) غمط النعمة كضرب وسمع : بطرما .

(٦) النقية : النفس والطبيعة .

(٧) أدحض الحجة . أبطلها .

٨١ - كتابه إلى عبيد الله بن يحيى بن خاقان

وكتب إليه أيضاً :

« بسم الله الرحمن الرحيم : أَوْجِبُ المعروفِ شُكْرًا ، وَأَحْسَنُهُ عِنْدَ
الْأَحْرَارِ مَوْقِعًا ، مَعْرُوفُكَ عِنْدِي ، وَذَلِكَ أَنَّكَ تَطَوَّعْتَ بِهِ مُبْتَدِئًا ،
وَشَفَعْتَ مَا تَقْدِّمُ مِنْهُ مَتَفَضِّلًا ، عَنْ غَيْرِ كَدٍّ لِي أَلْزَمَكَ دَيْنًا . أَوْ أَوْجِبُ عَلَيْكَ
حَقًّا ، ثُمَّ يَقْطَعُنِي عَنِ الْإِخْذِ بِحَظِّي مِنْ لِقَائِكَ ، وَتَعْرِيفِكَ مَا أَنَا عَلَيْهِ مِنْ شُكْرِ
إِنْعَامِكَ ، وَالِاتِّسَابِ إِلَى نِعْمَتِكَ ، وَإِفْرَادِي إِيَّاكَ بِالتَّأْمِيلِ دُونَ غَيْرِكَ ،
تَخْلُفُنِي عَنْ مَنَزَلَةِ الْخَاصَّةِ ، وَرَغْبَتِي عَنْ مِشَارَكَةِ الْعَامَّةِ ^(١) ، وَأَنِّي لَسْتُ مَعْتَادًا
لِلْخِدْمَةِ ، وَلَا الْمُلَازِمَةِ ، وَلَا قُوَّةً عَلَى الْمُنْغَادَةِ وَالْمُرَاوَحَةِ ، فَلَا يَمْنَعُكَ ارْتِفَاعُ
قَدْرِكَ ، وَعِلْوُ مَنْزِلَتِكَ ، وَمَا تُعَانِي مِنْ جَلَائِلِ الْأُمُورِ الَّتِي تَشْغَلُ عَمَّنْ
قَدُمْتَ حُرْمَتُهُ ، وَوَجِبَ حَقُّهُ ، وَنَسِيَ أَنْ يَذْكُرَ بِنَفْسِهِ ، مِنْ أَنْ تَتَطَوَّلَ ^(٢)
بِتَجْدِيدِ ذِكْرِي وَخَبْرِي ، وَالْإِصْغَاءِ إِلَى مَنْ يَحْثُكَ عَلَى وَصْلِي وَبِرِّي ، وَيَرْغُبُكَ
فِي الصَّنِيعَةِ عِنْدِي ، وَأَنَا أَسْأَلُ الَّذِي وَهَبَ ذَلِكَ مِنْكَ بَغَيْرِ سَعْيٍ مِنِّي لَهُ ، وَلَا
نَصَبٍ كَابِدْتُهُ فِيهِ ، أَنْ يُنْسِيَ ^(٣) لَكَ وَالْكَافَةِ الْأَحْرَارِ فِي أَجْلِكَ ، وَأَنْ يَمُنَّ
عَلَيْكَ بِحَيَاطَةِ نِعْمَتِكَ ، وَكَأَنَّ ^(٤) عَدُوَّكَ ، وَالزِّيَادَةَ فِي الْقُدْرَةِ لَكَ ، وَلَا يُخْلِي

(١) وفي زهر الآداب : « ورغبتني عن الحلول محل العامة » .

(٢) أي تمنى وتفضل .

(٣) أي يطيل ويمد .

(٤) كبت العدو كضرب : أخزاه وأذله وردّه بغيظه .

مكانك منك ، والله يعلم أنى لا أحب أن أتحمل مِنَّةً إلا لك ، ولا أعتدَّ عارفةً مذكورةً إلا منك .

(اختيار المنظوم والمشور ١٣ : ٣٨٤ ، وزهر الآداب ١ : ٣٤١)



وله إليه آخر فصل من كتاب :

« وأنا أسأل الذى رَحِمَ العبادَ بك ، على حين افتقارٍ منهم إليك ، أن يُعيدهم مِن فَقْدِكَ ، ولا يُعيدهم إلى المكارِه التى استنقذهم منها بيدك »

(زهر الآداب ١ : ٣٤١)

٨٢ - كتاب أبى على البصير إلى أبى العيناء

وكتب أبو على البصير إلى أبى العيناء :

« من أبى على البصير ، ذى البرهان المنير ، المبلغ فى التحذير ، المُنذِر فى النكير ، إلى أبى العيناء الضَّير ، ذى الرأى القصير ، والخطَل الكثير ، والإقدام بالتعير . »

سلامٌ على المخصوصين بالسلام ، من أجلِ حقيقة الإسلام ، المؤمنين بالحلal والحرام ، والفرائض والأحكام ، فإنى أحمدُ الله إلى نفسه وأوليائه من خلقه ، على ما هدانى له من دينه ، وعرفنى من حقه ، وامننَّ علىَّ به من تصديق رُسُلِهِ ، والأخذِ بسُننِهِ واتِّباعِ سُبُلِهِ . وصلى الله على محمد نبى الرحمة ، الداعى إلى ربِّهِ بالحكمة .

أما بعدُ ، فإنك الرجل الدقيق^(١) حسبه ، الرديء مذهبهُ ، الدنيء مكسبه ، الخسيس مطلبه ، البذيئ لسانه ، المقل^(٢) مكانه ، المبلو به إخوانه ، أخصهم بذلك من عظمته [عنده] نعمة وتظاهر إحسانه ، قد صيرت القحة^(٣) جنة ، وشتم الأعراض سئة ، والاقتصاد في ذلك مئة ، عدوك بمنزل عنك ، وصديقك على وجل منك ، إن شاهدته عافك ، وإن غبت عنه خافك ، تسأله فوق الطاقة ، وتُرهِقه عند الفاقة ، فإن اعتذر إليك لم تُعذره ، وإن استنظر لك لم تُنظره^(٤) ، وإن أنعم عليك لم تشكره ، لا تزيدك السن إلا نقصاً ، ولا يُفيدك الغنى إلا حرصاً ، تسمو إلى الكبير ، بقدر صغير ، وتُسِفُ إلى الطفيف ، لا للتخفيف ، وتعرض للناس بالسؤال ، غير محتشم من الإملال ، ولا كاره أن يُنظر إليك بالاستقلال ، حتى لقد أخرجت الأضغان ، وقبّحت الإحسان ، وزهدت في اصطناع المعروف ، وإفانة الملهوف ، وعذرت الناس في خلف العِدات ، ودفع مُمكن الحاجات ، وأغرقتهم بغيض العُميان دون أهل العاهات ، من أطاعك في ماله حربته^(٥) ، ومن منعك بعذر واضح سببته ، إذا عن لك طمع كنت عبده ، يتذلل وتخشع لمن هو عنده ، وتنوي قبل إحرازه جحده ، من أكرمك أهته وتناولت عليه ، ومن أهانك استكنت^(٦) له ولنت في يديه ، ومن سالّمك لم تسالمه ، ومن ناجزك

(١) وربما كان « الرقيق » .

(٢) قلاه كرماء ورضيه قلى : أبضه وكرمه طية الكراهة .

(٣) القحة : الوقاحة . والجنة : الوقاية .

(٤) أنظره : أخره .

(٥) حربته حرباً كطلبه طلباً : سلب ماله .

(٦) في الأصل « استكنت » .

لم تقاومته ، الناسُ منك بين أسرار تُخشي ، وبواطنٍ ^(١) تُخشى ، وشناعاتٍ
واردة ، ونواذِرَ باردة ، تُدرِجُ ^(٢) كلامك خوفَ التحصيل ، وتورّي عن
عيّك بالقال والقال ، معاشرتكَ متجنّبة ، وأحاديثك متكذّبة ، لا يُستجنى بها
فهمٌ ، ولا يستفاد منها علم ، تُهامس بسقوطها فلا يحشمك ، وتُتلقّى بالردِّ
لها فلا يؤلمك ، تسمع كلام خيار السلف فتدّعيه ، إفساداً وإلحاداً فيه ،
والتماساً لإبطال حُجج الدين ، وتشكيكا لأهل البصيرة واليقين ، فإن امتُحنتَ
بدون ما ادّعت ، أحجبت وتعاذيت ^(٣) ، وإن كُلفتَ مضاهاته هذيت
وعوّيت ، ظاهرُ إسلامك تقيّة ، وسريرته مدخولة رديّة ، تَضغَتْ ^(٤) في الخبر
عن الرسول ، وتدفع المعروف منه بالجهول ، وُدُّك تخلق ، وشكرك تملق ،
ولطفك متعسّف ، وظرفك متكلف . أعظمُ المصائب عندك نيلُ حرّمتَه ،
لا تحفلُ مع إدراكه بشيءٍ عَدِمته ، إرثُك عن أيك السّعاية ، ونقلُ
الأخبار والوشاية ، لا يُعرَف له غيرها طُعْمَةٌ ^(٥) ، ولم يكن له إلّا بها نعمة ،
مشهورٌ بذلك في مِصره ، غير مرتاب من أمره ، ثم أنت تبسّط لسانك في
الأحرار ، وتتطاول على ذوى المُرُوءات والأفدار ، فلا أصلٌ راسخ ، ولا
فرعٌ شامخ ، ولا نَسَبٌ معروف ، ولا أدب موصوف ، أغراك حِلْمُنَا

(١) جمع نائمة : وهي الداهية .

(٢) أى تطوى .

(٣) تعاوى : تباعد .

(٤) ضغث الحديث كعب : خلطه ، وفي الأصل « تصبث » وهو تصحيف .

(٥) الطعمة : وجه المكسب .

[عليك بالتطاؤل]^(١) علينا ، وإبطاؤنا عنك بالتسرّع إلينا ، فتأنيذاك^(٢)
وراقبناك ، واحتجبنا عليك ، فلم تُنكرِ معتذرا ، ولم تُقصرِ مزدجرا ، بل^(٣)
لم تُجِبني عن واحد منها ، تعايبا^(٤) بها وعجزا عنها ، ثم أوهمت أخلاطا من
الناس ، أهلَ جهلٍ بالتمييز والقياس - لا ينظرون بفهم . ولا يحكمون بعلم ، ولا
يُنزِلون الأمورَ منازلَها ، ولا يعرفون حقها وباطلها ، يظنون البلاغة في
الهذر^(٥) ، ويكتفون بالمنظر من الخبر - أنك مترفع^(٦) عن جوابي . وغير
محتفلٍ بعتابي ، ومُنتك نفسك - وقديما ما أغرّتك ، فجنت عليك
وضرّتك - أني أعذرك فيما تركت ، وأُسيكُ عنك ما أمسكت ، وأقف
عند أول هذا الأمر دون آخره ، وأكتفي بباطنه من ظاهره ، وهيهات لظنك
الكاذب ، وتبّا لرأيك العازب^(٧) ، كلاً والله دون أن أغصّك بالريق ،
وأضطرّك إلى المضيّق ، وأهدم ما أسست ، وأكشِف ما لبست^(٨) ،
وأظهر ما جمجت ، وأبطل ما أوهمت ، وإيّن^(٩) الشريف منك ،

-
- (١) ماين الفوسين ياض بالأصل ، وقد آمنت الجملة بما يناسب المقام .
(٢) تأنيته : انتظره وتأخرت في أمره ولم أعمل ، وفي الأصل هكذا « فاسناك » .
(٣) في الأصل : « ولم تقصر مزدجرا بتا لم تحبى عن واحد منها ... » ويظهر أنه قد سقط من
الناسح هنا كلام ، بدليل أن الضمير في « منها » لم يتقدم له مرجع ، وأن كلمة « بتا » إن صحت
فليس لها موقع في معنى العبارة .
(٤) عى بالأمر وعي كرضى وتمايا واستعيا وتعبا : لم يهتد لوجه مراده ، أو عجز عنه ولم
يطلق أحكامه .
(٥) الهذر : سقط الكلام .
(٦) في الأصل « متوقع » وهو تحريف .
(٧) تباله : أي ألزمه الله هلاكاً وخسراناً ، العازب : أي الغائب البعيد عن الصواب .
(٨) التلبس : التحليط والتدليس ، وفي الأصل « مالبنت » وهو تحريف . والجمجمة : إخفاء
الشيء في الصدر .
(٩) أي أقطعه عنك ، وفي الأصل « وإيّن للشرّف منك » وهو معنى صحيح أيضا : أي أظهر له
مساوئك ويتجنب محالطتك .

وَأَخَذَلْ^(١) اللَّفِيفَ عَنْكَ ، حَتَّى تَعُودَ إِلَى وَتَنْزِعَ عَنْ غِيكَ ، وَتُقِيمَ جَوْرَكَ ،
وَلَا تَعْدُو طَوْرَكَ ، وَحَتَّى تَسْتَعِظَ النَّاسَ فِي حَوَائِجِكَ إِلَيْهِمْ ، وَتَدَعَ
الْعُنفَ بِهِمْ وَالتَّسْحُبَ^(٢) عَلَيْهِمْ .

وَسَيَقْرَأُ كِتَابِي هَذَا الْكَاتِبُ الْأَدِيبُ ، وَالْفَقِيهَ اللَّيِّبُ ، وَالشَّاعِرُ
الْأَرِيبُ ، وَالْمِصْقَعَ^(٣) الْخَطِيبُ ، وَالظَّرِيفَ الْمُتَشِّعَ ، وَالْحَصِيفَ الْمُقْنِعَ ، وَكُلَّ
هَؤُلَاءِ وَكُلِّي عَلَيْكَ فِي طَلَبِ الْجَوَابِ ، مِنْ طَرِيقِ التَّطَوُّعِ وَالِاحْتِسَابِ ،
مَحْمُودِينَ مَأْجُورِينَ ، مَسْئُولِينَ غَيْرَ مَأْمُورِينَ .

وَقَدْ نَفَذْتُ لِي إِلَيْكَ رِسَالَةَ الْعِتَابِ ، عَلَى مَخْرَجِ أَلْفَاظِ الْكِتَابِ ،
ظَلَمْتُكَ فِي الْمَطَالِبَةِ بِالْإِجَابَةِ عَنْهَا ، وَبِهَظَّتِكَ^(٤) بِمَا حَمَلْتُكَ مِنْهَا ، وَتَنَاوَلْتُكَ
بِالشَّعْرِ وَأَنْتَ مُفْتَحَمٌ^(٥) ، وَأَنَا لَكَ فِي ذَلِكَ أَظْلَمُ ، وَقَدْ مِلْتُ إِلَى السَّجْعِ عَلَى
عِلْمِي بِخَسَاسَةِ حَظِّهِ ، وَرَكَكَ مَعَانِيهِ وَلَفْظِهِ ، إِذْ كُنْتَ تَلْوِي بِهِ لِسَانَكَ ،
وَتَتْنِي إِلَيْهِ عِنَانَكَ ، قَطْعًا لِحُجَّتِكَ ، وَإِزَاحَةً لِعِلَّتِكَ ، فَإِنْ أُجِبْتَ فَقَدْ كَشَفْتَ
لَنَا مَا لَدَيْكَ ، وَإِنْ اعْتَرَفْتَ بِالْعِزِّ عَظُّفْنَا ذَلِكَ عَلَيْكَ ، وَالسَّلَامُ .

(اختيار المنظوم والمثور ١٣ : ٤١٧)

(١) فِي الْأَصْلِ « وَاحْدَل » وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٢) تَسْحَبُ عَلَيْهِ : تَدُلُّ .

(٣) الْمِصْقَعُ : الْبَلِيعُ ، أَوِ الْعَالِي الصَّوْتِ ، أَوْ مَنْ لَا رَتَجَ عَلَيْهِ فِي كَلَامِهِ وَلَا يَتَتَمَعُ ، وَحَصِفَ
كَكْرَمٍ : اسْتَحْكَمَ عَقْلُهُ ، فَهُوَ حَصِيفٌ .

(٤) يَهْظُهُ الْأَمْرُ : كَنَعَ : غَلَبَهُ وَثَقَلَ عَلَيْهِ وَبَلَغَ بِهِ مَشَقَّةً .

(٥) الْمَفْحَمُ : الْعِيَّ ، وَمَنْ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ شَعْرًا .

٨٣ - كتاب لآبي على البصير في الاعتذار

وكتب أبو على البصير يعتذر عن هفوة :

« ذكرت - أعزك الله - في كتابك ما يعلم الله اغتمامي به ، واستكانتي له ،
وقلتي عند ما ورد عليّ منه ، وإكباري قدر البليّة به والمصيبة فيه ، والعالم
بالسرائر ، المطلع على الضمائر ، يشهد - وكفى به شهيداً - أنني ما أقف على
ما ذكرت ولا أتوهمه ، ولا يؤمّي لي ظنّ إليه ، وإني لأفكر منذ ورد كتابك
بما ورد به ، فما أجد ذكرى^(١) يُحيط بشيء منه ، وإنّ أقصى حفظي
مما كان في ذلك المجلس لغلبة الشكر عليّ ، ثم خاتني فهمي ، فما كان بعد
ذلك فيغير عليّ ، ولا قصد مني .

ومما زاد في غميّ ، وضاعف المكروه عليّ ، تحقّقك للأمر وهو خبر
معرض الشك فيه ، والبطلان أولى به ، حتى ألزمتني إياه ، وقرعتني^(٢) به
كأنّه قرع سمّك ، فإن ذلك أراني صورة المقت منك لي ، والغلظة عليّ ،
والإسراع إلى قبول القبيح المضاف إليّ ، ووالله لو واجهتك على تلك الحال
بما أنهي إليك - وبالله أعوذ من ذلك فيما بيني وبين من هو دونك
عندي من إخواني - لكان فيما أطلعتك عليه العشرة الطويلة ، والخبرة
القديمة ، من إجلالي إياك ، وخالص محبتي لك ، مع ما يضطرني إليه متقدّم

(١) الذكر بالصم ويكسر : التذكر .

(٢) قرعته : لأمه وعنه .

برُّك وإحسانك ، ومَرْضِيَّاتُ أخلاقك ، من البُعد بقلبي ولساني من كلِّ ما
سألك ، ما يَدُلُّكَ على أن ما كان من ذلك كان آفةً نالتني في عقلي ، ومِزَاجًا
فاسدا رَدِيثًا استولى عليَّ . والله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشَّهادة ،
ما كتبتُ إلا بالحقيقة عندي ، ولا تحرَّيتُ زيادة ولا نقصا ، فإن تَقَبَّلَ تتخذُ
بذلك عندي يَدًا ، وتُوجِبُ عليَّ شكرًا مُجَدِّداً ، وإن تُقِمَّ عليَّ مَوْجِدَتَكَ ^(١)
أُقِمَّ عليَّ تنصيفك واستعطافك والتذللُ لك ، والتضرُّع إليك ، والتحمُّلُ
عليك ، حتى يَعْدِلَ حُكْمُكَ ، وَيُنِيَّ بِهِ كَرْمُكَ .

(اختيار المطوم والمشور ١٣ : ٣٨٧)

٨٤ - كتاب آخر

وكتب أيضاً :

« قد كنتُ أرجو أن أكون قد أبرأتُ صدركَ ، وأنَّ ما كتبتُ به
قد أتى من وراء ما في نفسك ، فامتحنْتُ ذلك بلزوم منزلي ، وحبسِي كُتُبِي
ورسلي ، لأفريق بين رغبتك في قربى وبين زُهدك ، ولأرى صورةَ حالي
عندك ، فإذا تنصَّلي واعتذارى لم يَبْلُغَا بي استيجابَ رضاك - أطل الله بقاءك -
وإذا أَيْمَاني غيرُ البريَّةِ ^(٢) المصدِّقة في حديثي إياك ، على طول مدة صُحْبَتِي
لك ، دون ما أَتَحَرَّي الصَّدَقَ فيه ، وأَجْتَهِدُ حَلِيفاً عليه ، إلا أن يكون عن
علَّةٍ عَرَضَتْ لك منعتك مما كنت تتطوَّلُ به مِنَ الأمرِ بتعرُّفِ خَبَرِي عند
انقطاعي عنك ، فقدَّم الإِشْفَاقَ على مَكَانِي منك سوء الظن بصحة عذرِكَ ،

(١) الوحدة : الغضب . وتصحه : سأله أن يصحه .

(٢) مسهل عن البريئة .

بإيالة صدرك ، وبالله العظيم فسمنا ثاكاً ، لا كاذباً ولا حائثاً ، إني للخالص
 كله ، سرّه وبهره ، وغيبه وشهده ، البعيد بقلبه ولسانه مما نُفِثَ في
 سمك ، ووَفَرَ في قلبك ، وعلمك بحاجتي إلى حسن رأيك ، ودوام الحال
 عندك . شاهدٌ عدلٌ على صدقي إياك ، إن استخبرته شفاك ، وإن اقتصرت عليه
 كفاك . هذا إذا كنتُ لنفسي دون صديقي ، ولم أكن أعمل إلا على سوق
 يومي ، ولا أصلح إلا لمن صلح به معاشي ، وكيف وقد علمت مجانبتي لهذه
 الصفة^(١) ، ودوام عهدي للصديق على الحرمان والجفوة . وأنت لا تعلم من
 جهل بك . ولا تُنبّه من غفلة فيك . وليس مثلك من جرح يقينه الظن ،
 ولا أفسد الحرّ عنده العبد ، ولو صح مني الذنب إليك لكان الصفح عني
 أولى بك ، فإن رأيت أن تعود كعهدي كان بك ، قبل التكذب عليّ عندك ،
 وأن تمنّ بذلك على من يُقدّم إخاءك في مودتك ، وعندك^(٢) في إجلالك
 وتمظيمك والمسارة إليك والطاعة لك ، فعلت ، ذامنة عظيمة إلى منن
 لك قديمة إن شاء الله ، ووهب الله لي عطفك ورضاك .

(أسرار المطوم والسور ١٣ ٣٨٦)

٨٥ - كتاب آخر

وله أيضاً جواب اعتذار إليه :

« بلغني اعتذارك ، وواقي مني تطلّعا شديداً إليه ، ومكانا قد قدّمتُ

(١) في الأصل « الطعة » وأراه محرفاً .

(٢) المد مثلة : الناحية ، والحرّك . الجاب .

المواطنة^(١) له عندي . فسكن الثفرة ، وأذهب الوحشة ، وجدد عهد المودة ، وأوجبت لك به التطوُّل ، والمِنَّة واليد المشكورة ، ولم أكن كالمُتَعَنِّتِ^(٢) المتسحِّبِ^(٣) الذي يطلب العلة ، ويغتم الزَّلة ، ويَصْدِفُ^(٤) عن الحُجَّة ، وتضيِّقُ عنه المَعْدِرَةُ ، وما نظرتُ لك إلا على نفسي ، ولا بدأتُ إلا بحظي فيما استثبتُ من رأيك ، وحاميتُ عليه من إخائك ، والله أسألُ حسنَ المدافعة عنك ، وامتناعي بما وهبَ لي منك ، والسلام .

(اختيار المطوم والشور ١٣ : ٣٨٨)

٨٦ - كتابه إلى علي بن يحيى

وكتب إلى علي^(٥) بن يحيى يشكر ويعتذر :

« النعمة شفيعٌ صدقٍ عند وليِّها ، تقتضيه ربَّابَتُها^(٦) ، والزيادة فيها ، والمحافظة عليها ، وإرغامُ أعدائها وحُسَّادها الملتَمِسِينَ لإفسادها وإزالتها ، والإغضاء على ما يُغْضِي الحُرُّ على مثله في استتمامها ، سِيَّما إذا كانت عند أهلها ، وفي موضعها ومحلِّها ، وكان المقلِّد لها من يقوم بشكرها ونشرها ، ويُشيد بذكرها ، ويستفرِّغُ المجهودَ من نفسه في شكرها ، ويُعطيها ما يجب لها من الاعتراف بها ، والانتساب إليها ، والمحاماة عليها ، وأناأخذُ من أسكنته

(١) واطه على الأمر : وافقه .

(٢) تسحب عليه : تدلُّل .

(٣) أي يحرص .

(٤) هو أبو الحسن علي بن يحيى بن أبي منصور المصم ، وكان من حاشية ندماء التوكل ، وحسن به وعن بعده من الخلفاء إلى أيام المعتد ، وكان مقدما عديم ، يفضون إليه بأسرارهم ، وبأمره على أحرارهم ، وكان راوية للأشعار والأخبار شاعرا محسنا ، وتوفي سنة ٢٧٥ - انظر الفهرست ص ٢٠٥

(٥) ربَّ العنة كصبرنا بالفتح وربانا وربابة بكسر الراء فيها ورتبها : بماها ورادها وآتمها وأصاحبها وحفظها وراعاها .

ظِلِّكَ ، وَأَعْلَقْتَهُ^(١) حَبَائِلِكَ ، وَجَبَوْتَهُ بِلَطِيفِ بَرِّكَ وَخَاصِّ عَنَائِتِكَ ، فَانْتَصَفْتُ
بِكَ مِنَ الزَّمَانِ ، وَاسْتَعْنَيْتُ بِكَ عَنِ الْإِخْوَانِ ، فَأَنَا لَا أَرْغَبُ إِلَّا إِلَيْكَ ، وَلَا
أَعْتَمِدُ إِلَّا عَلَيْكَ ، وَلَا أَسْتَنْجِجُ^(٢) طَلَبًا إِلَّا بِكَ ، وَاللَّهِ أَسْأَلُ الْبَقَاءَ لَكَ ،
وَدَوَامَ عَزِّكَ وَعِزَّتَنَا بِكَ ، وَحِرَاسَةَ النِّعْمَةِ عِنْدَكَ وَعِنْدَنَا فِيكَ .

وَكَانَ فَرَطٌ مِنِّي قَوْلُ إِنْ تَأَوَّلْتَهُ^(٣) لِي أَرَاكَ وَجْهَ عَذْرَى ، وَقَامَ عِنْدَكَ
بِحُجَّتِي ، وَأَغْنَانِي عَنِ تَوْكِيدِ الْأَيْمَانِ عَلَى حَسَنِ نِيَّتِي ، وَإِنْ تَأَوَّلْتَهُ عَلَى - وَبِاللَّهِ
أَعُوذُ مِنْ ذَلِكَ - أَلْحَقَ بِي لَا تُنْتَكِ^(٤) ، وَجَنَى عَلَى حَالِي وَمَنْزِلَتِي عِنْدَكَ ، وَقَدْ
أَتَيْتُكَ مُعْتَرِفًا بِالزَّلَّةِ ، مُسْتَكِينًا لِلْمَوْجِدَةِ^(٥) ، حَائِذَا بِالصَّفْحِ وَالْإِقَالَةِ ، فَإِنْ
رَأَيْتَ إِلَّا تُقَرِّعِنَا قَذِيتَ^(٦) بِنِعْمَتِكَ عِنْدِي ، وَلَا تَسْلُبْنِي مِنْهَا مَا أَلْبَسْتَنِي ،
وَأَنْ تَقْتَصِرَ مِنْ عَقُوبَتِي عَلَى الْمَكْرُوهِ الَّذِي نَابَنِي بِسَبَبِ عَثْبِكَ ، وَتَأْمَرَ
بِتَعْرِيفِي مِنْ رَأْيِكَ مَا يَطَامُنُ^(٧) حَشَايَ ، وَتَسْكُنَ إِلَيْهِ نَفْسِي ، وَيَأْمَنَ
بِهِ رُوعِي^(٨) ... » (اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٨٨)

٨٧ - كِتَاب آخِر

وله في الصَّفْحِ :

« إِنْ الَّذِي فَرَطَ مِنْكَ وَإِنْ تَجَاوَزَ مِنِّي مَا أَرْضَى لَكَ ، لَمْ يَبْلُغْ مَا يُغْضِبُنِي

(١) أَى وَصَلْتَهُ بِحَبَالٍ وَدَكَ وَعَظَفَكَ . وَجَبَوْتَهُ : مَسَحْتَهُ .

(٢) أَى أَطْلُبُ نَجِيحَهُ .

(٣) أَوَّلُ الْكَلَامِ وَتَأَوَّلَهُ : فَسَّرَهُ ، وَفِي الْأَصْلِ « إِنْ تَأَمَّلْتَهُ » وَقَدْ أَصْلَحْتَهُ كَمَا تَرَى ، وَيُؤَبِّدُ ذَلِكَ مُقَابَلَتَهُ بِمَا بَعْدَهُ .

(٤) الْأَلُتْمَةُ : اللَّوْمُ .

(٥) اسْتَكَانَ : خَضَعَ . وَالْمَوْجِدَةُ : الْغَضَبُ .

(٦) أَى تَأَذَّتْ ، وَالْقَذَى : مَا يَقَعُ فِي الْعَيْنِ ، وَقَذَيْتَ عَيْنَهُ كَرَضْتَهُ : وَقَعَ فِيهَا الْقَذَى .

(٧) أَى يَسْكُنُ .

(٨) الرُّوعُ بِالْفَتْحِ : الْفَزَعُ ، وَبِالضَّمِّ : الْقَلْبُ وَجَوَابُ الشَّرْطِ مُحذُوفٌ لِلْعِلْمِ بِهِ أَى فَعَلْتُ .

عليك ، وحيث انتهى ما يخالفني من قولك وفعلك ، فإن وراءه تعميذاً^(١) مني لإساءتك ، وصفحا عن زلتك ، فإن تأمنا لانحنك ، وإن يسوء ظنك فإنما نحتاج إلى إصلاحه منك . (اختيار المنظوم والمثور ١٢ : ٢٦٠)

٨٨ - فصول لآبي على البصير

فصل له :

« قد أكد الله بيننا من المودة ما نأمن الدهر على حل عقده ، وتقضى مره^(٢) ، وما يستوى منه ثقتنا بأنفسنا لك ، ولأنفسنا بما عندك . »



وفصل له :

« الحال فيما بيننا يحتمل الدالة ، ويوجب الأنس والثقة وبسط اللسان بالاستزادة ، وأنا أمت إليك بالحرمة المتقدمة ، والأسباب المؤكدة ، حتى تحل صاحبها محل خاصة الأهل بالقرابة . » (العقد العريد ٢ : ١٩٢)

٨٩ - كتاب لغسان بن عمرو الباهلي في الذم

« إنه انتهى إلى ما بلغك فلان ، وقد كفاني سقوطه مئونة إسقاطه ، »

(١) أي ستر .

(٢) في الأصل « مزاره » وهو تحريف ، وأرى أن صوابه « مره » والمر بالفتح : الحبل ، أو « مراره » بالكسر ، جاء في اللسان : « والمر بضم ففتح : الحبل الذي أجيد قتله ، ويقال المرار بالكسر والمر بالفتح ، وفي الحديث أن رجلاً أصابه في سيره المرار : أي الحبل ، قال ابن الأثير : هكذا فسر ، وإنما الحبل المر ولعله جمعه » اهـ أو صوابه « مرره » بكسر ففتح جمع مرة بالكسر : وهي طاقة الحبل ، أو « مراره » جمع مريرة أو مرير : وهو الحبل الشديد القتل .

وشدة تعذيه لِقَدْرِهِ الوصفَ لإفراطه ، فعرَفْتُك بحاله عُذْرُ لِي عندك
يُدْحِضُ^(١) حجته ، ويكذبُ قوله ، وعقوبةٌ مثله الصّفحُ عن ذنبه إذا قَصُرَ
عن المجازاة قدره ، ولم يحتمل المعاتبة عقله ، فصَفَحْتُ عن سبيله رغبةً بنفسى عن
ذكره ، ولولا ذلك انْضَحَّتْهُ^(٢) بسهامٍ نافِذة ، وأكذبتُ مقالته بِمُحَجِّجٍ
واضحةٍ ، والسلام . (اختيار المطوم والمشور ١٣ : ٤٢١)

٩٠ - كتاب آخر له في الذم

« فلان ممن شَرَّفَتْ أمره ، وأعليت ذِكره ، وولَّيْتَه نشرَ مكارمك
فطَوَّأها ، وإظهارَ محاسنك فأخفاها ، وعمد إلى أموركَ فتعدَّأها ، استخفافاً
بالحرَم ، وقلة شكرٍ للنعم ، صرتُ إليه فوجدته ظاهرَ العَدْرِ ، عظيمَ الكِبَرِ ،
أسودَ القلب ، لم يُشْرِقْ نورُ الحكمة في قلبه ، ولم يَجْرِ ماءُ الحياء على وجهه ،
فيه ثلاثة أمور : الفساد والخِيبُ^(٣) والكذب ، (قد أخرج الناسَ^(٤)) من
فُسْحَةِ العدل إلى صِيقِ الجور ، حتى باعوا الطارِفَ والتَّلاذَ ، وهمَّوا ببيع النساءِ
والأولاد ، إذعاناً للقهر ، واستبسالاً للجهْد ، ومُخالفةً للذل ، ثم لم يُقْنِعْهُ ذلك
حتى أخذ منهم ما كان الله قد وضعَ ثَمْلَهُ عنهم ، ولم تَعْمَلْ به الولاية قبله ، تضعيفاً
للبلَاء ، واستعمالاً لِلْأَوَاءِ^(٥) .

(١) أدحض حجته : أطلها .

(٢) نصحه بالسل : رماه .

(٣) الحب : الحداق والحث والعس .

(٤) في الأصل « الفساد والحب والكذب من فسحه العدل إلى صيق الجور » وقد ردت ما بين

القوسين ليستقيم المعنى .

(٥) اللأواء : الشدة .

وجَعَلَكَ عُرضَةً لدعاء المظلومين ، وَثَمَّةً في قلوب المؤمنين ، فَأَيْسَرَ
 الملهوف من رَوْح^(١) عدلك ، والمكروب من رجاء فضلك ، وفَعَلَ « كذا »
 تَكَريراً للشَّعْ^(٢) ، وأَخَذاً بالبِدْع ، وإِمَاتَةً للشَّئْن ، وجَعَلَ مَنْزِلَهُ مَغِيضاً^(٣)
 لِمَا جَبَى ، وَسِيرَةً لِمَا حَوَى ، لِيَخْتَزِنَ الْفُضُول^(٤) ، وَيَسْتُرَ ذَلِكَ عَنِ الْعْيُونِ ،
 حَتَّى إِذَا حَمَلَهُمُ الْجَهْدَ فَتَمَدَّتِ الطَّاقَةُ ، وَمَاتَتِ الْحِيلَةُ ، وَتَرَحَّتِ النُّفُوسُ ،
 كَشَفَ لَهُمُ عَنْ خُطَّةِ الْجَوْرِ ، نَايَةَ الْأَطْرَافِ ، مَتْرَاحِيَةَ الشُّقَّةِ^(٥) ، يَعِجَزُ عَنْ
 تَجَشُّمِهَا ذُو الْقُدْرَةِ الْغَنِيُّ ، وَذُو الْمُنَّةِ^(٦) الْقَوِيُّ ، وَأَبْرَزَ لَهُمُ غُرَّةَ السَّيْفِ ذِي
 الشُّطْبِ^(٧) ، وَهَامَةَ الْجُرْزِ^(٨) ذِي الشَّعْبِ ، نَجَّبَهُمْ بِجَهْدِهِمْ ، وَكَشَّاهُمْ عَنْ
 غَمِّهِمْ ، فَفَعَلَ بِهِمْ « كذا » ، حَتَّى أَعْطَوْا الْمَقَادَةَ كَارِهِينَ ، وَعَلَى أَنْفُسِهِمْ
 خَائِفِينَ ، لِمَا عَايَنُوا مِنَ الْقَوْلِ السَّنِيعِ ، وَالْأَمْرِ الْقَطِيعِ ، فَأَرْمَضَ^(٩) بِذَلِكَ
 قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَكَرِهَ جِوَارَهُ أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْدِينِ ، إِذْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا لِمَا صَنَعَ
 تَغْيِيرًا ، وَلَمْ يَجِدُوا إِلَى أَمْرِهِ بِالْمَعْرُوفِ سَبِيلًا ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُنْصِفَ كَرَمِي
 مِنْ لُؤْمِهِ ، وَتَعَبِي مِنْ دَعَتِهِ ، وَغُشْرِي مِنْ سَعَتِهِ ، فَقَدْ خَالَفَ طَاعَتَكَ وَأَمْرَكَ ،
 وَتَحَامَلَ عَلَى أَهْلِ مَوَدَّتِكَ وَشُكْرِكَ ، فَعَلْتَ .

(اختيار المطوم والشور ١٣ : ٤٢١)

(١) الروح : الرحمة .

(٢) في الأصل « للشع » وهو تحريف .

(٣) كذا في الأصل والمعنى عليه صحيح ، وربما كان « مقبصا » وكلاهما اسم مكان .

(٤) الفضول : جمع فضل ، وهو الريادة . وفي الأصل « لحدل » وهو تحريف وصوابه « ليحترن »

(٥) ترح : ضد ترح . والشقة : السافة .

(٦) المنة : القوة .

(٧) شطوب السيف وشطه (بصمتين) وشطه (هم مفتوح) : طرائفه التي في منته ، واحدة

شطية هم ، وهم مفتوح ، وبكسر .

(٨) الحرر كقفل وعق : العبود من الحديد ، وفي الأصل « الحرر » وهو تصحيف .

(٩) أرمضه : أوجهه وأحرقه .

٩١ - كتاب آخر له

وله أيضاً :

«إنك صرفت حاجتي إلى فلان ، فوجدته ظاهراً الغدر ، عظيم الكبر ،
فاشياً التوك^(١) ، لا تقوى له وجوه الأحرار ، فرأيت في عزله عن أيديك ،
وصرف حاجتنا إلى وجه قريب ، موقفاً ، إن شاء الله .

(اختيار المطوم والمور ١٣ : ٤٢٢)

٩٢ - كتاب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى المتوكل

وكتب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى المتوكل يعزّيه بآبن له :

« إني أعزّيك ، لا أتي على ثقة من الحياة ، ولكن سنة الدين
ليس المعزّي يباقي بعد ميته ولا المعزّي ، وإن عاشا إلى حين »

(العقد العريد ٢ : ٣٦)

٩٣ - تحميد لإبراهيم بن العباس صدر رسالة الخيس

وكتب إبراهيم بن العباس للمتوكل رسالة للخيس صدرها :

« أما بعد ، فالحمد لله الذي جلّت نعمه ، وتظاهرت مننه ، وتتابعت
أيديه ، وعم إحسانه ، إله كل شيء وخالقه ، وبارئته ومصوره ، والكائن
قبله ، والباقي بعده ، كما قال في كتابه : « كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم »

(١) التوك بالعم والفتح : الحق .

وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » العَالِي فِي مَشِيئَتِهِ ، وَالْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ، الْمُتَعَالِي عَنْ شَبَهٍ خَلَقَهُ « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ » وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ » خَلَقَ الْعِبَادَ بِقُدْرَتِهِ ، وَهَدَاهُمْ بِرَحْمَتِهِ ، وَأَوْضَحَ لَهُمُ السَّبِيلَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ ، بِمَا نَصَّبَ لَهُمْ مِنْ دَلَائِلِهِ ، وَأَرَاهُمْ مِنْ عِبَرِهِ ، وَصَرَّفَهُمْ فِيهِ مِنْ صُنْعِهِ كَمَا قَالَ جَل جَلالَهُ : « الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ . ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ . ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِي وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ » .

وذلك كله مِنْ خَلْقِهِ إِيَّاهُمْ بِتَمَثِيلِهِ مِمَّا مَثَّلَ لَهُمْ مِنَ الدَّلَائِلِ الَّتِي نَصَبَهَا لَهُمْ ، وَالْأَعْلَامِ الَّتِي جَعَلَهَا إِزَاءَ قُلُوبِهِمْ وَأَسْمَاعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ، وَيَسَّرَ لَهُمْ خَوَاطِرَهُمْ وَفِكَرَهُمْ ، وَالْهَيْئَةَ الَّتِي هَيَّأَهُمْ لَهَا ، لِيَقَعَ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ عَلَيْهِمْ ، فَلَا يَكْلِفُهُمْ فَوْقَ طَاقَتِهِمْ ، وَلَا يُجَشِّمُهُمْ مَا يَقْصُرُ عَنْهُ وَوُسْعُهُمْ ، نَظَرًا مِنْهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَيْهِمْ ، وَرَحْمَةً بِهِمْ ، لِيُؤْمِنُوا بِهِ وَيَعْبُدُوهُ ، فَيَسْتَحِقُّوا بِهِ رَحْمَتَهُ وَرِضْوَانَهُ ، وَالْخُلُودَ فِي النِّعَمِ الْمَقِيمِ ، وَالظِّلَّ الْمَدِيدِ ، وَالْعِيشَ الدَّائِمَ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ذِكْرَهُ : « إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ » . وَكَانَ مِنْ نَظَرِهِ وَرَأْفَتِهِ بِهِمْ أَنْ بَعَثَ فِيهِمْ أَنْبِيََاءَهُ وَرُسُلَهُ ، يَدْعُونَهُمْ إِلَى طَاعَتِهِ ، وَيُبَيِّنُونَ لَهُمْ هُدَاهُ ، وَيُوضِّحُونَ لَهُمْ سَبِيلَهُ ، وَيَهْدُونَهُمْ إِلَى رَحْمَتِهِ ، وَيَعِدُّونَهُمْ ثَوَابَهُ ، وَيُنْذِرُونَهُمْ عِقَابَهُ ، وَيَنْسُطُونَ لَهُمْ تَوْبَتَهُ ، وَيَحْذَرُونَهُمْ سُخْطَهُ ، وَيُبَيِّنُونَ لَهُمْ سُنَنَهُ وَشَرَائِعَهُ ، وَيَكْشِفُونَ لَهُمْ مَوَاطِئَ ظُلْمِهِ ، وَيُعَلِّمُونَهُمْ كِتَابَهُ وَحِكْمَتَهُ ، كَمَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : « لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ يَتْنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ يَتْنَةٍ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ

عَلِيمٌ ۖ وَكَانَ مِنْ رَأْفَتِهِ بِهِمْ وَنَظَرِهِ لَهُمْ أَنْ بَعَثَهُمْ إِلَيْهِمْ بِالْحُجَجِ الظَّاهِرَةِ ،
وَالْأَعْلَامِ الْبَيِّنَةِ ، وَالشَّوَاهِدِ النَّاطِقَةِ ، الَّتِي أَظْهَرَ بِهَا صِدْقَهُمْ ، وَأَقَامَ بِهَا بَرَهَانَهُمْ ،
وَأَوْضَحَ بِهَا دَالِلَهُمْ ، وَأَثَابَهُمْ عَمَلٍ سِوَاهُمْ لِيَكُونَ أَدْعَى لَهُمْ إِلَى تَصْدِيقِهِمْ
وَالْقَبُولِ عَنْهُمْ ، وَأَوْكَدَ لِلْحُجَّةِ عَلَى مَنْ أَبَى ذَلِكَ مِنْهُمْ ۖ .

(اختيار المنظوم والمشور ١٣ : ٢٧٢)

٩٤ — تحميد لابراهيم بن العباس

في فتح إسحاق بن إسماعيل

« الْحَمْدُ لِلَّهِ مُعِزِّ الْحَقِّ وَمُذِلِّهِ ^(١) ، وَقَامِعِ الْبَاطِلِ وَمُزِيلِهِ ، الطَّالِبِ فَلَا
يُفَوِّتُهُ مَنْ طَلَبَ ، وَالْغَالِبِ فَلَا يُعْجِزُهُ مَنْ غَلَبَ ، مُؤَيِّدِ خَلِيفَتِهِ وَعَبْدِهِ ،
وَنَاصِرِ أَوْلِيَائِهِ وَجِزْبِهِ ، الَّذِينَ أَقَامَ بِهِمْ دَعْوَتَهُ ، وَأَعْلَى بِهِمْ كَلِمَتَهُ ، وَأَظْهَرَ بِهِمْ
دِينَهُ ، وَأَدَالَ بِهِمْ حَقَّهُ ، وَجَاهَدَ بِهِمْ أَعْدَاءَهُ ، وَأَنَارَ بِهِمْ سَبِيلَهُ ، تَحْمَدًا يَتَقَبَّلُهُ
وَيَرْضَاهُ ، وَيُوجِبُ أَفْضَلَ عَوَاقِبِ نَصْرِهِ ، وَسِوَابِغِ ^(٢) نِعْمَائِهِ ۖ .

(اختيار المنظوم والمشور ١٣ : ٢٦٩)

٩٥ — ومن رسالة له في قتل إسحاق بن إسماعيل ^(٣)

« وَقَسَمَ اللَّهُ عَدُوَّهُ أَقْسَامًا ثَلَاثَةً : رُوحًا مُعْجَلَةً إِلَى عَذَابِ اللَّهِ ، وَجُثَّةً
مَنْسُوبَةً لِأَوْلِيَائِهِ اللَّهِ ، وَرَأْسًا مَنْقُولًا إِلَى دَارِ خِلَافَةِ اللَّهِ ، اسْتَزَلُّوهُ مِنْ مَعْقِلِ

(١) أداله الله عليه : نصره .

(٢) نعمة سائغة : أى تامة .

(٣) الظاهر أن التحميد السابق صدر لتلك الرسالة .

إلى عقال^(١)، وبدّلوه آجالاً من آمال، وتديماً غَدَّتِ المعصية^(٢) أبناءها، فخلبت عليهم من دَرِّها^(٣) مُرَضِعةً، وبسطت لهم من أمانيتها مُطْمِعةً، ورَكبت بهم مخاطرَها مُوضِعةً^(٤)، حتى إذا وثقوا^(٥) فأمِنُوا، وَرَكِبُوا فاطمأنُوا، واتقضى رِضَاعُهم^(٦) وَأَن فِطَامَ، سَقَّتْهم سُماً، فَفَجَّرَتْ مجارى ألبانها منها دماً. وأعقبَتْهم من حُلُو غداها مُراً، وتقلتْهم من عز إلى ذل، ومن فرحة إلى تَرْحَة، ومن مَسَرَّة إلى حَسرة، قتلاً وأسراً، وغَلَبَة^(٧) وقَسراً، وقلَّ مَنْ أَوْضَعَ في الفتنة مُرْهِجاً^(٨)، واقتحم لَهَبها مُوجَّجاً، إلا استلحمتْه آخِذَةً بِمُخَنَّقِه^(٩)، ومُوهِنَةً^(١٠) بالحق كيده، حتى جعلته لعاجله جَزَراً^(١١)، ولآجله حَطَباً، وللحق موعظةً، وعن الباطل مَزْجَرَةً^(١٢)، أُولَئِكَ لَهُمْ خِزْيٌ في الدُّنْيَا، وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ .

(تاريخ الطبرى ١٢ : ٧٩ ، ومروج الذهب ٢ : ٣٨٣)

-
- (١) العقل : اللجأ ، والعقال : الحبل الذى يعقل به البعير ، والمراد الدل والإسار .
(٢) وفي الطبرى « المعصية » .
(٣) الدر : اللبن .
(٤) أوضعت الناقة ووضعت : أسرعت في سيرها .
(٥) وفي مروج الذهب « رتعوا » .
(٦) وفيه « وإاحة » . وقسره على الأمر كضرب : أكرهه عليه وقهره .
(٧) الريح كشمس وسبب : العبار ، وأرهب : أثار الغبار . وأحج النار : ألهبها .
(٨) استلحم الطريدة : تبعها ، والمخنق : الحلق .
(٩) أوهنه : أضعفه .
(١٠) يقال : تركوهم جزر السباع : أى قطعاً من اللحم فأكلها السباع .
(١١) وفي مروج الذهب « والباطل حجة » .

٩٦ - تحميد له

« الحمد لله الغالب ذى القدرة ، والقاهر ذى العِزَّة ، الذى لم يقابل بالحق باطلاً فى موطن من موطن التحاكم بين عبادِه ، إلّا جعلَ أولياء الحق منهم حِزْبَهُ وجُنْدَهُ ، وجعل الباطلَ بهم فلا^(١) منكوبا ، ودَحِيضاً^(٢) زَهُوقاً ، إن نهض به أولياؤه كانت مَرَاوِدُ عواقبه مفرقةً ما أُجِيع ، ومُبْتَرَّةً^(٣) ما اُعِدَّ ، وقائدة بأشياعه إلى مَصْرَعِ الظالمين ، حتى يكون الحقُّ الطالبَ الأعز ، والباطلُ المطلوبَ الأذلَّ ، وأولياء الحق الأغلين يَدًا وأَيْدًا^(٤) ، وأشياعُ الضلال الأخسرين أعمالاً وكَيْدًا ، قضاء الله وسنته ، ومادة الله وإرادته ، فى الفِئَةِ المنصورة ، أن تَعِزَّ فلا تُرَام ، وأن يَمَكِّنَ لها فى الأرض كما مَكَّنَ للذين من قبلها ، وفى الفِئَةِ الناكبين عنه ، أن تَذِلَّ ، فتكون كلمتها السفلى ، وكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » . (اختيار المظوم والمشور ١٣ : ٢٦٩)

٩٧ - تحميد له فى فتح

« أما بعد ، فالحمد لله الذى حمِدَ نفسه ، وفَرَضَ حَمْدَهُ على خَلْقِهِ ، وأعزَّ دينه ، وأكرم بطاعته أولياءه ، وأكرم طاعته بأوليائه فجعل جُنْدَهُ منهم المنصورين ، وحِزْبَهُ منهم الغالبين ، نَهَجَ^(٥) بهم سبيله ، وأقام بهم حُجَّتَهُ .

(١) قوم فل : منهزمون .

(٢) دحیضا : أى مدحوضا باطلا ، من دحضت الحجة إذا بطلت ، وزهوقا : أى مضحلا .

(٣) من بتره : أى قطعه واستأصله .

(٤) الأيد : القوة .

(٥) نهج : أوضح .

وجاهدَ بهم أعداءه ، وأظهر بهم حقّه ، وقَعَ بهم الباطلَ وأهلَه ، وأعلى كلمتهم ،
وأيدَ نصرهم ، وألّف لهم وبهم ، ومكّن لهم في الأرض ، فجعلهم أئمةً
وجعلهم الوارثين .

والحمد لله المَعزُّ لدينه ، المُظهِر لحقه ، الناصر لخلفائه ، الممكن لحزبه ،
المنتقم بهم ممن صدَفَ عنه ، مؤيِّداً دينه بالنصر ، ليُظهِره على الأديان ، وحفّه
بالمعز ، فلا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه ، وجُنودَه بالفَلَج^(١) فهم
الأغلون إن استنصر بهم ، والأعزّون إن كاد بهم ، والأقربون منه إخلاصاً
وعملاً ، حمداً يُوازي نعمه ، ويمتدّى^(٢) بمثله قواضيله ومزيده .

(اختيار المظوم والمشور ١٣ : ٢٧١)

٩٨ — تحميد آخر له

وله في فتح ابن البَيْثِ لما ظفر به :

« أما بعد ، فالحمد لله ناصر أنبيائه وخلفائه ، وهادي أوليائه ، أولياء الحق
وحزب الهدى ، الذين أقام بهم سُبُلَ الرشاد ، ونصّب بهم مناهجَ الدين ،
فأظهره على الدين كله ولو كره المشركون » .

(اختيار المظوم والمشور ١٣ : ٢٧٢)

(١) الفلج : الظفر والعوز .

(٢) يمتدّى : أى يطلب ، من امتدّى الشيء إذا استخرجه ، والريح تمتدّى السحاب : أى

تستخرجه وتستدره .

٩٩ — تحميد له

« الحمد لله الذى أنجز وَعْدَه ، ونصر عبده ، وأيد جنده ، وجعل فتوح
أمير المؤمنين شرقا وغربا مشفوعة بين إقامة حق ، وإدالة^(١) باطل ، وإزالة
حائِد ، وإبادة مائِد ، وإقالة مُستقيل ، ويسأل الله أمير المؤمنين مسألة العبدِ
سَيِّدِه ومولاه ، رغبة إليه ، متذلِّلا له ، أن يصلى أفضل صلواته عنده على
أكرم أنبيائه » . (اختيار المنظوم والمشور ١٣ : ٢٩٦)

١٠٠ — تحميد له فى فتح

« والحمد لله بجميع محامده التى تُحمد بها ، على جميع آلائه وجميع بلائه ،
فما وَلى به خليفته ، ونصر به دينه ، وأقام به حَقّه ، وأعزَّ به وليّه ، وقمع به
من أَلحد عن سبيله ، حمدا يؤدّى حقُّ نَعته ، ويوجب به أفضل مزيده ،
بِمَنِّه وطَوْلِه » . (اختيار المنظوم والمشور ١٣ : ١٩٥)

١٠١ — تحميد له فى آخر كتاب فتح

« فالحمد لله المزيل لما يمهّد المُبطلون ، ويمكّر به الماكرون ، ويكيد به
الملّحدون ، تمكينا لعبده وخليفته ، وذبّا عن دينه وحقه ، وإظهارا لأوليائه
وحزبه ، وإمضاء لعزائمه وفدريته ، مُنعمًا قادرا ، ومُتمليا^(٢) مُمهلا ، عدّلا إذا

(١) الإدالة : العلة . والعائد : السائل ، وفى الأصل « مشفوعة بين حق وإدالة باطل ، وإزاله
حائِد وإبادة ومستقيل وإقالة » .
(٢) أملى له : أمهله .

استدرج ، متفضلاً إذا أنعم ، حمداً يُستنزَل به نصره ، ويُبلغ به رضوانه ،
وَيُعْتَرَى بعثله فواضِلٌ مزيده . (اختيار المنظوم والمثور ١٣ : ٢٩٥)

١٠٢ - كتابه إلى بعض إخوانه في شفاعته

وكتب شفاعته لرجل إلى بعض إخوانه :
« فلان ممن يَزْكُو^(١) شكره ، ويحسُنُ ذِكْرُهُ ، ويعينني أمره ،
والصنيعةُ عنده واقعةٌ موقعها ، وسالِكةٌ طريقها .
وأفضلُ ما يأتيه ذو الدين والحجى إصابةُ شكرٍ لم يضعْ معه أجرُ»
(الأمانى ٩ : ٢٥ ، وسهم الأبناء ١ : ١٢٨)

١٠٣ - كتابه عن المتوكل إلى أهل حمص

ولما قرأ إبراهيم بن العباس على المتوكل رسالته إلى أهل حمص ،
الخارجين عليه ، والداعين إلى العصية ، وهى :
« أما بعد ، فإن أمير المؤمنين يرى من حق الله عليه ، مما قوّم به
من أود^(٢) ، وعدل به من زيغ ، ولمّ به من مُنْشِر ، استعمال ثلاث ،
يقدم بعضهن على بعض ، أولاهن ما يتقدم به من تنبيه وتوقيف ، ثم
ما يستظهر^(٣) به من تحذير وتخصيف ، ثم التى لا يقع بحسَم الداء
غيرها^(٤) .

(١) ركا يزكو : نجا .

(٢) الأود : الأعوجاج . (٣) أى يستبين .

(٤) كذا فى الأصل ، وهو على نصيب يقع مى يقوم ، ورعاً كان « لا يقع بحسَم الداء غيرها »

أَنَاةٌ ، فَإِنْ لَمْ تُغْنِ عَقْبُ بَعْدَهَا وَعِيدًا ، فَإِنْ لَمْ يُغْنِ أَغْنَتْ عَزَائِمُهُ ،
عَجِبَ الْمُتَوَكِّلُ مِنْ حَسَنِ ذَلِكَ ، وَأَوْمَأَ إِلَى عِيْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالْقَانَ :
أَمَّا تَسْمَعُ ! فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ إِبْرَاهِيمَ فَضِيلَةَ خِيَابِهَا اللَّهُ لَكَ ،
وَذَخِيرَةُ ذَخَرِهَا عَلَى دَوْلَتِكَ » ،

(معجم الأدياء ١ : ١٨٧ ، ورويات الأعيان ١ : ١٠)

١٠٤ - كتابه عن المتصر إلى طاهر بن عبد الله

وكتب عن المتصر بالله بن المتوكل إلى طاهر بن عبد الله يعزیه عن
محمد بن إسحق :

« أما بعد ، تَوَلَّى اللَّهُ تَوْفِيقَكَ وَحَيَاطَتَكَ ، وَمَا يَرْضِيهِ مِنْكَ وَيَرْضَاهُ
عَنْكَ ، إِنْ أَفْضَلَ النِّعَمِ نِعْمَةٌ تُلْقِيَتْ بِحَقِّ اللَّهِ فِيهَا مِنَ الشُّكْرِ ، وَأَوْفَرَ
حَادِثَةٍ ثَوَابًا حَادِثَةً أُدِّيَ حَقُّ اللَّهِ فِيهَا مِنَ الرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ وَالصَّبْرِ ، وَمِثْلُكَ
مَنْ قَدَّمَ مَا يَجِبُ لِلَّهِ عَلَيْهِ فِي نِعْمَةٍ فَشَكَرَهَا ، وَفِي مَعْصِيَتِهِ فَأَطَاعَهَا فِيهَا ،
وَقَدْ قَضَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي مُحَمَّدٍ بْنِ إِسْحَاقَ ^(١) مَوْلىَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ -
عَفَا اللَّهُ عَنْهُ - قِضَاءَ السَّابِقِ وَالْمَتَوَقَّعِ ، وَفِي ثَوَابِ اللَّهِ وَرِضَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ -
أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ - وَتَقْدِيمَ مَا يَقْدُمُ مِثْلُهُ أَهْلُ الْحِجَابِ وَالْفَهْمِ ، مَا اعْتَاظَهُ
مَعْتَاضٌ ، وَقَدَّمَهُ مَوْفَقٌ ، فَلْيَكُنْ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ ، وَمَا أَطْعَمَتْهُ بِهِ ، وَقَدَّمْتَ
حَقَّهُ فِيهِ ، أَوْلَى بِكَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا ، فَإِنَّكَ إِنْ تَقَرَّبْتَ إِلَيْهِ فِي الْمَكْرُوهِ
بِطَاعَتِهِ ، يُحَسِّنْ وَلَا يَتَّكِفِ فِي تَوْفِيقِكَ لَشُكْرِ نِعَمِهِ عِنْدَكَ »

(اختيار اللطوم ، والشور ١٣ : ٣٠٧)

(١) هو ابن عم طاهر بن عبد الله ، وذلك أن طاهرا هو ابن عبد الله بن طاهر بن الحسين
ابن مصعب بن ورق بن مامان ، ومحمدا هو محمد بن إسحق بن إبراهيم بن مصعب بن ورق بن مامان.

١٠٥ - كتابه عن المعتز ولي العهد إلى طاهر بن عبد الله

وكتب إبراهيم بن العباس عن المعتز ولي العهد إلى طاهر بن عبد الله يعزیه عن محمد بن اسحق :

« فَإِنْ أُولَى حَقَّ خَصَصْتُ وَقَدَّمْتُ ، حَقُّكَ ، بِمَحَلِّكَ الَّذِي أُحِلَّكَ بِهِ ، وَمَكَانِكَ الَّذِي لَكَ عِنْدِي ، وَلِلَّهِ عَلَيْكَ نِعْمَةٌ أَنْتَ حَقِيقٌ بِشُكْرِهَا ، وَامْتِرَاءٌ^(١) مَزِيدُهُ بِهَا ، وَلِلَّهِ فِي خَلَلِ نِعْمِهِ مُلِمَاتٌ ، مِثْلُكَ قَدَّمْ طَاعَتَهُ فِيهَا فَرَضِيَّ مُسْتَدْعِيًا بِالرِّضَا ثَوَابَهُ ، وَسَلَّمْ مُسْتَدْعِيًا بِالتَّسْلِيمِ مَا يَقْرَبُهُ مِنْهُ ، وَقَدْ قَضَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ قَضَاءَهُ الْآتِيَّ عَلَى مَنْ مَضَى ، وَالْمُسَكْتُوبَ عَلَى مَنْ بَقِيَ ، حَتَّى يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ، فَارْضَ بِشَوَابِ اللَّهِ عِوَضًا مِنْ مَصِيبَتِكَ ، وَارْجِعْ إِلَى مَا وَهَبَ لَكَ مِنْ خَلِيفَتِهِ - أَدَامَ اللَّهُ تَأْيِيدَهُ - مِنْ إِيْثَارِهِ وَاخْتِصَاصِهِ ، فَاجْعَلْ ذَلِكَ أُولَى مَا عَزَّاكَ عَنْ مَصَائِبِكَ ، وَقَدَّمْتُ بِهِ الشُّكْرَ فِي حَقِّ اللَّهِ عِنْدَكَ ، وَاسْتَصْحَبْتُ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا نِيَّةَ الشَّاكِرِ عِنْدَ النِّعْمَةِ ، وَالرَّاصِيِ عِنْدَ الْمَحَنَةِ ، تَزِدُّ وَتُكْفَى إِنْ شَاءَ اللَّهُ . »

(١) احيار المطوم والمشور ١٣ : ٣٠٧)

١٠٦ - كتابه عن المؤيد وهو ولي عهد

إلى طاهر بن عبد الله

« فَإِنْ مَنْ حَقُّ اللَّهِ عَلَى أَهْلِ النِّعَمِ تَقْدِيمَ طَاعَتِهِ عِنْدَ مَصَائِبِهِمْ ،

(١) مَرَى الشَّيْءُ وَامْتِرَاءُ : اسْتَعْرَجَهُ .

والتقربَ إليه فيما يَعْرِوهم منها بالرضا والتسليم ، وقد قضى الله عز وجل في محمد بن إسحق - عفا الله عنه - قضاءه في جميع خلقه حتى يبقى ويرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ، فتلق - أمتع الله بحسن توفيقك - قضاء ربك بالتسليم له ، وتعزَّ عن مُصائبك بطاعته ، فإن مثلك من اكتفى بما فهم ، من أن يعزى ، واستغنى بما علم . عن أن يُوعَظَ إن شاء الله والسلام .
(اختيار المنظوم والمشور ١٣ : ٣٠٧)

١٠٧ - كتابه إلى طاهر بن عبد الله

وكتب إبراهيم بن العباس إلى طاهر بن عبد الله يعزىه :
« أما بعد ، فإن أحقَّ من أَرْضَى الله في نعمته بِشُكْرِهِ ، وفي مصائبه بالتسليم له ، مَنْ فَهَمَ مَا فِي شُكْرِ النِّعَمِ مِنْ اسْتِدْءَاءِ تَمَامِهَا ، وَمَا فِي التَّذَلُّلِ لِلْمَقَادِيرِ مِنْ اسْتِحْقَاقِ رِضْوَانِهِ ، وَقَدْ جَعَلَ اللهُ مَحَلَّكَ مِنَ الْحَالَتَيْنِ جَمِيعًا مَحَلَّ الْمُتَقَدِّمِ بِنَيْتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ ، وَاللَّهُ يَمْتَعُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِيكَ بِصَالِحِ قَسْمِهِ فِيمَنْ مَضَى ، وَالْجَارِي عَلَى مَنْ بَقِيَ وَيَبْقَى ، حَتَّى يُوَدَّى الْفَنَاءُ الَّذِي لَا بَقَاءَ مَعَهُ ، إِلَى الْبَقَاءِ الَّذِي لَا فَنَاءَ بَعْدَهُ .

وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَعِظُكَ بِاللَّهِ ، وَهُوَ أَحَقُّ مَنْ وَعَظَ بِهِ . وَيُرْشِدُكَ مِنْ إِيْثَارِ اللَّهِ لِمَا نَدَبَكَ لَهُ مِنْهُ ، وَسَهَّلَ لِعَظِيمِ نِعْمَتِهِ عَلَيْكَ ، فِي هَذِهِ النَّازِلَةِ ، بِمَا صَحِبَ بِهِ عَلَى بَنِ طَاهِرٍ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَّامَهُ ، وَمَضَى عَلَيْهِ مِنْ بَصِيرَتِهِ وَطَاعَتِهِ ، فَقَدِّمُ حَقَّ اللَّهِ عَلَيْكَ بِطَاعَتِكَ بِهِ فِيمَا أَمَرَكَ بِهِ ، وَاتَّقِ اللَّهَ فِي مَوَاقِعِ أَقْدَارِهِ بِكَ ، تَقْتَضِ بِذَلِكَ مِنْ ثَوَابِ اللَّهِ أَفْضَلَ عَوَاضِ الصَّالِحِينَ ، وَبَارَكَ

الله لعلِّي فيما أصاره إليه ، وأحسن الله لما قربك منه توفيقك ، وعلى أرضاه
عنك عَوْنَكَ^(١) ، والسلام . (اختيار المظوم والشور ١٣ : ٣٢٧)

١٠٨ — كتابه إلى طاهر بن عبد الله

وكتب إلى طاهر بن عبد الله في وفاة إسحق بن إبراهيم .
« أما بعد ، فإن الله عز وتعالى توحد بتقدير عبادته ، وإمضاء إرادته
فيهم ، وجعل لكل منهم نهاية إليها يجرى بهم مُنْقَلَبُهُمْ ومتَصَرِّفُهُمْ ، فإذا
جاء أمرُ الله ، وانقضت مدةُ البقاء ، سَعِدَ أهلُ الحق بحَقُّهم ، وكانت العاقبة
للتقوى ، وخسر الملحدون .

وإن إسحق بن إبراهيم مولى أمير المؤمنين - أبقاه الله ، وأحسن سعيه
وصلته - كان عبدا من عباد الله أيد الله به خلفاءه ، وخليفته كَنَف^(٢) ، فصحب
عُمَرَه ذَابَاً عن دين الله ، محافظا عليه ، مُطِيعاً لله في حقه ، ناصراً له ، متقرباً
إلى الله في خلفائه ، بما يرضاه منهم ، ويُرضيهم به عنه ، إلى أن قبضه الله على
أحسن حالاته التي تسرُّه أيامَ لقائه ، من طاعةٍ ومناصحة وإخلاصٍ عمل ،
فكانت المصيبةُ به - عفا الله عنه - مصيبةً خصَّ أمير المؤمنين موقعها ،
ثم وصلت من بعد أمير المؤمنين إلى مَنْ وصلت إليه فيك من ولده وأهله .
وأمير المؤمنين يعزِّي نفسه عن إسحق ، بما سبق من اختيار الله له

(١) توفيقك مفعول أحسن ، وعونك معطوف عليه ، وأرضى : أعمل تفضيل .
(٢) كنفه : صانه وحفظه وحاطه وأعانه ، أى أيد به خلفاءه الماضين ، وكف به خليفته
الحاضر ، وفي الأصل « وخليفته وكيف » .

في مثله من أوليائه و (ذوي) إخوانه ، ثم يعزّييك عنه إذ كانت مصيبتك به
أولى مصائبك بأن تُرْمِضَكَ^(١) جلاله وموقعا ، وأولى مصائبك بأن يعزّييك
(فيها) ، إذ كنتَ منها بين ثواب الله ورضا خليفته ، ولو استغنى ذو نازلة
ومصيبة عند أمير المؤمنين عن تعزيتك بفضل ما جعله الله عنده ، كنتَ
بما مَنَحَكَ الله عن ذلك غنيا ، ولولا أن أمير المؤمنين أوجبَ لك حقَّ
التعزية ، لكان في علمه ما أغناه عن تناولك بها .

مَتَّعَ الله أمير المؤمنين بك ، ووفقك لرشدك بهذه النازلة الواقعة بحقَّ
الله فيها عليك ، وارضَ ثوابَ الله منها عَوْضًا ، وما جعل الله لك عند أمير
المؤمنين خلفًا كريماً ، وقعتَ به مقاديرُ الله من ذلك ، بحيثُ اختيارُ المطيع
لربه ، والمقدمُ لِعَدِهِ ، والراضى ما رَضِيَ الله له ، واكتب إلى أمير المؤمنين بما
يسرك الله له عند انتهاء الخبر إليك ، مؤيِّدك^(٢) ومسدِّدك .

(اختيار المنظوم والمشور ١٣ : ٣٢٨)

١٠٩ - كتابه إلى طاهر

وكتب إلى طاهر أيضاً :

« أما بعد ، فإن أمير المؤمنين يُوجبُ لك من كل فائدةٍ نعمةٍ ،
وحادثٍ (رَزِيَّةٍ) تهنِّتُك بمتجدِّد مواهب الله عز وجل ، وتعزيتك عن
مُلِمَّاتِ أقداره ، وقد قضى الله في محمد بن إبراهيم مؤلّي أمير المؤمنين ،

(١) أرمضه : أوجعه وأحرقه .

(٢) حال من لفظ الجلالة .

ما هو قضاؤه في عبادته ، حتى يكون الفناء لهم والبقاء (له) ، وأمير المؤمنين يعزيك عن محمد بما أوجب الله لمن أمره (بالصبر)^(١) في مصائبه ، من جزيل ثوابه وأجره ، فليكن الله وما قربك منه ، أولى بك في أحوالك كلها ، فإن مع شكر الله مزيدته ، ومع التسليم لأمر الله رضاه ، وبالله توفيق أمير المؤمنين ، والسلام . (اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٢٨)

١١٠ - كتابه إلى طاهر

وكتب إلى طاهر يعزيه :

« أما بعد ، فإن أحق من أطاع الله في مصائبه ، من حسن بلاء الله عنده في نعمته ، وعلى حسب مواهب المعرفة تؤكد الحجة ، وقد انتهى إلى أمير المؤمنين قضاء الله في محمد بن الحسن بن مضعب ، وفر الله لك ثواب رزته ، فقدم حق الله فيما أصابك منه مسلماً ، وفيما جدد لك شاكراً ، وارض بالله منجزاً لك ، واعلم أنك لم تُرْزَأَ مِن أَهْلِكَ مَنْ هُوَ أَمْضَى^(٢) لسبيل مُنْقَلَبِهِ على سبيل سيرة واستقامة منه ، والله يُحْسِنُ تَوْفِيقَكَ وَعَوْنَكَ ، والسلام . (اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٢٩)

(١) ما بين الأقواس الثلاثة ساقط في الأصل .

(٢) في الأصل « من مضى » .

١١١ - كتابه إلى عبد الرحمن بن خاقان

وكتب إلى عبد الرحمن بن خاقان يعزیه عن أبي زكريا يحيى
ابن خاقان :

« أما بعد ، فقد جرى من قضاء الله في وفاة يحيى بن خاقان - على
أحسن ما يُتَوَفَّى عليه ذو طاعة ونصيحة وقيام بحق إمامه وسلطانته ورعيته -
ما جرى على الأولين ، وهو جارٍ على الآخرين ، حتى يرث الله الأرض ومن
عليها وهو خير الوارثين .

وأمر المؤمنين يأمرك بالرجوع إلى أمر الله ، والرضا بقضائه ، وتلق
النعمة برضا الله عن يحيى ، وما تبعه من الدماء ، وخلفه في عقبه بما يستدعيها
به من الصبر والتسليم ، وبالشخص إلى باب أمير المؤمنين إذا ورد عليك
كتابته هذا ، بعد أن تُخلف في عملك من يقوم فيه مقامك . مُبْسِطَ الأمل ،
منفسح الرجاء ، واثقاً بما يرعى أمير المؤمنين منك بنفسك في طاعته
وموالاته ، وأسبابك ، والسلام . »

٢٢٩

ونسخة التوقيع بخط أمير المؤمنين في هذه التعمية :

« يا عبد الرحمن ، ثق بالله وبالذي لك عند أمير المؤمنين ، وطب
نفساً ، ولا تحمل على نفسك من الغم ما لا يصعبك ، لا بل يضرك ، ويفتم
به أمير المؤمنين ، وهذا خط أمير المؤمنين إليك والسلام . »

١١٢ — كتابه إلى الحسن بن رجاء

« أنت والله يا أبا عليّ (١) يميني^(١) مَصْدَرُهَا عن مُحْتَاطٍ لِنَفْسِهِ فِيهَا (الْمُتَقَدِّمُ بِنَيْتِهِ وَأَثَرِهِ وَجَمِيلٍ مَا أُبْلِيَ^(٢) اللَّهُ بِهِ وَعَرَّفَ مِنْهُ ، فَأَحْسَنَ اللَّهُ جَزَاءَكَ عَنْ خَلِيفَتِكَ وَلِيًّا مُجْتَهِدًا ، وَأَحْسَنَ اللَّهُ جَزَاءَكَ عَنَّا أَخًا مُتَفَضِّلًا ، وَبَلَّغَنَا مُحِبَّتَنَا فِيمَا قُلِّدْتَ ، وَبِاللَّهِ لَئِنْ كُنْتَ عَلَى أَفْضَلِ حَدٍّ^(٣) (إِنِّي^(٤)) لَعَلَى نَهَايَةٍ مِمَّا عَلَيْهِ الْمُتَمَيِّدُ بِنِعْمَتِكَ ، الْمُسْرُورُ بِمَا أَجْرَى اللَّهُ لَكَ بِهِ ، وَإِنِّي لِأَرْجُو إِلَّا أَكُونَ مُقْصِرًا فِي حَقِّكَ عَنْ حَقِّكَ . »

(اختيار المظوم والمثور ١٣: ٣٦١)

١١٣ — كتابه إلى محمد بن الحسن بن الفياض

وَوَقَعَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْفَيَّاضِ وَقَدْ حَمَلَ مَالًا :
« إِذَا جَزَى اللَّهُ وَلِيًّا ، بِأَدَاءِ الْفَرَضِ عَلَيْهِ ، وَتَأْدِيَةِ حَقِّ الشُّكْرِ عَنْ نَفْسِهِ خَيْرًا ، فَأَحْسَنَ اللَّهُ جَزَاءَكَ ، فَبِاللَّهِ لَئِنْ كُنَّا قَدَّمْنَا حَسْنَ الظَّنِّ بِكَ ، لَقَدْ وَصَلْتَ ذَلِكَ بِكَفَايَةِ حَسَنَةٍ ، وَأَثَرٍ صَاحٍ ، وَأُمُورٍ أَقَلُّ مِنْهَا يَزِيدُ فِي الثِّقَةِ بِكَ ، وَإِنِّي لِأَرْجُو أَنْ يُسْرِّكَ اللَّهُ بِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَوَاقَفَتِ الْأَمْوَالُ حَاجَةً مِنَّا إِلَيْهَا ،

(١) أَيْ وَتِلْكَ يَمِينِي... وَالْحَمْلَةُ اعْتِرَاصِيَّةٌ .

(٢) الْإِبْلَاءُ : الْإِيْعَامُ .

(٣) الْحَدُّ : مَتْنُهُ الْقِيَاءُ ، وَرَعَا كُنْ « عَلَى أَفْضَلِ حَدٍّ » وَالْحَدُّ مَفْتُوحٌ الْحَمُّ : الْحَطُّ وَالْحَطْوَةُ وَالْعَطْمَةُ ، وَالْأَوَّلُ أَوَّلُ لِقَوْلِهِ مَعْدُ « لَعَلَى نَهَايَةٍ » .

(٤) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ بَيَاضٌ بِالْأَصْلِ .

ومؤننا تراجعَت ، أمان الله على أكثرها بعنايتك وتسديدك ، والسلام .
(اختيار المنظوم والمشور ١٣ : ٣٦١)

١١٤ - كتابه إلى عامل له

ووقع إبراهيم بن العباس في كتاب عامل له يعتدُّ بحُسن أثرٍ ، ويمتُّ
بمقام محمود :

« يا هذا ، لستُ أشكُّ أن لك أثراً في التوفير ، كان من تقدّمك مقصراً
عنه ، وأنتك معنيٌّ ومحتاط ، غير أنك عفيت^(١) على ما أحدث منك ، بما
يتناهى إلى عنك ، على السنّ المتظلمين وأصحاب الأخبار .

وذكري فلان ما جرى بينك وبين أخيه مما كثر وصفه له ، وقام
منه وقعد ، وتالله لا كوننّ الباحث عليك ، والمطالب لك دونه ، لإقدامك
على شيخ ابن ستين سنة ، بما أقدمت به عليه ، وأفردت لِدُنْيا اضطرت إليكم ،
فكتم خيار من يعمل فيها ! وأبشراً إلى الله من أعمالكم التي رجعت بها إلى
أنفسكم ونياتكم » . (اختيار المنظوم والمشور ١٣ : ٣٦٣)

١١٥ - كتاب له في السلامة

« أما بعد ، فإن أولى نعمة تُشكر ، سلامةٌ شملت ، عزّ فيها الحقُّ فوق
مواقع ، وذلل فيها الباطلُ فقيع أشياءه ، وتقلب في سترها وأمنها خاصة
وعامة ، فانبسط في تأميل فضلها وعائدتها رعية حاضرة وقاصية .

(١) أي ، محو وأدله .

وأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ حَيْثُ كَتَبْتُ إِلَيْكَ ، فِي أَعَمِّ السَّلَامَةِ أَمْنًا وَعِزًّا ،
وَأَدُومَ نِعْمَةٍ مَوْقِعًا وَخَطَرًا ، وَفِي أَجَلٍ بِلَاءٍ^(١) اللَّهُ ، يَتَعَرَّفُهُ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ
وَأَوْلِيَائِهِ وَعَوَامَّتِهِ ، وَبِاللَّهِ عَوْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى شُكْرِ نِعَمِهِ ، وَتَأْذِينِ حَقِّهِ .
أَعْلَمَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ذَلِكَ لِتَعَرَّفَهُ وَلِتَعْتَدَّ النِّعْمَةَ بِهِ ، وَلِتَكْتُبَ إِلَى
عَمَالِكَ فِي نَوَاحِي أَعْمَالِكَ ، فَيَشْكُرُوا اللَّهَ وَمَنْ قَبْلَهُمْ بِبِلَاءِ اللَّهِ فِي خَلِيفَتِهِمْ ، مِمَّا
وَهَبَ لَهُمْ مِنْهُ ، وَأَجْزَى لَهُمْ بِهِ .

وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَعْنَى^٢ بِمَا يَرِدُ عَلَيْهِ مِنْ أَخْبَارِكَ وَأَعْمَالِكَ وَأُمُورِكَ : خَاصَّهَا
وَعَامَّهَا ، وَلَطِيفَهَا وَجَلِيلَهَا ، وَفِي أَوْلِيَائِهِ وَرِعِيَّتِهِ قَبْلَكَ ، فَكَتَبَ إِلَى
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ذَلِكَ بِمَا هُوَ مُتَطَّلِعٌ إِلَيْهِ ، مُتَابِعًا كِتَابَكَ إِلَيْهِ عَلَى شَرْحِ
خَبْرِكَ وَتَلْخِيصِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . (اِخْتِيَارُ الْمَطُومِ وَالْمَشُورِ ١٣ : ٣٦٦)

١١٦ - كِتَابُ لَهُ فِي السَّلَامَةِ

« أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ لِكُلِّ فَرْعٍ أَصْلًا ، عَنْهُ مُوَدَّاهُ^(٢) وَمُسْتَنْبَطُهُ ، وَإِلَيْهِ
تَرْجِعُهُ وَمَوَئِلُهُ ، وَمَتَى رُجِعَ مِنْ أَصُولِ الْأُمُورِ إِلَى تَأْتِلِهَا^(٣) وَتَمَكَّنِهَا ،
رُجِعَ مِنْ فُرُوعِهَا إِلَى اسْتِبَابِهَا وَاسْتِقَامَتِهَا ، وَأَفْضَلُ مَا تُدَبِّرُهُ : أُمُورُ دِينِ
لِلَّهِ وَخِلَافَتِهِ ، وَحُقُوقُ اللَّهِ وَعِبَادِهِ ، فَكَانَ الْأَصْلُ وَزَكَوُّهُ^(٤) مَا جَمَعَ بِإِذْنِ
لِلَّهِ سَكُونَ الدَّهْمَاءِ^(٥) ، وَصَلَاحَ الْبَيْضَةِ^(٦) ، وَأَمْنِ السَّرْبِ^(٧) ، وَتَظَاهَرَ

(١) أَيْ نِعْمَتُهُ .

(٢) فِي الْأَصْلِ « مُوَادَّةٌ » وَأَرَاهُ مُحَرَّفًا عَنْ « مُوَدَّاهُ » وَرَعَى كَانِ الْأَصْلُ « مُورَدُهُ » .

(٣) تَأْتِلُ : تَأْصِلُ .

(٤) الرِّكَاءُ : الصَّلَاحُ وَالْمَعَاءُ ، وَفِي الْأَصْلِ « وَرَكَوَاهَا » وَأَرَاهُ مُحَرَّفًا .

(٥) الدَّهْمَاءُ : حَمَاقَةُ النَّاسِ . (٦) الْبَيْضَةُ : حُورَةُ كُلِّ شَيْءٍ . (٧) السَّرْبُ : الْفَسَسُ .

النعم فيما قَرُبَ وبعُد ، ودنا ونأى ، وبلاء الله حميداً هو عند أمير المؤمنين ، مع كتابه هذا إليك في نفسه وولده ، وفي أحبائه وخاصته وقاصيته ، وفي أنصاره ، من عموم الأمن وشموله ، وصلاح الحال واستقامتها ، (بلاء يربو^(١)) عن الإحاطة بذكره دون شكره ، وعن إحصاء مواهب الله فيه دون إحصائه .

أَعْلَمَكَ أمير المؤمنين ذلك معتدّاً بنعمة الله فيه ، ومُشيداً بذكره ، ومنبّها على جميل آلاء الله ، ومستديماً حمده به ، لتأمرَ بإِنفَازِ كُتُبِكَ إلى عمّالك في نواحي أعمالك بما يُنسخ من كتاب أمير المؤمنين هذا إليك ، لتقرأه على مَنْ بحضرتهم وأطرافهم من قواد أمير المؤمنين وجنوده وأوليائه ورعيته وخاصته وعامته ، فيحمدوا الله على ما أبلى^(٢) أمير المؤمنين في نفسه وفيهم ، ليجدوا من شكر الله على ذلك ما يمثله استديمت النعمة ، وامتري^(٣) صالح المزيد ، فافعل ذلك مُعَانَاً على أَمْرِكَ ، متحرّياً لأداء حق الله عليك ، والسلام .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٦٧)

١١٧ - كتاب آخر

وكتب في سلامة الأضي:

« فإن أحقَّ مَنْ أشاد بنعم الله ناطقاً بلسان شكرها ، وقائلاً بأحسن

(١) في الأصل « بد ... » وقد آمنت العبارة كما ترى .

(٢) أى أنعم عليه .

(٣) امتري الشيء : استعرجه .

نَشَرَهَا ، ومقدِّماً حقَّ الله بذلك فيها ، مَنْ أُلْبِسَ مِنْ نِعَمِ الله أعزَّ مَلَابِسَهَا ،
وَحُبِّيَ مِنْهَا بِأَفْضَلِ مَوَاهِبِهَا ، وَمَنْ لَمْ تَزَلْ عَادَةُ الله عِنْدَهُ فِي مُتَجَدِّدِ نِعَمِهِ عَلَيْهِ ،
بِتَيْسِيرِهِ لِأَدَاءِ حَقِّهِ فِيهَا ، ذَلِكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا يَعْتَدُّ بِهِ مِنْ جَلِيلِ آلاءِ الله
لَدَيْهِ فِيمَا يُخَصِّصُهُ ، وَجَلِيلِ فَضْلِهِ عَلَيْهِ فِيمَا وَقَّقَهُ لَهُ ، وَبِاللهِ عَوْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
بِتَبْلِيغِهِ شُكْرَهُ ، وَاسْتِحْقَاقِهِ مَزِيدَهُ ، وَإِحْرَازِ مَا هُوَ أَرْضَى وَأُزْكِي لَهُ عِنْدَهُ
وَكِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ يَوْمَ النَّحْرِ ، انْصِرَافُهُ مِنَ الْمَصَلَّى ، وَقَدْ عَرَّفَهُ
اللهُ فِي عِيدِهِ وَمَخْرَجِهِ ، مِنَ السَّلَامَةِ وَعَمُومِهَا ، وَالنَّعَمِ وَتَظَاهُرِهَا فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ
وَقَوَّادِهِ وَأَوْلِيَائِهِ وَفِي خَاصَّتِهِ وَعَامَّتِهِ ، أَفْضَلَ مَا لَمْ يَزَلْ يَعْرِفُهُ إِيَّاهُ ، أَمْنًا ^(١) كَنَفَ
بِهِ ، وَعِزًّا أَلْبَسَهُ ، وَشُكْرًا وَقَّقَ لَهُ ، وَنِعْمًا أَيْدٍ بِهَا وَقَعَ ، وَأَعْلَى بِهَا وَوَضَعَ ، فَعَمِلَ
لِأَوْلِيَائِهِ دِينَهُ وَحَقَّهُ مِنَ الْعُلُوِّ وَالْكَرَامَةِ ، وَعَلَى أَعْدَائِهِ مِنَ الذُّلَّةِ وَالْحَسْرَةِ ،
مَاقْدِيمًا تَفَضَّلَ بِمِثْلِهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا اسْتَخْلَفَهُ عَلَيْهِ وَاسْتَحْفَظَهُ فِيهِ ، تَفَضُّلاً
مِنْهُ وَإِحْسَانًا ، وَحَيَاةً وَإِنْعَامًا ، وَاللهُ بِذَلِكَ أَرْضَى شُكْرِي ، وَلَهُ أَفْضَلُ مَا قَرَّبَ
مِنْهُ وَأَزَلَفَ ^(٢) عِنْدَهُ .

أَحَبُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْكِتَابَ بِذَلِكَ إِلَيْكَ . لِتَعْرِفَهُ وَتَحْمَدَ اللهَ عَلَيْهِ ،
وَتَنْشُرَهُ فِيمَنْ قَبْلَكَ ، فَيَحْمَدُوا اللهَ وَيَعْتَدُوا نِعَمَهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ ، فَإِنْ مَعَ مَعْرِفَةِ
النِّعْمَةِ شُكْرَهَا ، وَمَعَ التَّوْفِيقِ لَشُكْرِهَا حِرَاسَتَهَا وَوَجُوبَ مَزِيدِهَا ،
وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَأْمُرُكَ بِالْكِتَابِ إِلَيْهِ بِخَبْرِكَ وَخَبْرٍ مَنْ قَبْلَكَ بِمَا هُوَ مُتَطَلِّعٌ
إِلَيْهِ وَإِلَى مَعْرِفَتِهِ ، بِهَيْجٍ بِمَا يَرِدُ عَلَيْهِ مِنْهُ ، فَتَابِعْ - أَصْلَحَ اللهُ بِكَ - إِلَى
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ كِتَابَكَ إِنْ شَاءَ اللهُ . (اختيار المنظوم والشور ١٣ : ٣٦٧)

(١) فِي الْأَصْلِ « مَا » وَأَرَاهُ مَحْرُفًا . (٢) أَيْ قَرَّبَ .

١١٨ - ومن فصوله

«المودةُ تَجْمَعُنَا مَحَبَّتُهَا ، والصُّنَاعَةُ تُؤَلِّفُنَا أَسْبَابُهَا ، وما بين ذلك مِن تَرَاحٍ فِي لِقَاءِ ، أو تَخَلُّفٍ فِي مَكَاتِبَةٍ ، موضوعٌ يَبْتَنِي ، يُوجِبُ العَذْرُ فِيهِ »
(العقد الفريد ٢ : ١٩٢)

١١٩ - ومن كلامه

« وَوَجَدَ أَعْدَاءُ اللَّهِ زُخْرُفَ بَاطِلِهِمْ ، وَتَحْوِيَةَ كَذِبِهِمْ ، سَرَابًا بِقِيَعَةٍ ^(١) يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا » وَكَوَمِيضِ بَرْقٍ عَرَضَ فَاسْرَعَ ، وَلَمَعَ فَأُطْمَعَ ، حَتَّى إِذَا انْحَسَرَتْ ^(٢) مَغَارِبُهُ ، وَتَشَعَّبَتْ مَوَلِيَّةٌ مَذَاهِبُهُ ، وَأَيُّقِنَ رَاجِيهِ وَطَالِبُهُ ، أَنْ لَا مَلَاذَ وَلَا وَزَرَ ، وَلَا مَوْرِدَ وَلَا صَدَرَ ، وَلَا مِنْ الْحَرْبِ مَفْرًى ، هُنَالِكَ ظَهَرَتْ عَوَاقِبُ الْحَقِّ مُنْجِيَةً ، وَخَوَاتِمُ الْبَاطِلِ مُرْدِيَةً ، سُنَّةُ اللَّهِ فِيهِمَا أَزَالَهُ وَأَدَالَهُ ، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ، وَلَا عَن قَضَائِهِ تَحْوِيلًا »
(معجم الأدباء ١ : ١٩٠)

١٢٠ - كتاب الفضل بن حباب

إلى إبراهيم بن العباس

قال إبراهيم بن العباس الصولي: كاتبت القاضي أبا خليفة الفضل بن حباب الجمحي

(١) القيعه جمع قاع : وهو ما يبسط من الأرض وفيه يكون السراب نصف النهار، قال في اللسان :
« ولا نظيره إلا جار وجيرة » ، وذهب أبو عبيد إلى أن القيعه تكون للواحد .
(٢) أي انكشفت .

في أمور أرادها ، فأغفلت التاريخ منها في كتابين ، فكتب إلى بعد الثاني :
 « وصل كتابك - أعزك الله - مبهم الأوان ، مُظلم المكان ، فآدى
 خبرا ما القرب فيه بأولى من البعد ، فإذا كتبت - أكرمك الله تعالى -
 فلتكن كتبك موسومة بتاريخ ، لأعرف أدنى آثارك ، وأقرب أخبارك ،
 إن شاء الله تعالى . »
 (زهر الآداب ٣ : ١٤٣)

١٢١ - كتاب رجل إلى المتوكل

وكتب رجل إلى المتوكل على الله ، وقد أهدى إليه قارورة من
 دهن الأترج :

« إن الهدية يا أمير المؤمنين ، إذا كانت من الصغير إلى الكبير ،
 كلما لطفت^(١) ودقت كانت أبقى وأحسن ، وإذا كانت من الكبير إلى
 الصغير ، كلما عظمت وجأت كانت أنفع وأوقع ، وأرجو ألا تكون
 قصرت بي همة أصارتنى إليك ، ولا أخرني^(٢) إرشاد دلتني عليك ، وأقول :
 ما قصرت همة بلغت بها بابك يا ذا النداء والكرم^(٣)
 حسبي بؤدك إن ظفرت به ذخرا وعزا يا واحد الأمم

(المقدم الفريد ٣ : ٣٠٩)

(١) لطف الشيء ككرم : يصغر ودق .

(٢) في الأصل « ولا أخرى » وهو تحريف .

(٣) الندى بالقصر : الكرم والجود ، ومده للشعر .

١٢٢ - كتاب رجل إلى مالك بن طوق

وكتب رجل إلى مالك بن طوق^(١) لما عُزل عن عمله .
« أصبحتَ واللهِ فاضِحاً مُثْعِياً : أمّا فاضِحاً فلكلِّ والٍ قبلكَ بِحُسْنِ
سِيرَتِكَ ، وأمّا مُثْعِياً فلكلِّ والٍ بعدَكَ أن يُلْحَقَكَ » .

(اختيار المظوم والمشور ٣ : ٣٠٠)

١٢٣ - كتاب الحسن بن وهب إلى مالك بن طوق

وكتب الحسن بن وهب إلى مالك بن طوق في ابن أبي الشَّيْص :
« كتابي إليك كتاب خَطَطْتُهُ يميني ، وفرَّغْتَ لَهُ ذِهْنِي ، فما ظنُّكَ
بِحَاجَتِي : هذا مَوْقِعُهَا مِنِّي ؟ أتراني أقبلُ العذرَ فيها ؟ أو أقصُرُ في الشكرِ عليها ،
وإِن أبا الشَّيْص قد عَرَفْتَ حالَهُ ونَسَبَهُ وصفَاتِهِ^(٢) ، ولو كانت أيدينا تنبَسِطُ
بِرِّهِ ما عَدَّانَا إلى غيرنا ، فا كَتَفْ بهذا منا » .

(العقد العرمد ٢ : ١٩٣ ، واختيار المظوم والمشور ١٣ : ٣٩٤)

١٢٤ كتاب أحد الكتاب إلى إبراهيم وأحمد ابني المدبر

وكتب بعض الكتاب إلى إبراهيم وأحمد ابني المدبر^(٣) وقد نالتهم
مِحْنَةٌ ، ثم رَدِفَتْهَا نعمة :

(١) كن أميرا على الأهوار في خلافة المتوكل - انظر الأغانى ١ : ٢٢ .

(٢) وفي المظوم ومشور « وكعائته » .

(٣) قال ابن الديلم في المهرست ص ١٧٨ . « هو المدبر : أحمد وعبد إبراهيم ، وجميعهم تناسر
مترسل بليغ » ، وقال أبو العرج الأصبهاني في الأغانى - في ترجمة إبراهيم بن المدبر ج ١٩ ص ١١٤ -

« بسم الله الرحمن الرحيم : لو قُبِلْتُ فيكما : ودانيتُ قدرَيْكما ، لقلتُ :
جعلني الله فداكما ، ولكن أُخِرْتُ عنكما ، فلا أُقْبِلُ فيكما^(١) ، وقد بلغتني
المحنة التي لو مات إنسان غمًّا بها لَكُتُّه ، ثم اتصلتُ بي النعمة التي لو طار^(٢)
إنسان فرحًا بها لَكُتُّه . وكتب تحتها :

وليس بتزويق اللسان وصوغه ولكنه قد خالط اللحم والدِّمَا
(رهر الآداب ٣ : ١٦ ، وأدب الكتاب ص ١٥٣)

١٢٥ - كتاب عمر بن أيوب إلى أحمد بن المدبر
وكتب أبو حفص عمر بن أيوب إلى أبي الحسين أحمد بن محمد
ابن المدبر ، يعاتبه في أن دعا له « مَدَّ الله في عُمرِكَ » :

« يَا جَوَادًا بَالِغًا وَبَخِيلًا بِالْعَطَا

إِنَّ : « مَدَّ اللَّهُ فِي عُمرِكَ » مِنْ كُتُبِ الْجَفَا

لَيْسَ يُسْتَعْمَلُ هَذَا الصَّدْرُ بَيْنَ الْأَصْفِيَا

فَتَفْضُلُ يَأْتِي النَّاسَ بِتَفْخِيمِ الدُّعَا

(أدب الكتاب ص ١٦٠)

« إبراهيم بن المدبر شاعر كان متقدم من وجوه كتاب أهل العراق ومقدميهم ودوى الحاه
والتصرفين في كبار الأعمال ومذكور الولايات وكان المتوكل يقدمه ويؤثره وفضله » وقال :
« كان أحمد بن المدبر ولي لعبد الله بن يحيى بن خاقان عملاً ، فلم يحمد أثره فيه ، وعمل على أن
يبكته ، وبلغ أحمد ذلك فهرب ، وكان عميد الله محروماً عن إبراهيم شديد الماسة عليه لرأى المتوكل
فيه ، فأعراه به وعرفه حرأبيه . وادعى عليه مالا حليلاً ، وذكر أنه عبد إبراهيم أخيه ، وأوعر
صدره عليه حتى أدن له في حسه - وبإبراهيم في حسه أستعار كنهه - حسان مختارة أورد صاحب
الأطاني بعضها - وطال حسه ، فلم يكن لأحد في خلاصه منه حيلة - حتى حلصه محمد بن عبد الله
ابن طاهر ، وبذل أن يحتمل في ماله كل ما يطالب به ، فأعفاه المتوكل من ذلك ووجهه له » .

وقال ياقوت في معجم الأدياء ج ١ : ص ٢٢٦ : « هو إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن المدبر ،
تولى الولايات الحليفة ، ثم ورر للمعتد ، ومات سنة ٢٧٩ وهو متعلق للمعتضد ديوان الضياع سعداد »
أقول : وأكبر طي أنه « المدبر » هتج الباء .

(١) وفي أدب الكتاب : « وَلَيْتِي لَا أُحَرِّى عَيْكَمَا ، وَلَا أَقْتُلُ نَكَمَا » .

(٢) في الأصل « أدب الكتاب » طال وهو تحريف .

١٢٦ - كتاب أبي العباس المبرد إلى إبراهيم بن المدبر

وقال أبو الحسن الأخفش^(١) علي بن سليمان : استهدى إبراهيم بن المدبر
أبا العباس^(٢) محمد بن يزيد جالسا يجمع إلى تأديب ولده الإمتاع بإيناسه^(٣) ،
فندبني لذلك وكتب إليّ معي :

« قد أنفذت إليك - أعزك الله - فلانا وَجْهًا أمره أنه كما قال الشاعر :

إذا زرتُ الملوك فإن حَسْبِي شفيعاً عندهم أنْ يَخْزُونِي »
(زهر الآداب ١ : ١٤٤)

١٢٧ - كتاب إبراهيم بن المدبر إلى أبي عبد الله بن حمدون

قال صاحب الأغاني :

وكتب إبراهيم بن المدبر إلى أبي عبد الله بن حمدون في أيام نكبته
يسأله إذ كثر المتوكل والفتح بن خاقان بأمره :

(١) هو الأحفش الأصغر النحوي المعروف ، تولى سنة ٣١٥ - انظر ترجمته في وفيات الأعيان ١ : ٣٣٢ ، والفهرست لابن النديم ص ١٢٣ ، ونزهة الألبا في طبقات الأدبا ص ٣١٢ .
(٢) هو أبو العباس المبرد النحوي المشهور صاحب كتاب الكامل ، كان إماما في النحو واللغة ، روى عنه الأخفش المذكور ، وتولى سنة ٢٨٥ - انظر ترجمته في وفيات الأعيان ١ : ٤٩٥ والفهرست لابن النديم ص ٨٧ ، ونزهة الألبا - ص ٢٧٩ .
جاء في وفيات الأعيان ١ : ٤٩٧ « والمبرد ضم الميم وفتح الباء والراء المشددة لقب عرف به ، واختلف العلماء في سبب تلقيبه بذلك ، فالذي ذكره ابن الجوزي في كتاب الألقاب أنه قال : سئل المبرد لم لقب بهذا اللقب فقال : كان سبب ذلك أن صاحب الشرطة حلبى للسادمة والمذاكرة فكرهت الذهاب إليه ، فدخلت إلى أبي حاتم السجستاني ، فجاء رسول الوالي يطلبني ، فقال لي أبو حاتم : ادخل في هذا ، يعني غلاف مزملة (وهي الرأدة التي يبرد فيها الماء) فارعا ، فدخلت فيه وعطيت رأسه ، ثم خرج إلي الرسول ، وقال : ليس هو عندي ، فقال : أخبرت أنه دخل إليك ، فقال : ادخل الدار وفتشها ، فدخل فطاف كل موضع في الدار ولم يقطن لغلاف المزملة ، ثم خرج فجعل أبو حاتم يصفق وينادي على المزملة المبرد المرد ، وتسامع الناس بذلك فلهجوا به ، وقيل إن الذي لقبه به شيخه أبو عثمان المازني ، وقال غير ذلك » وجاء في المزهرة للسيوطي ٢ : ٦٧ في « مهمل في معرفة الألقاب وأسبابها » : « قال السيرافي : لما صنف المازني كتابه الألف واللام سأل المبرد عن ديقه وعويصه فأجابه بأحسن جواب : فقال له : قم فأنت المبرد بكسر الراء أي المثبت للحق ، فغيره الكوفيون وفتحوا الراء » .

(٣) ذكر صاحب الأغاني في ترجمة ابن المدبر أنه كان يتولى البصرة ج ١٩ : ص ١٢٤)
فالظاهر أن ذلك الاستهداء كان لإبان توليه إياها ، وقد كان المرد من أئمة النحويين البصريين .

كم ترى يَبْقَى عَلَى ذَا بَدَنِي ؟
 أنا في أُسْرِ وَأَسْبَابٍ رَدَى
 يابنَ خَمْدُونَ فَتَى الْجُودِ الَّذِي
 ما الذي تَرْقُبُهُ ، أم ما ترى
 وأبو عِمْرَانَ موسى خَتَنُ
 وعبيد الله أيضًا مشلَّهُ
 ليس يَشْفِيهِ سِوَى مَفْكَ دَمِي
 والأميرُ الْفَتْحُ إِبْرَاهِيمُ أَذْكَرُتَهُ
 قال : صِدْقٌ حِينَ أَدْعُو بِاسْمِهِ
 قل له : يَا حُسَيْنَ مَا أُولَيْتَنِي
 زاد إِحْسَانَكَ عِنْدِي عِظَمًا
 لست أدري كيف أُجْزِيكَ بِهِ
 ما رأى الْقَوْمُ كَذَنِي عِنْدَهُمْ
 ذاك فَعَلِي وَتُرَاثِي عَنْ أَبِي
 سُنَّةٌ صَالِحَةٌ مَعْرُوفَةٌ
 ظَفِرَ الْأَعْدَاءُ بِي عَنْ حِيلَةٍ
 لَيْتَ أَنِّي وَهُمْ فِي مَجْلِسٍ

قد بَلَى مِنْ طُولِ هَمٍّ وَصَنِي
 وَخَدِيدٍ فَادِحٍ يَكْلِمُنِي^(١)
 أنا مَنْهُ فِي جَنَى وَرَدٍ جَنَى^(٢)
 في أَخٍ مَضْطَهَّدٍ مَرْتَهَنٍ ؟
 حَاقِدٌ يَطْلُبُنِي بِالْإِحْنِ^(٣)
 وَنَجَاحٍ بِي مُجِيدٌ مَا يَنِي^(٤)
 أَوْ يَرَانِي مُدْرَجًا فِي كَفَنِي
 حُرْمَتِي قَامَ بِأَمْرِي وَعُصْنِي
 وَسُرُورٌ حِينَ يَعْرِوْ حَزَنِي
 مَا لِمَا أُولَيْتَنِي مِنْ تَمَنٍّ
 أَنَّهُ بَادٍ لِي بِمَنْ يَعْرِفُنِي
 غَيْرَ أَنِّي مُثْقَلٌ بِالْمِثْنِ
 عَظُمَ ذَنْبِي أَنِّي لَمْ أَخُفِ
 وَاقْتَدَانِي بِأَخِي فِي السُّنَنِ
 هِيَ مِنَّا فِي قَدِيمِ الزَّمَنِ
 وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُظْفِرَنِي
 يَظْهَرُ الْحَقُّ بِهِ لِلْفَطَنِ

(١) فدحه كمنه : أثقله . وكله كضربه : جرحه .
 (٢) الجى كفتى : كل مايجنى ، وتمر جنى كفتى : جنى من ساعته .
 (٣) في الأصل « حاقن » وأراه محرفا ، والإحْن : جمع إحنة بالكسر : وهى الحقد .
 (٤) أى مايفتر . وفي الأصل « ونجاح في ... » وهو تحريف .

فَسَتَرَى لِي وَلَهُمْ مَلْحَمَةٌ يَهْلِكُ الْخَائِنُ فِيهَا وَالَّذِي^(١)
 وَالَّذِي أَسْأَلُ أَنْ يُنْصِرَ فَنِي حَاكِمٌ يَقْضِي بِمَا يَلْزُمُنِي
 قُلْ لِحَمْدُونَ خَلِيلِي وَإِيَّاهُ وَلَعِيسَى حَرْكُوه يَا بَنِي^(٢)
 فَلَمْ يَزَالُوا فِي أَمْرِهِ حَتَّى خَلَّصُوهُ . (الْأَعَا ١٩ : ١١٩)

١٢٨ — كتابه إلى عريب

وكان بين إبراهيم بن المدبر وبين عريب^(٣) المغنية حال مشهورة ، كان
 يهواها وتهواه ، ولهما في ذلك أخبار كثيرة .
 وقد كتبت إليه من سرٍّ مَنْ رَأَى كتاباً تتشوقه فيه ، وتخبره
 باستيحاشها له ، واهتمامها بأمره ، وأنها قد سألت الخليفة في أمره ، فوعدها
 بما تحب .

فأجابها عن كتابها ، ركتب في آخر الكتاب .

لَعَمْرُكَ مَا صَوْتُ بَدِيعٍ لَمُعِدٍ^(٤) أَحْسَنَ عِنْدِي مِنْ كِتَابٍ عَرِيبٍ
 تَأَمَّلْتُ فِي أَثْنَاءِهِ خَطُّ كَاتِبٍ وَرِقَّةَ مُشْتَاقٍ ، وَلَفْظَ خَطِيبٍ
 وَرَاجَعَنِي مِنْ وَصْفِهَا مَا اسْتَرْفَنِي وَزَهَّدَنِي فِي وَصْلِ كُلِّ حَبِيبٍ
 فَصَرْتُ لَهَا عَبْدًا مُقِرًّا بِمِلْكِهَا وَمُسْتَمْسِكًا مِنْ وَدِّهِ بِنَصِيبٍ^(٥)
 (الْأَعَا ١٩ : ١١٦)

(١) الملحمة : الوعدة العظيمة القتل .

(٢) قال صاحب الأعاني : يعنى يابى ابراهيم

(٣) انظر أخبارها في الأعاني ١٨ : ٧٥ .

(٤) هو معد بن وهب المعنى المشهور ، كان في عهد الدولة الأموية ومات في أيام الوليد بن يزيد

بدمشق — انظر ترجمته في الأعاني ١ : ١٨ .

(٥) وقد اورد صاحب الأعاني مكانات شعرية بين إبراهيم بن المدبر وبين عريب وغيرها فارجع إليها فيه

١٢٩ — كتاب لابن المدبر

ولابن المدبر :

« وصل كتابك المفتّح بالعتاب الجميل ، والتقرير اللطيف ، فلو لا ما غلب على من السرور بسلامتك ، لتقطعتُ غمّاً بعتابك ، الذي لطّف حتى كاد يَخْفَى عن أهل الرِّقة والفِطنة ، وغازط حتى كاد يفهمه أهلُ الجهل والبَلَه ، فلا أعدمُني الله رضاك مجازياً به على ما استحقّه عَتْبُكَ ، فأنت ظالم فيه ، وعتابك وليّ المَخْرَج منه » (العقد لمريد ٢ : ١٩٤)

١٣٠ — الرسالة العذراء لابراهيم بن المدبر

وهي رسالة في موازين البلاغة وأدوات الكتابة ، كتب بها أبو اليسر ابراهيم بن محمد بن المدبر :

« بسم الله الرحمن الرحيم : فتق الله بالحكمة ذهنك ، وشرّح بها صدرك ، وأنطق بالحق لسانك ، وشرّف به يانك . وصل إلى كتابك العجيب الذي استفهمتني فيه - بجوامع كليك - جوامع أسباب البلاغة ، واستكشفتني عن غوامض آداب أدوات الكتابة : سألتني أن أقف بك على وزن عُذوبة اللفظ وحلاوته ، وحدود نخامة المعنى وجزالته ، ورشاقة نظم الكتاب ، ومشاكلة سرّده ، وحسن افتتاحه وختمه ، وانهاء فصوله . واعتدال وُصوله ، وسلامتها من الزلل ، وبُعدها من الخطأ^(١) ، وبقى يكون

(١) الخطأ : الخطأ .

الكاتب مستحقاً اسم الكتابة ، والبليغ مُسَلِّمُ معاني البلاغة ، في إشارته واستعارته ، وإلى أى أدواته هو أحوج ، وبأى آلاته هو أعمل ، إذا حَصَّصَ^(١) الحق ، ودُعِيَ إلى السَّبْقِ ، وفهِمَتْهُ .

وأنا راسِمٌ لك - أَيْدِكَ اللهُ - من ذلك ما يجمع أكثر شرائطك ، ويعبرُ عن جملة سؤالك ، وإن طوَّلتُ في الكتاب وعرضتُ ، وأطنبتُ في الوصف وأسهبْتُ ، ومُستَقْصٍ على نفسى في الجواب ، على قدر استقصائك في السؤال ، وإن أخلَّ به التِّيَاتُ^(٢) الحال ، وسكون الحركة ، وفتور النشاط ، وانتشار الروية ، وتقشُّمُ الفكر ، واشتراك القلب ، والله المستعان .

اعلم - أَيْدِكَ اللهُ - أن أدوات ديوان جميع المحاسن ، وآلات المكارم ، طائفةٌ منقادةٌ لهذه الصناعة التى خطبتها ، وتاليةٌ تابعة لها ، وغيرُ خارجة إلى جَعْدِ أحكامها ، ولا دافعةٌ لِمَا يلزمها الإقرارُ به لها ، إضراراً منها إليها ، ونَحْزاً عنها ، فإن تقاضتْك نفسك عِلْمَهَا ، ونازعَتْك همَّتُك إلى طلبها ، فاتخذِ البرهانَ دليلاً شاهداً ، والحقَّ إماماً قائداً ، يقرِّبُ مسافة ارتيادك ، ويسهِّلُ عليك سُبُلَ مطالبتها ، واستوهِبِ اللهُ توفيقاً تسْتَجِجُ به مطالبك ، واستمنِّحه رشداً يُقْبِلُ إليك بوجه مذهبك ، فاقصِدْ في ارتيادك ، وتأملِ الصواب في قولك وفعلك ، ولا تسكُنْ إلى جحود قصْدِ السابق بالَّلجاج ، ولا تخرُجْ إلى إهمال حقِّ المصِيبِ بالمعاندة والإنكار ، ولا تستخفَّ

(١) حصص : وضع واستبان .

(٢) التيات . الاختلاط والالتفاف .

بالحكمة ، ولا تُصغِرْها حيث وجدتها ، فترحل نافرة عن موطنها من قلبك ، وتظعن شاردة عن مكانها من بالك ، وتتغنى^(١) بعد العِمارة من قلبك آثارها ، وتنطمس بعد الوضوح أعلامها .

واعلم أن الاكتساب بالتعلم والتكلف ، وطول الاختلاف إلى العلماء ، ومدارسة كتب الحكماء ، فإن أردت خوض بحار البلاغة ، وطلبت أدوات الفصاحة ، فتصفح من رسائل المتقدمين ما تعتمد عليه ، ومن رسائل المتأخرين ما ترجع إليه ، في تلقيح ذهنك ، واستنجاح بلاغتك ، ومن نوادر كلام الناس ما تستعين به ، ومن الأشعار والأخبار والسير والأشمار^(٢) ما يتسع به منطقتك ، ويعذب به لسانك ، ويطول به قلمك ، وانظر في كتب المقامات والخطب ، ومحاورات العرب ، ومعاني المعجم ، وحدود المنطق ، وأمثال الفرس ورسائلهم وعهودهم ، وسيرهم ووقائعهم ، ومكايدهم في حروبهم ، بعد أن تتوسط في علم النحو والتصريف واللغة والوثائق والسور والشروط ككتب السجلات والأمانات ، فإنه أول ما يحتاج إليه الكاتب ، وتتمهر^(٣) في نزع آي القرآن في مواضعها ، واجتلاب الأمثال في أماكنها ، واختراع الألفاظ الجزلة ، وقرض الشعر الجيد وعلم العروض ، فإن تضمين المثل السائر ، والبيت الغابر البارع ، مما يزين كتابتك ، ما لم تخاطب خليفة أو ملكا جليل القدر ، فإن اجتلاب الشعر في كتب الخلفاء

(١) تغنى الأثر : درس وامتحن .

(٢) في الأصل « والأسماء » وهو تحريف .

(٣) وفي القند « لتكون ماهرة » .

والجللة الرؤساء، عيبٌ واستهجانٌ للكتب، إلا أن يكون الكاتب هو القارض
للشعر والصانع له، فإن ذلك مما يزيد في أجهته، ويدل على براعته، وإن
شدوت^(١) من هذه العلوم ما لا يشغلك محله، وتنقيت من هذه الفنون
ما تستعين به على إطالة قلمك، وتقويم أود^(٢) يانك .

بعد أن يكون الكاتب صحيح القرينة، خلو الشئائل، عذب الألفاظ،
دقيق الفهم، حسن القامة، بعيدا من الفدامة^(٣)، خفيف الروح، حاذق
الحس، مُحَنَّكا بالتجربة، عالما بحلال الكتاب والسنة وحرامهما، وبالمملوك
وسيرها وأيامها، وبالدهور في تقلبها وتداولها، مع براعة الأدب، وتأليف
الأوصاف، ومشاكل الاستعارة، وحسن الإشارة، وشرح المعنى بثله من
القول، حتى تنصب صوراً منطقية تُعرب عن أنفسها، وتدل على أعيانها،
لأن الحكماء قد شرطوا في صفات الكتاب: اعتدال^(٤) القامة، وصغر الهامة^(٥)،
وخفة اللهازم^(٦)، وكثافة الأحية، وصدق الحس، ولطف المذهب، وحلاوة
الشئائل. وخفة الإشارة، وملاحة الزمى. حتى قال بعض المهالبة^(٧) لواده :
« تزيوا بزى الكتاب، فإن فيهم أدب المملوك، وتواضع الشوقة » .

ومن كمال آلة الكتابة : أن يكون الكاتب بهي الملبس، نظيف

(١) شدة : أحد طرفي الأدب .

(٢) الأود : الأعوجاج .

(٣) امدامة : التي عن الكلام في نيل راحة وتله مهم . قدم ككرم فهو مدم كصب .

(٤) في رسائل النعماء « طون امداء » .

(٥) الهامة : الرأس .

(٦) اللهازم : ما ثل تحت الأديب من على الحين والحاس .

(٧) المهالبة : هو المواب بن أو صفره .

المجلس، ظاهر المروءة، عطر الرائحة، دقيق الذهن، صادق الحس، حسن البيان، رقيق حواشى اللسان، حلو الإشارة، مليح الاستعارة، لطيف المسلك، مستفزة^(١) المزكّب، ولا يكون مع ذلك فضفاض الجئة، متفاوت الأجزاء، طويل اللحية. عظيم الهامة؛ فإنهم زعموا أن هذه الصورة لا يليق بصاحبها الذكاء والفطنة.

وإذا احتجت إلى مخاطبة الملوك والوزراء والعلماء والكتّاب والخطباء والأدباء والشعراء وأوساط الناس وسوقتهم، نخاطب كلاً على قدر أبنته وجلالته، وعلوّه وارتفاعه. وتفقّنه وانتباهه، واجعل طبقات الكلام على ثمانية أقسام. فأربعة منها للطبقة العلوية، وأربعة دونها. واسكن طبقة منها درجة، ولكلّ قسمة حظّ لا يتسع للكاتب البليغ أن يتصرّ بأهلها عنها، ويقلب معناها إلى غيرها. فالطبقة العليا: الخلافة التي أجاز الله قدرها. وأعلى شأنها عن مساواتها بأحد. من أبناء الدنيا في التعظيم والتوهم والمخاطبة والترسل والطبقة الثانية الوزراء والكتّاب الذين يخاطبون الخلفاء بعقولهم وألسنتهم. ويرتقون الفتوق بآرائهم، ويتجملون بآدابهم. والصبغة الثالثة: أمراء ثغورهم وقواد جيوشهم، فإنه يجب مخاطبة كل امرئ منهم على قدره وموضعه وحظه وغناؤه^(٢) وجزائه واضطلاعه بما حمل من أعباء أمورهم، وجلال أعمالهم. والطبقة الرابعة: القضاة، فإنهم وإن كان لهم تواضع العلماء، وحلية الفضلاء، فمعهم أبهة السلطنة، وهيبة الأمراء.

(١) الفارغ من الدواب: الحيد السير، واسمرها: استكرمها: أى انتقاها كرمّة فارغة.

(٢) أى كفايته.

أما الطبقات الأربع الأخرى ، فهم الملوك الذين أوجبت نعمتهم تعظيمهم في الكتب إليهم ، وأفضالهم تفضيلهم فيها . والثانية : وزراؤهم وكتّابهم وأتباعهم الذين بهم تُقرَع أبوابهم ، وبعنايتهم تستأخ^(١) أموالهم . والثالثة : هم العلماء الذين يجب توقيرهم في الكتب ، لشرف العلم وعلو درجة أهله . والرابعة : أهل القدر والجلالة والظرف والحلاوة والطلاوة^(٢) والعلم والأدب ، فإنهم يضطرونك بحجة أذهانهم ، وشدة تمييزهم وانتقادهم وأدبهم وتصفحهم ، إلى الاستقصاء على نفسك في مكاتبتهم .

واستغنيانا عن الترتيب للتجار والشوكة والعوام رتبة ، لاستغنائهم بتجارهم عن هذه الآلات ، واشتغالهم بمهماتهم عن هذه الأدوات .

ولكل طبقة من هذه الطبقات ممان ومذاهب يجب عليك أن تراعيها في مراسلتك إياهم في كتبك ، فتزن كلامك في مخاطبتهم بميزانه ، وتُعطيَه قِسْمه ، وتوفيه نصيبه ، فإنك متى أهملت ذلك وأضعتَه ، لم آمن عليك أن تعدل بهم عن طريقهم ، وتسلك بهم في غير مسلكهم ، وتجرى شعاع بلاغتك في غير مجراه ، وتنظم جوهر كلامك في غير سلكه .

فلا تعتد^(٣) بالمعنى الجزل ما لم تُلبسه لفظا جزلا لا تقا بمن كاتبتَه ، ومشابها لمن راسلته ، فإن إلباسك المعنى - وإن شرف وصالح - لفظا مختلفا عن قدر المکتوب إليه ، لم تجز به عادثهم ، تهجين^(٤) للمعنى ، وإخلال بتدوره ،

(١) استأخه : سأله العطاء ، وفي العقد « تستأخ » وهو تحريف .

(٢) الطلاوة مثلثة : الحسن والبهجة .

(٣) في رسائل البلاء « فلا يهيد المعنى الحرل » .

(٤) التهجين : التضييع .

وظلم لحق المكتوب إليه ، وتقصن مما يجب له ، كما أن في اتباع^(١) تعارفهم ، وما انتشرت به عاداتهم ، وجرت به سنتهم ، قطعاً لمذرمهم ، وخروجاً من حقوقهم ، وبلوغاً إلى غير غاية مرادهم ، وإسقاطاً لحجة أدبهم ، فمن^(٢) الألفاظ المرغوب عنها ، والصدور المستوحش منها ، في كتب السادات والأمراء والملوك - على اتفاق المعاني - مثل : « أبقاك الله طويلاً » و « عمرك ملياً^(٣) » وإن كنا نعلم أنه لا فرقان بين قولهم : « أطال الله بقاءك » وبين قولهم : « أبقاك الله طويلاً » ولكنهم جعلوا هذا أرجح وزناً ، وأنبه قدراً ، في مخاطبة الملوك ، كما أنهم جعلوا : « أكرمك الله وأبقاك » أحسن منزلة في كتب الفضلاء والأدباء ، من « جُعِلْتُ فداك » على اشتراك معناه ، واحتماله أن يكون فداءً من الخير ، كما يحتمل أن يكون فداءً له من الشر ، ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسعد بن أبي وقاص : « ازم ، فداك أبي وأُمِّي » لكرهت أن يكتب بها أحد ، على أن كتاب العسكر وعوامهم قد أولعوا بهذه اللفظة . حتى استعملوها في جميع محاوراتهم ، وجعأوها هجيراًهم^(٤) في مخاطبة الشريف والوضيع ، والكبير والصغير ، ولذلك قال شهود الوراق :

كُلُّ مَنْ حَلَّ « سُرَّ مَنْ رَا » مِنَ النَّاسِ ، وَمَنْ يُصَاحِبُ الْمَلَاكَ
لَوْ رَأَى الْكَلْبَ مِثْلًا فِي طَرِيقٍ قَالَ لِلْكَلْبِ : يَا جُعِلْتُ فِدَاكَ
وَكَذَلِكَ لَمْ يُحِيزُوا أَنْ يَكْتُبُوا بِمِثْلِ « أبقاك الله وأمتع بك » إِلَّا إِلَى الْحُرْمَةِ

(١) في رسائل البلغاء « كما أن في امتناع تعارفهم . وصما لمذرم » وهو محريف .

(٢) في العقد « ضمن » وهو تحريف .

(٣) عمره الله وعمره : أبقاه ، وملياً : أي دهنراً طويلاً ، والفرق والفرقان واحد .

(٤) يقال : هذا هجيراًه : أي دأبه وشأنه .

والأهل والتابع المنقطع إليك ، وأما في كتب الإخوان فقير جائر ، بل مذموم مرغوب عنه ؛ ولذلك كتب عبد الله بن طاهر إلى محمد بن عبد الملك الزيات :

أَحَلَّتْ عَمَّا عَهَدْتُ مِنْ أَدَبِكَ أَمْ نِلْتَ مُلْكَافَهَتَ فِي كُتُبِكَ؟^(١)
 أَمْ هَلْ تَرَى أَنَّ فِي التَّوَاضُعِ لِلْإِخْوَانِ تَقْصَا عَلَيْكَ فِي حَسَبِكَ؟
 أَتَعَبْتَ كَفِّكَ فِي مَكَاتِبِي حَسْبُكَ مِمَّا يَزِيدُ فِي تَعَبِكَ
 إِنَّ جَفَاءَ كِتَابُ ذِي أَدَبٍ يَكْتُبُ فِي صَدْرِهِ : « وَأَمْتَعْ بِكَ »^(٢)
 فَكْتُبْ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ :

أَنْكَرْتَ شَيْئًا فَلَسْتُ بِإِعْلَاهُ فَلَنْ تَرَاهُ يُخَطُّ فِي كُتُبِكَ
 فَاعْفُ - فَدَتِكَ النُّفُوسُ - عَنْ رَجُلٍ يَعِيشُ حَتَّى الْمَمَاتِ فِي أَدَبِكَ
 كَيْفَ أَخُوْنُ الْإِخَاءِ يَا أَمَلِي وَكُلُّ شَيْءٍ أَنَالُ مِنْ سَبَبِكَ
 إِنْ يَكُ جَهْلًا أَتَاكَ مِنْ قِبَلِي فَقَدْ بِفَضْلِ عَلِيٍّ مِنْ حَسَبِكَ
 وَأَمَّا صَدُورُ السَّلَفِ فَأَمَّا كَانَتْ مِنْ فَلَانِ بْنِ فَلَانٍ إِلَى فَلَانٍ ، كَذَلِكَ جَرَتْ
 كُتُبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْعَلَاءِ بْنِ الْحَضْرَمِيِّ ، وَإِلَى أَقْيَالِ
 الْيَمَنِ ، وَإِلَى كَثِيرٍ وَفَيْضٍ ، وَكُتِبَ أَصْحَابُهُ وَالتَّابِعِينَ كَذَلِكَ ، حَتَّى
 اسْتَخْلَصَ الْكُتُبُ هَذِهِ الْمُحَدَّثَاتُ مِنْ بَدَائِعِ الصَّدُورِ . رَاسْتَنْبَطُوا طَافِيفَ
 الْكَلَامِ ، وَرَتَّبُوا الْكُلَّ رَتْبَةً ، وَجَرَّوْا عَلَى تِلْكَ السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ إِلَى عَصْرِنَا

(١) حال يحول : تحول وبعير ، واليه بالكسر : الكسر والصلف .

(٢) وفي رواية القمد المريد :

أَكَابَ حَقًّا كِتَابُ دِي مَقَّةَ يَكُونُ فِي صَدْرِهِ : « وَأَمْتَعْ بِكَ » ؟

هذا في كتب الخلفاء والأمراء ، وثبتوا على ذلك المنهاج في كتب الفتوحات والأمانات والسجلات .

ولكل مكتوب إليه قدرٌ ووزنٌ ينبغى للكاتب أن لا يتجاوز به عنه ، ولا يقصر به دونه ، وقد رأيتهم عابوا الأحوص^(١) حين خاطب الملوك بمخاطبة العوام في قوله :

وأراك تفعل ما تقول ، وبعضهم مدق الحديث ، يقول ما لا يفعل^(٢) فهذا معنى صحيح في المدح ، ولكنهم أجّلوا أقدار الملوك أن يمدحوا بما يمدح به العوام ، لأن صدق الحديث وإنجاز الوعد وإن كان مدحا ، فهو واجب على كل ، والملوك لا يمدحون بالفروض الواجبة ، وإنما يحسن مدحهم بالنواهل^(٣) ، لأن المادح لو قال لبعض الملوك : إنك لاترني بحليلة^(٤) جارك ، وإنك لاتخون ما استودعت ، وإنك تصدق في وعدك ، وتفي بعهديك ، كان قد أثنى بما يجب ، ولكنه لم يصل بثنائه إلى مقصد ، وقال مالا يستحسن مثله في الملوك .

ونحن نعلم أن كل أمير تولى من أمور المؤمنين شيئا فهو أمير المؤمنين ، غير أنهم لم يطلقوا هذه اللفظة إلا للخلفاء خاصة ، ونعلم أن الكيس هو العقل إذا عنوا به ضد الحق^(٥) ، ولكنك لو وصفت رجلا فقلت : « إن

(١) شاعر أوى من أهل المدينة توفي سنة ١٠٥ - اطر ترجمته في الأغانى ٤ : ٤٠ ، والشعر والسعراء ص ٢٠٤ .

(٢) مدق الاله صر مدقا فهو ممدوق ومدق ومدق كمرح : حلظه بالماء ، ومنه قيل فلان يمدق الود : إذا لم يمه .

(٣) النواهل : جمع ناهلة ، وهي ما معاله مما لم يحب .

(٤) الحليلة : الروحة .

(٥) وله معان أخر ، وهي : الجود والطيب والجماع والدلة والكياسة .

فلاناً لما قلّ « كنت قد مدحته عند الناس ، ولو قلت : « إنه كَيْسٌ » كنت قد قصرت به عن وصفه ، وصغرت من قدره ، إلا عند أهل العلم باللغة ، لأن العامة لا تلتفت إلى معنى الكلمة إلا إلى حيث جرت منها العادة في استعمالها في الظاهر ، إذ كان استعمال العامة لهذه الكلمة مع الحداثة والغربة وخساسة النفس وصغر السنّ ، وقد روينا عن عليّ رضي الله عنه أنه يبيح^(١) بالكَيْس حين بنى سجن الكوفة فقال في ذلك

أَمَا تَرَانِي كَيْسًا مُكَيِّدًا بنيتُ بعد نافعٍ مُخَيِّسًا^(٢)

* حَصِنَا حَصِينًا وَأَمِينًا كَيْسًا^(٣) *

وقال الشاعر « ما يصنع الأحقُّ الرزوقُ بالكَيْسِ ؟ ونَعْلَمُ أن الصلاة رحمة ، غير أنهم قد حرّموها^(٤) إلا على الأنبياء ، كذلك روى عن ابن عباس رضي الله عنه ، وسمع محمد بن أبي وقاص أخا له يُدليّ ويقول في تليته : « لَبَّيْكَ يَا ذَا الْمَعَارِجِ^(٥) » فقال : نحن نعلم أنه ذو المارج ، ولكن ليس كذلك كنا نلبي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما كنا نقول :

(١) تنجح بالسوء : إذا غر به ، وفي العقد « أنه تسمى بالكَيْسِ » .
(٢) الكَيْسُ المكَيْسُ . الطريف والمعروف بالكَيْسِ ، والمخَيِّسُ بكسر الياء المشددة وفتحها : السحس ، لأنه يخَيِّسُ المحوسين أي يدهم ، أو هو موضع التحيس ، واسم سجن ساء على رضى الله عنه بالكوفة ، وكان أولاً بنى سجنها سماه نافعاً ، وكان غير مستوفى البناء - وكان من قصب - فكان المحوسون يهربون منه ، وقيل إنه نف وأفلت منه المحتسبون ، فهدمه عليّ وبنى لهم المحتس من مدر ، وجاء في شفاء العليل ص ١٠٩ : « ولم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم سجن ، وكان يحبس في المسجد أو في الدهليز حيث أمكن ، فلما كان زمن سيدهما عليّ رضى الله عنه أحدث السجن ، وكان أول من أحدثه في الإسلام ، وسماه نافعاً ولم يكن حصيناً ، فأفلت الناس منه ، فبنى آخر وسماه محيساً وقال فيه . . . » .

(٣) في الأصل « وأمراً » وفي اللسان والقاموس والشفاء « وأمياً » .

(٤) في العقد « كرهوا الصلاة » .

(٥) المراح بكسر الميم والمعرح تكسرهما وفتحها : السلم . والمرقاة (بالكسر والفتح أيضاً) .

لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ « وكان أبو إبراهيم المُرَزِّي قال في بعض ما خاطب به داود ابن خَلَف الأصبهاني : « وإن قال كذا فقد خرج عن المِلَّة ، والحمد لله » فنقض ذلك عليه داود ، وقال فيما رد عليه : تحمد الله على أن تُخرج امرأ مسلما من الإسلام اهَذَا موضع اسرجاع ، وللحمد مكانٌ يليق به ، وإنما يقال في المصيبة : « إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ »

فامتثل هذه الرسوم والمذاهب ، واجر على آدابهم ، فشكل رسومَ امْتَلَوْهَا ، وتحفظ في صدور كتبك وفصولها ، وافتتاحها وخاتمها ، وصع كل معنى في موضع يليق به ، وتخير لكل لفظة معنى يُشاكلها ، وليكن ما تحتم به فصولك في موضع ذكر الشكوى بمثل : « والله المستعان ، وحسبنا الله ونعم الوكيل » وفي موضع ذكر البلوى : « نسأل الله دفع المحذور ، ونسأل الله صرف السوء » وفي موضع ذكر المصيبة بمثل « إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ » وفي موضع ذكر النعم بمثل : « والحمد لله خالصا ، والشكر لله واجبا » فإنها مواضع ينبغي للكاتب تفقدها ، وإنما يكون كاتبها إذا وضع كل معنى في موضعه ، وعلق كل لفظة على طبقها من المعنى ، فلا يجعل أول ما ينبغي له أن يكتب في آخر كتابه في أوله ، ولا أوله في آخره ، فإني سمعت جعفر بن محمد الكاتب يقول : « لا ينبغي للكاتب أن يكون كاتباً ، حتى لا يستطيع أحد أن يؤخر أول كتابه ، ولا يقدم آخره » .

واعلم أنه لا يجوز في الرسائل استعمال ما أتى في آي القرآن ، من الاقتصار والحذف ، ومخاطبة الخاص بالعام ، والعام بالخاص . لأن الله سبحانه

وتعالى إنما خاطب بالقرآن قوماً فصحاء ، فهموا عنه جل ثناؤه أمره ونهيته
ومُراده ، والرسائل إنما يخاطب بها قوم دُخِلَ على اللغة لا علم لهم بلسان
العرب ، وكذلك ينبغي للكاتب أن يتجنب اللفظ المشترك والمعنى الملتبس ،
فإنه إن ذهب الكاتب على مثل قوله تعالى : « وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا
وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا »^(١) ، وقوله : « بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ » احتاج أن
يبين معناه : بل مكركم بالليل والنهار ، ومثل هذا في القرآن كثير لا يتسع
الكتاب لذكره .

وكذلك لا يجوز أيضاً في الرسائل والبلاغات المشهورة ما يجوز في الأشعار
الموزونة ، لأن الشاعر مضطر ، والشعر مقصور^(٢) مقيد بالوزن والقوافي ؛
فلذلك أجازوا لهم صَرَفَ ما لا ينصرف من الأسماء ، وحذف ما لا يحذف
منها ، واغترفوا فيه الإغراب وسوء النظم ، وأجازوا فيه التقديم والتأخير ،
والإضمار في موضع الإظهار ، وذلك كله غير مُسَاغٍ^(٣) في الرسائل ولا جائز في
البلاغات ، فما في الشعر من الحذف :

قول الشاعر : « قَوَاطِنًا مَكَّةَ مِنْ وَرَقِ الْحَمِي »^(٤) يعني الحمام
وقول الآخر : « صِفْرُ الْوِشَاحَيْنِ صَمُوتُ الْخَلْخَلِ »^(٥) يريد الخلخال

(١) تأويله : واسأل أهل القرية .

(٢) أي مقيد ، من القصر وهو الحبس .

(٣) من أساغ فلان الشراب : إذا ابتلعه بسهولة ، وفي القصد « مساغ » أي جائز ، بناءً من
اساغ وجعله مطاوعاً لساغ ، يقال : ساغ له ذلك ، أي جاز فهو سائغ أي حائر ، ولا داعي إلى استعمال
المطاوع ها مادام الفعل يؤدي المعنى .

(٤) قاله العجاج ، وروى في شواهد كتب النحو (باب إعمال اسم العامل) « أوالها » ، وورق :
جمع ورقاء ، وهي الحمامة التي يضرب بياضها إلى سواد ، والحمى : أصله الحمام حذفت الياء الأخيرة
وقلبت الألف ياء ، وقلبت الفتحة كسرة للروى .

(٥) الوشاح : أديم عريض يرصع بالجوهر ، تشبه المرأة بين عاتقها وكشحيها ، والصمر : الحالى ،

وكقول الآخر: « دَارٌ لِسَلَمَى إِذْهِ مِنْ هَوَاكَ » يريد إذهي
وكقول الحطيئة:

فيه الرماح وفيه كل سائغة جدلاء مشرودة من صنع سلام^(١)

وصفر الشاحين: أي ضاربة الحصرين، وقال صاحب اللسان: « والخلخل كجفر ويرقع من الخلى: معروف، قال الشاعر: « برأقة الجيد صموت الخلخل » ثم قال: « والخلخال كالخلخل، والخلخل لغة في الخلخال أو مقصور منه، واحد خلاخل النساء ».

(١) جاء في شرح التصريح (١: ١٠٣): « وفي هو وهي، الجميع ضمير، وهو منسوب البصريين، وذهب الكوفيون إلى أن الضمير هو الهاء فقط، والواو والياء لإشباع، وفي حاشية الصبان (١): « ٨٩: « وقد تحذف الواو والياء منهما اضطراراً، وتسكنهما قيس وأسد، وتشدهما همدان ».

أقول: ومما جاء بالتشديد قول الشاعر:

وإن لسانى شهدة يشتقى بها وهو على من صبه الله علم
وماك كلمة لصاحب اللسان في هذا الصدد قال: « قال الكسائي: هو، أصله أن يكون على ثلاثة أحرف مثل أنت، فيقال: هو فعل ذلك، ومن العرب من يخففه فيقول: هو فعل ذلك، وحكي الكسائي عن بني أسد وتميم وقيس: هو فعل ذلك، بأسكان الواو، وأنشد لعبيد:
وركضك لولا هو لقيت الذي لقوا فأصبحت قد جاوزت قوما أعاديا
وقال الكسائي: بعضهم يلقى الواو من هو إذا كان قبلها ألف ساكنة فيقول: حناه فعل ذلك وإنما فعل ذلك، قال: وأنشد أبو خالد الأسدي:
* إذا لم يؤذن له لم ينس *

قال: وأنشدني خفاف:

إذا سام الحسف آلى قسم بالله لا يأخذ إلا ما احتكم

قال: وأنشدنا أبو مجاهد للعجير السلولى:

فيئناه يصرى رحله قال قائل لمن جل رث التاع نجيب

وقال ابن جني: إنما ذلك لضرورة في الشعر، وللتشبيه للضمير المنفصل بالضمير المتصل في عصاه وقناه، ولم يقيد الجوهرى حذف الواو من هو بقوله إذا كان قبلها ألف ساكنة، بل قال: وربما حذفت من هو الواو في ضرورة الشعر، وأورد قول الشاعر: فيئناه يصرى رحله... وكذلك الياء من هي، وأنشد: « دار لسعدى إذْهِ مِنْ هَوَاكَ » اهـ - لسان العرب ج ٢٠: ص ٢٦٦.

(٢) الهاء في فيه تعود على قوله في بيت قبله:

وجحفل كبهم الليل متجع أرض العدو يئوس بعد إتمام

ودرع سائغة: تامة طويلة، ودرع جدلاء: محكمة، والسرد: نسج الدرع، وسلام: يعني سليمان بن داود عليهما السلام - وإنما أراد داود - وكان يصنع الدروع، قال تعالى فيه: « وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ أَنْ أَعْمَلَ سَائِغَاتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ » وقال: « وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ

لَبُؤْسٍ لَكُمْ لِيُخْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ » والبوس: الدرع، والبيت من قصيدة للحطيئة في مدح أبي موسى الأشعري - الظر ديوان الحطيئة ص ٣٦.

يريد سليمان بن داود ، وكقول النابغة : « وَتَسْجُ سُلَيْمٌ كُلَّ قَضَاءِ ذَائِلٍ ^(١) »

وقول الآخر : « مِنْ تَسْجِ دَاوُدَ أَبِي سَلَامٍ ^(٢) »

وقول الآخر : « وَالشَّيْخُ عَثْمَانُ أَبِي عَفَّانٍ »

أراد عثمان بن عفان ، وكما قال الآخر :

وسائلةٍ بِشَعْلَبَةَ بْنِ سَيْرٍ وقد عَلِقَتْ بِشَعْلَبَةِ الْعُلُوقِ ^(٣)

أراد ثعلبة بن سيار ، وقول الآخر :

وَلَسْتُ بِآتِيهِ وَلَا أُسْتَطِيعُهُ وَلَاكِ اسْقِنِي إِنْ كَانَ مَأْوُكَ ذَا فَضْلٍ ^(٤)

أراد ولكن :

وكذلك ينبغي في الرسائل ألا يصغر الأسماء في موضع التعظيم ، وإن

كان ذلك جائزا ، مثل قولهم : دُوَيْهِيَّةُ تصغير داهية ، وجُذَيْلُ تصغير جذل ،

وعُذَيْقُ تصغير عذق ، قال لبيد :

(١) هو شطر بيت من قصيدة للناطقة الديواني ، قالها في وقعة غزو عمرو بن الحارث الأصغر
الغساني لبي مرة بن عوف بن سعد بن ذيان — انظر ديوان النابغة ص ٩١ — والبيت :

وكل صوت ثلثة تبعية وسج سليم كل قضاء ذائل

والصوت كصبور : الدرع الثقيلة ، والثلثة بالفتح : الدرع الواسعة ، وتبعية نسبة إلى تبّع ،
وسليم : أي سليمان ، يريد داود كما تقدم ، والقضاء : الدرع المحكمة ، ودرع ذائل وذائلة ومذالة
بضم الميم : طويلة .

(٢) هو شطر بيت للأسود بن يعفر — انظر لسان العرب ١٥ : ١٩٣ — والبيت :

ودعا بمحكمة أمين سكها من نسج داود أبي سلام

(والسك بالفتح : الدرع الضيقة الخلق) قال صاحب اللسان : وقالوا في سليمان اسم النبي صلى الله

عليه وسلم : سليم وسلام فغيروه ضرورة ، قال : ومثل ذلك في أشعارهم كثير ، واستشهد بالأبيات
الثلاثة المذكورة ، وبشاهد آخر وهو :

مضاعفة تحيرها سليم كأن قتيها حديق الجراد

(والقتير بالفتح : رؤوس مسامير حلق الدرع) .

(٣) العلوق : المنية ، وجاء في اللسان (٦ : ٥٨) « جعله سيرا للضرورة ، لأنه لم يمكنه سيار
لأجل الوزن ، قال ابن بري : البيت للمفضل النكري يذكر أن ثعلبة بن سيار كان في أسره . »

(٤) البيت للنجاشي من أبيات قالها في ذئب لقيه على ماء فدماه أن يؤاخيهِ — انظر الأبيات في

حاشية الأمير على المغني ج ١ : ص ٢٠٨ .

وكلُّ أناسٍ سوف تدخل بينهم دُويهيَّةٌ تصفرُّ منها الأناملُ^(١)
وقال الحُبَابُ بن المُنْذِرِ يوم سَقِيفَةِ بنى ساعدة : « أنا عُدَيْقُهَا المُرْجَبُ ،
وجُذَيْلُهَا المَحْكُكُ^(٢) »

ومما لا يجوز في الرسائل ، وكرهوه في الكلام أيضاً ، مثل قولهم :
كَلِمَتُ إِيَّاكَ وأَعْنَى إِيَّاكَ ، وهو جائز في الشعر ، قال الشاعر :

وأَحْسِنُ وَأَجِلْ في أسيرك إنه ضعیفٌ ، ولم يَأْسِرْ كإِيَّاكَ آسِرُ
وقال الراجز : « إِيَّاكَ حَتَّى بَلَغْتَ إِيَّاكَ »

وإساءةُ النظم في التأليف في الشعر كثير .

وتكون الكلمة بِشِعَةً حتى إذا وُضِعَتْ موضعها ، وقرنت مع أخواتها ،
حَسُنَ حالها وراقت ، كقول الحسن بن هانئ^(٣) : « ذُو خَصِرٍ أَفْلَتَ مِنْ
كَدِّ القُبْلِ^(٤) » والكُدُّ كلمة قَلِقة لا سِيَّما في الرقيق والغزل والتشبيب ،
غير أنها لما وقعت في موضعها حَسُنَتْ ، كما أن اللفظة العَذْبَةُ إذا لم توضع
موضعها تَقَرَّتْ ، قال الشاعر :

رَأَتْ عَارِضًا جَوًّا فَقامَتِ غَرِيرَةٌ بِمِسْحَاتِهَا قَبْلَ الظَّلامِ تَبَادُرَةٌ^(٥)

(١) المراد بالدويهيّة : الموت .

(٢) قال الحُبَابُ ذلك وقد قام يطلب بحق الأنصار في الخلافة - انظر جمهرة خطب العرب ١ : ٦٥ -
والجديل تصغير الجذل (بالكسر) : وهو أصل الشجرة ، وعود ينصب للإبل الجربى لتحتك به
وتتمرس ، والمحكك : الذي تتحكك به ، والعديق تصغير العذق ، بالفتح) : وهو النخلة ، والمرجب
الذي جعل له رجة (كركبة) وهي دعامة تبنى حولها من الحجارة ، وذلك إذا كانت النخلة كريمة
وطالت تخوفوا عليها أن تنقر من الرياح العواصف ، وهو مثل ، والمراد أنه رجل يسدنى برأيه وعقله
(٣) هو أبو نواس الشاعر العباسي المصهور .

(٤) ذو خصر : أي ذو ثغر خصر أي بارد ، وفي الأصل « حضر » وهو تصحيف .

(٥) العارض : السحاب المعترض في الأفق ، والجون : الأسود (والأبيض أيضاً ، ضد ، والمسحاة

ماسحى به الطين ، أي قمر وجرف ، والغريرة : الشابة لا تحربة لها .

فأوقع الجلف^(١) الجافى هذه اللفظة غير موقعها ، وظلمها إذ جعلها في غير مكانها ، لأن المساحى لا تكون ولا تصلح للغرائر ، وأين كان عن قول الشاعر ؟

غرائرُ ، ما حُذِّثَ يَهْدِين أنسَه فما فوقه منهن غيرُ غرائرِ
حديثٌ لو أنَّ العَصمَ تَدْعَى به أُنْتُت ودونَ يدِ الفَحْشاءِ حدُّ البَوَاتِرِ^(٢)
فتخيرَ من الألفاظ أرجحها وزنا ، وأجزلها معنى ، وأشرفها جوهرًا ، وأكرمها حسبا ، وألتيقها في مكانها ، وأشكَلها في موضعها ، وليكن في صدر كتابك دليلٌ واضح على مُرادك ، وافتتاح كلامك بزهانٍ شاهد على مقصِّدك ، حيثما جريَتْ فيه من فنون العلم ، وترَعَت نحوه من مذاهب الخطب والبلاغات^(٣) ، فإن ذلك أجزلٌ لمعناك ، وأحسنٌ لآتساق كلامك ، ولا تُطيلَنَّ صدر كلامك إطالةً تُخرجه عن حدِّه ، ولا تقصِّر به عن حقه ، ولو صوِّر اللفظُ وكان له حدٌّ ، لوقفتك عليه ، غير أنهم - في الجملة - كرهوا أن يزيدوا صدور كتب الملوك على سبطين أو ثلاثة . وهذه إشارة لا تعبر إلا عن الجملة من المقصود إليه ، لأن الأسطر غير محدودة .

واعلم أن أول ما ينبغي لك ، أن تُصلِح آلتك التي لا بدَّ لك منها ، وأدواتك التي لا تتم^(٤) صناعتك إلا بها ، وهي دَوَاتُك ، فابدأ بعِمَارَتِها

(١) الجلف : الجافى .

(٢) أنسه : أى أس الحديث ، والعصم : جمع أعصم ، وهو الوعل الذى فى ذراعيه يياض وسائر أسود أو أحمر . والبائر : السيف القاطع .

(٣) فى العقد : وأفضل الكتب ما كان فى أول كتابه دليل على حاجته ، كما أن أفضل الآيات ما دل أول البيت على قافيته .

(٤) فى العقد « لا تشر »

وإصلاحها^(١) ، وتخيز لها ليقة^(٢) تقيّة من الشعر والوذح ، لثلا يخرج على حرف قلمك ما يفسد كتابك ، ويشغلك بتنقيته ، وخذ من المِداد الفارسي خمسة دراهم ، ومن الصمغ العربي درهما ، وعفصا^(٣) مسحوقا نصف درهم ، ورماد القرطاس المحرق درهمين ، ثم تسحقها وتغربلها ، وتجمعها بيباض البيض ، ثم بندقها^(٤) واجعلها في الظل ، فإذا احتجت إليها أخذت منها مقدار حاجتك فكسرتة وحشوت به دواتك ، وإذا نقيته في ماء السلق حتى ينحلّ ويدوب ويختمر ، ثم أمددت من مائه دواتك ، كان أجود وأبقى .

ثم اختر بعد ذلك من أنابيب القصب الذي يصلح لكتابة القراطيس ، أقله عُقْدًا ، وأكثره لحما ، وأصلبه قشرًا ، وأعدله استواء ، وتجنب الأقلام الفارسية ما استطعت ، فإنها ما تصلح إلا للكواغِدِ والرُّقُوقِ^(٥) .

واجعل لقلمك برية حادة ، فإن تعثر يد الكاتب وقت قطع القرطاس ، ناقص مروءته ، ومخل بظرفه ، وإن قدرت ألا تقطع القرطاس إذا فرغت من كتابك إلا بخراطوم قلمك ، فافعل ، فإن ذلك أكمل لمروءتك ، وأبدع لظرفك وقطعك .

واستعمل ليرى القلم سكينًا طواويسيًا^(٦) ، مُذَلَّقَ الحدّ ، وميض

(١) وفي العقد « فليتم ربه إصلاحها » أي فليجد .

(٢) الليقة : الصوفة التي توضع في الدواة ، والوذح : ما تعلق بأصواف الغنم من البعر والبول .

وفي الأصل « الودح » وهو تصحيف .

(٣) العفص : الذي يتخذ منه الحبر ، مولد ، وليس من كلام أهل البادية .

(٤) أي اجعلها بنادق ، والبنديق : الذي يرمى به واحدة بدقة .

(٥) الرقوق : جمع رق بالفتح ويكسر : وهو جلد رقيق يكتب فيه .

(٦) نسبة إلى طواويس ، وهي اسم ناحية من أعمال بخارى بينها وبين سمرقند ، وذلق السكين وذلقه وأذلقه : حدده .

الطرف، فيكون ذلك عوناً لك على برى أقلامك، فإن محل القلم من الكاتب محل الرمح من الفارس، ولئن قيل كأنه الرمح الرديني^(١)، لقد قال الكاتب كأنه القلم البحري، وتفقد الأذوبة قبل برىكها لئلا يجعلها منكوسة، وابرها من ناحية نبات القصب. وأرهف^(٢) - ما قدرت - جاني قلمك، لئلا ما انتشر من المداد، ولا تطل شقه. فإن القلم لا يمجج المداد من شقه إلا مقدار ما احتملت شعثاه^(٣)، فرفع شعثتيه ليجمع لك حواشي تصويره.

وأما قط القلم فعلى قدر القلم الذي يتعاطاه الكاتب من الخط، غير أن المسلسل^(٤) لا يكاد يتسلسل إلا بالقلم المربع القط، كما أن كتب الملوك والسجلات لا تحسن إلا بالقلم المحرف الكوفي، وأما قلم اللازورد فهو المعتمد عليه والمقصود إليه في النوائب والمهمات.

ورأيت كثيراً من الكتاب يختارون قلم النرجس لتجمده وتجانسه، ومن اللازورد أبسط منه وأقوم حروفاً، وأما الموشع والمولع والمدبج والمنعم والمسهّم، فعلى قدر رشاقة خط الكاتب وحلاوة قلمه، وأما حسن الخط

(١) الرديني: نسبة إلى ردينة، وهي امرأة ممهر، وكانا يقومان الرماح بمحط هجر.

(٢) رهف كنع وأرهف: رققه.

(٣) في الأصل «شبتاه»، فرفع شتتيه ليجمع لك حواشي تخضيره، وهو محريف، جاء في أدب الكتاب ص ٨٦: «من كلام مسلم بن الوليد، في صفة برى القلم قوله: «حرف قطة قلمك قليلاً يتعلق المداد به»، وأرهف جانيه لئلا ما استودعه إلى مقصده، وشق في رأسه شقا - غير عاد - ليحتبس الاستمداد عليه، ورفع من شعثتيه ليجمع حواشي تصويره...» وأورد صاحب صبح الأعشى قول مسلم في ذلك (٣: ٦) وفيه: «ما خلا قلماً جوفاً باريه بطنه ليعاق المداد به»، وأرهف جانيه لئلا ما انتفر منه إليه، وشق رأسه ليحتبس الاستمداد عليه، وأربع من شفتيه ليجمع حواشي تصويره إليه... والصواب: ورفع من شعثتيه كما قدما.

(٤) فصل الفلقشندي في صبح الأعشى الكلام على أنواع الأقلام في الفصل الثاني من الباب الثاني في الخط - اقرأ هذا الفصل في ج ٣: ص ٥ - ١٥٢ من باب الخط (ج ٢: ص ٤٤٠ - ج ٣: ص ٢٢٦)

فلست أجد له حَدًّا أَقِفَ عليه أكثر من قول عليّ النَّصْرَ بَاذِي^(١)
الكاتب ، فإنني سألتُه واستوصفته الخطَّ ، فقال : أعلمك الخط في كلمة
واحدة ؟ فقلت له : تفضل بذلك ، فقال : لا تكتبن حرفاً حتى تستفرغ مجهودك
في كتابة الحرف المبدوء به ، وتجعل في نفسك أنك لا تكتب غيره ، حتى
لا تعجل^(٢) عنه إلى غيره ، وإياك والنقط والشكل في كتابك ، إلا أن تمر
بالحرف المُعْضِل الذي تعلم أن المكتوب إليه يعمّز عن استخراجِه ، فإنني
سمعت سعيد بن حميد الكاتب يقول : « لَأَنَّ يُشَكِّلَ على الحرف ، أحب
إليَّ من أن يعاب بالنقط والإعجام » وقال المأمون لكتّابه : إياكم
والشُّونِيز^(٣) في كتبكم ، يعني النقط ؛ ولذلك قال ابن هاني :

لم ترضَ بالإعجام حين كتبتَه حتى كتبتَ السَّبَّ بالإعراب
ولا تغفل الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام ، فقد قال أبو العيَّاء : « إن
بنِي أُمِيَّة هم الذين كانوا أمروا كتّابهم فَطَرَحُوا ذلك من كتبهم ، فخرت عادةُ
الكتاب إلى يومنا هذا على ما سنَّوه » وقد قال عليه الصلاة والسلام :
« لا تجعلوني كقدح^(٤) الراكب ، ولكن اجعلوني في أول الدَّاء وأوسطه
وآخره » صلى الله عليه وعلى آله وسلّم أوّلاً وأوسطاً وآخراً .

(١) نسبة إلى نصر بآذ : محلة نيسابور ، ومعناها بالفارسية عمارة نصر ، تنسب إلى نصر بن عبد
العزيز الخراساني ، وكان قد ولي الري في أيام السفاح ، ولم يزل عليها إلى أن قتل أبو مسلم الخراساني ، وفي
رسائل البلغاء : « علي بن زير النصراني » وهو تحريف .

(٢) في العقد « حتى تعجز عنه » .

(٣) الشونيز : الحبة السوداء ، فارسية ، والكلام على التشبيه .

(٤) معناه : لا تؤخروني في الذكر ، لأن الراكب يعلق قدحه في آخر رحله عند مراغه من ترحاله
ويجعله خلفه ، قال حسان بن ثابت يهجو أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب :
وأنت زعيم نبط في آل هاشم : كما نبط خلف الراكب القدح الفرد .

وأحب أن تجعل بدل الإشارة^(١) التراب ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أَتَرَبُّوا كَتَبَكُمْ ، فَإِنَّهُ أَنْجَحَ لِلْحَاجَةِ » ولا تدع التاريخ ، فإنه يدل على تحقيق الأخبار وقربها وبعدها ، وانظر إلى ما مضى من الشهر وما بقي منه ، فإن كان الماضي أقل من نصف الشهر قلت : لكذا ليلة مضت من شهر كذا ، وإن كان الباقي أقل من النصف قلت : لكذا أيضاً بقيت ، وقد قال بعض الكتاب : إن الماضي من الشهر يُخصيه ، والباقي لا تخصيه ، لأنك لا تدى : أَيْتِمُّ الشهر أو ينقص ، وليس هذا بشيء ، لأن تاريخ الكتاب ليس من الأحكام في شيء ، وما على الكاتب أن يكتب إلا بما ظهر وتبين لا بما يظن .

ولا تجعل سحاة^(٢) كتبك غليظة إلا في العهود والسجلات التي تحتاج إلى خواتمها وطوابعها ؛ فإن محمد بن عيسى الكاتب كاتب آل طاهر أخبر عنهم أن عبد الله بن طاهر كتب إلى العراق في إشخاص كاتب كان كتب إليه ، فكتب وغلظ سحاة كتابه ، فرد الكتاب إليه ، فقدم عليه راجياً لبرّه وجأزته ، فقال عبد الله بن طاهر : إن كان معك مسحاة^(٣) فاقطع خزم كتابك وانصرف وراءك ، وكذلك لا تعظم الطينة ، ففي المثل : « مَنْ عَظَّمَ الطِّينَةَ فَإِنَّهُ مَظْلُومٌ » ولا تطبعها إلا بعد عنواناتها ، فإن ذلك من

(١) أشر الحشبة كقتل : شقها ، لعة في النون ، والمثشار : المثار ، قال الشاعر :

* أناشر لا زالت يمينك آء * *

جمع بين لعي النون والهمزة ، فالأشارة هي النشارة الدقيقة التي تحلف عن شق الحشب .

(٢) سحاة القرطاس : مأخذ منه ، وسحا القرطاس وسحاه : أخذ منه سحاة ، أو شده بها ،

وسحا الكتاب وسحاه وأسحاه : شده سحاة .

(٣) المسحاة : كالجرقة إلا أنها من حديد .

أدبهم^(١)، وقد يجب عليك عِلْمُ إِنْصَاقِ القَرَّاطِيسِ وَمَحْوِهَا ، وَلَمْ أَرِ شَيْئًا فِي
إِنْصَاقِهَا أَلْطَفَ مِنْ أَنْ يُنْقَعَ الصَّمْعُ الدَّرْبِي فِي الْمَاءِ سَاعَةً حَتَّى يَذُوبَ ، ثُمَّ
يُلصَقَ بِهِ ، وَكَذَلِكَ مَاءُ الْكَثِيرَاءِ وَالنَّشَاسْتِجِ^(٢) ، ثُمَّ تَطْوِيهِ طَيًّا رَقِيقًا ،
وَتَجْمَلُهُ فِي مَنَدِيلٍ نَظِيفٍ ، وَيرْفَعُ تَحْتَ وِسَادَةٍ حَتَّى يَجِفَّ . وَأَمَّا مَحْوُهَا ،
فَعَلَى قَدْرِ لَطْفِ الْكَاتِبِ وَتَأَنِّيهِ ، غَيْرَ أَنَّهُ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ لَا يَلْقُطَ السَّوَادَ مِنَ
الْقَرَّاطِيسِ إِلَّا بِمِثْلِ الشَّمْعِ الْمُسَخَّنِ وَاللِّبَانِ الْمَضُوعِ ، وَمَا أَشْبَهَهُمَا ، ثُمَّ يَكُونُ
لَقْطُهُ رُوَيْدًا رُوَيْدًا ، كُلُّ لَقْطَةٍ جَانِبًا حَوْلَهُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ .
وَأَمَّا قِرَاءَةُ الْكُتُبِ الْمُخْتَوِمةِ وَالتَّلَطُّفُ لِنَقْضِ خَوَاتِمِهَا ، فَمَا لَا نَذَكْرَهُ
خَوْفًا مِنْ سَفِيهِهِ .

وَأَمَّا تَضْمِينُ الْأَسْرَارِ فِي الْكُتُبِ حَتَّى لَا يَقْرَأَهَا غَيْرُ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ ،
فَفِيهِ أَدَبٌ يَجِبُ مَعْرِفَتُهُ ، وَقَدْ تَعَلَّقَتِ الْعَامَّةُ بِالْمَعْنَى ، قَالَ الْأَصْبَهَانِيُّ^(٣) :
وَكَانَ أَبُو حَاتِمٍ سَهْلًا بَنَ مُحَمَّدٌ قَدْ وَضَعَ مِنْهُ أَشْيَاءَ جَلِيلَةً مِنْ تَبْدِيلِ
الْحُرُوفِ تَبْدِيلًا يَخْفَى ، وَالْطُفُّ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَأْخُذَ لَبَنًا حَلِيًّا فَتَكْتُبَ بِهِ
فِي قَرَّاطِيسٍ ، فَيَذُرُّ الْمَكْتُوبَ إِلَيْهِ عَلَيْهِ رَمَادًا حَارًّا مِنْ رَمَادِ الْقَرَّاطِيسِ ،
فَإِنَّهُ يُظْهِرُ مَا كَتَبْتَ بِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَإِنْ كَتَبْتَ بِمَاءِ الزَّاجِ الْأَبْيَضِ وَذَرُّ
عَلَيْهِ الْعَفْصَ الْمَدْقُوقَ بِزَاجٍ ، أَوْ بِمَاءِ الْعَفْصِ وَذَرَّ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنَ الزَّاجِ ،
أَوْ تَنْقَعُ شَيْئًا مِنْ وُشَقٍّ^(٤) ثُمَّ تَكْتُبُ بِهِ ، ثُمَّ تَثُرُ عَلَيْهِ الرَّمَادَ فَإِنَّهُ يُظْهِرُ ،

(١) فِي الْأَصْلِ « فَإِنْ ذَلِكَ مُرَادُ بِهِمْ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) هُوَ النَّشَا ، فَارْسِيٌّ حَذَفَ شَطْرَهُ تَخْفِيفًا .

(٣) فِي رِسَائِلِ الْبَلَاغَاءِ : « تَعَلَّقَتِ الْعَامَّةُ بِالْقَمَى وَالْأَصْبَهَانِي » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) الْوَشَقُ وَالْأَشَقُّ كَسْكَرٍ : صَمْعُ نَبَاتٍ .

وإن أحييته لا يقرأ بالنهار ويقرأ بالليل فاكتبه بمرارة السِّلَخَفَةِ .
وإن حاولت صنعة رسالة أو إنشاء كتاب ، فزِنِ اللفظة قبل أن تُخرجها
بميزان التصريف إذا عرضتْ ، وعابر الكلمة بمعياره إذا سَنَحْتَ ، فرب
مرّ بك موضع يكون مخرج الكلام إذا كتبت : « أنا فاعل » أحسن من
أن تكتب : « أنا أفعل » وموضع آخر يكون فيه « استفعلت » أحلى من
« فعلت » .

فأدرِ الألفاظ على أعكانها^(١) ، واعرضها على معانيها ، وقلِّبها على جميع
وجوهها ، فأى لفظة رأيتها في المكان الذي نَدَبْتَهَا إليه ، فأنزِعْها إلى المكان
الذي أوردتها عليه ، وأوقعها فيه ، ولا تجعل اللفظة قَلِقةً في موضعها ، نافرةً
عن مكانها ، فإنك متى فعلت هَجَنْتَ الموضع الذي حاولت تحسينه ، وأفسدت
المكان الذي أردت إصلاحه ، فإن وضع الألفاظ في غير أماكنها ، وقصْدك
بها إلى غير نصابها^(٢) . إنما هو كترقيق الثوب الذي إذا لم تتشابه رِقَاعُهُ ،
ولم تتقارب أجزاءؤه ، خرج من حدِّ الجِدَّةِ ، وتغيّر حُسْنُهُ ، كما قال الشاعر:
إن الجديد إذا ما زيدَ في خَلْقٍ يُبينُ للنَّاسِ أن الثوبَ مرقوعُ
وَأرتصدُّ اكتابك فراغ قلبك ، وساعة نشاطك ، فتجد ما يمتنع عليك
بالكدِّ والتكلف ، لأن سماحة النفس بكونها ، وجُود الأذهان بمخزونها ،
إنما هو مع الشهوة المفرطة في الشعر^(٣) ، والمحبة الغالبة فيه ، أو انغضب

(١) الأعكان والمكس (صم فتج) : الأطواء في البطن من السمس ، وواحدة العكن عكنة صم
مكس ، والكلام على الشبيه ، وفي رسائل البلغاء : « فأدر الألفاظ أماكنها . . . حتى تقع
موقعها » .

(٢) النصاب : الأصل .

(٣) في الأصل « الشر » وهو تحريف .

الباعث منه ذلك . قيل لبعضهم لم لا تقول الشعر؟ قال : كيف أقوله ، وأنا لا أغضب ولا أطربُ ! وهذا كله إن جرّيت من البلاغة على عِرْق^(١) ، وظهرت منها على حظ ، فأما إن كانت غير مناسبة لطبعك ، ولا واقعة شهوتك عليها ، فلا تُنضِ^(٢) مطيّتك في التماسها ، ولا تُتعب بدّتك في ابتغائها ، واصرف عنانك عنها ، ولا تطمع فيها باستعارتك ألباظ الناس وكلامهم ، فإن ذلك غير مُشرك لك ، ولا مُجدي عليك ، ومن كان مرجعه فيها إلى اغتصاب ألفاظ من تقدّمه ، والاستضاءة بكوكب من سبقه ، وسحب ذيل حلّة غيره ، ولم يكن معه أداة تولّده من بنات قلبه ، وتأنج ذهنه ، الكلام الحرّ ، والمعنى الجزل ، لم يكن من الصناعة في غير ولا تقيّر^(٣) ، على أن كلام العظماء المطبوعين ، ودرّس رسائل المتقدمين على كل حال مما يفتق اللسان ، ويوسع المنطق ، ويشعّد الطبع ، ويستثير كوامنه إن كانت فيه سجيّة ، قال العتّابي : « مارأينا فيما تصرفنا فيه من فنون العلم ، وجرّينا فيه من صنوف الآداب ، شيئاً أصعبَ مَرَاماً ، ولا أوعَرَ مَسْلَكاً ، ولا أدلّ على نقص الرجال ورّجاحتهم ، وأصالة الرأي وحسن التمييز منه واختياره ، من الصناعة التي خطبتها ، والمعنى الذي طلبته » وليس شيء أصعبَ من اختيار الألفاظ ، وقصّديك بها إلى موضعها ؛ لأن اللفظة تكون أخت اللفظة وقسيمتها في الفصاحة والحسن ، ولا تحسّن في مكان غيرها . وبتمييز هذه المعاني ،

(١) العرق : الأصل .

(٢) أنضاه : هزله .

(٣) من أمثال العرب : « لافي العير ولا في التقيّر » مثل يصرب للرحل يحط أمره ، ويصبر قدره ،

وقد تقدم شرحه في جهرة خطب العرب ٢ : ١٣٧ .

ومناسبة طبائع جَهَائِدِهَا^(١) ، ومشاكلَة أرواحهم ، جعلوا الكتابة نَسَبًا وقرابة ، وأوجبوا على أهلها حفظها .

قال الحسن بن وهب : الكتابة نفس واحدة تجزأت في أبدان متفرقة ، ومن لم يعرف فضلها وجَهِلَ أهلها ، وتمدَّى بهم رُبَّتْهُمْ التي وصفهم الله بها^(٢) ، فإنه ليس من الانسانية في شيء .

وقالت البرامكة : رسائل المرء في كتبه دليل على عقله ، وشاهد على غيبه . وقال الشاعر :

وَتُشْكِرُ وَدَّ المرء في لَحْظِ عَيْنِهِ وَتَعْرِفُ عقل المرء حين تُكَاتِبُهُ
وقال آخر :

وشعرُ الفتى يُبْدِي غريزة طبعه وبالكُتُبِ يبدو عقله وبلاغته
وقيل للشَّعْبِي : أي شيء تعرف به عقل الرجل ؟ قال : إذا كتب فأجاد .
وقال العُتْبِيُّ : عقول الناس مدوَّنة في كتبهم ، وقال ابن المقفع : كلام الرجل وافِدُ عقله .

وشبَّهت الحكماء المعاني بالفسوانى ، والألفاظ بالمعارض ، فإذا كسا الكاتبُ البليغُ المعنى الجزلَ لفظًا رائقًا ، وأعاره نَحْرًا سهلًا ، كان لالِيبِ أحمَلَى ، وللصدر أملَى^(٣) ، ولكنه بقي عليه أن ينظِّمه في سِلْكِهِ مع شقائقه ، كاللؤلؤ المنشور الذي يتولَّى نظمه الحاذقُ ، والجوهرى العالمُ يُظهر بإحكام

(١) جهائنة : جمع جهنم ، بكسر الجيم والباء وهو القناد الحير .

(٢) يشير إلى قوله تعالى : « كِرَامًا كَاتِبِينَ »

(٣) سهل عن أملا .

الصُّنعة له حُسْنًا هو فيه ، ومنحة بهجة هي له ، كما أن الجاهل إذا وضع بين
الجوهرتين خَرَزَةً ، هَجَّنَ^(١) نظمَه ، وأطفأ نوره ، كان حبيب^(٢) بن أوسٍ
ربما وَقَعَ على جوهرة فجعلها بين بَعْرَتَيْنِ ، قال الشاعر :

ولو قَرَنْتَ بِدُرٍّ فَاحِرٍ خَرَزًا من الزجاج لَقُلْنَا بئس ما نَظَمَّا
والياقوتُ حَسَنٌ ، وهو في جِيد الحسنة أحسنُ ، وكذلك الشعرُ الجيّدُ
مُونِقٌ^(٣) ، ولكنه من أفواه المظماء آنقُ ، والتاجُ الشريفُ بهيُّ المنظر ،
وهو على المَلِكِ أبهى ، كما قال ابن قيس الرُّقَيَّاتِ^(٤) :
يعتدل التاجُ فوق مَفْرِقِهِ^(٥)

قال أبو العتاهية لابن منذر^(٦) : بلغني أنك تقول الشعر في الدهر ،

(١) التهجين : التقيج .

(٢) هو أبو تمام الشاعر العباسي المشهور - انظر ترجمته في وفيات الأعيان ١ : ١٢١ ، والأغانى
١٥ : ٩٦ ، والفهرست لابن النديم ص ٢٣٥ .

(٣) آهى الشيء : إياها : أعجبنى

(٤) هو عبيد الله بن قيس ، ولما لقب بذلك لأنه شَبَّ بثلاث نساء سمين جميعا رقية ، وكان
يربى الهوى ، وخرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك بن مروان ، فلما قتل مصعب وقتل عبد الله
ابن الزبير هرب فلبأ إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، فسأل عبد الملك في أمره فأمنه - انظر
ترجمته في الأغانى ٤ : ١٥٤ ، والشعر والشعراء ص ٢١٢ .

(٥) المرقق كقعد ومجلس : وسط الرأس ، وهو الذى يفرق فيه الشعر ، وهذا صدر بيت وعجزه :
« على جبين كأنه الذهب » وهو من نصيدة قالها في مدح عبد الملك ، ولما أنشده إياها ووصل إلى
هذا البيت ، قال له عبد الملك : يا ابن قيس تمدحى بالتاج كمأتى من العجم ، وتقول فى مصعب :

إنما مصعب شهاب من الله تحلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك عزة ليس فيه حبروت منه ولا كبرياء

أما الأمان فقد سبق لك ، ولكن والله لا تأخذ مع المسلمين عطاء أبدا .

(٦) أبو العتاهية شاعر عباسي معروف ، وله ترجمة مطولة في الأغانى ٣ : ١٢٢ ، وفي الشعر
والشعراء ص ٣٠٩ ، ووفيات الأعيان ١ : ٧١ ، والفهرست ص ٢٢٧ . وابن منذر : هو محمد
ابن منذر ، شاعر عباسي أيضا - انظر ترجمته في الأغانى ١٧ : ٩ ، والشعر والشعراء ص ٣٦٤ .

والقصيدة في الشهر ، فقال : نعم ، لورضيتُ لنفسي أن أؤلف تأليفك ،
وأقول : « يا عُثْبَ يادُرَّه الغَوَاصِ »^(١) لقلت في اليوم والليلة ألف قصيدة ،
وقال عمر^(٢) بن لُجَأَ لشاعر : أنا أشعر منك ، قال : ولم ؟ قال : لأنك تقول
البيت وابن عمه ، وأنا أقول البيت وأخاه .

فإن مُنيت بحب الكتابة وصناعتها ، والبلاغة وتأليفها ، وجاش صدرك
بشعر معقود ، أودعتك نفسك إلى تأليف الكلام المنشور . وتهيا لك نظم
هو عندك معتدل ، وكلامٌ لديك متسق ، فلا تدعونك الثقةُ بنفسك ،
والعجب بتأليفك ، أن تهجم به على أهل الصناعة ، فإنك تنظر إلى تأليفك
بعين الوالد لولده ، والماشي إلى عشيقه ، كما قال حبيب :

ويُسيء بالإحسان ظناً ، لا كمن هو بابنه وبشعره مفتون
ولكن اعرضه على البلغاء والشعراء والخطباء ممزوجاً بغيره ، فإن أصغوا
إليه ، وأذنوا^(٣) له ، وشخصوا بالأبصار ، واستعادوه وطلبوه منك ، وامتزج ،
فاكشف من تلك الرسالة والخطبة والشعر اسمَه ، وانسبه إلى نفسك ،

(١) عتة التي كان أبو العتاهية يشب بها : هي حربة لريطة بنت أبي العباس السفاح ، وكانت تحت
المهدي ، فلما بلغ المهدي إكثاره في وصفها عصب فأمر بحمسه ، ثم شمع له يريد من منصور الحميري
حال المهدي فأطلقه ، وحاء في الأعاصير (١٧ : ١١) : « اجتمع أبو العتاهية وعبد بن ماذر ، فقال له
أبو العتاهية : يا أبا عبد الله ، كيف أمت في الشعر ؟ قال : أقول في الليلة إذا سح القبول واتسعت
القوافي عشرة أبيات إلى خمسة عشر ، فقال له أبو العتاهية : لكي لو شئت أن أقول في الليلة ألف
بيت لعلت ، فقال ابن ماذر : أحل ، والله إذا أردت أن أقول مثل قولك :
ألا يا عتة الساعة أموت لساعة الساعة

قلت ، ولكي لا أعود نفسي مثل هذا الكلام الساقط ، ولا أسمع لها ، فحل أبو العتاهية
وقام يحرر رحله .

(٢) شاعر أموي ، وكان ممن حبا حريراً - اطر حربه في اشعر واشعراء ص ٢٦١ ، وفي
الأعاصير في ترجمة حريير ٧ : ٣٥ والمرردق ١٩ : ٢ .
(٣) أدن إليه وله كمرح : استمع معناه أو عامه .

وإن رأيت عنه العيون منصرفة، والقلوب عنه ذاهبة^(١)، فاستدل به على تخلفك عن الصناعة، وتقاصرِكَ عنها، واسترب رأيك عند رأى غيرك من أهل الأدب والبلاغة، فقد بلغنى أن بعض الملوك دعا إنسانا إلى مؤانسته، حتى ارتفعت الحشمة بينهما، فأخرج له كتابا قد غشاه بالجلود، وجمع أطرافه بالإبريسم^(٢)، وسوى ورقه، وزخرف كتابته، وجعل يقرأ عليه كلما قد حبره^(٣) فيه، ونقحه عند نفسه، وجعل يستحسن ما لا يحسن، ويقف على ما لا يستثقل قراءته، حتى أتى على الكتاب، فقال له: كيف رأيت ما قرأت عليك؟ فقال: أرى عقل صانع هذا الكلام أكثر من كلامه، ففطن له ولم يماوذه، إلى أن وقف به على ثور مسجور^(٤)، ثم قذف بالكتاب فى النار، بهذا رجل فى عقله فضلة، وفيه تمييز.

وإنما البليةُ فيمن إذا بَيَّنَّتْ له سوء نظمه واختياره، ووقفته على سخافة لفظه، هجره وماداك، فاجعل هذا الأصل ميزانا ترن به مذهبك فى مسائلك وبلاغتك، ولا تخاطبنَّ خاصا بكلام عام، ولا عاما بكلام خاص، نتي خاطبت أحدا بغير ما يشاكله، فقد أجريت الكلام غير مجراه، كشفته، وقصدك بالكلام الشريف للرجل الشريف تنبيه لقدر كلامك، رفع لدرجته، قال:

فلم أمدحه تفخيا لشعري ولكنى مدحت بك المديحا

(١) فى الأصل « واهية » .

(٢) الإبريسم: الحرير .

(٣) التحير: التحسين .

(٤) الثور: الذى يجبر فيه - العرن - وسجر الثور: أحماه .

فلا تخرجن كلمة حتى تترنّها بجزانها ، فتعرف تمامها ونظامها ، ومواردها ومصادرها ، وتجنب ما قد رت الألفاظ الوحشية ، وارتفع عن الألفاظ السخيفة ، واقتضب كلاماً بين الكلامين .

قال الجاحظ : « ما رأيت قوماً أمثل طريقة في البلاغة من هؤلاء الكتاب ، فإنهم التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعراً وخشياً ، ولا ساقطاً سوقياً » . وقال خالد بن صفوان : « أبلغ الكلام ما لا يحتاج إلى كلام ، وأحسنه ما لم يكن بالبدوي المغرب ، ولا القروي المخدج ^(١) ، الذي صحت مبانيه ، وحسنت معانيه ، ودار على السن القائلين ، وخفت على آذان السامعين ، ويزداد حسناً على نمر السنين . بتجلية الرثوة ، وتنقية السراة » .

والكاتب المستحق اسم الكتابة ، والبليغ المحكوم له بالبلاغة ، من إذا حاول صيغة كتاب سالت على قلمه عيون الكلام من ينايعها ، وظهرت من معادنها ، ونذرت ^(٢) من مواطنها ، عن غير استكراه ولا اغتصاب .

حدثنا صديق للعتابي قال له : اعمل لي رسالة ، فاستمدّه مدة بعد أخرى ، فقال له : ما أرى بلاغتك إلا شاردة عنك ، فقال له العتابي : إني لما تناولت القلم تداعت عليّ المعاني من كل جهة ، فأحييت أن أترك كل معنى يرجع إلى موضعه ، ثم أجتني لك أحسنها .

(١) لا عرب . ذبيان « عرب ، وهي العرب صاحبه . والمخدج : الناقص ، من قولهم : أحدثت الناقة : أي حلت بولد ناقص فهي مخدج (بكسر اللام) والولد مخدج (بفتحها) ، ورجل مخدج اليد : ناقصها .

(٢) أي طهرت ، سراسم دور : سقطت من خوف شيء ، أو من بين أشياء فطهر ، وري كان « درت » أي سبقت وغلب ، وفي رسائل الدعاء « وديرت » وهو تصحيف .

وأُمليَ يزيد بن عبد الله أخو دُيَّان^(١) على كاتب له ، فأعجلَ الكاتبَ ،
ودارَكَ في الإِملاء عليه^(٢) ، فتعثرَ قلم الكاتب عن تقييد إملائه ، فقال له
متحرِّشا : اكتب يا حمار ، فقال له الكاتب : أصلح الله الأمير ، إنه لما
هطلتْ شآبيبُ^(٣) الكلام ، وتداققتْ سيولُه على حرف القلم ، كلَّ القلمُ
عن إدراك ما وجب عليه تقييدُه ، فلي تذكر الأمير عذري ، فكان حضور
جواب الكاتب أبلغ من بلاغة يزيد .

وقال له يوما وقد نطَّ حرقا في غير موضعه : ما هذا ؟ قال : طُغْيَان في القلم .
وكما اخلَوْنِي الكلام وعذَّبَ ورقَّ وسَهَلتْ مخارجَه ، كَأَن أُسَهِّلَ وَلُوجَا
في الأسماع ، وأشدَّ اتصالاً بالقلوب ، وأخفَّ على الأهواء ، ولا سيما إذا كان
المعنى البديع مترجما بلفظ مُونِقٍ^(٤) شريف ، ومعبرا بكلام مؤلف رَشِيق ،
لم يَشْنِه التكلف بِمِيسْمِه^(٥) ، ولم يُفْسِدِه التعقيد باستهلاكه ، كقول ابن
أبي كريمة :

قَفَاهُ وَجْهٌ حَسَنٌ ، وَالَّذِي قَفَاهُ وَجْهٌ يُشْبِهُ الشَّمْسَا

فهجَّن المعنى بتوغر مخارج الحروف ، وأخذَه الحسن بن هانئ فسَهَّلَه وقال :
« بَدَّ^(٦) حُسْنَ الوجوه حُسْنُ قفاكا » وكلاهما من حسان حيث يقول :

(١) في رسائل اللُعاء « أخو دینار » وهو تحريف .

(٢) وفي رسائل اللُعاء : « وأعجل عليه الإِملال » وأملَّ عليه الكتاب بمعنى أَملى .

(٣) شآبيب : جمع شؤبوب كعصبور ، وهي الدفعة من المطر .

(٤) أي معجب .

(٥) ومعه : أثر فيه سمة ، أي علامة ، والليسم : الآلة التي يوسم بها .

(٦) بد : فاق .

قفاؤك أحسن من وجهه وأثمك خير من المنذر^(١)

وانظر إلى سلاسة الحسن بن سهل حيث قال :

شَرِسْتُ بِلَ لِنْتُ بِلَ قَابِلْتُ ذَاكَ بَذَا فَأَنْتَ لَأَشْكُ فَيْكَ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ

وكتب عيسى بن لهيعة كتابا إلى أخيه أبي الحسن ، فعقد كلامه ، وجاز المقدار في التنطع ، فوقع في أسفل كتابه :

أَنْتَى يَكُونُ بَلِيغًا مَنْ اسْمُهُ كَانَ عِيًّا
وَتَالِثُ الْحَرْفِ مِنْهُ إِذَا كَتَبْتَ مُسِيًّا^(٢)

وبلغنى أن بعض الكتاب عاد بعض الملوك فوجده يثنّ من علّة ، فخرج من عنده ، وصر يباب الطاق ، وإذا بطير يدعى « الشفانين »^(٣) فاشتراه وبعث به إليه ، وكتب كتابا يتنطع في بلاغته ، وذكر أنه يقال له شفانين ، وأرجو أن يكون شفاء من أنين ، فوقع في أسفل الكتاب . « والله لو عطست ضبّا لم تكن عندي إلا نبطيّا »^(٤) ، فأقصر^(٥) عن تنطعك ، وسهل كلامك ، وفي

(١) القفا قد عِدّ كما في هذا البيت ، والعرب تؤنثه ، والتذكير أعم . وكان حسان بن ثابت زار الحرت بن أبي شمر الفسافي - وكان النعمان بن المنذر يساميه - فقال الحرت لحسان : لقد بثت أملك تفضل النعمان عليّ ، فقال : وكيف أفضله عليك ؟ فوالله لقفاك أحسن من وجهه ، ولأملك أشرف من أبيه ، في كلام كثير ، فقال له : هذا لا يسمع إلا في شعر ، فنظمه في أبيات منها هذا البيت - انظر ديوان حسان ص ١٨٢ ، ومروح الذهب ١ : ٢٩٩ .

(٢) مسيّا سهل عن مسيئا بمعنى سيئ ، يريد أن الشطر الثاني من اسمه « سي » يشبه رسمه وسم « سي » .

(٣) هذه الجاحظ في أنواع الحمام ، وقيل : هو الذي تسميه العامة اليمام - انظر كلمة عنه « في حياة الحيوان الكبرى » للدميري ٢ : ٧٤ .

(٤) فسرّه في العقد قال : « قوله : لو عطست ضبا : يريد أن الضباب من طعام الأعراب ، وفي بلدم يقال : لو عطست فنزت ضبا من عطاسك لم تلحق بالأعراب ولم تكن إلا نبطيّا ، وقد جاء في بعض الحديث : إن القط من نثرة عطسة الأسد ، وإن الفأر من نثرة عطسة الخنزير ، فقال هذا : لو أن الضب من نثرتك لم تكن إلا نبطيّا » اهـ . والنبط : قوم كانوا يتزلون بالبطائح بين العرافين .

(٥) أي كف ، وفي الأصل « فأقصر عن معضك » وهو تحريف .

هذا المعنى قال محمد الموصلي يهجو حبيب بن أوس الطائي :

أنت عندي عربيٌ ليس في ذاك كلامٌ
شعرُ ساقيك وفخذيك خُزاعيٌّ ونُمامٌ^(١)
وقدَى عينيك صمغٌ ونواصيك شَبامٌ^(٢)
وَصُلُوعُ الصِّدر من شِلُوكِ نَبْعٍ وبَشامٌ^(٣)
لو تحرَّكتَ كذا لَأَنجَفَلتَ منك نَعامٌ^(٤)
وظَبَاكُ راتِعاتٍ وَيَرَايِعُ عِظامٌ^(٥)
وَحَمَامٌ يَتَغَنَّى حَبْدًا ذاك الحَمَامُ
أنا ما ذَنبِي إِنْ كَذَّ ذَنبِي فِيك الأَنامُ
وَقَفًا يَحْلِفُ ما إِنْ أَغْرَقَتْ فِيهِ الكِرَامُ
ثم قالوا هاشميٌّ من بني الأنباط حامُ
كَذَبُوا ما أنت إلَّا عَرَبِيٌّ والسَّلامُ

وسألني بعض أهل العلم أن أكتب له قِصَّةً إلى جعفر بن عبد الواحد
القاضي ، وقال : اكتب لي قصة سهلة بليغة الألفاظ ، فقلت له : دعني
أكتب لك ما يصلح للقضاة ، فغضب وقال : ما أسأل أن تعطيني شيئاً !

-
- (١) الخزاعي : نبت رهرة أطيب الأزهار نضجة ، والنمام : ببت أيضا .
(٢) في النقد « شعام » وهو محرف ، وأرى أن صوابه « شبام » وهو ذات يش (أي يحسن)
به لون الحناء .
(٣) الشلو : الجسد من كل شيء ، والسع : شجر للفسى والسهم ، والبشام : شجر عطر الرائحة
يستاك بفضبه .
(٤) انحفل : أسرع الهرب .
(٥) اليراييع : جمع يربوع بالفتح ، وهو دويبة نحو الغارة الكن ذنبه وأذناه أطول منها ، ورجلاه
أطول من يديه ، عكس الررافة .

إنما أسألك هذا المعنى الرخيص ، فاحتملت عَثْبَهُ لِلذِّمَامِ^(١) ، فكتبت له قصة لا تصلح أن تُدْفَعَ إِلَّا لِلرُّؤْيَةِ^(٢) بن العَجَّاج يقرأها أو الطَّرِمَّاح^(٣) ، فلما حَصَلْتُ بيد القاضي أراد قراءتها فإذا هي مُعَلِّقَةٌ عليه ، فقال له : أنت كتبت هذه القصة ؟ قال : نعم ، قال : إذن فاقراها ، فذهب ليقرأها ، فإذا هي بالسودانية ، استعجما عليه ، فقال له : أصلح الله القاضي ، إنما أقرأها في بيتي ، فقال له : فاطلب حاجتك إذن في بيتك ، فرجع إلى غضبان أسفاً يشتم ويؤذى ، وسألني أن أكتب له قصة على ما أرى ، فكتبت له كتاباً يُشَبِّه أن يكون من مثله إلى القضاة ، فقرأه وقضى حاجته ، وعلم أنه لم يكتب واحدة منهما .

والكتاب إذا لم يكن شبيهاً بحالة^(٤) صاحبه ، كان أحد الأسباب المانعة ، والمعاني كلها ممتثلة ، والكلام مُشْبَعٌ^(٥) ، ولكن سياسته صعبة ، وتأليفه شديد ، إلا على جهابذته وقُرسانه أمراء الكلام ، يصرفونه كيف شاءوا ، ولا يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ، ولفظه معناه ، ويكون

(١) الذمام : الحق والحرمة .

(٢) هو راجز محيد مشهور كأيّاه العجاج ، وكان صبراً بالغة عالمياً بحوسبها وعريبها ، وهو من محصرم الدولتين ، مدح بي أمية وبي العباس ومات سنة ١٢٥ هـ - انظر ترجمته في الأغانى ٥٧ : ٢١ ، ووفيات الأعيان ١ : ١٨٧ ، والشعر والشعراء ص ٢٣٠ .

(٣) هو الطرمّاح بن حكيم ، شاعر أموى مشهور . قال رؤبة : كان الطرمّاح والكسيت يصيران إلى فيسألاني عن الغريب ، فأخبرهما به ، فأراه بعد في أشتارهما . وسئل ابن الأعرابي عن تمانى عمرة مسألة كلها من عريب شعر الطرمّاح فلم يعرف منها واحدة ، يقول في جميعها : لا أدري لا أدري - انظر ترجمته في الأغانى ١٠ : ١٢٨ ، والشعر والشعراء ص ٢٢٨ .

(٤) في الأصل « بحاجة » وأراه محرفاً .

(٥) امثله : تصويره حتى كأنه ينظر إليه ، ومشبع من قولهم : رحل مشبع انقل بفتح الباء أى وافر ، وفي الأصل « مشبعا » وهو تحريف .

اللفظ أسبق إلى الأسماع من معناه إلى القلوب^(١) .

قال الجاحظ : كان لفظه في وزن إشارته ، وطبعه في معناه في مطابقة معناه . وذكر الحسن بن وهب أحمد بن يوسف فقال : ما كنت أدري : أَلَفْظُهُ آتَى أم معناه ، أو معناه أَجْزَلُ أم لفظه ؟

والمعاني وإن كانت كامنة في الصدور ، فإنها مصورة فيها ومتصلة بها ، وهي كالآلئ المنطوية^(٢) في أصدافها ، والنار المخبوءة في أحجارها ، فإن أظهرتها من أكنانها^(٣) وأصدافها ، تبين حُسنها ، وإن قدحت النار من مكائنها وأحجارها انتفعت بها ، وإلا بقيت محجوبة مستورة ، وربما يُستثار الكامن منها ، ويُستخرج المستسر^(٤) من جواهرها ، بقدر جذق المستنيط ، وصواب حركات المستخرج ، وقصد إشارته ، ولطف مذاهبه ، وكذلك ليس كل ناطق ولا كاتب يوضح عن المعنى ، ولا يصيب إشارته ، وكلما كان الكلام أفصح ، والبيان أوضح ، كان أدل على حسن وجه المعنى ، وقد رأيتهم شبهوا المعنى الخفي بالروح الخفي ، واللفظ الظاهر بالجثمان الظاهر ، وإذا لم ينهض بالمعنى الشريف لفظ شريف جزل ، لم تكن العبارة واضحة ، ولا النظام متسقاً ، وتضائل المعنى الحسن تحت اللفظ القبيح ، كتضاؤل الحسناء في الأظمار^(٥) الرثة .

(١) وجاء في نهاية الأرب ٧ : ٨ « وقالوا : لا يستحق الكلام اسم البلاغة حتى يكون معناه إلى قلبك أسبق من لفظه إلى سمعك » .

(٢) في الأصل « المنظومة » وهو تحريف .

(٣) الأكنان : جمع كن ، وهو الستر ، بالكسر ، فيهما .

(٤) استسر : استتر وخفي .

(٥) الأظمار : جمع ظمر بالكسر ، وهو الثوب الخلق .

وإنما يدل على المعنى أربعة أصناف: لفظ ، وإشارة ، وعُقْد وخط ، وقد ذكر أرسطاطاليس صنفاً خامساً في كتاب المنطق ، وهو الذى يسمى النّصبة ، والنّصبة : الحال الدّالة التى تقوم مقام تلك الأصناف الأربعة ، وهى الناطقة بغير لفظ ، والمشيرة إليه بغير يد ، وذلك ظاهرٌ فى خلق السموات والأرض ، وفى كل صامت وناطق ، وهى داخلة فى جملة هذه المعانى الأربعة ، وخارجة منها بالحلية ، ولكل واحدة من هذه الدلائل صورة مخالفة لصورة صاحبها ، وحلية غير مُشاكلة لحلية أختها ، غير أنها فى الجملة كاشفة عن أعيان المعانى ، وسافرة^(١) عن وجوهها^(٢) . وأوضح هذه الدلائل ، وأفصح هذه الأصناف ، صنفان منها ، وهما اللسان والقلم ، وكلاهما يترجمان ويدلان على القلب ، ويستمليان منه ، ويؤديان عنه ما لا تؤدى هذه الأصناف الباقية . فأما اللسان فهو الآلة التى يخرج الإنسان بها عن حد الاستبهام إلى حد الإنسانية بالكلام ، ولذلك قال صاحب المنطق : حدّ الإنسان : الحى الناطق . وقال هشام بن عبد الملك « إن الله رفع درجة اللسان فأنطقه من بين الجوارح بتوحيده ، وما جعل الله من عبّر عن شيء مثل من لم يعبر عنه » . وقال على بن عبدة : « إنما يُبين عن الإنسان اللسان ، وعن المودّة العيزان » . وقال آخر : « الرجل مخبوء تحت لسانه^(٣) » . وقالوا « المرء بأصغريه : قلبه ، ولسانه » وقال الشاعر :

(١) أى كاشفة أيضاً .

(٢) وقد عقد الحافظ مصلاً طويلاً فى الكلام على أصناف الدلالات على المعانى - انظر باب البيان .

من كتابه البيان والبيان ح ١ : من ٢٢ .

(٣) من الحكم المروية عن الإمام على كرم الله وجهه « المرء مخبوء تحت لسانه » .

وما المرء إلا الأصفران ، لسانه ومعقوله ، والجسم خلق مصور
فإن ترها راقتك يوما ، فربما أمر مذاق العود والعود أخضر^(١)
وقال الأعور التيمي^(٢) :
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم
وقال آخر :

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا
وقال الطائي :

ومما كانت الحكماء قالت لسان المرء من خدام الفؤاد
وللخط صورة معروفة ، وحلية موصوفة ، وفضيلة بارعة ، ليست لهذه
الأوصاف ، لأنه ينوب عنها في الإيضاح عند المشهد ويفضلها في المغيب ،
لأن الكتب تُقرأ في الأماكن المتباينة ، والبلدان المتفرقة ، وتُدرس في كل
عصر وزمان ، وبكل لسان ، واللسان وإن كان ذليلا فصيحاً لا يعدو سامعه ،
ولا يجاوزه إلى غيره ، وكفى بفضيلة العلم والخط قول الله عز وجل : « الَّذِي
عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » وأقسم^(٣) به كما أقسم بغيره^(٤) ، ثم أقسم
بما يكتبه القلم ، إفصاحاً عن حاله ، وإعظاماً لشأنه ، وتنبيهاً لذكره ، فقال :
« وَمَا يَسْطُرُونَ » . ومن فضيلة الخط : أنه لسان اليد ، ورسول^(٥) الضمير ،

(١) الضمير يعود على مفهوم من السياق : أي صورته .

(٢) وفي رواية الرورن أن هذا البيت لرهير بن أبي سلمى من معلقته .

(٣) قال تعالى « ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ »

(٤) من السماء والطارق والمعر والشمس والليل والصبح والتين والريثون . . . الخ مما ورد في القرآن ، والآيات في ذلك معروفة .

(٥) وفي المقد والصبح وبهاية الأرب « وبهجة السمير » .

ودليل الإرادة ، والناطق عن الخواطر ، وسفير العقول ، ووحى الفكر ،
وسلاح المعرفة ، ومحادثة الأخلاء على التناثي ، وأنس الإخوان عند الفرقة ،
ومستودع الأسرار ، وديوان الأمور ، وترجمان القلوب ، والمعبر عن
النفوس ، والمخير عن الخواطر ، ومؤرث الآخِر مكارم الأول ، والناقل إليه
ما أثرَ الماضي ، والمخلِّد له حكمته وعلمه ، والمُسامِرُ للعَيْن بِسِرِّ القلب ،
والمُخاطِب عن الناصت ^(١) ، والمجادل عن الساكت ، والمُفصِّح عن الأَبكم ،
والمُتَكَلِّم عن الأخرس ، الذي تشهد له آثاره بفضائله ، وأخباره بمناقبه .

وقد وضعت البلاغة من القلم ^(٢) علوَّ القدر ، وباذخ ^(٣) العز ، كأبي مُسلم
صاحب الدولة : فرقت شملَه ، وبددت جمعه ، ونقضت برمه ^(٤) ، وأفسدت
صلاحه ، وضععت بُنيانه ، مع ذكائه وتفطنه ، ومكايدِه ودهائه ،
وأصالة رأيه وشدة شكيمته ^(٥) ، وامتناعه على أبي جعفر وبقاره عنه ،
كيف استفزه ابنُ المقفع ، وصالح بن عبد القدوس وجبل بن يزيد ،
واستمالوه بسحر ألفاظهم ، وبلاغة أفلامهم ، حتى نزل من باذخ عزه ،
وجاء مبادراً حتى وقع في الشَّرِك المنصوب له ، فتفرق جمعه ، وانطفأ
نوره ، وصار خبراً سائراً ، ورشماً دائراً ^(٦) .

(١) نصت كضرب ، وألصت : سكت .

(٢) في رسائل البلغاء : « وقد وقعت البلاغة من العلم » وهو تحريف .

(٣) الباذخ : العالى .

(٤) يقال برم الحبل برما وأبرمه لإبراما .

(٥) التكيبة : الأنفة .

(٦) أى دارساً ممحوا .

ورَفَعَ القلمُ خاشِعَ الطَّرْفِ ، صغير الخطَرِ^(١) ، لثيم الجنس ، دَرَجَ من
عُشِّ الثَّجَارِ ، ونشأ بين المِكيال والميزان ، كيف شالت^(٢) البلاغة بضبعيه ،
ورفعت من ناظريه ، حتى شافهت به عنان السماء ، ورَفَعَتْ بناءه فوق البناء ،
حتى طَلَبَه الراكب ، وقصده الطالب ، وخشَعَتْ له الرجال ، ولَحَظَّتْهُ العيون
بالوقار ، وتمكَّن من الصنائع ، ومُدَّت نحوه الأصابع ، فشُكِرَتْ منه
اللَّفْظَةُ ، ورُجِيَتْ منه اللَّحْظَةُ ، كـمحمّد^(٣) بن عبد الملك بن الزيات ، وفيه يقول
على بن الجهم^(٤) :

أَحْسَنُ مِنْ عَشْرِينَ بَيْتًا سُدِّي جَمْعُكَ مَعْنَاهُنَّ فِي يَدِي
مَا أَحْوَجَ الْمُلْكَ إِلَى مَطَرَةٍ تَغْسِلُ عَنْهُ وَضَرَ الزَّيْتِ^(٥)

(١) الخطر : الفدر .

(٢) أشال الحجر ، وشال به يشول شولا : رفعه ، فأنشال هو - ولا يقال شلت بالكسر -
والضبع : العضد كلها أو وسطها ، والعنان : السحاب واحدة عناة .

(٣) كان جده أبان يجلب الزيت من مواضعه إلى بغداد ويتجر فيه ، وكان أبوه عبد الملك تاجراً
من مياسير التجار بالكرخ (محلة ببغداد) فكان يمثه على التجارة ، وملازمته ، فيأبى إلا الكتابة ،
وطلبها ، وقصد العالي حتى بلغ مرتبة الوزارة كما قدمنا ، وكان في أول أمره من جملة الكتاب ، وسبب
تقدمه أن المعتصم ورد عليه كتاب من بعض العمال ، فقرأه عليه وزيره أحمد بن عمار بن شاذى
البصرى ، وكان في الكتاب ذكر الكلاء ، فقال له المعتصم : ما الكلاء ؟ فقال : لا أدري - وكان
قليل المعرفة بالأدب - فقال المعتصم : خليفة أمى ووزير عاى - وكان المعتصم ضعيف الكتابة - ثم قال :
أبصروا من بالباب من الكتاب ؟ فوجدوا ابن الزيات المذكور فأدخلوه إليه ، فقال له : ما الكلاء ؟
فقال : الكلاء : العشب على الإطلاق ، فإن كان رطباً فهو الحلا ، فإذا يبس فهو الحشيش ، وشرع
في تقسيم أنواع النبات ، فعلم المعتصم فضله فاستوزره وحكته وبسط يده - انظر الأعاني ٢٠ : ٤٦
ووفيات الأعيان ٢ : ٥٤ ، والفخرى ص ٢١٣ ، وغرر الخصال الواخعة ص ١٤٣ .

(٤) شاعر عباسى مشهور ، توفى سنة ٢٤٩ - انظر ترجمته في الأعاني ٩ : ٩٩ ، ووفيات الأعيان

١ : ٣٤٩ .

(٥) الوضر : وسع الدسم ، وفي العقد الفريد (٣ : ١١١) : « وقال محمد بن الجهم يهجو ابن
الزيات : أحسن من سبعين بيتاً ... » وجاء في الأعاني (٢٠ : ٥١) : « كان محمد بن عبد الملك
يعادى أحمد بن أبي دواد ويهجوّه ، فكان أحمد يجمع الشعراء ويحرضهم على هجائه ويصلهم ، ثم
قال فيه أحمد بيتين كانا أجود ما هجا به ، وهما : أحسن من خمسين بيتاً ... » وفي وفيات الأعيان (٢ :
٥٦) « وكان ابن الزيات قد هجا ابن أبي دواد بتسعين بيتاً ، فعلم القاضي أحمد فيه بيتين وهما :
أحسن من تسعين بيتاً ... » وجاء فيه أيضاً (١ : ٢٥) « وهجا بعض الشعراء ابن الزيات بقصيدة

فأجابه محمد بن عبد الملك :

رَقِيتَ فِي الْقَوْلِ إِلَى خُطَّةٍ قَدَّرَكَ فِيهَا قَدْ تَعَدَّيْتَ
قَيَّرْتُمُ الْمَلِكَ فَلَمْ تُنْقِهِ حَتَّى غَسَلْنَا الْقَارَ بِالزَّيْتِ^(١)

وقال حبيب بن أوس يمدحه ويصف قلمه :

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشَبَابَتِهِ تُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلِّي وَالْمَفَاصِلِ^(٢)
وَكَانَ مُحَمَّدٌ مِنَ الْطُفِّ النَّاسِ ذِهْنًا ، وَأَرْقَتْهُمْ طَبْعًا ، وَأَصْدَقَهُمْ حِسًّا ،
وَأَرْشَقَهُمْ قَلَمًا ، وَأَمْلَحَهُمْ إِشَارَةً ، إِذَا قَالَ أَصَابَ ، وَإِذَا كَتَبَ أَبْلَغَ ، وَإِذَا
شَعَرَ^(٣) أَحْسَنَ ، وَإِذَا اخْتَصَرَ أَغْنَى عَنِ الْإِطَالَةِ : أَمْرُهُ الْوَاقِقُ أَنْ يَتَلَطَّفَ
بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ ، وَيُعْلِمَهُ أَنَّهُ صَرْفُهُ عَنْ أَمْرِ الْجَزَائِرِ وَالْمَوَاصِمِ^(٤) ، وَفَوْضَ
ذَلِكَ لِابْنِ عَمِّهِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، فَكَتَبَ :

« أَمَا بَعْدَ ، فَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَأَى أَنْ يَخْلَعَ مَا فِي يَمِينِكَ ، مِنْ أَمْرِ

عدد آياتها سبعون بيتاً ، فبلغ خبرها القاضي أحمد فقال ... فلغ ابن الزيات ذلك - وقال : إن
بعض أجداد القاضي أحمد كان يبيع القار (الزفت) - فقال :

يَا ذَا الدِّي يَطْمَعُ فِي هَجُونَا عَرَضْتَ بِي نَفْسَكَ لِلْمَوْتِ
الرَّيْتُ لَا يَزُرِي بِأَحْسَابِنَا أَحْسَابِنَا مَعْرُوفَةُ الْبَيْتِ
قَيَّرْتُمُ الْمَلِكَ فَلَمْ تُنْقِهِ حَتَّى غَسَلْنَا الْقَارَ بِالزَّيْتِ

وقيره : أخلاه بالقار .

(١) البيتان على هذه الرواية فهما عيب شعري وهو الإصراف ، لأن حركة روى البيت الأول
فتحة ، وحركة روى البيت الثاني كسرة .

(٢) الشبابة : حد كل شيء ، وهذا البيت هو الأول من آيات تسعة مشهورة - انظرها ، في
العقد الفريد ١٧٩:٢ ، ونهاية الأرب ٢٥:٧ ، وصحح الأعشى ٤٤٨:٢ ، وأدب الكتاب ص ٧٥
وزهر الآداب ٣٥ : ٢ .

(٣) شعر كصر وكرم قل شعرا ، أو شعر بافتح : دل شعراً ، وشعر بالضم : أجاده .

(٤) المواسم : ولاية كانت نصبتها أنطاكية .

الجزائر والعواصم ، فيجعلهُ في شمالك ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته^(١) .

وقال سهل بن بركة يهجو أبا نوح النصراني الكاتب :
 بأبي وأمي ، ضاعتِ الأحلامُ أم ضاعت الأذهان والأفهامُ ؟^(٢)
 من صدَّ عن دين النبي محمدٍ ألهُ بأمر المسلمين قيامُ ؟
 إلا تكن أسيافهم مشهورةً فينا ، فتلك سيوفهم أقلامُ
 وقال عبد الرحمن بن كيسان : « استعمال الكلام أجدر بإحضار الذهن عند تصحيح الكتاب من استعمال اللسان على تصحيح الكلام^(٣) » .

ولم يُخْتَلَفْ في شرف القلم ، وإنما اختلف في كيفية البلاغة وما هيَّتها ، وقد مدحها كل قوم بأوضح عبارتهم ، وأحسن بيانهم ، فقال صاحب اليونانيين : « البلاغة تصحيح الأقسام ، واختيار الكلام » وقال الرومي : « البلاغة وضوح الدلالة ، وانتهاز الفرصة ، وحسن الإشارة^(٤) » وقال الفارسي^(٥) : « هي معرفة الفصل من الوصل » وقال الهندي : « هي البصر بالحجة ، والمعرفة بمواضع الفرصة . ثم أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها ،

(١) ليس ابن الزيات في هذا المعنى يبدع ، بل اقتبسه من يحيى بن خالد البرمكي - انظر ما قدمناه في ص ١٧٩ من الجزء الثالث .

(٢) الأحلام : المقول .

(٣) وفي البيان والتبيين ١ : ٤٥ « وقال عبد الرحمن بن كيسان : استعمال القلم أجدر أن يحض الذهن على تصحيح الكتاب من استعمال اللسان على تصحيح الكلام » .

(٤) وفي البيان والتبيين ١ : ٤٩ « وقيل للرومي : ما البلاغة ؟ قال : حسن الاقتضاب عند البداهة ، والزارة يوم الإطالة ، وقيل للهندي : ما البلاغة ؟ قال : وضوح الدلالة ، وانتهاز الفرصة وحسن الإشارة » (وكذا في زهر الآداب ١ : ١٣٥) . قال الجاحظ : وقال بعض أهل الهند : « جماع البلاغة البصر بالحجة » .

(٥) يعني أبا علي الفارسي .

إذا كان الإفصاح أوعَرَ طريقًا ، وربما كان الإطراق عنها أبلغ في الدُّرك ، وأحقُّ بالظفر « وقال غيره : « جماعُ البلاغة التماس حسن الموقع ، والمعرفة بساعات القول ، والحِذْق بما التبس من المعاني ونمُض ، وبما شَرَد عليك من اللفظ وتمذَّر » ثم قال : « وزينُ ذلك كله وبهاؤه ، وحلاوته وسناؤه ، أن تكون الشماثل مستدلة ، والألفاظ موزونة ، واللهجة تقية ، فإن جامعَ ذلك السنُّ والسنَّت^(١) والجمال وطول الصمت ، فقد تم كل التمام^(٢) »

وقيل لهندي ما البلاغة ؟ فأخرج صحيفة مكتوبة عندهم فيها^(٣) : « أول البلاغة اجتماع^(٤) آلة البلاغة ، وذلك أن يكون البليغ رابطًا الجأش^(٥) ، ساكن الجوارح ، قليل اللحظ ، متخير اللفظ ، لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ، ولا الملوك بكلام الشوكة ، ويكون في قواه فضلُ التصرف في كل طبقة ، ولا يدقق المعاني كلَّ التدقيق ، ولا ينقح الألفاظ كلَّ التنقيح ، ولا يصفِّيها كلَّ التصفية^(٦) ، ولا يهذِّبها غاية التهذيب ، ولا يكون كذلك حتى يصادفَ فيلسوفًا حكيمًا عليًا ، ومن قد تعودَ حذفَ فضل الكلام ،

(١) السمت : هيئة أهل الخير .

(٢) انظر البيان والتبيين ١ : ٤٩ .

(٣) جاء في البيان والتبيين (١ : ٥١) « قال معمر أبو الأشعث : قالت لبهلة الهندي أيام اجتلب يحيى بن خالد أطباء الهند . ما البلاغة عند أهل الهند ؟ قال بهلة : عندنا في ذلك صحيفة مكتوبة ، واكسبى لا أحسن نرجنها لك ، ولم أطالج هذه الصناعة فألق من نفسي بالقيام بخصائصها ، وتلخيص لطائف معانيها ، قال أبو الأشعث : فلتقت بتلك الصحيفة التراجمة ، فإذا فيها : أول البلاغة اجتماع » انظر أيضا زهر الآداب ١ : ١٢٠ .

(٤) في رسائل البلغاء « اجتماع » .

(٥) الجأش : رواع القلب إذا اضطرب من الفزع ، ومضى الإنسان . وربط جأشه رباطة (داسكر) اشتد قلبه .

(٦) في رسائل البلغاء « ويصعبها كل التصعبة » .

وَأَسْقَطَ مَشْتَرَكَ اللَّفْظِ^(١) » وَقَالَ أَبُو شَرِيحَةَ^(٢) لِبُزْرِجَجَهْرٍ^(٣) : مَتَى يَكُونُ
الْعَيْ بُلِيغًا ؟ فَقَالَ : إِذَا وَصَفَ بُلِيغًا ، وَقَالَ أَرَسَطَاطَالِيْسُ : « الْبَلَاغَةُ حَسَنُ
الِاسْتِعَارَةِ » وَقَالَ بَشْرُ بْنُ خَالِدٍ^(٤) : « الْبَلَاغَةُ التَّقَرُّبُ مِنَ الْمَعْنَى الْبَعِيدِ ،
وَالْتَبَاعُذُ عَنْ خَسِيسِ الْكَلَامِ ، وَالدَّلَالَةُ بِالْقَلِيلِ عَلَى الْكَثِيرِ » وَقَالَ خَالِدُ
ابْنُ صَفْوَانَ : « لَيْسَ الْبَلَاغَةُ بِخَفَّةِ اللِّسَانِ ، وَلَا بِكَثْرَةِ الْهَذْيَانِ ،
وَلَكِنَّا إِصَابَةُ الْمَعْنَى ، وَالْقَرَعُ بِالْحُجَّةِ » وَقَالَ صَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : « الْبَالِغُ
مَنْ إِذَا وَجَدَ كَثِيرًا مَلَأَهُ ، وَإِذَا وَجَدَ قَلِيلًا كَفَاهُ » ، وَقَالَ ابْنُ عُتْبَةَ :
« الْبَلَاغَةُ ذُنُوبُ الْمَأْخِذِ ، وَقَرَعُ الْحُجَّةِ ، وَالِاسْتِغْنَاءُ بِالْقَلِيلِ عَنِ الْكَثِيرِ »
وَقَالَ بَعْضُهُمْ : « إِنِّي لَا أَكْرَهُ الْإِنْسَانَ أَنْ يَكُونَ مَقْدَارُ لِسَانِهِ فَاضِلًا
عَنْ مَقْدَارِ عَقْلِهِ ، كَمَا أَكْرَهُ أَنْ يَكُونَ مَقْدَارُ عَقْلِهِ فَاضِلًا عَنْ مَقْدَارِ
لِسَانِهِ وَعَلِمِهِ ، يَكْفِي مِنْ حِظِّ الْبَلَاغَةِ أَنْ لَا يُؤْتِيَ السَّامِعُ مِنْ سُوءِ إِفْهَامِ
النَّاطِقِ ، وَلَا يُؤْتِيَ النَّاطِقُ مِنْ سُوءِ فَهْمِ السَّامِعِ^(٥) » وَقِيلَ لِعَمْرِو بْنِ
عُبَيْدٍ^(٥) : مَا الْبَلَاغَةُ ؟ فَقَالَ : « مَا بَلَغَتْكَ الْجَنَّةُ ، وَعَدَلَ بِكَ عَنِ النَّارِ ، وَمَا بَصَّرَكَ

(١) جَاءَ فِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ ، وَزَهْرِ الْأَدَابِ عَقْدُ ذَلِكَ « قَدْ نَظَرَ فِي صِنَاعَةِ الْمُنَاطِقِ عَلَى حِفْظِ
الصَّنَاعَةِ وَالْمُبَالَغَةِ ، لِأَعْلَى جِهَةِ التَّصْفِيحِ وَالِاعْتِرَاضِ . وَوَجْهُ التَّنْظُرِ وَالِاسْتِطْرَافِ » .

(٢) بَزْرِجَجَهْرٌ : مَرْكَبٌ مِنْ بَزْرِجٍ مَعْرَبٌ بِزَرْكَ أَيْ الْكَبِيرِ ، وَمِهْرٌ : أَيْ الرُّوحُ ، وَهُوَ : بَزْرِجَجَهْرُ
ابْنِ الْبَخْتِكَانِ وَزَيْرِ كَسْرِي أَبُو شَرَوَانَ مَلِكِ الْفَرَسِ ، وَكَانَ سَدِيدَ الْفِكْرِ حَصِيفَ الرَّأْيِ .

(٣) وَفِي الْعَقْدِ « جَعْفَرُ بْنُ خَالِدٍ » وَفِي زَهْرِ الْأَدَابِ ١ : ١٣٤ « قَالَ أَعْرَابِي : الْبَلَاغَةُ التَّقَرُّبُ
مِنَ الْبَعِيدِ ، وَالتَّبَاعُذُ مِنَ الْكَلْفَةِ ، وَالدَّلَالَةُ بِقَلِيلٍ عَلَى كَثِيرٍ » .

(٤) جَاءَ فِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ ١ : ٤٩ « قَالَ الْإِمَامُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ : يَكْفِي مِنْ حِظِّ الْبَلَاغَةِ
الْخ » انْظُرْ أَيْضًا زَهْرَ الْأَدَابِ ١ : ١٣٤ ، وَفِي نَهَايَةِ الْأَرْبِ ٧ : ٧ « وَقِيلَ لِأَخْرَمَا الْبَلَاغَةُ ؟ قَالَ : أَلَا
يُؤْتِي الْقَائِلُ مِنْ سُوءِ فَهْمِ السَّامِعِ ، وَلَا يُؤْتِي السَّامِعُ مِنْ سُوءِ بَيَانِ الْقَائِلِ » .

(٥) وَرَدَتْ هَذِهِ الْمَحَاوِرَةُ فِي زَهْرِ الْأَدَابِ ١ : ١١٧ ، وَنَهَايَةِ الْأَرْبِ ٧ : ٧ ، وَعَمْرِو بْنُ عُبَيْدٍ
ابْنُ بَابٍ : إِمَامٌ مِنْ أُمَّةِ الْمُعْتَزِلَةِ تَوَفَّى سَنَةَ ١٤٤ - انْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ ١ : ٣٨٤ .

بمواقع رشدك ، وعواقب غيِّك ، فقال السائل : ليس هذا أريد ، فقال : من لم يُحسِّن أن يسكت لم يُحسِّن أن يستمع ، ومن لم يحسن الاستماع لم يُحسِّن القول^(١) ، قال : ليس هذا أريد : قال : قال النبي عليه الصلاة والسلام : « إنا معاشر الأنبياء بكاء »^(٢) وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله ، فقال له السائل : ليس هذا أريد ، قال : كانوا يخافون من فتنة القول ومن سَقَطَات الكلام ، ما لا يخافون من فتنة السكوت وسَقَطَات الصمت^(٣) ، فقال : ليس هذا أريد ، فقال فكأنك إنما تريد تخيُّر اللفظ في حسن إفهام ، قال : نعم ، قال : إنك إن أردت تقرير حجة الله في عقول المكلفين^(٤) ، وتخفيف المثونة على المستمعين ، وتزيين تلك المعاني في قلوب المريدين^(٥) ، بالألفاظ المستحسنة في الآذان ، المقبولة عند الأذهان ، رغبة في سرعة استجابتهم ، ونفي الشواغل عن قلوبهم ، بالموعظة الحسنة الناطقة عن الكتاب والسنة ، كنت قد أُوتيتَ فَضْلَ الخطاب ، واستوجبت من الله سبحانه جزيلَ الثواب^(٦) .

-
- (١) وفي نهاية الأرب : « قال : من لم يحسن أن يسكت لم يحسن أن يسمع ، ومن لم يحسن أن يسمع لم يحسن أن يسأل ، ومن لم يحسن أن يسأل لم يحسن أن يقول » .
- (٢) بكأ الرجل بكاءً بالفتح فهو بكى ، من قوم بكاء بالكسر : قل كلامه خافه ، وأصله من بكأت الذاقة والشاة كجعل وكرم بكئا وبكاء بالفتح فيهما ، وبكوءا وبكاء بالضم فيهما ، فهي بكى وبكىة : إذا قل لبنا ، وفي الحديث « إنا معشر النبأ بكاء » وفي رواية « نحن معاشر الأنبياء فينا بكاء وبكاء » بالضم أى قلة كلام إلا فيما نحتاج إليه — انظر لسان العرب والقاموس مادة بكأ .
- (٣) في رسائل البلاء « قال كانوا يخافون من فتنة السكوت وسَقَطَات الصمت » والتصحيح من زهر الآداب .
- (٤) وفي نهاية الأرب « المتكلمين » .
- (٥) وفيه « المستفهمين » .
- (٦) وجاء في زهر الآداب عقب ذلك : « قيل لعبد الكريم بن روح الففارى : من هذا الذى

وقال الخليل بن أحمد: كل ما أدى إلى قضاء الحاجة فهو بلاغة ، فإن استطعت أن يكون لفظك لمعناك طبقة ، ولتلك الحال وفقاً ، وآخر كلامك لأوله مشابها ، ومواردُه لمصادرِه مُوازِنًا فافعل ، واحرص أن تكون لكلامك متبها وإن ظرف ، ولنظامك مسترييا وإن لطف . بمواتاة^(١) آلتك لك ، وتصرف إرادتك معك ، فافعل إن شاء الله .

وهذه الرسالة عذراء ، لأنها بكر معاني لم تفتري عنها بلاغة الناطقين ، ولا لمستها أكف المفوهين ، ولا غاصت عليها فطن المتكلمين ، ولا سبق إلى ألفاظها أذهان الناطقين ، فاجعلها مثالا بين عينيك ، ومصورة بين يديك ، ومسامرة لك في ليلك ونهارك ، تهطل عليك شآبيب منافعها ، ويظلمك منها بركاتها ، وتوردك منها بلذاتها ، وتذلك على مهيع^(٢) رشدتها ، وتصدرك وقد نقيع^(٣) ظموك بينابيع بحر إحسانها إن شاء الله عز وجل ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم^(٤) .

(رسائل البلقاء ص ١٧٠ ، والعقد الفريد ٢ : ١٧١)

صبر له عمرو هذا الصبر ؟ قال : سألت عن ذلك أبا حفص الشمرى فقال : ومن يجترئ عليه هذه الجراءة إلا حفص بن سالم ؟ أقول : وحفص هذا هو أحد دعاة المعتزلة الذين أنفذهم واصل بن نطاء إلى الآفاق ، وبثهم في البلاد ، لنشر مذهب الاعتزال ، وقد منه واصل إلى خراسان - انظر المنية والأمل ص ١٩ ، والبيان والبيان ١ : ١٤ .

(١) المواتاة : الموافقة والمطاوعة .

(٢) طريق مهيع : أى بين .

(٣) نقيع الماء العطش كقطع : سكتنه . وفي مثل « الرشف أقمع » أى إن الشراب الذى يترشف قليلا قليلا أقطع للعطش وأنجع ، وإن كان فيه بطل ، مثل ضرب فى ترك العجلة .

(٤) ذكر الأستاذ كرد على فى رسائل البلقاء أنه نقل هذه الرسالة من مجموع قديم من كتب الشيخ طاهر الجزائري ، وقد أورد صاحب العقد الفريد نحواً من سطرها فى باب أدوات الكتابة ، وأخبار الكتاب ، غير أنه لم يوردها على النمط الذى ورد فى رسائل البلقاء . بل تصرف فيها كثيراً بلحذف والزيادة ، والتقديم والتأخير ، وتراه ياقب إبراهيم بن محمد بن المدبر كاتبها بالشيبانى ، فيقول :

١٣١ — كتاب محمد بن مكرم إلى إبراهيم بن المدبر

وكتب محمد^(١) بن مكرم إلى إبراهيم بن المدبر :

« الحمد لله رب العالمين ، حمداً يحوز حمداً الحامدين ، الذى جعل قضاءه
خيرةً لك ، فإن زادك نعمةً وفقك لشكرها ، وإن امتحنك يلوى من
نفث^(٢) حاسدٍ ، أو كيدٍ كائدٍ ، أنار برهانتك ، وأفلج^(٣) حجتك ، وجمع بين
وليّك وعدوك فى الشهادة لك ، وإن نقل أمراً عن يدك فربما يرجعه إليك
مختلاً لفقدك ، هذا إلى ما جعل عندك من خواصّ النعم التى إن ذكرناها
فأطنبنا ، أو تجوزنا فقصرنا ، كان غايتنا إلى الحسور^(٤) دون مدى غايتك ،
وقد زادك الله بهذا الحادث فضلاً عظيماً ، لما ظهر من ولة العامة إليك ،
وتطلّعها إلى ما كانت فيه ، من لين إنصافك وكريم أخلاقك ، ووخشة
الخاصّة لما فقدت من حسن معاملتك ، وكثير تفضلك ، وأيقن أهل
الرأى والتأمل لصفحات الأمور أن كل ما خرج عنك فعائدٌ إليك ،
ومتصلٌ به غيره ، حتى تستقرّ فى يدك عُرا الأمور ومعافدُها ، وتفتح برأيك
وتديرك أبوابها ومعالقها ، فليهنّئك إن كل ما زاد غيرك نقصاً ، زادك

قال إبراهيم بن محمد الشيبانى وأورد المفسدى فى مسح الأعشى . فقرأ منها — انظر ج ٢ :
ص ٤٧ و ج ٣ : ص ٦ ، وكذا النويرى فى نهاية الأرب — انظر ج ٧ : ص ١٢ ، ١٣ ، ١٩
وكلاهما ياتيه بالشيبانى أيضاً ، والظاهر أنه يرمى إلى شيان بالولاء .

(١) كاتب بليغ مترسل وكان يبه ويى أو العياء مداعبات ، انظر أحبارهِ فى الفهرست لآلِ
الديم ص ١٧٩ ، وفى خلال ترجمة أنى العياء فى وفيات الأعيان ورهز الآداب كما قدمنا .

(٢) الفت شبه بالفتح ، والمعنى مما يصدر عن الحاسد .

(٣) أى صرّها .

(٤) الحسور : السكال والاقطاع .

فضلا ، وكل ما نقص من الرجال وحطها ، ألحق بك شرقا ، فزادك الله وزادنا منك ، وجعلنا ممن يقبله رأيك ، ويقدمه اختيارك ، ويقع من الأمور بموافقتك ، ويجرى منها على سبيل طاعتك » .

(اختيار المنظوم والمثور ١٣ : ٣٠١)

١٣٢ - كتابه إلى أحمد بن المدبر

وكتب ابن مكرم إلى أحمد بن المدبر :

« إن جميع أكفائك ونظرائك يتنازعون الفضل ، فإذا انتهوا إليك أقرؤا لك ، ويتنافسون المنازل ، فإذا بلغوك وقفوا دونك ، فزادك الله ، وزادنا بك وفك ، وجعلنا ممن يقبله رأيك ، ويقدمه اختيارك ، ويقع من الأمور بموقع موافقتك . ويجرى فيها على سبيل طاعتك » .

(القيد العريد ٢ : ١٩٦)

١٣٣ - كتابه إلى أحمد بن دينار

وكتب محمد بن مكرم إلى أحمد بن دينار يعزیه بأخيه :

« الذي حرّكني للكتاب أيها الأمير تعزيتك بمن لا ترميك الأيام بمثل الحادث فيه ، ولا تعاض مما كان الله جمعه لك عنده ، من الميل إليك ، والاستباق^(١) في سفوك . والصبر على مكروه جفائك ، مع ما كان الله أعاره من قوة العقل ، وأصالة الرأي ، ومدّله من عثانه إلى قصوى غايات أمله

(١) في الأصل « الاساق » وهو تحريف .

ورجائه ، أبا محمد رضى الله عنه ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، على ما أفاتتنا
الأيام منه حين تم واستوى ، وعالى فى الثروة وتناهى ، وعند الله احتسب
المصاب به ، وعظم الله لك الأجر ، وأجزل لك العوض والدخر ، فكل ماضٍ
من أهلك فأنت سيدادُ ثمتته ، وجابرُ رزيتته ، والمؤنس من وحشته وفقده ،
وفد خلف من أنت أحق الناس به : من عجوز وليت تريبتك^(١) وحياطتك
فى طبقات سنك ، وولد رُبوا فى حجرِك ، ونبتوا فى حوزتك ، وليس لهم
بعد الله مرجع سواك ، ولا مقيل إلا فى ظلك وذراك^(٢) ، فأنشدك الله فيهم ،
فإنه رضى الله عنه أخر بهم بعمارة مروة . وقطعهم بصلة^(٣) فضله ، فالله
يجزيه بحميد أثره ، ويخلف عليهم ما هو أهله ، فإن رأى الأمير أن يضمهم
إليه ، ويحقق ثقة أبيهم كانت به ، ويجزى على أمه ما يقوم بعصمتها
وصياتها ، فعل إن شاء الله . (احبار المطوم والمثور ١٣ : ٣١٨)

١٣٤ - كتابه إلى أحمد بن دينار

وكتب إلى أحمد بن دينار :

« نحن من السرور أيها الأمير بما قد استفاض من جميل أنرك فيه
تلى مر أعمالك ، رزقك إياها بحزمك وعزك ، واتيانك^(٤) أهلها من
جور من وإيهم قبلك ، وسرورهم بطارك إياك . والكون فى ظل يدك

(١) فى الأصل « درستك » .

(٢) لدى : طى ، يعال : أنا فى دراه : أى فى ك ، وسيره .

(٣) فى الأصل « علقه » .

(٤) اتناشه : مثلاً واستنقده .

وجناحك ، في إمانته من تحضه وتعمه نعمتك ، وتحول به الجول حيث
حالت بك ، فالحمد لله الذي جعل العاقبة لك ، ولم يردد علينا آمالنا فيك
منكوسة ، كما ردها على غيرنا في غيرك ، ولوددت أن أباك كان عاين آثارك
هذه ومناقبك ، وإن كان الافتراق لم يقع بينكما حتى علم أنك خلفه ، وألقى
إليك بأمره ومعاقد إيمته ، وجعلك موضع اختصاصه وأثرته ، وصرف ذلك
عمن كان لا يستحقه ، ودم سالف رأيه فيك وفيه ، وحمد آخره ، ثم نعمة
اتصلت لك بما قبلها ، انتظمت بها أسورك فاعتدلت ، وتلاخمت عليها
واتسقت : ما نجت في كاتبك . ومستقر ثقتك ، وحامل أعبائك ، من
الكفاية والنصيحة . ووضعيه عن قلبك مئونة الشهمة والقص لأثره ،
وإدخاله راحة الطمأنينة إليه . وروح الثقة به ، لا كما ابتلي أخوك^(١) ، فإنه
صحبته نخلط عليه أمره ، وأفشى أسرارَه إلى صاحب بريده ، فأنقل^(٢) ذلك
ينهم ، وقطع حبالهم . حتى هجنت^(٣) آثاره مع حسنها ووضوحها ،
وصفرت يده من حظ عمله ، ولزمه الذم من أهله ، فهذه كتبه إلى ،
في أطراح نصيحة له كانت فيه ، ويسألني أن أشخص إليه كاتباً يحمل
ثقله ، ويفتح له ما أرتجيه^(٤) من أمره ، وهذا من سعادة جدك ، ويؤمن
طائرک، وإقبال الأمور إليك ، وسعيها على طريق موافقتك ، وهنيئاً . هنأك

(١) جاء في تاريخ الطبري ١٠ : ٣٦٢ « وفي سنة ٢٢٤ - في خلافة المعتصم - ولي حمزة بن دينار
اليمس ، وجاء فيه أيضا ١١ : ١٨ « وفي سنة ٢٣١ ولي الواثق حمزة بن دينار اليمس » .

(٢) الإيصال : أحد لرحل الفأس لقطع القناد لإبله ، والمعنى هنا قطع .

(٣) أي قسحت .

(٤) أي ما أعلفه .

الله نعمة خاصها وعامها ، وأوزعك^(٦) شكرها ، وأوجب لك بالشكر
أحسن الزيد فيها . (اختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٣٠٠)

١٣٥ - كتابه إلى نصراني أسلم

وكتب محمد بن مكرم إلى نصراني أسلم .

« أما بعد : فالحمد لله الذي وفقك لشكره ، وعرفك هدايته ، فظهر
من الارتياح قلبك ، ومن الاقتراء عليه لسانك ، وما زالت مخايلك ممثلة لنا
جميل ما وهبه الله لك ، حتى كأنك لم تزل بالاسلام موسوما ، وإن كنت على
غيره مقيا ، وكنا مؤملين لما صرت إليه ، مُشفقين لك مما كنت عليه ، حتى
إذا كاد إشفاقنا يستعلي رجاءنا ، أتت السعادة بما لم تزل الأنفس تعدّ
منك ، فأسأل الله الذي نور لك في رأيك ، وأضاء لك سبيل رشدك ، أن
يوفقك لصالح العمل ، وأن يؤتيك في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ،
ويقيك عذاب النار . »

(اختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٣٠٥ . وزهر الآداب ١ : ٣٢٥)

١٣٦ - كتابه إلى حاج

وكتب تهنئة لحاج :

« بلغك الله الرضا في أملاك ، من تخرج كل حاجة ، وإبلاغ كل أمنية ،
وتقبل كل دعوة خصصت بها نفسك أو عمت بها أحدا من أهلك ، في

عجائب وفُوده ، ومُعْتَزَلِ قَرَارِهِ . فَكُنْتَ شَافِعَ مَنْ شَاهَدَكَ ، وَوَافِدَ مَنْ
غَاب عَنْكَ ، يَسْتَفْتِحُ بِدَعَائِكَ ، وَيُرْجِي بِرُكَّةِ مَحْضَرِكَ ، وَالْقُرْبَةَ إِلَى اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ بِفَضْلِ جَاهِكَ » . (اختيار النظم والمثور ١٣ : ٢٩٩)

١٣٧ - كتابه إلى بعض الرؤساء

وكتب ابن مكرم إلى بعض الرؤساء يعتذر :
« نَبَتُ بِي عَنْكَ ^(١) غِرَّةَ الْحَدَاثَةِ ، فَرَدَّتْنِي إِلَيْكَ التَّجَرِبَةُ ^(٢) ، وَبَاعَدَتْني
عَنْكَ الثِّقَةُ بِالْأَيَّامِ ، فَأَذْنَتْنِي إِلَيْكَ الضَّرُورَةُ ، ثِقَةً بِإِسْرَاعِكَ إِلَيَّ وَإِنْ أَبْطَأْتُ
عَنْكَ ، وَقَبُولِكَ لِعُذْرِي وَإِنْ قَصَّرْتُ عَنْ وَاجِبِكَ ، وَإِنْ كَانَتْ ذُنُوبِي قَدْ
سَدَّتْ عَلَى مَسَالِكَ الصَّفْحِ عَنِّي . فَرَاجِعْ فِي مَجْدِكَ وَسُوءِ دُذْدِكَ ، وَإِنِّي
لَا أَعْرِفُ مَوْقِفًا أَذِلُّ مِنْ مَوْقِفِي ، لَوْلَا أَنَّ الْمَخَاطِبَةَ فِيهِ لَكَ ، وَلَا خُطَّةً أَدْنَى
مِنْ خُطَّتِي ، لَوْلَا أَنَّهَا فِي طَلَبِ رِضَاكَ ^(٣) » .

(زهر الآداب ٣ : ٣٨٢ ، وعيون الأخبار ٣ : ص ١٠٥)

١٣٨ - كتابه إلى سليمان بن وهب

وله إلى سليمان بن وهب يعزيه عن أخيه الحسن :
« لئن أَطْنَبْتُ فِي وَصْفِ جَلَالَةِ الْمَصِيبَةِ بِفُلَانٍ ، لَأَجِدَنَّ مِنَ الْقَوْلِ

(١) بَاعَهُ : تَحَافَى وَتَبَاعَدَ ، وَالْمِرَّةُ : الْعَفْلَةُ .

(٢) وَفِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ « الْحَنَكَةُ » - بِالضَّمِّ - .

(٣) وَفِيهِ : « وَإِنْ كَانَتْ ذُنُوبِي قَدْ سَدَّتْ عَلَيْكَ مَسَالِكَ الصَّفْحِ ، فَأَيُّ مَوْقِفٍ هُوَ أَدْنَى مِنْ هَذَا
الْمَوْقِفِ ، لَوْلَا أَنَّ الْمَخَاطِبَةَ فِيهِ لَكَ ، وَأَيُّ خُطَّةٍ هِيَ أَوْدَى بِصَاحِبِهَا مِنْ خُطَّةِ أَنَا رَاكِبُهَا ، لَوْلَا أَنَّهَا
فِي رِضَاكَ ؟ » .

مُسْتَعْرِضًا فَسِيحًا يَزِيدُ الْإِيمَانَ فِيهِ عَلَى غَايَتِهِ بُعْدًا ، وَلِئِنْ أَسْهَبْتُ فِي ذِكْرِ
ثَوَابِهَا - الَّذِي إِذَا خَطَرَتِ الدُّنْيَا لِأَقْلِهِ لَهَا كَانَتْ بِهِ وَفَاءً وَلَهُ تَبَعًا^(١) -
لَا أَجِدَنَّ أَرْحَبَ مِنْهُ مَذْهَبًا ، وَأَوْسَعَ نَجَالًا وَمُضْطَرِبًا ، فَعَمِلَ اللَّهُ حَظَّكَ حَظًّا
الصَّابِرِينَ الْمُحْتَسِبِينَ ، الَّذِينَ عَرَفُوا فَسَلَّمُوا ، وَأَيَقَنُوا فَصَبَرُوا ، وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا
إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، أَخَذًا بِأَدَبِ اللَّهِ الَّذِي قَرَنَ بِهِ صَلَاتَهُ وَرَحْمَتَهُ ، وَرَحِمَ اللَّهُ
فَلَانًا رَحْمَةً تَأْتِي مِنَ وَرَاءِ زَلَلِهِ ، وَتُعْنِي عَلَى فَرَطَاتِ لِسَانِهِ وَيَدِيهِ ، فَلَقَدْ ظَنَنْ
عَنِ الدُّنْيَا مَحْمُودًا مَفْقُودًا ، قَدْ أَطَالَ تَفَجُّعَ عَشِيرِهِ وَخَلِيلِهِ ، وَصَدَعَ فِي قَلْبِهِ ،
وَجَافَى جَنْبَهُ ، وَأَعْدَمَهُ سَلْوَةُ الْعِوَضِ ، وَرَاحَةُ السَّكُونِ إِلَى أَحَدٍ .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ الرَّمْضَ^(٢) وَالْمُهْلَعَ إِنَّمَا يَكُونَانِ لِلْمُصِيبَةِ الْخَاصَّةِ الَّتِي
لَا تَعْدُو صَاحِبَهَا ، وَلَا يَجِدُ مُسْعِدًا عَلَيْهَا ، وَلَا شَرِيكَاءَ فِيهَا ، وَقَدْ أَمَانَكَ اللَّهُ
عَلَى مُصِيبَتِكَ بِالْوَاشِعِ^(٣) رَحِمًا بِكَ ، وَالْبَعِيدِ نَسَبًا مِنْكَ ، وَجَمَعَ فِي ثِقَلٍ
مَحْمِلَهَا وَأَلَمٍ فَجَعَهَا صَدِيقَكَ وَعَدُوَّكَ ، وَكُلُّ مُكْتَسِبٍ مِنْهَا سِرْبَالٍ وَخَشْيَةٍ ،
وَمُنْطَوِيٍّ عَلَى دَخِيلٍ حَزَنٍ ، وَنَاطِرٍ مِنْ أَعْقَابِهَا فِي مَنَظَرٍ وَغَيْرٍ ، فَجَمِيعُهُمْ^(٤)
فِيهَا مُشْتَرِكٌ ، وَأَنْتَ بِالتَّعَزُّيِ حَقِيقٌ قَرِينٌ^(٥) ، عَلَى أَنَّهَا لَوْ خَصَّتْكَ لَكَانَ
فِي عِلْمِكَ - بِأَنَّ كُلَّ مُصِيبَةٍ سَلِمَتْ مِنْ شَائِنَةٍ تَنْتَقِصُ ثَوَابُهَا فِيهِ النِّعْمَةُ
الْوَافِيَةُ ، وَكُلُّ مُصِيبَةٍ تَحْيِفُ^(٦) جَزَاءُهَا أَجْرَهَا فِيهِ الرِّزْيَةُ الْبَاقِيَةُ - مَا أَغْذَاكَ

(١) فِي الْأَصْلِ هَكَذَا « سَا » .

(٢) الرَّمْضُ : حُرْقَةُ الْعَيْطِ .

(٣) وَشَحْتُ بِكَ قِرَانَهُ كَوَعْدٍ : اِشْتَرَاكَ ، وَلَوَاشِعَةٌ : بِرَحْمَةِ شَكَاةٍ .

(٤) فِي الْأَصْلِ « مَعْلُوكٌ » .

(٥) أَيُّ حَقِيقٍ أَيْضًا ، نَكْسَرُ الْمِيمَ وَنَحْبِ وَكَمَا يَرِ .

(٦) أَيُّ تَنْقِصٍ .

وكفاك عن أن تعيش من غيرك ، أو تعول في حظك على سواك ، وأن
يتخطى الجزعُ نعمةَ الله عليك إلى قلبك ، أو يجتازها إلى عزمك ، اللهم إلا
ملا تملكه النفسُ في بدء الصدمة من لوعة الفرقة حتى تقسيم أمرها ،
وتصيرَ إلى أخذ مالها وترك ما عليها ، فتفتناً^(١) بفوز قدحك ، وبُغْم سَهْمك ،
ويُبتقى الله أثرَك منهجاً لغيرك ، فقد يما وهب الله لك الخيرة في رأيك ،
والتوفيق في إيرادك وإصدارك ، فله الحمدُ ومنه المعونةُ على الشكر ، وبطونه
يُستحقُّ المزيدُ ، فإن رأيتَ أن تأمر بالكتاب إلى بما نفسى إليه متطلعةً ،
وإله مرجى ، من صبرٍ إن كان عزم لك عليه ، أتمخِذك فيه إماماً ، وأروح
عن قلبي براحة قلبك ، أو غيره^(٢) - لا ابتلاك الله به - فأقضي فيه معك ،
وأحلّ فيه محلتك ، فعلتَ إن شاء الله . (اختيار المنظوم المشور ١٣ : ٣١٩)

١٣٩ - كتاب محمد بن مكرم إلى أبي العيناء

وكتب محمد بن مكرم إلى أبي العيناء .

« أما بعدُ ، فإنني لأعرف للمعروف طريقاً أُخْزَنَ^(٣) ولا أوعَرَ من
طريقه إليك ، ولا مستودعاً أقلَّ زَكَاةً^(٤) ولا أبعدَ من ثمرة خيرٍ من مكانه
عندك ، لأنه يحصلُ منك المعروفُ في حَسَبِ دَنَى ، ولسانٍ بَدَى ،

(١) فتى كفرح : انكسر عضه ، وفي الأصل معناه « وربما كان « قتها » .

(٢) معطوف على « صبر » .

(٣) أى أوعر ، من الحزن بالفتح : وهو ماغلط من الأرض .

(٤) الزكاة : الباء والصلاح .

وَجَهْلٍ قَدْ مَلَكَ عَلَيْكَ عِيَانُكَ ، فَاَلْمَعْرُوفُ لَدَيْكَ ضَائِعٌ ، وَالشُّكْرُ عِنْدَكَ
مَهْجُورٌ ، غَايَتُكَ فِي الْمَعْرُوفِ أَنْ تَجْزُرَهُ ^(١) ، وَوَلِيَّهِ أَنْ تَكْفُرَهُ ^(٢) .

(النظوم والنثور ١٣ : ٤١١)

١٤٠ - فصول لابن مكرم

فصل له :

« إِنْ مِنْ النِّعْمَةِ عَلَى الْمُتَنَبِّئِ عَلَيْكَ إِلَّا يَخَافُ الْإِفْرَاطَ ، وَلَا يَأْمَنُ
التَّقْصِيرَ ، وَيَأْمَنُ أَنْ تَلْحَقَهُ نَقِصَةُ الْكَذِبِ ، وَلَا يَنْتَهِي بِهِ الْمَدْحُ إِلَى غَايَةٍ
إِلَّا وَجَدَ فَضْلَكَ تَجَاوَزَهَا ، وَمِنْ سَعَادَةِ جَدُّكَ أَنْ الدَّاعِيَ لَا يَنْدَمُ ^(٣) كَثْرَةَ
الْمُتَابِعِينَ لَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ » .



وفصل له :

« السِّيفُ الْعَتِيقُ إِذَا أَصَابَهُ الصَّدَأُ ، اسْتَغْنَى بِالْقَلِيلِ مِنَ الْجِلَاءِ ، حَتَّى
تَعُودَ جِدَّتُهُ ، وَيُظْهَرُ فِرْنَدُهُ ^(٤) ، لِلِّينِ طَبِيعَتُهُ ، وَكِرَمِ جَوْهَرِهِ ، وَلَمْ أَصْفِ
نَفْسِي لَكَ عَجَبًا بِكَ بَلْ شُكْرًا » .



وفصل له :

(١) أى تقطعه وتستأصله وفي الأصل « تخرره » وهو تصحيف . وربما كان « تحفره » كما في النقد .
(٢) يقدم لك (في الجزء الثالث ص ٤٥٦) أن صاحب العهد الفريد روى هذا الكتاب - بصورة
أخصر من ذلك - معروا إلى أحمد بن يوسف . ولا أورد هارداً أبي العياد على ابن مكرم لما فيه من
إغشاش صريح لا يليق بشعره .
(٣) في الأصل « لا يقدم » وهو تحريف .
(٤) فرند السيف : جوهره .

« زاد معروفك عندي عِظْماً أنه عندك مستور حقير ، وعند الناس مشهور كبير ^(١) » .



وكتب في التنصل :

« لاقِ عَظِيمَ أَمَلِي فِيكَ ، مَا أَتَيْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ ذَنْبًا : مُخْطِئًا وَلَا مُتَعَمِّدًا ، وَاعِلٌ فَلْتَةً لَمْ أُلْقِ لَهَا بَالًا ، فَأَوْطَيْتُ لَهَا اعْتِذَارًا ، وَإِنْ تَكُنْ ، فُبُغْيَةٍ حَاسِدٍ زَخَرَفَهَا عَلَى لِسَانٍ وَاشٍ نَبَذَهَا إِلَيْكَ فِي بَعْضِ غِرَّاتِكَ ، أَصَابَتْ مِنِّي مَقْتَلًا ، وَشَفَّتْ مِنْكَ غَلِيلًا » . (العقد الفريد ٢ : ١٩٤ ، ١٩٦)



وله

« لَا تَرَكْنِي مَعْلَقًا بِحَاجَتِي ، فَالصَّبْرُ الْجَمِيلُ خَيْرٌ مِنَ الْمَطْلِ الطَوِيلِ » .



وله :

« إِنَّهُ يَسْهَلُ عَلَيَّ فِي طَلَبِ حَاجَتِي إِلَيْكَ أَمْرَانِ فِي نَفْسِي ، وَأَمْرَانِ فِيكَ . فَأَمَّا اللَّذَانِ فِي نَفْسِي فَأَنِّي لَسْتُ أَضِيقُ عَنْكَ بِعَذْرِي ، وَلَا أَصُونُ عَنْكَ شُكْرِي . وَأَمَّا اللَّذَانِ فِيكَ ، فَسُرُورُكَ إِنْ أَجْدَيْتَ ^(٢) ، وَصِحَّةُ عَذْرِكَ إِنْ أَكْدَيْتَ ^(٣) » . (اختيار المنظوم والمثثور ١٣ : ٣٩٣)

(١) أخذه الشاعر فقال :

زاد معروفك عندي عِظْماً أنه عندك مستور حقير
تناساه كأن لم تأه وهو عند الناس مشهور كبير

(٢) أجدي : أعطى .

(٣) أكدي : بخل أو قل خيره أو قل عطاءه .

١٤١ - كتاب سعيد بن موسى إلى أبي شراعة

وكتب أبو شراعة^(١) إلى سعيد بن موسى بن سعيد بن مسلم بن قتيبة
يستهديه نبذاً ، فكتب إليه سعيد :

« إذا سألتني - جعلني الله فداؤك - حاجة فاشتطط ، واحتكم فيها حكم
الصبي على أهله ، فإن ذلك يسرني وأسارع إلى إجابتك فيه » .
وأمر له بما التمس من النبذ ، فزجه صاحب شرا به وبعث به إليه .

١٤٢ - رد أبي شراعة على سعيد بن موسى

فكتب إليه أبو شراعة :

« أمتنسي^(٢) الله أجلك ، وأستعيذه من الآفات لك ، وأستعينه على
شكر ما وهب من النعمة فيك ، إنه لذلك وليّ ، وبه ملىّ .
أتاني غلامك المليح قدّه ، السعيد بملككتك^(٣) جدّه ، بكتاب قرأته
غير مستكره اللفظ ولا مزور^(٤) عن القصد ، ينطق بحكمتك ، ويؤين عن
فضلك . نوالله ما أوضّح لي خفيّاً ، ولا زادني بك علماً ، وإذا أنت تسأل

(١) هو أحمد بن محمد بن شراعة ، من بكر بن وائل ، شاعر بصرى من شعراء الدولة العباسية ،
حيد الشعر ، وهو كالدوى في مذهبه ، وكان يتعاطى الرسائل والخطب مع شعره ، وكان صديقاً
لإبراهيم بن المدبر أيام تقلده البصرة أميراً عنده - انظر ترجمته في الأمانى ٢٠ : ٣٥ .

(٢) أى أسأله أن يطبل أحلاك .

(٣) الملكة : الملك .

(٤) رور : مال وانحرف ، واقصد : استقامة الطريق .

فيه أن تهَبَ ، وتحب أن تُحمَد ، ولا غَرَوُ^(١) أن تفعل ذلك ، ومن كَتَبَ^(٢)
أخذته ، وعن كِلالة^(٣) وغير كِلالة ورثته ، موسى أبوك ، وسعيد جدك ،
وعمرؤ عمك ، ولك دار الصلة ودار الضيافة ، وصاحب البغلة الشهباء^(٤) ،
وحُصَيْن بن الحُمَامِ^(٥) ، وعُرْوَة بن الورد^(٦) ، ففي أى غَلَوَاتِ^(٧) المجد يطمع
قرينك أن يستولى على المدى والأمد ، والأمدُ دونك .

وكتابك إلى أن أتحمم عليك تحمُّ الصبي على أهله ، فلشدَّ ماجررتَ
إلى معروفك ، ودَلَلتَ على الأنس بك ، وحاشا للمحكوم له والمحكوم عليه
في ذات الحَسَبِ العتيق^(٨) ، والمنظر الأنيق ، الذي يسرَّ القلب ، ويلاثم
الرُّوح ، ويطرُدُ الهم :

تَدِبُ خِلَالَ شُئُونِ الْفَتَى دَيْبَ دَبَا النَّمْلَةِ الْمُنْتَعِشِ^(٩)

(١) لاغرو ولا غروى : لا عجب .

(٢) أى من قرب .

(٣) الكِلالة : ما لم يكن من النسب لحما ، قال الفرزدق : « ورثم فناء الملك لاعن كِلالة » أى ورثموها وراثته قرب لا وراثته بعد ، قال عامر بن الطفيل :

وما سودتى عامر عن كِلالة أبى الله أن أسمو بأُم ولا أب

ومنه قولهم : هو ابن عم كِلالة ، أى بعيد النسب ، فإذا أرادوا القرب قالوا هو ابن عم دية (بكسر الدال) .

(٤) شهباء ذات شهبة بالضم ، وهى بياض يصدعه سواد .

(٥) كان سيد بى سهم بن مرة ، وكان يقال له : مانع الضيم ، وهو شاعر جاهلي مقلِّد - انظر ترجمته في الأغاني ١٢ : ١١٨ ، والشعر والسعراء ص ٢٤٧ .

(٦) شاعر من شعراء الجاهلية ، وفارس من فرسانها ، وكان يلقب : عروة الصعاليك ، لسفائه ،

وهو من بى عبس - انظر ترجمته في الأغاني ٢ : ١٨٤ ، والشعر والسعراء ص ٢٦٠ .

(٧) الغلوة : الغاية قدر رمية سهم أبعد ما يقدر عليه ، ويقال : هى قدر ثلثمائة ذراع إلى أرمائة ، وقد تستعمل الغلوة في سباق الخيل ، - وهو المقصود هنا - والمدى والأمد : الغاية .

(٨) يعنى الحر .

(٩) الدبا : أصغر النمل .

إِذَا فُتِحَتْ فَعَمَتْ رِيحُهَا وَإِنْ سِيلَ حَمَارُهَا قَالَ : « خَشْ »^(١)
فَإِنْ كُنْتَ رَعَيْتَ لَهَا عَهْدًا ، وَحَفِظْتَ لَهَا عِنْدَكَ يَدًا ، فَانْظُرْ رَبَّ
الْحَانُوتِ^(٢) فَاْمُطِّلْهُ دَيْنَهُ ، واقطع السبب بينك وبينه ، فقد أساء
صُحْبَتَهَا ، وَأَفْسَدَ بِالمَاءِ جُسَّتَهَا^(٣) ، وَسَلَّطَ عَلَيْهَا عَدُوَهَا ، وَاعْلَمْ بِأَنْ أَبَاكَ
الْمُتَمَثِّلُ بِقَوْلِهِ :

يَرَى دَرَجَاتِ الْمَجْدِ لَا يَسْتَطِيعُهَا فَيَقْعُدُ وَسَطَ الْقَوْمِ لَا يَتَكَلَّمُ
وَقَدْ بَسَطَتْ قَدْرَتُكَ لِسَانَكَ ، وَأَكْثَرْتَ لَكَ الْحَمْدَ ، فَدُونِكَ نُهْرَةٌ^(٤)
الْبِدِيَّةُ مِنْهُ فَقَالَ :

وَبَادِرْ بِمَعْرُوفٍ إِذَا كُنْتَ قَادِرًا زَوَالَ افْتِقَارٍ أَوْغَى عَنْكَ يُعْقِبُ
وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ بِقَرَابَةٍ^(٥) مَعَ الرَّسُولِ ، وَأَنْشَأَتْ فِي إِثْرِهَا أَقُولُ :
إِلَيْكَ ابْنُ مُوسَى الْجُودِ أَعْمَلْتُ نَاقَتِي مُجَلَّلَةً يَضْفُو عَلَيْهَا جِلَالُهَا^(٦)
كَثُومُ الْوَجَى لَا تَشْتَكِي أَلَمَ الشَّرَى سَوَالٍ عَلَيْهَا مَوْتُهَا وَاعْتِلَالُهَا^(٧)
إِذَا شَرِبَتْ أَبْصَرَتْ مَا جَوْفُ بَطْنِهَا وَإِنْ ظَمِئَتْ لَمْ يَدُ مِنْهَا هُزَالُهَا
وَإِنْ تَحَمَلَتْ حِمْلًا تَكَلَّفُ حِمْلُهَا وَإِنْ حُطَّ عَنْهَا لَمْ أَبْلُ كَيْفَ حَالُهَا^(٨)

(١) فغمه الطيب كعب : سد خياشيمه ، وسال يسال : لغة في سأل الهموز ، وخش : كلمة فارسية
تفسيرها : طيب .

(٢) الحانوت : دكان الحمار ، ويقال : مطله حقه ، وبه .

(٣) وربما كانت « حسنبا » .

(٤) النهرة : العرصة . (٥) أى بنى قرابة .

(٦) الجلال جمع جل بالضم والفتح : وهو ما تلبيه الدابة لتصان به ، وجلالها : ألبسها الجل ، وثوب
ضاف : أى سانح .

(٧) الوحى : الحنفى أو أشد منه . والشرى : سيرة عامة الليل .

(٨) يقال : ما باليت وما ليت به : أى لم أكرت به ، ولم أبال ولم أبل ، حذفوا الألف تخفيفا
لكثرة الاستعمال .

بعثنا بها تسمو العيون وراءها إليك ، وما يُخشى عليها كلالها^(١)
وغنى مُغنيننا بصوتٍ فشاقتني متى راجعٌ من أم عمرو خيالها
أحبُّ لكم قيسَ بن عيلانَ كلَّها ويُعجِبني فُرسائُها ورجالُها^(٢)
ومالي لا أهوى بقاء قيسلة أبوك لها بدتر وأنت هلالها !
فبعث إليه برسوله الذي حمل إليه النبذ ، وبصاحب شرابه ، وكل
ما كان في خزانته من الشراب ، وبثلثمائة دينار . (الأغانى ٢٠ : ٤٠)

١٤٣ - كتاب البيعة للمتصر بالله

ومات المتوكل على الله سنة ٢٤٧ هـ فبويع ابنه المنتصر بالله بالخلافة ،
وكانت نسخة البيعة التي أخذت له :

« بسم الله الرحمن الرحيم : ثبايمون عبد الله المنتصر بالله أمير المؤمنين ،
بيعة طوع واعتقاد ، ورضا ورغبة ، بإخلاص من سرائركم ، وانشراح
من صدوركم ، وصدق من نيّاتكم ، لا مكرهين ولا مُجبرين ، بل مُقرّين
عالمين بما في هذه البيعة وتأكيدها ، من طاعة الله وتقواه ، وإعزاز دين الله
وحقه ، ومن عموم صلاح عباد الله ، واجتماع الكلمة ، ولم الشعث ،
وسكون الدماء^(٣) ، وأمن العواقب ، وعزّ الأولياء ، وقمع الملحدين ، على
أن محمدا الإمام المنتصر بالله عبد الله وخليفته المفترض عليكم طاعته ومناصحته ،

(١) الكلال : الإعياء .

(٢) لكم أى لأجلكم ، وقيس : هو قيس بن عيلان بن مضر . والمعنى : أحب جميع العرب
الاضرية لأجلكم (وسعيد الكتوب إليه من باهلة ، وهم بنو مالك بن أعصر بن سعد بن قيس) .

(٣) الدماء : جماعة الناس .

والوفاء بحقه وعقده ، لا تشككون ولا تذهنون^(١) ، ولا تميلون ولا ترتابون ،
وعلى السمع له والطاعة ، والمسألة والنصرة ، والوفاء والاستقامة ، والنصيحة
في السر والعلانية ، والخفوف^(٢) والوقوف عند كل ما يأمر به عبد الله
الإمام المنتصر بالله أمير المؤمنين ، وعلى أنكم أولياء أوليائه ، وأعداء أعدائه ،
من خاص وعام ، وأبعد وأقرب ، وتمسكون ببيعه بوفاء العقد ، وذمة
العهد ، سرائركم في ذلك مثل علانيتكم ، وضامركم مثل ألسنتكم ، راضين
بما يرضاه لكم أمير المؤمنين في عاجلكم وآجلكم ، وعلى إعطائكم أمير المؤمنين
بعد تجديدكم بيعته هذه على أنفسكم ، وتأكيدهم إياها في أعناقكم ، صفة
أيمانكم راغبين طائعين ، عن سلامة من قلوبكم وأهوائكم ونياتكم ، وعلى
ألا تسعوا في نقض شيء مما أكد الله عليكم ، وعلى ألا تميل بكم ميل^(٣)
في ذلك عن نصرة وإخلاص ، ونصح وموالة ، وعلى أن لا تبدلوا ، ولا
يرجع منكم راجع عن نيته وانطوائه إلى غير علانيته ، وعلى أن تكون
بيعتكم التي أعطيتكم بها ألسنتكم وعهودكم ، بيعة يطلع الله من قلوبكم على
اجتبابها^(٤) راعية دها ، وعلى الوفاء بدمته بها . وعلى إخلاصكم في نصرتها
وموالة أهلها ، لا يشوب ذلك منكم دغل^(٥) ولا إذهان ، ولا أحنيا ولا
تأول ، حتى تلقوا الله موفين بعهده ، ووديين حقه عليكم ، غير

(١) الإذهان : إظهار خلاف ما يصر ، والعش .

(٢) الخفوف : العجلة وسرعة السير .

(٣) ميل بالفتح مصدر كميل ، ويصح أن يكون بالضم اسم فعل .

(٤) اجتناه : اختاره .

(٥) الدغل : الفساد .

مستشرفين^(١) ولا ناكثين ، إذ كان الدين يبايعون منكم أمير المؤمنين إنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِثْقَلُ ذَرَّةٍ مِنْهُ جَزَاءٌ عَظِيمًا ، عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ وَبِمَا أَكَّدْتُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ فِي أَعْنَافِكُمْ ، وَأَعْطَيْتُمْ بِهَا مِنْ صَفْقَةِ أَيْمَانِكُمْ ، وَبِمَا اشْتَرِطَ عَلَيْكُمْ بِهَا ، مِنْ وَفَاءٍ وَنَصْرِ وَمُؤَالَاةٍ وَاجْتِهَادٍ وَنُصْحٍ ، وَعَلَيْكُمْ عَهْدُ اللَّهِ إِنْ عَاهَدَ كَانَ مَسْثُولًا ، وَذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ ، وَأَشَدُّ مَا أَخَذَ عَلَى أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ وَعَلَى أَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ مِنْ مَتَأْكُودٍ وَثَائِقَةٍ ، أَنْ تَسْمَعُوا مَا أَخَذَ عَلَيْكُمْ فِي هَذِهِ الْبَيْعَةِ وَلَا تَبَدِّلُوا ، وَأَنْ تُطِيعُوا وَلَا تَعْصُوا ، وَأَنْ تُخْلِصُوا وَلَا تَرْتَابُوا ، وَأَنْ تَتَمَسَّكُوا بِمَا عَاهَدْتُمْ عَلَيْهِ تَمَسُّكَ أَهْلِ الطَّاعَةِ بِطَاعَتِهِمْ ، وَذَوِي الْعَهْدِ وَالْوَفَاءِ بِوَفَائِهِمْ وَحَقِّهِمْ ، لَا يَلْفِتِكُمْ عَنْ ذَلِكَ هَوًى وَلَا تَمِيلَ ، وَلَا يَزِيغَ بَكُمْ فِيهِ ضَلَالٌ عَنْ هُدًى ، بِإِذْلِينَ فِي ذَلِكَ أَنْفُسَكُمْ وَاجْتِهَادَكُمْ ، وَمَقَدِّمِينَ فِيهِ حَقَّ الدِّينِ وَالطَّاعَةِ ، بِمَا جَعَلْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْكُمْ فِي هَذِهِ الْبَيْعَةِ إِلَّا الْوَفَاءَ بِهَا ، فَمَنْ نَكَثَ مِنْكُمْ مِمَّنْ بَايَعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذِهِ الْبَيْعَةَ عَمَّا أُكِّدَ عَلَيْهِ ، سِرًّا أَوْ مُعَلِّنًا ، أَوْ مُصَرِّحًا أَوْ مُحْتَالًا ، فَأَذْهَنَ فِيمَا أُعْطِيَ اللَّهُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَفِيمَا أَخَذَتْ بِهِ مَوَاقِيقُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَهْدُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، مُسْتَعْمِلًا فِي ذَلِكَ الْهَوَيْنِ دُونَ الْجِدِّ ، وَالرُّكُودَ إِلَى الْبَاطِلِ دُونَ نُصْرَةِ الْحَقِّ ، وَزَاغَ عَنِ السَّبِيلِ الَّتِي يَعْتَصِمُ بِهَا أُولُو الْوَفَاءِ مِنْهُمْ بِعَهْدِهِمْ ، فَكُلُّ مَا يَمْلِكُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ خَانٍ فِي ذَلِكَ بِشَيْءٍ نَقَضَ عَهْدَهُ ، مِنْ مَالٍ أَوْ عَقَارٍ أَوْ سَائِمَةٍ

(٢) استنصره حقه : طلبه ، وسيأتي في كتاب البيعة للمعتر « غير مستريين » .

أَوْزَرَ أَوْ ضَرَعَ ، صَدَقَةٌ عَلَى الْمَسَاكِينِ فِي وَجْهِهِ سَبِيلُ اللَّهِ ، مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَرْجِعَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ إِلَى مَالِهِ ، عَنْ حِيلَةٍ يَقْدُمُهَا لِنَفْسِهِ أَوْ يَحْتَالُ بِهَا ، وَمَا أَفَادَ^(١) فِي بَقِيَّةِ عَمْرِهِ مِنْ فَائِدَةِ مَالٍ ، يَقِلُّ خَطَرُهَا أَوْ يَجِلُّ قَدْرُهَا ، فَتِلْكَ سَبِيلُهُ إِلَى أَنْ تُؤَافِقَهُ مَنِيَّتُهُ ، وَيَأْتِيَّ عَلَيْهِ أَجَلُهُ ، وَكُلُّ مَمْلُوكٍ يَمْلِكُهُ الْيَوْمَ إِلَى ثَلَاثِينَ سَنَةً مِنْ ذِكْرٍ أَوْ أَنْثَى ، أَحْرَارٌ لَوَجْهِهِ اللَّهُ ، وَنَسَاؤُهُ يَوْمَ يَلْزَمُهُ الْحِنْتُ ، وَمَنْ يَتَزَوَّجَ بَعْدَهُنَّ إِلَى ثَلَاثِينَ سَنَةً ، طَوَالِقُ الْبَتَّةِ طَلَاقُ الْحَرْجِ^(٢) ، لَا مَشْوِيَّةَ^(٣) فِيهِ وَلَا رَجْعَةَ ، وَعَلَيْهِ الْمَشْيُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ثَلَاثِينَ حِجَّةً^(٤) لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ إِلَّا الْوَفَاءَ بِهَا ، وَهُوَ بَرٌّ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْهُ بَرِيئَانِ ، وَلَا قَبِيلَ اللَّهِ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا^(٥) ، وَاللَّهُ عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ شَهِيدٌ ، وَكُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا »

(تاريخ لطبري ١١ : ٧١)

١٤٤ - كتاب المنتصر إلى محمد بن عبد الله بن طاهر

وَفِي سَنَةِ ٢٤٨ أُغْزِيَ الْمُنْتَصِرُ وَصِيْفًا التُّرْكِي - أَحَدَ كِبَارِ الْمَوَالِي الْأَتْرَاكِ -
بِلَادِ الرُّومِ ، وَكُتِبَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ كِتَابًا نَسَخْتُهُ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ الْمُنْتَصِرِ بِاللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ :

سَلَامٌ عَلَيْكَ فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ،

(١) أى استعاد . (٢) انظر ص ١٦١ من الجزء الثالث .

(٣) أى لا استثناء . (٤) الحجة : السنة .

(٥) الصِّرف : البوة ، والعدل : العمدة .

ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله .
 أما بعد : فإن الله - وله الحمد على آلائه ، والشكرُ بحمिल بلائه -
 اختار الإسلام وفضله ، وأتمه وأكمله ، وجعله وسيلةً إلى رضاه ومثوبته ،
 وسبيلاً نهجاً^(١) إلى رحمته ، وسبيلاً إلى مَذْخُورِ كرامته ، فقهر له من خالفه ،
 وأذل له من عَدَّ عن حقه ، وابتغى غير سبيله ، وخصَّه بأتم الشرائع وأكملها ،
 وأفضل الأحكام وأعدلها ، وبعث به خيرته من خلقه ، وصفوته من عباده ،
 محمداً صلى الله عليه وسلم ، وجعل الجهادَ أعظمَ فرائضه منزلةً عنده ، وأعلامها
 رتبةً لديه ، وأنجحها وسيلةً إليه ، لأن الله عز وجل أعز دينه ، وأذلَّ عُتَاةَ
 الشُّرك ، قال الله عز وجل آمِراً بالجهاد ، ومفترضاً له : « انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً
 وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ
 كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ » .

وليست تمنى بالمجاهد في سبيل الله حالاً لا يكابد في الله نصيباً ولا
 أذى ، ولا يُنْفِقُ نفقةً ، ولا يقارعُ عدواً ، ولا يقطع بلداً ، ولا يطا أرضاً ،
 إلا وله بذلك أمرٌ مكتوبٌ ، وثوابٌ جزيل ، وأجرٌ مأمول ، قال الله عز
 وجل : « ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ^(٢) فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 وَلَا يَطْثُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ
 بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ، وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً
 وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ

(١) النهج : الطريق الواضح .

(٢) المخمصة : المحاجة .

مَا كَانُوا يَسْتَلُونَ» ثم أثنى عز وجل بفضل منزلة المجاهدين على القاعدين عنده ، وما وعدهم من جزائه ومثوبته وما لهم من الزلفى عنده فقال : « لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ، فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ، وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ، وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا » .

فبالجهاد اشترى الله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ، وجعل جنته ثمنًا لهم ، ورضوانه جزاء لهم على بذلها وعداً منه حقاً لا ريب فيه ، وحكماً عادلاً لا تبديل له ، قال الله عز وجل : « إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ، فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمَتِ اللَّهِ الَّتِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » وحكم الله عز وجل لأحياء المجاهدين بنصره ، والفوز برحمته ، وأشهد لموتاهم بالحياة الدائمة ، والزلفى لديه ، والخط الجزيل من ثوابه ، فقال : « وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » .

وليس من شيء يتقرب به المؤمنون إلى الله عز وجل من أعمالهم ، ويسعون به في خط أوزارهم ، وفكالك^(١) رقابهم ، ويستوجبون به الثواب

(١) فكالك الرهن بالفتح ويكسر : ما يملك به .

من ربهم ، إلا والجهادُ عنده أعظمُ منه منزلةً ، وأعلى لديه رتبةً ، وأولى بالفوز في العاجلة والآجلة ، لأن أهله بذلوا لله أنفسهم ، لتكون كلمة الله هي العليا ، وسمّحوا بها دون مَنْ وراءهم من إخوانهم وحرّيم المسلمين وَيَضَتُّهُمْ ، ووقموا^(١) يجهادهم العدو .

وقد رأى أمير المؤمنين - لما يُحِبُّه من التقرب إلى الله بجهاد عدوه ، وقضاء حقه عليه فيما استحقّقه من دينه ، والتماس الزُلفى له في إعزاز أوليائه ، وإحلال البأس والنقمة بمن حادّ عن دينه ، وكذب رسله ، وفارق طاعته - أن يُنهِض « وصيفاً » مولى أمير المؤمنين في هذا العام إلى بلاد أعداء الله الكفرة الرُّوم غازياً ، لما عرّف الله أمير المؤمنين من طاعته ومناصحته ، ومحمود تعبته ، وخلوص نيته في كل ما قرّبه من الله ومن خليفته .

وقد رأى أمير المؤمنين - والله وليّ معونته وتوفيقه - أن يكون موافاةً « وصيفٍ » فيمن أنهِض أمير المؤمنين معه من مواليه وجنده وشاكريّته^(٢) ثغرةً عطيةً^(٣) ، لِاثنتي عشرة ليلةً تخلو من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين ، وذلك من شهور العَجَم للنّصف من حَزِيران ، ودخوله بلاد أعداء الله في أول يوم من تمّوز .

فأعلم ذلك واكتب إلى عمالك على نواحي عَمَلِك بنسخة كتاب أمير المؤمنين هذا ، ومُرهم بقراءته على مَنْ قِبَاهُم من المسلمين ، وترغيبهم في الجهاد

(١) أي أدلوا واهربوا .

(٢) الشاكريّ : الأخير واستخدم .

(٣) قال ياقوت في معجمه « ما طبعه بفتح أوله وثابه وسكون الطاء وتحفيف اياء ، والعامّة تقول به بتشديد الياء وكسر الطاء : الله من بلاد الروم مشهورة مدكوره تتاحم الشام » .

وَحَثُّهُمْ عَلَيْهِ ، وَاسْتِنْفَارِهِمْ إِلَيْهِ ، وَتَعْرِيفِهِمْ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنَ الثَّوَابِ لِأَهْلِهِ ، لِيَعْمَلَ ذَوُو النِّيَّاتِ وَالْحِسْبَةِ وَالرَّغْبَةَ فِي الْجِهَادِ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ فِي التَّهَوُّضِ إِلَى عَدُوِّهِمْ ، وَالْخُفُوفِ إِلَى مُعَاوَنَةِ إِخْوَانِهِمْ ، وَالذِّيَادِ عَنْ دِينِهِمْ ، وَالرَّيِّ مِنْ وَرَاءِ حَوَازِتِهِمْ ، بِمُوَافَاةِ عَسْكَرِ « وَصِيف » مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَلَطِيَّةَ فِي الْوَقْتِ الَّذِي حَدَّه أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

وكتب أحمد بن الخطيب^(١) لسبع ليالٍ خَلَوْنَ مِنَ الْحَرَمِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ . (تاريخ الطبري ١١ : ٧٤)

١٤٥ — رُقْعَةُ الْمُعْتَزِّ وَالْمُؤَيَّدِ فِي خَلْعِ أَنْفُسِهِمَا مِنَ الْبَيْعَةِ

وَسعى الأثرأُكُ سَعْيِهِمْ - بِتَدْيِيرِ الْوَزِيرِ أَحْمَدَ بْنِ الْخَطِيبِ - لَدَى الْمُتَنَصِّرِ ، فِي أَنْ يَخْلَعَ أَخُوَيْهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمُعْتَزِّ وَإِبْرَاهِيمَ الْمُؤَيَّدَ مِنَ الْخِلَافَةِ ، فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى فَعَلَ ، وَاسْتَكْتَبَ كُلَا مِنْهُمَا رُقْعَةً بِخَطِّهِ أَنَّهُ خَلَعَ نَفْسَهُ مِنَ الْبَيْعَةِ ، وَقَامَا فِيمَنْ اجْتَمَعَ مِنْ وَجُوهِ النَّاسِ فَأَعْلَنَا ذَلِكَ لَهُمْ ، وَكَانَتْ النُّسْخَةُ الَّتِي كَتَبَاهَا .

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : إِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَكَّلِ عَلَى اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَلَدَنِي هَذَا الْأَمْرَ ، وَبَايَعَنِي وَأَنَا صَغِيرٌ ، مِنْ غَيْرِ إِرَادَتِي وَمُحِبَّتِي ، فَلَمَّا فَهِمْتُ أَمْرِي عَلِمْتُ أَنِّي لَا أَقُومُ بِمَا قَلَدَنِي ، وَلَا أَصْلَحُ لِمُخْلَافَةِ الْمُسْلِمِينَ ، فَمَنْ كَانَتْ يَبْعَتِي فِي عُنُقِهِ فَهُوَ مِنْ تَقْضِيهَا فِي حِلٍّ ، وَقَدْ حَلَلْتُكُمْ مِنْهَا ،

(١) كَانَ وَزِيرًا لِلْمُتَنَصِّرِ - انظر خبره في التمهيد ص ٢١٧ ومروج الذهب ٢ : ٣٩٩ .

وأبرأتكم من أيمانكم ، ولا عهد لي في رقابكم ولا عقد ، وأنتم بُرّاء من ذلك .
 وكان الذي قرأ الرقعة أحمد بن الخصيب ، ثم قام كل منهما فقال لمن
 حضر : هذه رقعتي وهذا قولي ، فاشهدوا عليّ ، وقد أبرأتكم من أيمانكم
 وحللتكم منها ؛ فقال لهما المنتصر عند ذلك : قد خار الله لكما وللمسلمين .
 (تاريخ الطبري ١١ : ٧٧)

١٤٦ - كتاب المنتصر بخلع المعتر والمؤيد

وكتب المنتصر كتابا إلى العمال بخلعهما ، وهذه نسخة كتابه إلى أبي
 العباس محمد بن عبد الله بن طاهر في ذلك :
 « من عبد الله محمد الإمام المنتصر بالله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله
 مولى أمير المؤمنين .

أما بعد ، فإن الله - وله الحمد على آلائه ، والشكرُ بجميل بلائه -
 جعل ولاة الأمر ، من خلفائه القائمين بما بعث به رسوله صلى الله
 عليه وسلم ، والذّابّين عن دينه ، والدّاعين إلى حقه ، والمُضيين لأحكامه ،
 وجعل ما اختصّهم به من كرامته قواما لعباده ، وصلاحا لبلاده ، ورحمةً
 عمّربها خلقه ، وافترض طاعتهم ووصلها بطاعته وطاعة رسوله محمد صلى الله
 عليه وسلم ، وأوجبها في مُحكم تنزيله ، لما جَمَعَ فيها من سُكون الدّماء ،
 واتّساق الأهواء ، ولمّ الشّعث ، وأمن السّبل ، ووقم العدو ، وحفظ الحريم ،
 وسدّ الثغور ، وانتظام الأمور ، فقال : « أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي
 الْأَمْرِ مِنْكُمْ » ، فإن الحقّ على خلفاء الله الذين حباهم بعظيم نعمته ، واختصّهم

بأعلى رُتَب كرامته ، واستحفظَهم فيما جَعَلَهُ وسيلةً إلى رحمة ، وسبباً لرضاه
ومثوبته ، أن يُؤثِّروا طاعته في كل حال تَصَرَّفَتْ بهم ، ويُقيموا حقه
في أنفسهم ، والأقرب فالأقرب منهم ، وأن يكون محلُّهم من الاجتهاد
في كل ما قرَّب من الله عز وجل حَسَبَ مَوقِعِهِم من الدين ، وولاية أمير
المسلمين ، وأمير المؤمنين يسأل الله مسألةً ، رغبةً إليه وتذلاً لِعِظَمَتِهِ ، أن
يتولاه فيما استرحاه ، ولايةً يجمع له بها صلاح ما قلَّده ، ويحمِل عنه أعباء
ما حمَّله ، ويُعينه بتوفيقه على طاعته ، إنه سميع قريب .

وقد علمت ما حضرت من رَفَع أبي عبد الله وإبراهيم ابني أمير المؤمنين
المتوكل على الله رضى الله عنه إلى أمير المؤمنين رُفَعَتَيْن بخطوطهما يذكران
فيهما ما عرَّفهما الله من عطف أمير المؤمنين عليهما ورأفته بهما . وجميل
نظره لهما ، وما كان أمير المؤمنين المتوكل على الله عَقْدَهُ لأبي عبد الله
من ولاية عهد أمير المؤمنين ، ولإبراهيم من ولاية العهد بعد أبي عبد الله ،
وأن ذلك العَقْد كان وأبو عبد الله طِفْلٌ لم يبلغ ثلاث سنين ، ولم يفهم ما عُقِدَ
له ، ولا وَقَف على ما قلَّده ، وإبراهيم صغير لم يبلغ الحلم ، ولم تَجْرِ^(١) أحكامهما ،
ولا جَرَّت أحكام الإسلام عليهما ، وأنه قد يجب عليهما إذ بلغا ووقفاً على
عجزهما عن القيام بما عُقِد لهما من العهد ، وأُسْنِد إليهما من الأعمال ، أن
يَنْصَحَا لله ولجماعة المسلمين ، بأن يُخْرِجا من هذا الأمر الذي عُقِد لهما
أنفسهما ، ويعتزلا الأعمال التي قُلِّداها ، ويحملا كلَّ مَنْ في عُنْقِهِ لهما يبعةً
وعليه عينٌ ، في حلٍّ ، إذ كانا لا يقومان بما رُشِّحَا له ، ولا يصلحان
لتقلده ، وأن يُخْرِج مَنْ كان ضَمَّ إليهما ممن في نواحيهما من قوَّاد

(١) وربما كان « ولم تَجْر » .

أمير المؤمنين ومواليه وغلمانه وجنده وشاكريته وجميع من مع أولئك القواد بالحضرة وخراسان وسائر النواحي عن رسوئيهما ، ويُنزال عنهم جميعاً ذكر الضم إليهما ، وأن يكونا سوقاً^(١) من سوق المسلمين وعامتهم ، ويصفان ما لم يزالا يذكران لأمير المؤمنين من ذلك ، ويسألانه فيه ، منذ أفضى الله بخلافته إليه ، وأنهما قد خلعا أنفسهما من ولاية العهد وخرجا منها ، وجعلا كل من لهما عليه بيعة وعين ، من قواد أمير المؤمنين وجميع أوليائه ورعيته قريتهم وبعيدهم ، وحاضريهم وغائبهم ، في حل وسعة من بيعتهم وأيمانهم ، ليخلعوهما كما خلعا أنفسهما ، وجعلا لأمير المؤمنين على أنفسهما عهد الله وأشد ما أخذ على ملائكته وأنبيائه وعباده من عهد وميثاق ، وجميع ما أكدّه أمير المؤمنين عليهما من الأيمان ، بإقامتهما على طاعته ومناصحته وموالاته في السر والعلانية ، ويسألان أمير المؤمنين أن يظهر مافعلاه وينشره ، ويخصر جميع أوليائه ليسمعوا ذلك منهما ، طالبين راغبين ، طائعين غير مكرهين ولا مجبرين ، ويُقرأ عليهم الرثقتان اللتان رفعاهما بخطوطهما ، بما ذكر من وقوع الأمر لهما من ولاية العهد وهما صبيان ، وخلعهما أنفسهما بعد بلوغهما ، وما سأل من صرّفهما عن الأعمال التي يتوليّاها ، وإخراج من كان بها ممن ضم إليهما في نواحيهما من قواد أمير المؤمنين وجنده وغلمانه وشاكريته وجميع من مع أولئك القواد بالحضرة وخراسان وسائر النواحي عن رسوئيهما ، وإزالة ذكر الضم إليهما عنهم ، وأن يُكتب الكتاب بذلك إلى جميع عمال النواحي ، وأن أمير المؤمنين وقف على

(١) السوق : الرعية ، للواحد والجمع والذكر والمؤنث ، وقد جمع على سوق هم فتح .

حَدَّثَهُمَا فِيمَا ذَكَرَا وَرَفَعَا ، وَتَقَدَّمَ فِي إِحْضَارِ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ وَمَنْ بِمَحَضَرَتِهِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَقَوَادِهِ وَمَوَالِيهِ وَشِيعَتِهِ وَرُؤَسَاءِ جُنْدِهِ وَشَاكِرِيَّتِهِ وَكُتَّابِهِ وَقُضَاتِهِ وَالْفُقَهَاءَ وَغَيْرَهُمْ وَسَائِرَ أَوْلِيَائِهِ الَّذِينَ كَانَتْ وَقَعَتْ الْبَيْعَةُ لَهُمَا بِذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، وَحَضَرَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَإِبْرَاهِيمُ ابْنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقُرِئَتْ رُقْعَتَاهُمَا بِخَطِّ طَهُمَا بِمَحَضَرَتِهِمَا فِي مَجْلِسِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمَا وَعَلَى جَمِيعِ مَنْ حَضَرَ ، وَأَعَادَا مِنَ الْقَوْلِ بَعْدَ قِرَاءَةِ الرُّقْعَتَيْنِ مِثْلَ الَّذِي كُتِبَا بِهِ ، وَرَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَجْمَعَ فِي إِجَابَتِهِمَا إِلَى نَشْرِ مَا فَعَلَاهُ وَإِظْهَارِهِ وَإِمضَائِهِ ذَلِكَ ، قَضَاءَ حَقِّ ثَلَاثَةٍ : مِنْهَا حَقُّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيمَا اسْتَحْفَظَهُ مِنْ خِلَافَتِهِ ، وَأَوْجِبَ عَلَيْهِ مِنَ النَّظَرِ لِأَوْلِيَائِهِ فِيمَا يَجْمَعُ لَهُمْ كَلِمَتَهُمْ فِي يَوْمِهِمْ وَغَدِهِمْ ، وَيُؤَلِّفُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ، وَمِنْهَا حَقُّ الرِّعَايَةِ الَّذِينَ هُمْ وَدَائِعُ اللَّهِ عِنْدَهُ ، حَتَّى يَكُونَ الْمُتَقَلِّدُ لِأُمُورِهِمْ مَنْ يَرَاعِيهِمْ آثَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، بِعِنَايَتِهِ وَنَظَرِهِ وَتَفَقُّدِهِ وَعَدْلِهِ وَرَأْفَتِهِ ، وَمَنْ يَقُومُ بِأَحْكَامِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ ، وَمَنْ يَضْطَلِعُ بِثِقَلِ^(١) السِّيَاسَةِ وَصَوَابِ التَّدِيرِ ، وَمِنْهَا حَقُّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَإِبْرَاهِيمَ فِيمَا يُوْجِبُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَهُمَا بِأَخُوَّتِهِمَا وَمَا سَرَّ رَحِمَهُمَا ، لِأَنَّهُمَا لَوْ أَقَامَا عَلَى مَا خَرَجَا مِنْهُ ، مَعَ عَجْزِهِمَا عَنْهُ ، لَمْ يُؤْمَنْ تَأْدِي ذَلِكَ إِلَى مَا يَعْظُمُ فِي الدِّينِ ضَرَرُهُ ، وَيَعْمُ الْمُسْلِمِينَ مَكْرُوهُهُ ، وَيَرْجِعُ عَلَيْهِمَا عَظِيمُ الْوِزْرِ فِيهِ ، فَخَلَعَهُمَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ خَلَعَا أَنْفُسَهُمَا مِنْ وَلَايَةِ الْعَهْدِ ، وَخَلَعَهُمَا جَمِيعُ إِخْوَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ بِمَحَضَرَتِهِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَخَلَعَهُمَا جَمِيعُ مَنْ حَضَرَ مِنْ قَوَادِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَوَالِيهِ وَشِيعَتِهِ وَرُؤَسَاءِ جُنْدِهِ وَشَاكِرِيَّتِهِ وَكُتَّابِهِ

(١) الثقل : الحمل ، واضطلع به : قوى على حمله .

وقضاته والفقهاء وغيرهم من سائر أولياء أمير المؤمنين ، الذين كانت أخذت
لهما البيعة عليهم ، وأمر أمير المؤمنين بإنشاء الكتب بذلك إلى جميع العمال ،
ليتقدموا في العمل بحسب ما فيها ، ويخلعوا أبا عبد الله وإبراهيم من ولاية
العهد ، إذ كانا قد خلعا أنفسهما من ذلك ، وحللا الخاص والعام ، والحاضر
والغائب ، والداني والقاصي منه ، ويستقطوا ذكرهما بولاية العهد ، وذكر
ما نسب إلى من نسب ولاية العهد ، من المعتز بالله والمؤيد بالله من كتبهم
وألفاظهم ، والدعاء لهما على المنابر ، ويستقطوا كل ما ثبت في دواوينهم من
رسومها القديمة والحديثة الواقعة على من كان مضموما إليهما ، ويُرلوا
ما على الأعلام والمطارد^(١) من ذكرهما ، وما وُسمت به دواب الشاكرية
والرابطة من أسمائهما ، ومحللك من أمير المؤمنين وحالك عنده على حسب
ما أخلص الله لأمر المؤمنين من طاعتك ومناصحتك وموالاتك ومشايعتك
ما أوجب الله لك بسلفك ونفسك ، وما عرف الله أمير المؤمنين من
طاعتك ، ويؤمن بقيمتك^(٢) ، واجتهادك في قضاء الحق ، وقد أفرذك
أمير المؤمنين بقيادتك ، وإزالة الضم إلى أبي عبد الله عنك ، وعمن في ناحيتك
بالخضرة وسائر النواحي ، ولم يجعل أمير المؤمنين بينك وبينه أحدا يرأسك ،
وخرج أمره بذلك إلى ولاية دواوينه . فاعلم ذلك واكتب إلى عمالك بنسخة
كتاب أمير المؤمنين هذا إليك ، وأوعز إليهم في العمل على حسبه إن
شاء الله والسلام .

(١) المطرد كثر : ومع قصير يطرد به .

(٢) النقية : النفس .

وكتب أحمد بن الخصيب يوم السبت لعشر بقين من صفر سنة ثمان وأربعين ومائتين . (تاريخ الطبري ١١ : ٧٧)

١٤٧ - كتاب البيعة للمعتز بالله

وتوفي المنتصر بالله سنة ٢٤٨ هـ قولي الخلافة أحمد بن محمد بن المعتصم، ولقب بالمستعين بالله، وفي عهده قويت شوكة الأتراك .

وفي سنة ٢٥١ انحدر المستعين من سامرا^(١) إلى بغداد، وما لبث الأتراك أن ثاروا به، وأخرجوا المعتز^(٢) بالله وبإيعونه، وكانت نسخة بيعته^(٣) :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، تبايعون عبد الله الإمام المعتز بالله أمير المؤمنين ، بيعة طوع واعتقاد ، ورصا ورغبة وإخلاص من سرائركم ، وانشراح من صدوركم ، وصدق من نياتكم ، لا مكرهين ولا مجبرين ، بل مُقرّين عالمين بما في هذه البيعة وناكدها من تقوى الله وإيثارية طاعته ، وإعزاز حقه ودينه ، ومن عموم صلاح عباد الله ، واجتماع الكلمة ، ولم الشعث ، وسكون الدماء ، وأمن العواقب ، وعز الأوياء ، وقمع الملحدين ، على أن أبا عبد الله المعتز بالله ، عبد الله وخليفته ، المفترض عليكم طاعته ونصيحته ، والوفاء بحقه وعهده . لا تشكّون ولا تذهنون ولا تميّلون

(١) سامرا ع في سر من رأى ، وقد سماها كنه عمارة م ١٥٠ .

(٢) وكان المعتز والمؤيد في حس في الحوسق (أي مصر) في حجره صغيره ، مع كل واحد منهما علام بخدمته ، موكل بهم رحن من الأتراك يسان به عسى حرمه . مان ، ومعه عدة من الأعوان .

(٣) هي نسخة بيعه المنتصر مع تغيير طفيف ويظهر أنه من . سج .

ولا ترتابون ، وعلى السمع والطاعة والمشايعة والوفاء والاستقامة والنصيحة
 في السر والعلانية ، والخُفُوفِ والوقوفِ عند كل ما يأمر به عبدُ الله
 أبو عبد الله الإمام المعترز بالله أمير المؤمنين ، من موالاة أوليائه ، ومُعاداة
 أعدائه ، من خاصٍّ وعامٍّ ، وقريبٍ وبعيدٍ ، متمسكين ببيعته بوفاء العقد ،
 وذمة العهد ، سرائرُكم في ذلك كعلانيتكم ، وضامئُكم فيه كمثل ألسنتكم ،
 راضين بما يَرْضَى به أمير المؤمنين بعد بيعتكم هذه على أنفسكم ، وتأكيديكم
 إياها في أعناقكم ، صفة ، راغبين طائعين ، عن سلامة من قلوبكم وأهوائكم
 ونياتكم ، وبولاية عهد المسلمين لإبراهيم المؤيد بالله أخى أمير المؤمنين ، وعلى
 ألا تسعوا في نقض شيء مما أكد عليكم ، وعلى أن لا يميل بكم في ذلك
 تميل عن نصرة وإخلاص ومُوالاة ، وعلى ألا تبدلوا ولا تغيروا ، ولا يرجع
 منكم راجع عن بيعته وانطوائه إلى غير علانيته ، وعلى أن تكون بيعتكم
 التي أعطيتموها بألسنتكم وعهودكم بيعة يطليح الله من قلوبكم على اجتباؤها
 واعتمادها ، وعلى الوفاء بذمة الله فيها ، وعلى إخلاصكم في نصرتها ومُوالاة
 أهلها ، لا يشوب ذلك منكم نفاق ولا إدهان ولا تأوُّل ، حتى تلقوا الله
 مؤفنين بعهده ، مؤدِّين حقه عليكم ، غير مُستترين ولا ناكثين ، إذ كان
 الذين يبايعون منكم أمير المؤمنين ، بيعة خلافته وولاية العهد من بعده
 لإبراهيم المؤيد بالله أخى أمير المؤمنين ، إنما يبايعون الله ، يدُائمه فوق
 أيديهم ، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه
 الله فسيؤتيه أجراً عظيماً ، عايكم بذلك وبما أكدت عليكم به هذه البيعة

في أعناقكم ، وأعطيتم بها من صَفْقَةِ أيمانكم ، وبما اشترط عليكم من وفاء ونُصرة وموالاتة واجتهاد ، وعليكم عهد الله ، إن عهده كان مستولاً ، وذمة الله عز وجل وذمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وما أخذ الله على أنبيائه ورسوله وعلى أحدٍ من عباده من مَوَاكِيدِهِ ومَوَائِقِهِ ، أن تَسْمَعُوا ما أُخِذَ عليكم في هذه البيعة ، ولا تبدّلوا ولا تَمِيلُوا ، وأن تَمَسَّكُوا بما عاهدتم الله عليه تَمَسُّكُ أَهْلِ الطاعة بطاعتهم ، وذوى الوفاء والعهد بوفائهم ، لَا يَلْفِتِكُمْ عن ذلك هَوًى ولا ميل ، ولا يُزِيغَ قلوبكم فتنةً أو ضلالة عن هدى ، باذلين في ذلك أنفسكم واجتهادكم ، ومقدمين فيه حقَّ الدين والطاعة والوفاء بما جعلتم على أنفسكم ، لا يقبل الله منكم في هذه البيعة إلا الوفاء بها ، فمن نكثَ منكم ممن بايع أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين أخا أمير المؤمنين هذه البيعة ، على ما أخذ عليكم ، مُسِرّاً أو مُعْلِناً ، مُصَرَّحاً أو مُحْتَالاً أو مُتَاوِلاً ، وأُذْهِنَ فيما أعطى الله من نفسه ، وفيما أُخِذَ عليه من مَوَائِقِ الله وعهوده ، وزاغ عن السبيل التي يعتصم بها أولو الرأى ، فكلُّ ما يملك كلُّ واحدٍ منكم ممن خَتَرَ^(١) في ذلك منكم عهده ، من مال أو عَقَارٍ أو سائمةٍ أو زرعٍ أو ضرعٍ ، صدقةٌ على المساكين في وجوه سبيل الله ، محبوبٌ محرَّمٌ عليه أن يَرْجِعَ شيئاً من ذلك إلى ماله ، عن حيلةٍ يقدِّمها لنفسه أو يَحْتَالُ له بها ، وما أفاد في بقية عمره من فائدةٍ مالٍ يقلُّ خَطَرُها أو يَجِلُّ ، فذلك سبيلُها إلى أن توافيه منيته ، ويأتى عليه أجله ، وكل مملوك يملكه اليوم وإلى ثلاثين

(١) الختر : العذر والحديعة أو أتبع العذر ، وفعله كصرف ونصر .

سنة من ذكر أو أنثى ، أحراراً لوجه الله ، ونساؤه يوم يلزمه فيه الجنة ومن يتزوج بعدهن إلى ثلاثين سنة ، طوالق طلاق الحرج ، لا يقبل الله منه إلا الوفاء بها ، وهو برىء من الله ورسوله ، والله ورسوله منه بريثان ، ولا قبل الله منه صرقاً ولا عدلاً ، والله عليكم بذلك شهيد ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل » (تاريخ الطبري ١١ : ٩٨)

١٤٨ - كتاب عن محمد بن عبد الله بن طاهر إلى أهل بغداد

(كتبه سعيد بن حميد)

ولما بايع الأتراك المعتز بسامراً ، أمر المستعين محمد بن عبد الله بن طاهر بتحصين بغداد ، فتقدم في ذلك ، وعقد المعتز لأخيه أبي أحمد بن المتوكل على حرب المستعين وابن طاهر وولاه ذلك ، فسار إلى بغداد في جمع من الأتراك والمغاربة ، فصدهم ابن طاهر وأوقع بهم ودارت عليهم الدائرة .
وأمر ابن طاهر سعيد بن حميد فكتب كتاباً يذكر فيه هذه الواقعة ، فقرأ على أهل بغداد في مسجد جامعها ، ونسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد ، فالحمد لله المنعم فلا يبلغ أحد شكر نعمته ، والقادر فلا يعارض في قدرته ، والعزير فلا يذل في أمره ، والحكيم العدل فلا يزد حكمه ، والناصر فلا يكون نصره إلا للحق وأهله ، والمالك لكل شيء فلا يخرج أحد عن أمره ، والهادي إلى سبيل رحمته فلا يضل من اتقاه لطاعته ، والمقدم إعداره ليظهر به حجته ، النى جعل

دينه لعباده رحمة ، وخلافته لدينه عصمة ، وطاعة خلفائه فرضا واجبا على كافة الأمة ، فهم المستحفظون في أرضه على ما بعث به رسله ، وأمناؤه على خلقه فيما دعاهم إليه من دينه ، والحاملون لهم على منهاج حقه ، لئلا تتشعب بهم الطرُق المخالفة لسبيله ، والمهادون لهم إلى صراطه ، ليجمعهم على الجادة^(١) التي ندب إليها عباده ، بهم يحيى الدين من البغاة الطاغين ، وحفظت معالم الحق من الغواة المخالفين ، محتجين على الأم بكتاب الله الذي استعملهم به ، ورعاة للأمر بحق الله الذي اختارهم له ، إن جادلوا كانت حجة الله معهم ، وإن حاربوا حُكِمَ بالنصر لهم ، وإن جاهدوا كان في طاعة الله نصرهم ، وإن بغاهم عدو كانت كفاية^(٢) الله حائلة دونهم ، ومعقلا لهم ، وإن كادهم كاد فالف من وراء عوذهم ، نصبتهم الله لإعزاز دينه ، فمن عاداهم فإنما عادى الدين الذي أعزّه وحرسه بهم ، ومن ناوأهم^(٣) فإنما طعن على الحق الذي يكلؤه بحراستهم ، جيوشهم بالرعب^(٤) منصوره ، وكتائبهم بساخطان الله من عدوهم مُحَوطة^(٥) . وأيديهم بدبٍّ عن دين الله عاياه ، وأشياءهم بتناصرهم في الحق غالبة ، وحزاب أعدائهم بينهم مَقْمُوعَة^(٦) . وحجتهم عند الله وعند خلقه داحضة^(٧) ، ووسائلهم إلى النصر مردودة ، وأحكام الله

(١) الحادة : الطرق الوصح ، وندبه إلى الأمر كعصر : دعاه وحثه .

(٢) وفي المطوع ولسور « نكايه » .

(٣) ناوأه : عاداه . ويكلؤه : يحرسه وعمظه .

(٤) وفي الطبري « عصر وأمر » .

(٥) وميه « محمومة » ، ويديهم عن دين الله دامية » .

(٦) قمع كسعه : قهره وأدله .

(٧) دحضت الحجة كسح : طلت ، وفي الطبري « راحصه » وهو تحريف .

يَحْذِلَانِهِمْ وَقَعَةً ، وَأَقْدَارُهُ بِإِسْلَامِهِمْ إِلَى أَوْلِيَائِهِ جَارِيَةً ، وَعَادَتُهُ فِيهِمْ وَفِي
الْأُمِّ السَّالِفَةِ وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ مَاضِيَةً ، لِيَكُونَ أَهْلُ الْحَقِّ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ إِنْجَازِ
سَابِقِ الْوَعْدِ ، وَأَعْدَاؤُهُ مُحْجُوجِينَ بِمَا قُدِّمَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْإِنْذَارِ ، مُعْجَلَةً لَهُمْ
تَقِيمَةُ اللَّهِ بِأَيْدِي أَوْلِيَائِهِ ، مُعَدًّا لَهُمُ الْعَذَابُ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، وَالْخِزْيُ مُوَصُولٌ
بِنَوَاصِيهِمْ فِي دُنْيَاهُمْ ، وَعَذَابُ الْآخِرَةِ مِنْ وَرَائِهِمْ ، وَمَا اللَّهُ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ،
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ الْمُصْطَفَى ، وَرَسُولِهِ الْمُرْتَضَى ، وَالْمُنْقِذِ مِنَ الضَّلَالَةِ إِلَى
الْهُدَى ، صَلَاةً تَامَّةً نَامِيَةً بِرِكَائِهَا ، دَائِمًا اتِّصَالُهَا ، وَسَلَامٌ تَسْلِيمًا ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
تَوَاضَعًا لِعَظَمَتِهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِقْرَارًا بِرُبُوبِيَّتِهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ اعْتِرَافًا بِقُصُورِ أَقْصَى
مَنَازِلِ الشُّكْرِ عَنْ أَدْنَى مَنْزِلَةٍ مِنْ مَنَازِلِ كِرَامَتِهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْهَادِي إِلَى حَمْدِهِ ،
وَالْمُوجِبِ بِهِ مَزِيدَهُ ، وَالْمُخَصِّي بِهِ عَوَائِدَ إِحْسَانِهِ ، تَحْمِداً يَرْصَاهُ وَيَتَقَبَّلُهُ ،
وَيُوجِبُ طَوْلَهُ وَإِفْضَالَهُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَكَمَ بِالْخِذْلَانِ عَلَى مَنْ بَغَى عَلَى أَهْلِ
دِينِهِ ، وَسَبَقَ وَعْدُهُ بِالنَّصْرِ لِمَنْ بَغَى عَلَيْهِ مِنْ أَنْصَارِ حَقِّهِ ، وَأَنْزَلَ بِذَلِكَ
كِتَابَهُ الْعَزِيزَ مَوْعِظَةً لِلْبَاغِينَ ، فَإِنْ أَقْلَعُوا كَانَتْ التَّذْكِيرَةُ نَافِعَةً لَهُمْ ،
وَالْحُجَّةُ عِنْدَ اللَّهِ لِمَا - قَامَ بِهِمْ - . ثُمَّ أَوْجَبَ بَعْدَ التَّذْكِيرَةِ وَالْإِصْرَارِ
جِهَادَهُمْ ، فَقَالَ فِيمَا قَدَّمَ مِنْ وَعْدِهِ ، وَأَبَانَ مِنْ بُرْهَانِهِ : « وَمَنْ بَغَى عَلَيَّ
لَيَنْصُرْنِي اللَّهُ » وَعَدًّا مِنْ اللَّهِ حَقًّا ، نَهَى بِهِ أَعْدَاءَهُ عَنْ مَعْصِيَتِهِ ، وَثَبَّتَ بِهِ
أَوْلِيَاءَهُ عَلَى سَبِيلِهِ ، وَاللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ .

وَلِلَّهِ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - فِي رَأْسِ دَعْوَتِهِ ، وَسَيْفِ دَوْلَتِهِ ، وَالْحَامِي
عَنْ سُلْطَانِهِ ، وَحَلَّ ثِقَتِهِ ، وَالْمُتَقَدِّمُ فِي طَاعَتِهِ وَنَصِيحَتِهِ لِأَوْلِيَائِهِ ، وَالذَّابُّ

عن حقه ، والقائم بمجاهدة أعدائه ، محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين -
 نعمة يرغب إلى الله في إتمامها ، والتوفيق لشكرها ، والتطوّل بمن أراد
 المزيد فيها ، فإن الله قدر لآبائه القيام بالدعوة الأولى لآباء أمير المؤمنين ، ثم
 جمع له آثارهم بقيامه بالدولة الثانية ، حين حاول أعداء الله أن يطمسوا معالم
 دينه ويُعَفّوها^(١) ، فقام بحق الله وحقّ خليفته ، مُحامياً عنها ، ومُرامياً من
 ورائها ، متناولاً للبعيد برأيه ونظيره ، مباشراً للقريب بإشرافه وتفقدّه ،
 باذلاً نفسه في كل ما قرّبه من الله ، وأوجب له الزُلفة عنده ، وسيمنعُ الله
 أمير المؤمنين به ولياً مكانفاً^(٢) على الحق ، وناصرأً مُوازراً على الخير ، وظهيراً
 مُجاهداً لعدوِّ الدين .

وقد علمتم ما كان كتابُ أمير المؤمنين تقدّم به إليكم فيما أحدثته
 الفرقة الضالة عن سبيل ربها ، المفارقة لعصمة دينها ، الكافرة بنعم الله ،
 ونعم خليفته عندها ، المباينة لجماعة الأمة التي أَلَّفَ الله بخلافته نظامها ، المحاولة
 لتشتيت الكلمة بعد اجتماعها ، الناكثة لبيعته ، الخالعة لربقة^(٣) الإسلام من
 أعناقها ، الموالى الأتراك ، وما صارت إليه من نصب الغلام المعروف بأبي
 عبد الله بن المتوكل لإمامتها^(٤) ، عند مَصير أمير المؤمنين إلى مدينة السلام ،
 محلّ سلطانه ، ومجتمع أنصاره وأبناء أنصار آبائه ، وما قابل به أمرُ المؤمنين
 خيانتهم ، وآثره من الأناة في أمرهم ، ثم إن هؤلاء الناكثين جمعوا جَمْعاً

(١) عفاه كدحل وعفاه : محاه .

(٢) كاهه : علوه وساعده ، والطهير : المين .

(٣) الرقة واحدة الرق بالكسر ، وهو حل فيه عدة عرى تشد به الهم ، والمراد بها العهد .

(٤) في الأصل « تاريخ الطرى » : « من نصر » وفيه أيضا « لإقامتها » وهو تحريف .

من الأتراك والمغاربة ومن وَلَجَ في سوادهم ، ودخل في غمارهم^(١) ، مؤاتياً للفتنة من أُلْفَافِ^(٢) النِّعَى ، ورأسوا عليهم المعروف بأبي أحمد بن المتوكل ، ثم ساروا نحو مدينة السلام في الجانب الشرقي ، مُعَلِّنين للبعي والاعتدار ، مُظهِرين للنِّعَى والإصرار ، فتأناهم^(٣) أمير المؤمنين ، وفسَحَ لهم في النظرة لهم ، وأمر بالكتاب إليهم بما فيه تبصيرهم الرشد ، وتد كبرهم بما قدّموا من البيعة ، وإفهامهم ما لله عليهم وله في ذلك من الحق ، وأن خروجهم مما دخلوا فيه من بيعتهم طَوْعاً أو خَرْجاً من دين الله والبراءة منه ومن رسوله ، وتحريمهم أموالهم ونساءهم عليهم ، وأن في تمسكهم به سلامة أديانهم ، وبقاء نعمتهم ، والاحتراص من حُلُولِ النِّقَمِ بهم ، وأن يُبَيِّنَ لهم ما سَلَفَ من بلائه عندهم ، من أَسْنَى المواهب ، وأرفع الرغائب ، والاختصاص بِسِنِّي المراتب ، والتقدم في المحافل ، فأبَوْا إلا تمادياً وتقاراً ، وتمسكاً بالنِّعَى وإصراراً ، فقلد أمير المؤمنين نصيحة المؤمن وَوَلِيَهُ محمد بن عبد الله مؤتلي أمير المؤمنين تدبير أمورهم ودعاهم إلى الحق ما كانت الإنابة ، أو محاربتهم إن جَنَحَ بهم غيهم ، وتلَعَّوْا^(٤) في ضلالهم ، لم يَأْهُمُ^(٥) نظراً وإفهاماً ، وتبييناً وإرشاداً ، وهم في ذلك رافعون أصواتهم بالتوعد لأهل مدينة السلام ، بِسَفْكِ دمائهم ،

(١) وَلَجَ يَلِجُ : دخل ، وسوادهم : عامتهم ، وغمارهم : الصم والعتي : رحمتهم وكثرتهم .

(٢) مؤاتياً : مطاوعاً ، والألُفَّاف جمع لف بالكسر وهو الحرب والطائفة ، من الالتفاف .

(٣) حاء في اللسان « تأني في الأمر أي ترفق وتطر ، واستأني به أي انتظر به ، ويقال : تأنتك حتى لا أمانة لي » ، وفسح له كسع : وسع ، والبطرة : التأخير .

(٤) المتلعب : الشاحص للامر والراعي رأسه للهوى والتقدم .

(٥) ألا يَأْهُمُ : قصر .

وَسَبِّ نَسَائِهِمْ ، وَتَغْنَمُ^(١) أَمْوَالَهُمْ ، وَقَبِيلَ ذَلِكَ مَا كَانُوا فِي مَسِيرِهِمْ عَلَى السَّبِيلِ الَّتِي يَسْتَعْمِلُهَا أَهْلُ الشُّرْكِ فِي غَارَاتِهِمْ ، وَيَعْمَلُونَ إِلَيْهَا عِنْدَ إِمْكَانِ النَّهْزَةِ^(٢) لَهُمْ ، لَا يَحْتَازُونَ بِعَامِرٍ إِلَّا أَخْرَبُوهُ ، وَلَا بِحَرِيمٍ^(٣) لِمُسْلِمٍ وَلَا غَيْرِهِ إِلَّا أَبَاحُوهُ ، وَلَا بِمُسْلِمٍ يَعْجَزُ عَنْهُمْ إِلَّا قَتَلُوهُ ، وَلَا بِمَالٍ لِمُسْلِمٍ وَلَا ذِمَّةٍ إِلَّا أَخَذُوهُ ، حَتَّى اتَّقَلَ كَثِيرٌ مِمَّنْ سَبَقَتْ إِلَيْهِ أَخْبَارُهُمْ مِمَّنْ أَمَامَهُمْ عَنْ أَوْطَانِهِمْ ، وَفَارَقُوا مَنَازِلَهُمْ وَرِيَاءَهُمْ^(٤) ، وَفَزَعُوا إِلَى بَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تَحْصُنَا مِنْ مَعَرَّتِهِمْ ، لَا يَمْرُثُونَ بَغْيًا إِلَّا خَلَعُوا عَنْهُ لِبَاسَ الْغَنَى ، وَلَا بِمُسْتَوْرِ إِلَّا هَتَكُوا عَنِ الذَّرِّيَّةِ وَالنِّسَاءِ سِتْرَهُ ، لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا^(٥) وَلَا ذِمَّةً ، وَلَا يَتَوَقَّفُونَ عَنْ مُسْلِمٍ بِهَتَكٍ وَلَا مُثَلَّةٍ^(٦) ، وَلَا يَرْغَبُونَ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ مِنْ دَمٍ وَلَا حُرْمَةٍ .

ثُمَّ تَلَقَّوْا التَّذْكَرَةَ بِالْحَرْبِ ، وَقَابَلُوا الْمَوْعِظَةَ بِالْإِصْرَارِ عَلَى الذَّنْبِ ، وَعَارَضُوا التَّبْصِيرَ بِالْإِسْتِبْصَارِ فِي الْبَاطِلِ ، فَذَلَفُوا^(٧) نَحْوَ بَابِ الشَّمَّاسِيَّةِ ، وَقَدَّرَتْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ الْبَابِ وَالْأَبْوَابِ الَّتِي سَبِيلُهَا سَبِيلُهُ مِنْ أَبْوَابِ مَدِينَةِ السَّلَامِ الْجِيُوشَ فِي الْعُدَّةِ الْكَامِلَةِ ، وَالْعِدَّةِ الْمَتَظَاهِرَةِ ، مَعَاقِلَهُمُ التَّوَكُّلَ عَلَى رَبِّهِمْ . وَحُصُونُهُمُ الْإِعْتَصَامُ بِطَاعَتِهِ ،

(١) اغتنمه وتغنى به : عده غنية .

(٢) النهزة : الفرصة .

(٣) حريمك : ما تحميه وتقاتل عنه .

(٤) الرباع جمع ربع بالفتح : وهو النزل .

(٥) الايل : العهد .

(٦) مثل به بالتخفيف مثلة ، ومثل به بالتشديد تمثيلا : كل .

(٧) دلفت الكتيبة في الحرب كضرب : تقدمت .

وشعارهم التكبير والتهيلُ أمامَ عدوهم ، ومحمدُ بن عبد الله مولى أمير المؤمنين يأمرهم بتحسين ما يليهم ، والإمساك عن الحرب ما كانت مندوحة^(١) لهم ، فباداهم الأولياء بالموعظة ، وبدأهم النواة الناكثون بحربهم ، وفادوهم أياما مجموعهم وعدادهم ، مُدِلِّين بعدتهم ومقدرين أن لا غالبَ لهم ، ولا يعلمون بالله أن قدرته فوق قدرتهم ، وأن أقداره نافذة بخلاف إرادتهم ، وأحكامه حادلة ماضية لأهل الحق عليهم ، حتى إذا كان يوم السبت للنصف من صفر ، وافوا بابَ الشامية بأجمعهم ، قد نشروا أعلامهم ، وتنادوا بشعارهم ، وتحصنوا بأسلحتهم ، وبدأ الأمر منهم لمن عاينهم ، ليس لهم وعيدٌ دونَ سفكِ الدماء ، وسبي النساء ، واستباحة الأموال ، فبدأهم الأولياء بالموعظة فلم يسمعوا ، وقابلوهم بالتذكرة فلم يُصغُوا إليها ، وبدءوا بالحرب منابذين لها ، فتسرّع الأولياء عند ذلك إليهم ، واستنصروا الله عليهم ، واستحكمت بالله ثقتهم ، ونفذت به بصائرهم ، فلم تزل الحرب بينهم إلى وقت العصر من هذا اليوم ، فقتل الله من مُحارِبِيهم وقُرسانهم ورؤسائهم وقادة باطلهم جماعةً كثيراً عددها ، ونالت الجراحة المُخِنة^(٢) التي تأتي على من نالته أكثرَ حاميتهم ، فلما رأى أعداء الله وأعداء دينه أن قد أكذبَ ظنونهم ، وحال بينهم وبين أمانيتهم ، وجعل عواقبها خسراتٍ عليهم ، استنهضوا جيشا من « سَاقَرًا » من الأتراك والمغاربة : في العتاد^(٣) والعدة

(١) مندوحة : أى سعة .

(٢) آتخن في العدو : بالغ الجراحة فيهم .

(٣) العتاد : العدة .

والجلد والأسلحة ، في الجانب الغربي طالين المعرة ، ومؤملين أن ينالوا نيلاً من أهله ، باشتغال إخوانهم في الجانب الشرقي بأعدائهم ، وقد كان محمد ابن عبد الله مولى أمير المؤمنين شحَنَ الجانبين جميعاً بالرجال والعُدَّة ، ووكل بكل ناحية مَنْ يقوم بحفظها وحراستها ، ويكفُّ عن الرعية بَوَائِقِ^(١) أعدائهم ، ووكل بكل باب من الأبواب قائداً في جمع كشيْفٍ ، ورتب على الشور مَنْ يُراعيه في الليل والنهار ، وبت الرجال ليعرف أخبار أعداء الله في حرّ كاتهم ونهوضهم ومقامهم وتصرفهم ، فيعامل كل حال لهم بحالٍ يفتُّ الله في أعضادهم^(٢) بها ، فلما كان يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من صفر ، وافى الجيش الذي أنهضوه من الجانب الغربي الباب المعروف بباب قُطْرَبِل^(٣) ، فوقفوا بإزاء الناكثين المعسكرين بالجانب الشرقي من دجلة ، في عددٍ لا يسعه إلا الفضاء ، ولا يحمله إلا المجال الفسيح ، وقد تواعدوا أن يكون دُؤُوم من الأبواب معاً ، ليشغل الأولياء بحربهم من الجهات ، فيضعفوا عنهم . ويغلبوا حقهم بباطلهم ، أملاً كادهم الله فيه غير صادق ، وظناً خائباً به فيه قضاء نافذ ، وأنهض محمد بن عبد الله نحوم محمد بن أبي عون وبُندار ابن موسى الطبري مولى أمير المؤمنين وعبد الله بن نصر بن حمزة من باب قُطْرَبِل ، وأمرهم بتقوى الله وطاعته ، والاتباع لأمره ، والتصرف مع كتابه ، والتوقف عن الحرب حتى تسبق التذكرة الأسماع ، وتنزل الحجة

(١) البوائق جمع نائقة : وهي الداهية .

(٢) فت في عضده . أصعبه .

(٣) ناسم قرية بين بغداد وعكرا نسب إليها الحر .

بالتتابع منهم والإصرار، فنَقَذُوا في جمع يقابل جمعهم، مستبصِرِينَ في حق الله عليهم، مسارعين إلى لقاء عدوهم، محتسِبِينَ خُطَايَاهُمْ وَمَسِيرَهُمْ، وَاثِقِينَ بالثواب الآجِلِ، والجزاء العاجِلِ، فتلقاهم ومن معهم أعداء الله قد أطلقوا نحوهم أَعْيَتْهُمْ، وأُشْرَعُوا^(١) لِنَحْوَرِهِمْ أَسَدَتْهُمْ، لَا يَشْكُونَ أَنَّهُمْ نُهْزَةُ الْمُخْتَلِسِ، وغنيمة المتَّهَبِ، فنادَوْهُمْ بالموعظة نداء مُسْمِعًا، فَجَبَّهَا أَسْمَاعُهُمْ، وَغَمَّيْتُ عَنْهَا أَبْصَارُهُمْ، وَصَدَقَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ فِي لِقَائِهِمْ بِقُلُوبٍ مُسْتَجِيبَةٍ لَهُمْ، وَعِلْمٌ بِأَنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ فِيهِمْ، فَجَالَتْ الْخَيْلُ بِهِمْ جَوْلَةً، وَعَاوَدَتْ كَرَّةً بَعْدَ كَرَّةٍ عَلَيْهِمْ، طَعَنَّا بِالرَّمَاكِ، وَضَرَبْنَا بِالسُّيُوفِ، وَرَشَقْنَا بِالسَّهَامِ، فَلَمَّا مَسَّاهُمْ أَلَمَ جِرَاحُهَا، وَكَلَمَتْهُمْ^(٢) الْحَرْبُ بِأَنْيَابِهَا، وَدَارَتْ عَلَيْهِمْ رِحَاها، وَصَمَّ عَلَيْهِمْ أَنْبَاؤُهَا، ظَمًا إِلَى دِمَائِهِمْ، وَلَوْ أَدْبَارَهُمْ، وَمَنَحَ اللَّهُ أَكْتَاْفَهُمْ، وَأَوْقَعَ بِأَسْنِهِ بِهِمْ، فَقَتَلَتْ مِنْهُمْ جَمَاعَةً لَمْ يَحْتَرِسُوا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ بِتَوْبَةٍ، وَلَمْ يَتَحَصَّنُوا مِنْ عِقَابِهِ بِإِنَابَةٍ^(٣)، ثُمَّ ثَابَتْ ثَانِيَةً فَوْقَهُوا بِإِزَاءِ الْأَوْلِيَاءِ، وَعَبَّرَ إِلَيْهِمْ أَسْيَاغُهُمُ الْغَاوُونَ مِنْ عَسْكَرِهِمْ بِبَابِ الشَّمَاسِيَةِ أَلْفَ رَجُلٍ مِنْ أَنْجَادِهِمْ^(٤) فِي السَّفَنِ، مُعَاوِنِينَ لَهُمْ عَلَى ضَلَالَتِهِمْ، فَأَنْهَضَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ خَالِدَ ابْنِ عِمْرَانَ وَالشَّاهَ بْنَ مَيْكَالَ مَوْلَى طَاهِرٍ نَحْوَهُمْ، فَتَقَذَّوْا بِبَصِيرَةٍ لَا يَتَخَوَّنَهَا فَتُورٌ، وَنِيَّةٌ لَا يَلْحَقُهَا تَقْصِيرٌ، وَمَعَهُمَا الْعَبَّاسُ بْنُ قَارِنَ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. فَلَمَّا وَافَى الشَّاهُ فِيمَنْ مَعَهُ أَعْدَاءَ اللَّهِ، وَكُلَّ بِالْمَوَاضِعِ الَّتِي يَتَخَوَّفُ مِنْهَا مَدْخَلَ

(١) أشرع نحوه الرمح والسيب وشرعهما: أقتلها لئلا يسددهما له.

(٢) كلمة كصرب: حركه.

(٣) في الأصل «أمانة» والظاهر أنها «إيالة» لتناسب قوله قل «توبة».

(٤) أعواد جمع نحد، والسعد كشس وكتف ورجل: الشجاع المسمى فيما يسرع عبده.

الْكُفَّاءَ ، ثُمَّ حُلَّ وَمِنْ تَوَجُّهٍ مَعَهُ مِنَ الْقَوَادِمِ الْمَسْمُومِينَ مَا ضَيَّعَ لَا يَعُوقُهُمْ^(١) الْوَعِيدَ ، وَلَا يَشْكُونُ مِنَ اللَّهِ فِي النَّصْرِ وَالْتَأْيِيدِ ، فَوَضَعُوا أَسْيَافَهُمْ فِيهِمْ ، تَمْنِي أَحْكَامَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، حَتَّى أَلْحَقُوهُمْ بِالْمَسْكَرِ الَّذِي كَانُوا عَسْكَرُوا فِيهِ وَجَاوَزُوهُ ، وَسَلَبُوهُمْ كُلَّ مَا كَانَ مِنْ سِلَاحٍ وَكُرَاعٍ^(٢) وَعَتَادِ الْحَرْبِ ، فَمِنْ قَتِيلٍ غَوْدَرَتْ جُثَّتُهُ بِمَضْرَعِهِ ، وَثَقِلَتْ هَامَتُهُ^(٣) إِلَى مَصِيرٍ فِيهِ مُعْتَبَرٌ لغيره ، وَمِنْ لَاجِيٍّ مِنَ السَّيْفِ إِلَى الْفَرَقِ ، لَمْ يُجِرْهُ اللَّهُ مِنْ حِذَارِهِ ، وَمِنْ أَسِيرٍ مَصْفُودٍ^(٤) يُقَادُّ إِلَى دَارِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَحِزْبِهِ ، وَمِنْ هَارِبٍ بِحُشَاشَةٍ^(٥) نَفْسِهِ ، قَدْ أَسْكَنَ اللَّهُ الْخَوْفَ قَلْبَهُ ، فَكَانَتِ النِّقْمَةُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَاقِعَةً بِالْفَرِيقَيْنِ : مَنْ وَافَى الْجَانِبَ الْغَرْبِيَّ قَادِمًا ، وَمَنْ عَبَّرَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مُنْجِدًا ، لَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ نَاجٍ ، وَلَمْ يَعْتَصِمْ مِنْهُمْ بِالتَّوْبَةِ مُعْتَصِمٌ ، وَلَا أَقْبَلَ إِلَى اللَّهِ مُقْبَلٌ ، فَرَقًا أَرْبَعًا يَجْمَعُهَا النَّارُ ، وَيَشْمَلُهَا عَاجِلُ النَّكَالِ ، عِظَّةٌ وَمُعْتَبَرٌ لِأُولَى الْأَبْصَارِ ، فَكَانُوا كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ^(٦) ، جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ » وَلَمْ تَزَلْ الْحَرْبُ بَيْنَ الْأَوْلِيَاءِ وَبَيْنَ الْفِرْقَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ ، وَالْقَتْلُ مُحْتَقِلٌ^(٧) فِي أَعْلَامِهِمْ ، وَالْجِرَاحُ فَاشِيَةٌ فِيهِمْ ، حَتَّى إِذَا عَايَنُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنَ الْبَوَارِ ، وَأَحَلَّ بِهِمْ مِنَ النَّقْمَةِ وَالِاسْتِثْصَالِ ، مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ

(١) فِي الْأَصْلِ « لَا يَعُوقُهُمْ » وَأَرَاهُ مُحَرَّمًا وَصَوَابَهُ « لَا يَعُوقُهُمْ » .

(٢) الْكُرَاعُ : اسْمٌ يَجْمَعُ الْحِيلَ .

(٣) الْهَامَةُ : الرَّأْسُ .

(٤) مَصْفُودٌ : كَصَرَفٌ : شَدَّةٌ وَأَوْثَقَةٌ كَأَصْعَدَهُ وَصَفَّدَهُ .

(٥) الْحُشَاشَةُ : بَقِيَّةُ الرُّوحِ فِي الْحَرِيقِ وَالْمَرِيضِ .

(٦) الْبَوَارُ : الْهَلَاكُ .

(٧) مِنْ احْتَقَلَ : أَيِ اجْتَمَعَ .

حاصم ، ولا من أوليائه ملجأ ولا مؤئل ، ولوا منهزمين مفلولين منكوبين ،
قد أراهم الله العبر في إخوانهم الغلوية ، وطوائفهم المضلة ، وضل ما كان
في أنفسهم ، لما رأوا من نصر الله لجنده ، وإعزازه لأوليائه ، والحمد لله
رب العالمين ، قامع التواقة الناكبين عن دينه ، والبغاة الناقضين لعهد ،
والمرآق الخارجين من جملة أهل حقه حمداً مبلّغا رضاه ، وموجباً أفضل مزيده ،
وصلّى الله أولاً وآخرأ على محمد عبده ورسوله الهادي إلى سبيله ، والداعى
إليه بإذنه وسلم تسليماً .

وكتب سعيد بن حميد يوم السبت لسبع خلون^(١) من صفر سنة ٣٥١

(تاريخ الطبرى ١١ : ١٠٦ ، واختيار المظوم والمشور ١٣ : ٢٨٤)

١٤٩ -- كتاب سعيد بن حميد إلى بعض أهل السلطان

وكتب سعيد^(٢) بن حميد إلى بعض أهل السلطان في يوم الثّروز :
« أيّها السيد الشريف ، عشت أطول الأعمار ، بزيادة من العمر
موصولة بفرائضها من الشكر ، لا ينقض حقّ نعمة حتى يُجدّد لك أخرى ،
ولا يمرّ بك يومٌ إلا كان مقصّراً عما بعده ، مؤفياً عما قبله .
إني تصفحت أحوال الأتباع الذين يجب عليهم الهدايا إلى السّادة ،

(١) هكذا في الأصل وأراه خطأ وصوابه « بقين » لأن الوقعة استمرت إلى « يوم الأربعاء
لإحدى عشرة ليلة بقيت من صفر » كما جاء في هذه الرسالة .

(٢) كان كاتب أحمد بن الحبيب ، وقلده المستعين ديوان الرسائل ، وكان كاتباً شاعراً مترسلاً
عذب الألفاظ مقدماً في صناعته ، وهو من أبناء المجوس . وكان يدعى أنه من أولاد ملوك الفرس - انظر
ترجمته في الفهرست لابن النديم ص ١٧٩ ومروج الذهب ٢ : ٤٠٨ وتاريخ الطبرى ١١ : ٧٠
والأغانى ١٧ : ٢ .

فالتستُ النَّاسِيَّ^(١) بهم في الإهداء ، وإن قصَّرتُ بي الحالُ عن الواجب ،
وإني إن أهديتُ نفسي فهي ملكٌ لك ، لا حظَّ فيها لغيرك ، ورميت
بطرفي إلى كرائمِ مالي فوجدتها منك ، فإن كنتُ أهديتُ منها شيئاً فإني
لأهدِ مالكَ إليك ، ونزعتُ إلى مودتي فوجدتها خالصةً لك ، قديمةً غيرَ
مستحدثةً ، فرأيتُ إن جعلتها هديتي لم أجدد لهذا اليوم الجديد برّاً
ولا لطفاً ، ولم أميز منزلةً من شكرى بمنزلة من نعمتك إلا كان الشكر
مقصراً عن الحق والنعمة ، زائداً على ما تبلغه الطاقة ، فجعلتُ الاعترافَ
بالتقصير عن حقك هديةً إليك ، والإقرار عما يجب لك برّاً أتوصلُ به
إليك ، وقلتُ في ذلك :

إن أهدِ مالاً فهو واهبهُ وهو الحقيقُ عليه بالشكرِ
أو أهدِ شكرى فهو مرتَهَنٌ بحميلِ فعلِكَ آخرَ الدهرِ
والشمسُ تستغني إذا طلعتُ أن تستضيءَ بسنةِ البدرِ^(٢)
(القمد الفريد ٣ : ٣٠٧)

١٥٠ - كتاب سعيد بن حميد إلى صديق له

وكتب سعيد بن حميد إلى صديق له يوم نيروز :

« هذا يومٌ سهَّلتُ فيه السنةَ للعبيد الإهداء لملوك ، فتعلقتُ كلُّ
طائفةٍ من البرِّ بحسبِ القدرة والهمة ، ولم أجِد فيما أملكُ ما يفي بحقِّك ،

(١) قال في اللسان : النَّاسِيَّ في الأمور : الأسوة أى القدوة ، وفلان يَأْسِي بفلان : أى
يقتدى به .
(٢) السنة : الوجه .

ووجدت تقرّظك أبلغ في أداء ما يجب لك ، ومن لم يؤت في هديته إلا من
جهة قدرته فلا طعن عليه . (صبح الأعشى ٢ : ٤٢٠)

١٥١ — كتاب سعيد بن حميد إلى أبي العباس بن ثوابة

وكان سعيد بن حميد صديقا لأبي العباس^(١) بن ثوابة ، فدعاه يوما ،
وجاءه رسول « فضل »^(٢) الشاعرة ، يسأله المصير إليها ، فمضى معه وتأخر
عن أبي العباس ، فكتب إليه رُقعة يعاتبه فيها معاتبة فيها بعض الغلظة :
فكتب إليه سعيد :

أقليل عتابك ، فالبقاء قليل	والدهر يُعَدِّلُ تارةً وَيَمِيلُ
لم أبك من زمن ذنبتُ ضروفة	إلا بكيتُ عليه حين يزولُ
ولكل نائبة ألت مدة	ولكل حال أقبلت تحويلُ
والمُشْمُون إلى الإخاء جماعة	إن حُصِّلُوا أفنّاهم التحصيلُ ^(٣)
ولعل أحداث الليالي والردي	يوما ستصدعُ بيننا وتحولُ ^(٤)
فلئن سبقت لتبكين بحسرة	وليتكثرن على منك عويلُ

(١) آل ثوابة بن يونس من بقاء الكتاب العباسيين ، منهم أبو العباس أحمد بن محمد بن ثوابة
(توفي سنة ٢٧٧) ، وابنه أبو عبد الله محمد بن أحمد وكان مترسلا بليغا ، وكتب للمعتضد ، وأخوه
أبو الحسين جعفر بن محمد بن ثوابة ، تولى ديوان الرسائل في أيام عبيد الله بن سليمان الوزير ، ثم ابنه
أبو الحسين محمد بن جعفر بن ثوابة ، ثم ابنه أبو عبد الله أحمد بن محمد بن جعفر بن ثوابة ، ولى ديوان
الرسائل بعد أبيه محمد بن جعفر سنة ٣١٢ في أيام المقتدر إلى أن مات وهو متوليه في أيام معز الدولة
سنة ٣٤٩ — انظر معجم الأدباء ٤ : ١٤٤ ، ٢٤٣ و ٧ : ١٨٧ والفهرست ص ١٨٧ — ١٨٨
(٢) جارية مولدة من مولدات البصرة ، أهديت إلى المتوكل ولم يكن في نساء زمانها أشرع منها
— انظر أخبارها في الأغاني ج ٢١ ص ١١٤ .

(٣) التحصيل : تمييز ما حصل .

(٤) يصدع : أى يفرق .

وَلْتَفْجَعَنَّ بِمُخْلِصٍ لَكَ وَامِقٍ حَبْلُ الْوَفَاءِ بِحَبْلِهِ مَوْصُولٌ^(١)
(الأغاني ١٧ : ٦)

١٥٢ - كتاب سعيد بن حميد إلى فضل الشاعرة

وغيضت فضل الشاعرة على سعيد بن حميد، فكتب إليها :
يَا أَيُّهَا الظَّالِمُ مَا لِي وَلَكَ ؟ أَهَكَذَا تَهْجُرُ مَنْ وَاصَلَكَ ؟
لَا تَصْرِفِ الرَّحْمَةَ عَنْ أَهْلِهَا قَدْ يَعْطِفُ الْمَوْلَى عَلَى مَنْ مَلَكَ^(٢)
ظَلَمْتَ نَفْسًا فِيكَ عُلَّقَتْهَا قَدَارَ بِالْظُلْمِ عَلَى الْقَلْبِ^(٣)
تَبَارَكَ اللَّهُ ، فَا أَعْلَمَ اللَّهُ بِمَا أَلْقَى ، وَمَا أَغْفَلَكَ !
فراجعت وصله وصارت إليه جواباً للرقعة ،
(الأغاني ١٧ : ٦)

١٥٣ كتابه إلى فضل الشاعرة

وكتب سعيد بن حميد رقعة إلى فضل الشاعرة يعتذر إليها من تغيب
ظنها به ، وفي آخرها :

تَظُنُّونَ أَنِّي قَدْ تَبَدَّلْتُ بَعْدَكُمْ بَدِيلًا ، وَبَعْضُ الظَّنِّ إِثْمٌ وَمُنْكَرٌ
إِذَا كَانَ قَلْبِي فِي يَدَيْكَ رَهِينَةً فَكَيْفَ بَلَاقِلْبٍ أَصَافِي وَأَهْجُرُ ؟
(الأغاني ١٧ : ٤)

(١) الوامق : المحب .

(٢) المولى هنا : السيد .

(٣) علق فلان امرأة (بالباء للجهول) : أحبها .

١٥٤ - كتابه إلى فضل الشاعرة

وتفاضب سعيد بن حميد وفضل الشاعرة أياها ، ثم كتب إليها :

تَبَالَى تُجَدُّ عَهْدَ الرُّضَا وَنَصْفَحُ فِي الْحَبِّ عَمَّا مَضَى
وَتَجْرَى عَلَى سُنَّةِ الْعَاشِقِينَ وَنَضْمَنْ عَنِّي وَعَنْكَ الرُّضَا
وَيَبْذُلُ هَذَا لِهَذَا هَوَاهُ وَيَصْبِرُ فِي حُبِّهِ لِلْقَضَا
وَنَخْضَعُ ذُلًّا خُضُوعَ الْعَبِيدِ لِمَوْلَى عَزِيزٍ إِذَا أَعْرَضَا
فَإِنِّي مُذْ لَجَّ هَذَا الْعِتَابُ كَأَنِّي أَبْطَلْتُ جَمْرَ الْغَضَا^(١)

فصارت إليه وصالحته^(٢) . (الأغاني ١٧ : ٥)

١٥٥ - كتابه إلى أبي هفان

وبلغ أبا هفان^(٣) عن سعيد بن حميد كلام فيه جفاء وطعن على شعره ، فتوعدده بالهجاء . وكان الحاكي عن ذلك كاذبا ، فبلغ سعيدا ماجرى ، فكتب إلى أبي هفان :

أَمْسَى يَخُوفُنِي الْعَبْدِيُّ بِصَوْلَتِهِ وَكَيْفَ آمَنْتُ بِأَسِّ الضَّيْفِ الْمَهْصِرِ^(٤)
مَنْ أَيْسَ يُحْرِزُنِي مِنْ سَيْفِهِ أَجَلِي وَلَيْسَ يَمْنَعُنِي مِنْ كَيْدِهِ حَذَرِي

(١) الغضا : شجر له جر يبق طويلا .

(٢) وقد أورد صاحب الأغاني عدا ماقدما . كانتات شعرية بين فضل وسعيد بن حميد وبينها وبين

غيره ، فارجع إليها في ترجمتهما فيه .

(٣) هو أبو هفان عبد الله بن أحمد بن حرب الشاعر - انظر ترجمته في نزهة الألبا في طبقات الأدبا

ص ٢٦٧ .

(٤) الضيفم : الأسد ، وكذا المهصر ، من هصره إذا كسره .

ولا أبارزه بالأمر يَكْرَهُهُ ولو أَعْنَتْ بِأَنْصَارٍ مِنَ الْغَيْرِ^(١)
 له سِيَهَامٌ بلا ريش ولا عَقَبٍ وقوسه أبدا عُطِّلَ من الوَثَرِ^(٢)
 وكيف آمن من نَحْرِي له غَرَضٌ وسهْمُهُ صَائِبٌ يَخْفَى عن البصر ؟
 (الأغاني ١٧ : ٧)

١٥٦ - كتابه إلى بعض إخوانه

وكتب سعيد بن حميد إلى بعض إخوانه يهنئه بعزل عن عمله :
 « جَعَلَنِي اللَّهُ مِنَ السُّوءِ وَالْمَكْرُوهِ فِدَاءُكَ ، وَأَطَالَ فِي الْخَيْرِ وَالسُّرُورِ
 بَقَاءُكَ ، وَأَتَمَّ نِعْمَةً عَلَيْكَ ، وَأَحْسَنَ مِنْهَا مَزِيدَكَ ، وَبَلَّغَكَ أَقْصَى أَمْنِيَّتِكَ ،
 وَقَدَّمَنِي أَمَامَكَ ، وَقَدْ بَلَغَنِي مَا اخْتَارَ اللَّهُ لَكَ ، فَسُرِرْتَ مِنْ حَيْثُ يَنْتَمُ لَكَ
 مَنْ لَا يَعْرِفُ قَدْرَ النِّعْمَةِ عَلَيْكَ ، وَلَا يَرَاكَ بَيْنَ اسْتِحْقَاقِكَ ، وَلَيْنِ سَاءَنِي
 مَسَاءَ إِخْوَانِكَ مِنْ عَزْلِكَ ، لَقَدْ سَرَّنِي مَا يَسِّرُ اللَّهُ لَكَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
 جَعَلَ انْصِرَافَكَ مَحْمُودًا ، وَقَضَى لَكَ فِي عَاقِبَتِكَ الْحُسْنَى ، وَأَقُولُ :
 لِيَهْنِكَ أَنْ أَصْبَحْتَ مُجْتَمِعَ الْحَمْدِ ورأى المَعَالِي ، وَالْمُحَاسِنِ عَنِ الْمَجْدِ
 وَأَنْكَ صُنْتَ الْأَمْرِ فِيمَا وَلِيَّتَهُ ففَرَّقْتَ مَا بَيْنَ النِّوَايَةِ وَالرُّشْدِ
 فَلَا يَحْسَبُ الْبَاغُونَ عَزْلَكَ مَغْنَمًا فَإِنَّ إِلَى الْإِصْدَارِ عَاقِبَةَ الْوَرْدِ
 وَمَا كُنْتَ إِلَّا السَّيْفَ جُرْدًا لِلْوَغَى فَأَتَمَدَّ فِيهَا ثُمَّ رُدَّ إِلَى الْغَمْدِ
 وقد قال الأول :

(١) غير الدهر : أحداثه المعيرة .
 (٢) العقب : العصب الذي تعمل منه الأوتار .

فَمَنْ يَكُنْ بُوْرُوْدِ الْعَزْلِ مَكْتَتِبًا فَإِنِّي بُورُوْدِ الْعَزْلِ مَسْرُوْرٌ
بَعْدَ الْوِلَايَةِ عَزْلٌ يَسْتَبِيْنُ بِهِ طَوْلُ الْوِلَايَةِ ، وَبَعْدَ الْعَزْلِ تَأْمِيْرُ
أَمَّا مَا عِنْدِي مَعَ تَصَوُّرِ الْعَاقِبَةِ لَكَ فِي نَفْسِي ، فَيَمَسُّنِي فِي أَمْرِكَ فِي حَالِ الْمِحْنَةِ
مَا يَخْصُنِي مِنْهُ فِي وَقْتِ تَجَدُّدِ النِّعْمَةِ ، وَبِحَسَبِ ضَمِيرِكَ الشَّاهِدِ عَلَى مَا عِنْدِي
مَا أَجَدَهُ لَكَ فِي نَفْسِي ، فَلَا زِلْتَ فِي نِعَمٍ مُتَابِعَةٍ مُتَجَدِّدَةٍ ، وَلَا عَدِمْتَ
الثَّرْوَةَ وَالزِّيَادَةَ ، وَبَلَّغَكَ اللَّهُ أَقْصَى أَمْلَاكَ وَأَمَلِ أَخِيكَ لَكَ ، وَكَتَبْتُ^(١)
أَعْدَاءَكَ ، وَجَعَلَنِي وَقَاءَكَ الْمَقْدَمَ عَنْكَ .

أَحِبُّ أَنْ تَشْرَحَ لِي صُورَةَ الْأَمْرِ ، إِلَّا مَا تَأَدَّتْ ؟ وَكَيْفَ كَانَ الْإِبْتِدَاءُ ؟
فَإِنِّي لَا أَشْكُ أَنَّهَا حِيلَةٌ وَنِيَّةٌ مِنْ عِزِّ الصَّاحِبِ الْجَلِيلِ الْقَدْرِ ، وَلَهَا عَاقِبَةٌ مِنْهُ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَحْمُودَةٌ ، وَتُقْضَى مِنْ ذَلِكَ إِلَى مَا تَسْكُنُ إِلَيْهِ نَفْسِي ، إِنْ شَاءَ
اللَّهُ . (اخْتِيَارُ النِّظَامِ وَالْمَشُورِ ١٣ : ٣٠١)

١٥٧ — كِتَابُهُ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ

وَكَتَبَ سَعِيدُ بْنُ حَمِيدٍ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ يَهْنِئُهُ بِعِزِّهِ عَنْ عَمَلِهِ :
« حَفِظَكَ اللَّهُ بِحِفْظِهِ ، وَأَسْبَغَ عَلَيْكَ كِرَامَتَهُ ، وَأَدَامَ إِلَيْكَ إِحْسَانَهُ .
إِنْ سُرُورِي بِصَرْفِكَ ، أَكْثَرُ مِنْ سُرُورِ أَهْلِ عَمَلِكَ بِمَا خُصُّوا بِهِ مِنْ
وِلَايَتِكَ ، وَقَدْ كُنْتَ — أَعَزُّكَ اللَّهُ — فِيمَا يُرَبُّ^(٢) بِكَ عَنْهُ ، بِمَا أَنْتَ عَلَيْهِ فِي

(١) كَتَبَ : أَذَلَّهُ وَرَدَّهُ نَفِظَهُ .

(٢) يُقَالُ : إِنِّي لِأَرْبَابِكَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ : أَيْ أَرْفَعُكَ عَنْهُ ، وَاسْتَأْهَلَهُ : صَارَ أَهْلًا لَهُ وَمُسْتَحَقًّا ،
قَالَ صَاحِبُ الْقَامُوسِ : وَهِيَ لَعْنَةُ حَيْدَةٍ ، وَلِإِسْكَارِ الْجَوْهَرِيِّ بَاطِلٌ (إِذْ يَقُولُ : وَلَا تَقُلْ مُسْتَأْهَلٌ ،
وَالْعَامَّةُ تَقُولُهُ) .

قدرك واستيْهاك ، وَلَكِنَّا رَجَوْنَا أَنْ يَكُونَ سَبِيًّا لَكَ إِلَى مَا تَسْتَحِقُّ ، فَطَبَّنَا
نَفْسًا بِالَّذِي رَجَوْنَا ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَلَّمَكَ مِنْهُ ، وَنَسْأَلُهُ تَمَامَ نِعَمِهِ عَلَيْكَ
وَعَلَيْنَا فِيكَ ، بِتَبْلِيغِكَ أَمْلَكَ وَأَمَانًا فِيكَ ، وَشَفْعَ مَا كَانَ مِنْ وِلَايَتِكَ
بِأَعْظَمِ الدَّرَجَاتِ ، وَأَشْرَفِ الْمَرَاتِبِ ، ثُمَّ خَصَّكَ اللَّهُ بِجَمِيلِ الصَّنْعِ ، وَبَلَّغَكَ
غَايَةَ الْمُؤْمَلِينَ .

إِنْ مِنْ سَعَادَةِ الْوَالِي - حَفَظَكَ اللَّهُ - وَأَعْظَمَ مَا يُنْخَصُّ بِهِ فِي عَمَلِهِ وَوِلَايَتِهِ ،
السَّلَامَةُ مِنْ بَوَائِقِ^(١) الْإِثْمِ ، وَنَوَائِبِ الدُّنْيَا وَشَرِّهَا ، وَالْعَاقِبَةُ مِمَّا يُخَافُ مِنْهَا ،
وَقَدْ خَصَّكَ اللَّهُ مِنْهَا - بِمَنَّةٍ وَطَوَّلَهُ - مَا نَرْجُو أَنْ يَكُونَ سَبِيًّا لَكَ إِلَى نَيْلِ
مَا تَسْتَحِقُّ مِنَ الْمَرَاتِبِ ، وَاللَّهُ نَسْأَلُ إِنْزَاعَكَ^(٢) شُكْرَ مَا مَنَّ بِهِ عَلَيْكَ ،
وَتَبْلِيغَكَ غَايَةَ أَمْلِكَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ ، بِرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ .

(اخْتِيارُ النِّظَامِ وَالْمَشُورِ ١٣ : ٣٠١)

١٥٨ - كِتَابُهُ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ

وَكُتِبَ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ :

«سَرَّكَ اللَّهُ بِتَتَابُعِ نِعَمِهِ ، وَتَرَادُفِ إِحْسَانِهِ ، وَزَادَكَ مِنْ فَوَاضِلِ أَقْسَامِهِ ،
بَلَّغْنِي - أَكْرَمَكَ اللَّهُ - مَا وَهَبَ اللَّهُ لَكَ مِنْ سُلْطَانِكَ ، فَقَوَّاكِ اللَّهُ عَلَى
مَا اسْتَرْعَاكَ ، وَرَزَقَكَ الشُّكْرَ عَلَى مَا أَوْلَاكَ ، وَالسَّلَامَةُ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا .

(اخْتِيارُ النِّظَامِ وَالْمَشُورِ ١٣ : ٢٩٩)

(١) الْبَوَائِقُ جَمْعُ بَائِقَةٍ : وَهِيَ الدَّاهِيَةُ .

(٢) أَوْزَعَهُ اللَّهُ : أَلْهَمَهُ .

١٥٩ .. كتابه إلى بعض إخوانه

وكتب إلى بعض إخوانه :

« أنا أهني بك العمل الذي وُلِّيتَه ، ولا أهتثك به ، لأن الله أصاره إلى مَنْ يُورده مَوَارِدَ الصواب ، وَيُصْدِرُهُ مَصَادِرَ الْحُجَّة ، ويصونه من كل خلل وتقصير ، ويُمنّضيه بالرأى الأصيل ، والمعرفة الكاملة ، قرّن الله لك كل نعمة بشكرها . وأوجب لك بطوّله المزيد منها ، وأوزعك من المعرفة بها ما يصونها من الفتن ، ويحوطها من النقص » .

(اخبار المظوم والمشور ١٣ : ٢٩٩)

١٦٠ - كتاب له في السلامة

« كتابي إليك عن سلامة ، ووَحْشَتِي لفراق البلد الذي يجمع السادة والإخوان ، والأهل والجيران ، على حَسَبِ الأُنس بمكاني فيه ، والسرور به ، ولكنَّ المقدار يجزى فيَتَصَرَّف معه ، وَقَعَ ذلك بالهوى أو خالفه ، ولئن كانت هذه حالي في الوحشة ، إنَّ أكثر ذلك وأوفره لفراقك وما بُعدنا من الأُنس بك ، فأسأل الله أن يهب لنا اجتماعا عاجلاً في سلامة من الأبدان ولأديان ، وغبطة من الحال ، وغنى عن المطالب برحمته » . (اخبار المظوم والمشور ١٣ . ٣٧٥)

١٦١ - كتاب له في الشوق

« كتابي والله يعلم كيف وَحَشْتِي لك ، لا أوحشك الله من نعمه ، ولا فرّق بينك وبين طافيته ، وكان مما زاد في الوحشة أنها جاوزت الأمل المتكّن في الأنس بقرب الدار ، وتداني المزار ، نحمد الله عز وجلّ على نعمه ، ونستدعيه لك ولنا فيك أجلاً بلائيه ، ونسأله ألا يُخْلِيَك من شكره ومزيده ، ولو كنت في كل يوم أكتبُ إليك كتاباً ، بل لو شخصتُ نحوك قاصداً ، لكان ذلك دون الحق ، ولكني غَلِقْتُ^(١) بما تعلم من العمل ، وأكره أن أتاع كُتُبِي فأسلك سبيلاً من سُبُل الثقل ، وأقفُ بمنزلة توسطٍ ، أرجو أن أسلمَ بها من الجفاء والإبرام ،^(٢) وأنا وإن أبقيتُ عليك من الزيادة في شغلك ، فلستُ بممتنع من مسألتك التطول بتعريفِ جِملَةٍ مِنْ خَبَرِكَ أَسْكُنُ إليها ، وأعتدُّ بالنعمة وأحمد الله عليها . (اختيار النطوم والشور ١٣ : ٣٧٥)

١٦٢ - كتاب آخر

« كتابك ليس من الحق أن أسألكه في كل ما نَقَذَ لي رسولٌ ، ومن الجفاء^(٣) أن أُعْصِيكَ منه في كل وقت ، ولكن أسألكُ بنا سبيلاً بين السبيلين نَخْرُجُ نحن وأنتُ بها من حَدِّ المُبْرَمِينَ ، ونخرج أنتُ بها من حَدِّ الجفاء . (اختيار النطوم والشور ١٣ : ٣٧٥)

(١) من علق الرهن : إذا لم يفتكك في الوقت المشروط ، والمعنى أني مقيد بقيود من العمل لأجلٍ منها ، مرهق بالشواغل الحجة التي ملكت على أوقائي .
(٢) أكرهه : أصحره . (٣) في الأمل رسون من الجفاء ... » .

١٦٣ - كتاب آخر

« أنا أتعمد في كتبى إليك ما يخفى ويسهل عليك ، فأمنسك عن الكتاب أحياناً بالإبقاء^(١) ، وأكتب أحياناً لئلا يتوهم على الجفاء ، فإن يجزى الأمر عندك فيها هذا المجزى ، وإلا فالمستعتب قريب ، ومتابعة الكتب على سهل ممكن » . اختيار (المطوم والشور ١٣ : ٣٧٥)

١٦٤ - كتاب له في توصية

« من شكر فقد قضى حق النعمة ، واستوجب من المنعم الزيادة ، وقد شكر فلان ما وعدته في حاجته ، فاستوجب الإنجاز بالشكر ، وكل ما ناله من مرفق وحظ فيها واصلان إلى دونه ، فأحب أن تأتى في أمره ما أنت أهله » . (اختيار المطوم والشور ١٣ : ٣٨٣)

١٦٥ - كتاب له في الاعتذار

« من قبل عذر في ترك إجابته فلا قبل الله عذره ، ومن حسن أمر في ترك ابتداءه بالكتاب فلا حسن الله أمره ، فإنك الآن بفضل حذقك أردت أن تحفوني بحجة ، وتقصر في برى يرهان قاطع يقوم عند الجاهل - غيرك - مقام المقبول من الأمر ، ولكنه إذا تصفحه أهل النظر علموا

(١) أى سبب الإبقاء عليك ، والإشفاق من الريادة في شغلك ، لعل بكثرة أعمالك .

أنه طَرَف من الحيلة استعملته ، وطريقٌ من القدر سلكته ، والله إن في طمعك في أن أقبل إقرارك بالعجز عن إجابتي ، لمساومة منك بعقلي ، وتشكيك لي فيما تحيط به معرفتي ، وثقري لي بالجهل من حيث شهدت بالعلم لي ، وأبلغ المناقضة ما لم تطل فيه المجاذبة ، وما استشهد فيه على المنازع من قوله ، وعُدِل عن التماس الدليل من جهة تبعد بينه وبين صاحبه ، فد صدقت - أعزك الله - في كل ما قدمت من الدعوى ، وفلجئت^(١) فيما ذهبت إليه من الحجّة ، وعجزت بالحقيقة عما انتحلت العجز عنه في الظاهر . فقد كتبت إلى كتابا لم تعد فيه طريق العادة ، هو كتابنا هذا ، فاكتب الآن الجواب ، وأنت محمود يا صلف^(٢) ، وحسبي من معاتبتك ، فليس يجب للفارغ أن يكلف المشغول النظر في أكثر من هذا المقدار من كتابه فيما لا يجدي ولا يعود بحظ . (احصار المطوم والمشور ١٣ : ٣٩٠)

١٦٦ - كتاب تعزية له

« إذا استوى المعزى والمعزى في النائية ، استغنى عن الاكتار في الوصف لموقع الرزية ، والعذر في التأخر يكاد ظهوره ينبئ عن التنبيه عليه ، وأنت أولى بما تطوّل به في قبوله . وأنا أقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، إقرارا له بالهلكة واعترافا بالارجع إليه ، وانسليما لقضائه ، ورضا بمواقع أقداره ، وأسأل الله أن يصلي على محمد صلاة متصلة بركاتها ، وأن يوفقك

(١) أي انتصرت وطمعت .

(٢) الصلف بالهمزة : محاور . من الطرف والادعاء فوق ذلك كثيرا .

لما يُرضيه عنك قولاً وفعلًا ، حتى يُكْمِلَ لك ثوابَ الصابر المحتسب ،
وجزاء المطيع المتعجل للوعد ؛ ويرحم فلانا ويُحِلَّهُ أعلى منازلِ أوليائه الذين
رَضِيَ سَمِيحُهُمْ ، وتطوَّلَ بفضلِهِ عليهم ، إنه وليُّ قدير »

(احتيار المنظوم والمشور ١٣ : ٣٠٦)

١٦٧ -- كتاب تعزية له إلى محمد بن عبد الله بن طاهر

وكتب تعزية إلى محمد بن عبد الله بن طاهر عن بعض أوليائه :
« ورد على الخبر - أعز الله الأمير - بحادث قضاء الله في الوليِّ الناصح ،
المطيع الشاكر ، فلان - رحمه الله - فكان وقع المصاب به على حسب علمي
بمحله كان من الأمير وما يراه من حق طاعته ونصيحته ، وما يجري
عليه من أدبه وسلوك نهجه ، والتمسك بأمره ، وما يوجبه الأمير لمن وسمه
بمعروفه ، وشرفه باختياره ، واختصه بالقرب من خدمته ، هذا مع ما أخلص
اللهُ بيني وبينه من المودة الصادقة ، والثقة الصحيحة التي بعثتنا على التمسك
بمحبل الأمير ، والاتصال بأسبابه . والوقوف في ظلِّه ، فإنَّ الله عز وجل
جعل ذلك سببا يجمع أهله ، وإن اختلفت بهم الأسبابُ ، وتفرقت بهم
الديارُ ، وتباعدت الأشكالُ .

وأعظم الله للأمير الأجرَ ، وأجزَلَ له المثوبة والدُّخْرَ ، وجعل الله
الأمير وارت أعمارنا ، والباقي بعدنا ، والمؤمل لخُلوِّنا وأعقابنا ، ورَحِمَ الله
أبا فلان ونقله إلى جنته التي لا يجاوزها أملٌ ، ولا يوازيها خطرٌ ، فما أكادُ
أشهدَ مُشْهَدًا من مشاهد التمييز والنظر ، إلا وهم شاهدون له بالفضل الذي

شرفه به اصطناعُ الأمير واختياره والنصيحةُ له ، وقدمه الله به على أكفائه^(١) ، فلقد رفعه الله به إن شاء الله في حياته [وأورثه^(٢)] ثناءً جليلاً بعد وفاته . (اختيار المطوم والنور ١٣: ٣٠٧)

١٦٨ — تعزية له في مثله

« لولا أن التعزية على المصائب سبيل لا يُنكر على مثلي من خدم الأمير وعبيده سلوكها ، لأجللتُ الأمير أن أذكره من الصبر وحسن العزاء بما أعلم أنه بفضل نعمة الله عليه ، وما خوّله من العلم الذي جعله به قدوة ، وإنما أسأل الله عز وجل أن يوفق أمير المؤمنين لما يُعظم به أجره ، ويُجزل به منوبته ، ولا يهدّ له ركنا ، ولا يُريه في شيء من عواريه لديه ومناحيه نقصاً ولا غيراً ، ولا تبديلاً ، بمنّة ولطفه » . (احيار المطوم والنور ١٣: ٣٠٧)

١٦٩ — كتاب له

وكتب:

« شُئناك يقطعنا عن مطالبتك بالحق في جوابات كتبتنا إليك ، وصدق مودتنا لك يمنعنا من التقصّي في الحجة عليك ، ومن يَكِلُك إلى رأيك فإنه لا يفي بك إلا لك ، صلة إخوانك والتعاهد لهم من برك بما يشبه فضلك والنعمة عليهم فيك .

(١) في الأصل « والنصيحة له التي قد الله به على كفايه ، وهو تحريف .

(٢) ردت هذه الكلمة لاستقيم العارة .

وفلان بينى وبينه مودة أقدمه بها على الأخوة ، لأنك تعلم قرب ما بين المودة والقربة ، وقد بلوته^(١) على الحالات كلها ، فلم يزدنى اختباره إلا اختياراً له ، ولا أعلم بالعسكر جليلاً إلا وهو لى صديق ، يشكر بشكره ، ويوجب على نفسه المنة فيما آتى إليه ، فأما من بين إخوانه فليست أعدى عن قضاء حقه ، ولا أتأخر عن معروف أسدى إليه ، فإن رأيت أن تحمله بالمحل الذى يستحقه بنفسه وسلفه ، فوالله ما رأيت سؤق الأحرار أتفق^(٢) منها عندكم ، أهل البيت ، أبى الله تبارك وتعالى بإقيم ، ورحم ماضيكم .

(اختيار المطوم والمنور ١٢ : ٢٥٩)

١٧٠ - تحميد له فى فتح

وله تحميد فى فتح عن وصيف :

« أما بعد ، فالحمد لله الحميد المجيد ، الفعال لما يريد ، الذى خلق الخلق بقدرته ، وأمضاه على مشيئته ، ودبره بعلمه ، وأظهر فيه آثار حكمته التى تدعو العقول إلى معرفته ، وتشهد لدى الأبواب برؤيته ، وتدل على وحدانيته ، لم يكن له شريك فى ملكه فينازعته ، ولا معين على ما خلق فتزومه الحاجة إليه ، فليس يتصرف عباده فى حال إلا كانت دليلاً عليه ، ولا تقع الأبصار على شىء إلا كان شاهداً له ، بما رسم فيه من آثار صنعه ، وأبان فيه من دلائل تديره ، إعذاراً بحجته ، وتطوئلاً بنعمته ، وهداية إلى حقه ، وإرشاداً إلى سبيل طاعته » وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو

(١) بلاء يلو : اختبره .

(٢) أى أروح .

أَهْوَنُ عَلَيْهِ ، وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ .

والحمد لله العزيز القهار ، الملك الجبار ، الذي اصطفى الإسلام واختاره ، وارتضاه وطهره ، وأعلاه وأظهره ، فجعله حُجَّةَ أَهْلِهِ عَلَى مَنْ شَاقَّهُمْ ^(١) ، ووسيلتهم إلى النصر على مَنْ عِنْدَ ^(٢) فِي حَقِّهِمْ ، وابتغى غيرَ سبيلهم ، وبعث به رسالَه يدْعُون إلى حقِّه ، ويَهْدُون إلى سبيله بِالْآيَاتِ الَّتِي يَبَيِّنُونَ بِهَا عَنِ الْمَخْلُوقِينَ ، وَيُوجِبُونَ بِهَا الْحُجَّةَ عَلَى الْمُخَالِفِينَ ، حَتَّى انْتَهَتْ كَرَامَةُ اللَّهِ إِلَى خَاتَمِ أَنْبِيَائِهِ ، وَحَامِلِ كِتَابِهِ ، وَمِفْتَاحِ رَحْمَتِهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ، وَاخْتِلَافٍ مِنَ اللَّيْلِ ، وَدُثُورٍ ^(٣) مِنْ أَعْلَامِ الْحَقِّ ، وَاسْتِعْلَاءٍ مِنَ الْبَاطِلِ ، وَالنَّاسُ حَانِدُونَ عَنْ سَبِيلِ رَبِّهِمْ ، يَتَسَافَكُونَ دِمَائِهِمْ ، وَيُحِثُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَيَعْبُدُونَ مَنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ، وَأَيَّدَهُ بِالْبُرْهَانِ الْوَاضِحِ ، وَالْحُجَجِ الْقَوَاطِعِ ، وَالْآيَاتِ الشَّوَاهِدِ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ الْعَزِيزِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ مُجِيدٍ ، وَجَعَلَ فِيهِ أَوْضَحَ الدَّلِيلِ عَلَى رِسَالَتِهِ ، وَأَعَدَّ الشَّوَاهِدَ عَلَى نَبَوْتِهِ ، إِذْ عَجَزَ الْمَخْلُوقُونَ عَنْ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ عَلَى مَرَّةٍ الْأَيَّامِ ، وَكَثْرَةِ الْأَعْدَاءِ وَالْمَنَازِعِينَ ، يَتَحَدَّاهُمْ بِهِ فِي الْمَوَاسِمِ ، وَيَقْصِدُهُمْ بِحُجَّتِهِ فِي الْمَحَافِلِ ، وَلَا يَزْدَادُونَ عَنْهُ إِلَّا حُسُورًا ^(٤) وَعَجْزًا ، وَلَا تَزْدَادُ حُجَّةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ إِلَّا تَظَاهُرًا وَعُلُوهَا ،

(١) أَيِ حَالِهِمْ وَعَادَاتِهِمْ .

(٢) أَيِ مَالٍ .

(٣) دُثُرُ الْأَثَرِ كَدُخْلِ دُثُورِ : دَرَسَ .

(٤) أَيِ كَلَالٍ وَانْقِطَاعٍ .

ثم أيده بالنصر بأنصار ألف بينهم بطاعته ، وجمعهم على حقه ، ولم شعثهم
 بنصرة دينه ، بعد الشقاق المتصل بينهم ، والحرب المفرقة لجماعتهم ، كما قال
 عز وجل : « هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ » وقدم إليه وعده بالنصرة
 والتمكين ، فجعله بشرى للمؤمنين ، وحجة على الكافرين ، ودليلا على ما
 بعثه به من الدين ، فهزم بالقليل من عددهم الكثير من عدد أعدائهم ، وغلب
 بضعفائهم أهل القوة ممن ناوأم^(١) . فقل به خدكم ، وفض جموعهم ، وافتتح
 حصونهم وحرير^(٢) معاقليهم ، وأظهر بحجته ونصره عليهم ، وأنجز سابق
 وعده لهم وفيهم ، والله لا يخلف الميعاد .

(اختيار المطوم والمثور ١٣ : ٢٨٢)

١٧١ — فصول لسعيد بن حميد في المودة

وكتب سعيد بن حميد :

« إني أهديت مودتي رغبة إليك ، ورضيت بالقبول منك مثوبة ،
 فصرت بقبولها قاضيا لحق ، ومالك لرق ، وصرت - بالتسرع إلى الهدية ،
 والتخير للمثوبة - مرمتهن اللسان بالرضا ، واليدن بالوفا . »



وفصل له :

« إني صادقتك منك جوهر نفسي ، فأنا خير محمود على الانقياد لك بغير
 زمام ، لأن النفس يقود بعضها بعضا . »

(١) أي عادم .

(٢) الحرير : الحصين ، والمقل كجلس : الملحأ .



وفصل له :

« لسانى ترطَّب بذكرك ، وقلبي معمور بمحبتك ، حضرت أو غبت ،
سرت أو أقت » . (العقد المرید ٢ : ١٩٢)

١٧٢ - كتاب سعيد بن عبد الملك إلى سعيد بن حميد

وكتب سعيد بن عبد الملك إلى سعيد بن حميد :

« أكره - أطال الله بقاءك - أن أضعك ونفسي موضع العذر
والقبول ، فيكون أحدنا معتذرا مقصرا ، والآخر قابلا متفضلا . ولكن
أذكر ما في التلاقي من تجديد البر ، وفي التخلف من قلة الصبر ، وأسأل الله
تعالى أن يوفقك وإيانا لما يكون منه عُقبى الشكر » .

١٧٣ - رد سعيد بن حميد عليه

فأجابه سعيد بن حميد :

« وصل كتابك - أكرمك الله تعالى - الحاضر سروره ، اللطيف
موقعه ، الجميل صدوره ومورده ، الشاهد ظاهره على صديق باطنه ، ونحن
- أعزك الله - نجعل عزاءك الاعتراف بفضلك ، ومجازاتك التقصير دونك ،
ونرى أن لا عذر في التخلف عنك وإن حال الاشتغال بيننا وبينك ، فإن
كنت سامحت على العذر قبل الاعتذار ، وسبقت إلى فضيلة الاعتذار ،

فلا زلتَ على كل خير دليلاً ، وإليه داعياً ، وبه آمراً ، وقد التقينا قبل وصول كتابك لقاءً أخذتَ قطراً^(١) ، وهاجَ شوقاً ، وأرجو أن تتسع لنا الجمعة بما فاضت به الأيامُ ، فننالَ حظاً من محادثتك والأنسِ بك .

(زهر الآداب ٣ : ٣٦١)

١٧٤ - كتاب لسعيد بن عبد الملك في السلامة

« أما بعدُ ، فإن أَوْلَى نعمةٍ تُشكر وتُقبلُ ، نعمةٌ خَصَّتْ فاستقامت بها الأمورُ ، واقعةٌ بمصالحها ، جاريةٌ على أقصد^(٢) سُنَنِها ، وأَجَلٍ ما وَلِيَ اللهُ به منها ، وعَمَّتْ فَالَّتِ البشرَ ، وَجَمَّتِ الكلمةَ ، وآمَنَتِ السَّرْبُ^(٣) ، وَمَسَكَنْتْ بها الدَّهْماءُ^(٤) .

وإن أمير المؤمنين كتبَ إليك ، وهو من ترادف النعم الخاصة عنده في نفسه وولده وأدانيه وأوليائه ، من شمول السلامة والنعمة والصنع وتتابعه في رعيته وأموره بحضرة وقاصيته وكذا ...

فاللهُ يتولى لأمر المؤمنين في ذلك شكرَ تفضُّله ، وإليه الرغبةُ في إدامة أحسنِ ما أنعم به عليه ، إنه وليّ قدير .

(اختيار المطوم والمشور ١٣ : ٣٦٦)

(١) أى قطر السموع ، كناية عن شدة تأثير اللقاء .
(٢) أى أقوم ، أفعل من القصد وهو استقامة الطريق .
(٣) السرب : النفس .
(٤) الدهماء : جماعة الناس .

١٧٥ - كتاب له في سلامة الفطر

« أما بعدُ ، فإن الله هو وليُّ أمير المؤمنين فيما استحفظه من النظر في سياسة عباده ومراعاة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإقامة شرائع دينه ، ودلالة الأمة إلى مَراشِدِها في قضاء حق الله عليها ، وجمعها في المواطن التي ندبها إليها ، وجعل نَوَافِلَ^(١) الخير والبرِّ فيها ، فأدام الله صلاحها ، ولا أخلاها من بَرَكَه رعايته ، ومن ولايته وسياسته ، ولا زالت في كَنَفِ السلامة بسلامته ، وظِلِّ العافية بعافيته ، وعلى سبيل نجاة هدايته .

وقد كتبتُ إلى أمير المؤمنين فيما وليه الله به في مَخْرَجِه إلى عِيده من يوم فِطْرِه ، وما وفقه له من التقرب إليه بوسائل التذلل في طاعته ، والاجتهاد في شكره ، والمناصحة في مخاطبة مَنْ حَضَرَه ، وإنصاتهم لوعظه وتذكيره ، وما وليه الله به من العافية والسلامة الشاملة ، والنعمة الكاملة (والسلامة^(٢) التامة) والعزم الموصول بالسكينة ، والإخبات^(٣) والخشوع . وحُسن الرغبة والدَّعة والوقار والاستغفار والتكبير والتهيل ، وما منحه الله من كثرة الداء بمن شاهد من خاصته وعامته ، ومن أوفى من البلدان والأمنصار ، وآتاه من تفرغهم لشكر النعمة عليهم ، وأفرشهم^(٤) من عدله وإحسانه ، وفضله وامتنانه ،

(١) النافلة : العطية .

(٢) هكذا في الأصل ، ويلاحظ أن كلمة « السلامة » قد تقدمت ، فلعله سهو من الناسخ ، أو قد

يكون الأصل « والسلطة التامة » .

(٣) أخبت : خضع وتواضع .

(٤) من أفرش فلانا بباطا : إذا بسطه له كفرته .

وأطاعهم على ما كانوا يتشوقون^(١)، ويُعيدون له في أعيادهم، من رفع حوائجهم
وذكر مظالمهم، منّا من الله خصّ به خليفته، وأعطاه فضل مزيته، بما
وفقه له من العدل والنصفة، والبرّ والمريحة، والعطف^(٢) والرافة، كتاباً
أمرت بنسخه لك آخر كتابي هذا، فافعل وافعل ... والسلام .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٢٧١)

١٧٦ - كتاب له في الاعتذار

« لحظك الله بمغفرته، وحاد عليك وعلينا بعفوه، فندسأل الله ما لا يقبله
على العلم والقدرة غيره، لو بدّلت مكان سوء الظن أحسنه، وتيقنت أن قليل
ما يلزم بصديقي - ممّا يطرّف عينه، ويؤذيه سماعه، دون ما يخاف من لواحق^(٣)
عيبه - لا يزأيل خلدي الاهتمام به، حتى يجعل الله مخرجاً، كنت روّحت
عن قلبك وعنّي في استبطائك . (اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٨٦)

١٧٧ - تعزية لسعيد بن عبد الملك

« لكل مُعزٍّ - أعزّ الله الأمير - سبيل في موقعه من التعزية والعزاء،
وحقّ الأمير لا يقضيه طول السعي فيه . لجلالة خطره، وعظّم قدره،
وكلّ ما أدّى إليه منه فهو دون ما يجب له (وما^(٤) قصّر عنه) لفضل منزلته،

(١) تشوق إليه : اطماع .

(٢) في الأصل « والمطة » وهو محريف .

(٣) في الأصل « من لواحق عيبه » وأراه محرّفاً .

(٤) ما هنا نافية، والجملة حالية .

وارتفاع مَزِيد النعمة عليه وتَوَالِيهَا^(١) ، فإن النعم على الأمير متكاملة قد وفَّرته عن الجزع لحادثِ المصيبة ، وذَلَّلته بالتقوى لخالص الشكر ، وعلَّتْ به في كل أمر يحدث له أو عليه ، وحطَّتْ درجةً مثلى عن تعزيتِه إلا بالدعاء ، فثَبَّتْ الله الأمير بعزيمة الصبر ، ووفَّاه متكاملَ الأجر ، وزاده في مدة العمر ، ولا أخلاه في السَّراء والضَّراء من نعمة تثبَّتْه على شكر يجمع له به ذخائر البر ، ووهب لميَّتِه رضوانه ومغفرته ، وبرَّدَ عفوه في جنته التي لا يجاوزها أملٌ ، ولا يَبْلُغُهَا خَطَرٌ . (اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣١٢)

١٧٨ - تعزية له

« المصائب - أكرمك الله - هدايا لقوم ، وبلايا على آخرين ، فجعلك الله ممن عَقَلَ ، عند ما استعملَ الشكرَ عند الإمتاع ، والصبر عند الارتجاع . (اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣١٧)

١٧٩ - كتاب له في توصية

« للمودة أسباب تؤدي إلى اتصال المحبة ، واجتماع المودة ، واتِّساق نَظْمِ الأخوة وكتابي هذا من أسبابها القوية ، إذ كان في سبيل البرِّ والمثوبة ، ولفلان قبلك حاجةٌ ، فافعل وافعل . (اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٩٣)

(١) في الأصل « وتواهيها » وهو تحريف .

١٨٠ - كتاب آخر

« كتابي إليك لك، فإن قبلته كان شبيها بكرمك ونعمة الله عندك ، وما أقبل منك إلا أن تقبله ولا تؤخره ، وهو أنك قد عرفت ما يجب لفلان، وما كتبت به له ، وما أرجع عليه بلوئم في حسن ظنه بك ، وصبره عليك ، ووفائه لك ، ولا أرضى منك أن تغفل عنه ، وأن تجعل حاجته فيما تدافع به أو تتلث فيه ، فقد ضمنت له عنك أن يكون جوابه النجح ، وقد اقتصر على كتابي واقتصرت له عليه ، وأرجو ألا تُخلّ به ، ولا تردّه بغير حظ إن شاء الله » . (اختيار المنظوم والمشور ١٣ : ٣٩٣)

١٨١ - كتاب له في إطلاق محبوس

« معرفتي أنك لا تجاوز في العقوبة سبيلها من مواقع الأدب بالحق ، تحمّلني على مسألتك ما أنت مُوجب له ، والدّ كرى تنفع المؤمنين ، ولولا ذلك لاستغنى صاحب كتابي عنه ، فإن كان ذنبه صغيرا ، فالعقوبة تُخرجّه من حبسه ، وإن كنت تناهيت في حبسه إلى مدة ذنبه ، فالحق يُخرجّه ، وكتابي متقاض لك » . (اختيار المنظور والمشور ١٣ : ٣٩٤)

١٨٢ - كتاب له

وكتب سعيد بن عبد الملك :

« كتبت - على شغل - في قطع من القرطاس ، ولم يقطع بي حسن

الظن بك في قبولك العذر ، وتحسينك ما أنت أهل لتحسينه ، فإنك تقبل دون حَقِّك ، وتهب الذنب فيه ، فيكون شكرك جارياً على سبيلين ، كلاهما يُبين لك عن فضلك ، ويُوجب لك ما لا يقصّر معه إلا مغبون الحظ ، خسيس النصيب . (اختيار المنظوم والمنثور ١٢ : ٢٦٤)

١٨٣ - ومن فصوله

فصل له :

« أنا صَبَّ إِيَّكَ ، سَامِي الطَّرْفِ نَحْوَكَ ، وَذِكْرُكَ مُلْصَقٌ بِلِسَانِي ، وَاسْمُكَ حُلَّةٌ لِي لَهَوَاتِي ^(١) وَشَخْصُكَ مَائِلٌ بَيْنَ عَيْنَيَّ . وَأَنْتَ أَقْرَبُ النَّاسِ مِنْ قَلْبِي ، وَآخِذُهُمْ بِمَجَامِعِ هَوَايَ . »

:

وفصل له :

« لَنَحْنُ أَحَقُّ بِابْتِدَائِكَ بِمَا ابْتَدَأْتَنَا بِهِ مِنَ الصَّلَاةِ ، إِلَّا أَنْكَ أَحَقُّ بِالْفَضْلِ الَّذِي سَبَقْتَنَا إِلَيْهِ . » (العدد المرید ٢ : ١٩٢)

١٨٤ - كتاب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى المعتز

وصَفَّقَ أَمْرُ الْمُسْتَعِينِ بَضْعُفٍ ، وَالْمُعْتَزُّ يَقْوَى . فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مُحَمَّدُ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ كَاتِبَ الْمُعْتَزِّ . وَجَنَحَ إِلَيْهِ ، وَمَالَ إِلَى الصَّاحِبِ عَلَى خَلْعٍ

(١) لهوات جمع لهاء : وهي اللعنة المذكورة على الخلق .

المستعين ، وكانت عاقبة أمره أن خلع نفسه من الخلافة وبايع للمعز (سنة ٢٥٢) فأخذ له ابن طاهر البيعة ببغداد ، وأشهد عليه الشهود من بني هاشم والقضاة والفقهاء والقواد ، وأخذ منه البردة والقضيب والخاتم ، ووجه ذلك مع أخيه عبيد الله بن عبد الله بن طاهر إلى المعز بسامرا ، وكتب إليه :
« أما بعد ، فالحمد لله متمم النعم برحمته ، والهادي إلى شكره بفضله ، وصلى الله على محمد عبده ورسوله الذي جمع له مافرق من الفضل في الرسل قبله ، وجعل ثرائه راجعا إلى من خصه بخلافته وسلم تسليما .
كتابي إلى أمير المؤمنين ، وقد تمم الله له أمره ، وتسلمت ثراث رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن كان عنده ، وأنفذته إلى أمير المؤمنين مع عبيد الله بن عبد الله مولى أمير المؤمنين وعبيده . »

(تاريخ الطبري ١١ : ١٣٧)

وجاء في مروج الذهب للمسعودي :

وقدِمَ على المعز عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أخو محمد بن عبد الله بالبردة والقضيب والسيف ويجوهر الخلافة ومعه شاه . الخادم ، وكتب محمد ابن عبد الله إلى المعز في شاهك :

« إن من أتاك بإرث رسول الله صلى الله عليه وسلم لجدير أن لا تُخفَر

ذِمَّتُهُ ^(١) » (مروج الذهب ٢ : ٤٢٠)

ثم أُخْدِر المستعين إلى « واطيط » وقتل في شوال من سنة ٢٥٢ هـ

(١) أخره : تفض عهده وغدره .

١٨٥ - كتاب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى عمال النواحي

ولما أفضت الخلافة إلى المعتز ، أمر بالعقد لأنصاره على النواحي ، وأطلقهم في أشعار أعدائهم وأبشارهم^(١) ودمائهم . فلما بلغ محمد بن عبد الله ابن طاهر ما أمر به في النواحي أنشأ كتاباً نسخته :

« أما بعد ، فإن زَيْغَ الهوى صَدَف^(٢) بكم عن حَزْمِ الرأى ، فأفْضَحَكُمْ^(٣) حَبَائِلَ الْخَطَا ، ولو مَلَكْتُمْ الْحَقَّ عَلَيْكُمْ ، وحَكَمْتُمْ بِهِ فِيكُمْ ، لَأَوْزَدَكُمْ الْبَصِيرَةَ ، ونَفَى عَمَّ غَيَابَةٍ^(٤) الْخَيْرَةَ ، وَالْآنَ فَإِنْ تَجَنَّحُوا^(٥) لِلْسَّلَمِ تَحَقَّنُوا دِمَاءَكُمْ ، وَتَرْغِدُوا عَيْشَكُمْ ، وَيَصْفَحَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ جَرِيرَةٍ^(٦) جَارِمِكُمْ ، وَأُخْلِى لَكُمْ ذِرْوَةُ سُبُوحِ النِّعَمَةِ عَلَيْكُمْ ، وَإِنْ مَضَيْتُمْ عَلَى غُلَوَائِكُمْ^(٧) ، وَسَوَّلَ لَكُمْ الْأَمْلُ أَسْوَأَ أَعْمَالِكُمْ ، فَأَذْنُوا^(٨) بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ بَعْدَ نَبَذِ^(٩) الْمَعْذِرَةِ إِلَيْكُمْ . وَإِقَامَةُ الْحُجَّةِ عَلَيْكُمْ ، وَلِتُنْ شُنَّتِ الْغَارَاتُ ، وَشُبَّ ضِرَامُ^(١٠) »

-
- (١) أشعار: جمع شعر كشمس وسب ، وهو معروف ، وأشار: جمع شركسب : وهو طاهر الخلد جمع بشرة كرقعة ، والمعنى : أراح لهم صرهم وخلصهم .
 (٢) صدَفَ عنه كصرف : أعرض ، وصدفه : صرفه .
 (٣) أى رمى بكم .
 (٤) عيابة كل شيء ماسترك منه .
 (٥) تجنحوا : تميلوا .
 (٦) الحريرة : الدب ، وحرَمَ كصرف وأحرم : أدب ، وسرع النعمة : أساعها .
 (٧) العلواء : اللو .
 (٨) أى كونوا على علم بها ، من أدن ما شئ كسمع : علم به .
 (٩) أى عديم ، وأصل البد : الطرح .
 (١٠) شَبَّ : أوقد ، والصرام : دفاق الحطب الذى يسرع اشتعال النار به .

الحرب ، ودارت رحاها على قُطْبِهَا ، وحسَمَتِ^(١) الصَّوَارِمُ أَوْصَالَ مُهَاتِهَا ،
واستجبرتِ العَوَالِي^(٢) من نَهْمِهَا ، ودُعِيَتْ نَزَالِ^(٣) ، والتَّحَمَّ الأبطالُ ،
وكَلَمَتْ^(٤) الحربُ عن أنيابها أشداقَهَا ، وألْقَتْ للتَّجَرُّدِ عنها قِنَاعَهَا ، واختلَّفت
أعناقُ الخيلِ ، وزَحَفَ أهلُ النجدةِ إلى أهلِ البنى ، لتَعْلَمَنَّ أَى الفريقينِ أَسْمَحُ
بالموتِ نَفْسًا ، وأشدُّ عندَ اللقاءِ بَطْشًا ، ولاتَ حِينَ مَعْدِرَةٍ ، ولا قَبُولِ
فِدْيَةٍ ، وقد أَعْذَرَ مَنْ أُنْذَرَ ، وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَى مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ .
(تاريخ الطرى ١١ : ١٤٩)

١٨٦ - رد الأتراك على كتاب ابن طاهر

فَبَلَغَ كِتَابُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَتْرَاكِ فَكُتِبُوا جَوَابَ كِتَابِهِ :
« إِنِّ شَخْصَ الْبَاطِلِ تَصَوَّرَكَ فِي صُورَةِ الْحَقِّ ، فَتَخِيلُ لَكَ الْغَيُّ
رُشْدًا ، كَسَرَابٍ بَقِيْعَةٍ^(٥) يَحْسَبُهُ الظَّنَّ أَنَّ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ،
وَلَوْ رَاجَعْتَ عُزُوبَ^(٦) عَقْلِكَ ، أَنَارَكَ بِرَهَانِ الْبَصِيرَةِ ، وَحَسَمَ عَنْكَ مَوَادَّ

(١) حسمت : قطعت .

(٢) العوالى : جمع عالية : وهى أعلى الرمح ، والحرّة بالكسر : ما يعيص به العير من نطه فأكله
ثابة ، وقد احتد وأحرّ ، ولم يرد فى كتب اللغة استعر بهذا المعنى .

(٣) رال : معدول عن المارلة فى الحرب ، ولذا أت ، قال الشاعر :

ولعم حشو البرع أت لنا دعيت رال ولح فى الدهر

وقال آخر :

* مدعوا رال فكت أول نازل *

(٤) الكلوح : مدوّ الأسنان عند العوس ، وفعله كعج .

(٥) السراب : ما تراه نصب النهار ، كأه ماء ، والقيعة : جمع قاع : وهو أرض سهلة مطبشة قد
امسحت عنها الحمال والآكام .

(٦) العروب : العيبة والذهاب ، أى عقلت الذاهب .

الشبهة ، لكن حصت^(١) عن سُنَّة الحقيقة ، ونكصت على عَقَبَيْكَ ، لِمَا
مَلَكَ طِبَاعَكَ مِنْ دَوَاعِي الْخَيْرِ ، فَكُنْتَ فِي الْإِصْفَاءِ لِهَتَافِهِ ، وَالتَّجَرُّدِ
إِلَى وَرُودِهِ ، كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَبْرَانْ ، وَلَعَمْرُكَ يَا مُحَمَّدُ :
لَقَدْ وَرَدَ وَعْدُكَ لَنَا ، وَوَعِيدُكَ إِيَّانَا . فَلَمْ يَذْنِبْنَا مِنْكَ ، وَلَمْ يُنْثِنَا عَنْكَ ، إِذْ كَانَ
فَحْصُ الْيَقِينِ قَدْ كَشَفَ عَنْ مَكْنُونِ ضَمِيرِكَ ، وَأَلْفَاكَ كَالْمَكْتَنِ بِالْبَرْقِ نَهْجًا
إِذَا أَضَاءَ لَهُ مَشَى فِيهِ ، وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِ قَامَ ، وَلَعَمْرُكَ لَنْ اِشْتَدَّ فِي الْبَنَى
شَأْوُكَ^(٢) ، وَمُتَّعَتْ بِصُبَابَةٍ مِنَ الْأَمَلِ ، لِيَكُونَ أَمْرُكَ عَلَيْكَ مُغْنَةً ،
وَلِنَا تُبَيِّنَ بِجَنَاحِ لَا قِبَلَ لَكَ بِهَا ، وَلِنُخْرِجَكَ مِنْهَا ذَلِيلًا وَأَنْتَ مِنَ
الصَّاعِرِينَ ، وَلَوْلَا اِنْتِظَارُهُ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِإِعْلَامِنَا مَا نَعْمَلُ فِي
شَاكِتِهِ^(٣) ، بَلَّغْنَا بِالْإِسْطِاطِ النَّيَاطَ ، وَنَحْمَدُ "سَيُوفَ" وَهِيَ كَالَّةٌ ، وَجَدْنَا لَنَا عَالِيَهَا
سَافِلَهَا ، وَجَعَلْنَاهَا مَأْوَى الْإِثْمَانِ^(٤) وَلِحَيَاتِ الْبُومِ ، وَقَدْ نَادَيْنَاكَ مِنْ
كُشْبِ^(٥) ، وَأَسْمَعْنَاكَ إِنْ كُنْتَ حَيًّا ، فَإِنْ تُجِيبُ تُفْلِحْ ، وَإِنْ تَأْبَى إِلَّا
غَيًّا نَخْرُجُكَ بِهِ ، وَعَمَّا قَلِيلٍ لَتُصْبِحَنَّ نَادِمِينَ . (مَارِيجُ الطَّرِيقِ ١١ : ١٥٠)

(١) حاص عنه يحصى : عدل وحاد ، والسنة : الطريقة ، ونكص على عقبيه : رجع عما كان عليه
من خير ، حاص بالرجوع عن الخير ، أو في غير نادر .

(٢) الشأو : السق والباية ، والصباة : البقية .

(٣) الشاكلة : الطريقة والذهب ، والباط : عرق متصل بالقلب من الوتين إذا قطع مات صاحبه .

(٤) الظلمان : جمع ظلم : وهو ذكر العام .

(٥) أى من قرب .

١٨٧ - كتاب محمد بن عباد إلى جعفر بن محمود الإسكافي

وكتب محمد بن عباد إلى أبي الفضل جعفر بن محمود الإسكافي^(١)
وزير المعتز بالله - وكان العتزي يختص به ويتقرب إليه قبل الوزارة - :
«مازلتُ - أيَّدك الله تعالى - أذمُّ الدهر بدمك إياه ، وأنتظر لنفسي ولك
عقباه ، وأتمنى زوال مَنْ لا ذنبَ له إلى عاقبة محمودة تكون بزوال حاله ،
وأترك الإعذار في الطلب ، على الاختلال الشديد ، ضِنًّا بالمروءة عندى إلا
عن أهله ، وحَبْسًا لشِعْرى إلا عن مستحقِّه » .

١٨٨ - رد جعفر على محمد بن عباد

فوقع في كتابه :

« ! أُوخِرْ ذِكْرَكَ ناسيا لحظِّك ، ولا تُهْمِلْ لواجبك ، ولا تُوهِنَا لِهَمِّ
أمرِك ، لكنى ترقى اتساع الحال ، واتساح الأعمال ، لأخُصِّكَ بأسنانها
خَطَرًا ، وبأجلِّه فِدرا ، وأعوِّدُها نَقما عليك ، وأؤفِّرُها رِزْقًا لك ، وأقربها
مَسافةً منك ، فإذا كنتَ ممن تَحْفِزه^(٢) الأعمالُ ، ولا يتسع له الإمهالُ ،

(١) انظر حدره في المعرى ص ٢٢١ ، وفي رهر الآداب أنه ابن محمد وهو تحريف ، وصوابه ابن محمود
كما في المعرى ، ويدل على ذلك محاء فيه ص ٢٢٢ : « واستورره المعتز ثاية ، ولما تولى الوزارة
في المرة الثانية قال بعض الشعراء :

يا نفس لا تولى تعيد وعلى القلب المواعيد

وانطرى قدرأيت ماساقه الله إلى جعفر بن محمود

وفي تاريخ الطبرى أنه جعفر بن محمود أبيه ١ - انطرح ١١ : ص ١٦١ .

(٢) في الأصل « تحفزه » وهو تصحيف ، وصوابه « تحمزه » كما أثبتته ، من حمزه كصره أى
دفعه وأعمله .

فسأختار لك خيراً ما يشير إليه الوقت ، وأنعم^(١) النظر فيه ، فأجمله أول ما أمضيه . (زهر الآداب ٣ : ١٩٨)

١٨٩ - كتاب ابن طاهر إلى عماله

وفي سنة ٢٥٣ هـ مات محمد بن عبد الله بن طاهر - وكانت علته التي مات فيها قروحا أصابته في حلقه ورأسه فذبخته - واستخلف محمد قبل موته أخاه عبيد الله على أعماله ، ووصى بذلك وكتب به إلى عماله ، ثم وجه المعز الخلع وولاية بغداد إلى عبيد الله .

وهذه نسخة الكتاب الذي كتبه محمد بن عبد الله إلى عماله باستخلافه أخاه عبيد الله بعده :

« أما بعد ، فإن الله عز وجل جعل الموت حتماً مقضياً جارياً على الباقي من خلقه ، حسب ما جرى على الماضين . وحقيق على من أعطى حظاً من توفيق الله أن يكون على استعداد لحلول مالا بُد منه ، ولا يحيص^(٢) عنه في كل الأحوال .

وكتابي هذا : أنا في رلة قد اشتد الإشفاق منها ، وكاد الإيمان يغلب على الرجاء فيها ، فإن يُبَلَّ^(٣) الله وَيُدْفَعُ فبقدرته وكريم عادته ، وإن يحدث بي الحدث الذي هو سبيل الأولين والآخرين ، فقد استخلفت عبيد الله بن عبد الله مؤلى أمير المؤمنين ، أخى الموثوق باقتفائه أثرى ، وأخذه بسد ما أنا بسبيله من

(١) في لسان العرب : أعم الطرق والمعنى : إذا أطال العكرة فيه ، وبه أيضاً وفي القاموس : في الأمر بالغ .

(٢) أى لا مصر ولا مهرب منه

(٣) أى يرى ، من بل من مرصه إذا برأ وأبل أيضاً .

سلطان أمير المؤمنين ، إلى أن يأتيه من أمره ما يعمل بحسبه ، فاعلم ذلك وأتمر فيما تتولاه بما ترد به كتب عبيد الله وأمره إن شاء الله .
وكتب يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من ذى القعدة سنة ٢٥٣ هـ .
(تاريخ الطرى ١١ : ١٥٥)

١٩٠ - رقعة المعتز بخلع نفسه

واضطرب أمر المعتز واضطره الأتراك أن يخلع نفسه ففعل ، وبايعوا بالخلافة محمدا المهتدي بالله بن الواثق بالله سنة ٢٥٥ ، ثم قتلوا المعتز ، وكانت نسخة الرقعة بخلع المعتز نفسه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أشهد عليه الشهود المسمون في هذا الكتاب ، شهدوا أن أبا عبد الله ابن أمير المؤمنين المتوكل على الله أقرّ عندهم وأشهدهم على نفسه ، في صحة من عقله ، وجواز من أمره ، طائفاً غير مكره ، أنه نظر فيما كان تقلده من أمر الخلافة والقيام بأمر المسلمين ، فرأى أنه لا يصلح لذلك ولا يكمل له وأنه عاجز عن القيام بما يجب عليه منها ، ضعيف عن ذلك ، فأخرج نفسه وتبرأ منها وخلعها من رقبته وخلع نفسه منها ، وبرأ كل من كانت له في عنقه بيعه . من جميع أوليائه وسائر الناس مما كان له في رقابهم من البيعة والعهود والمواثيق والأيمان بالطلاق والعناق والصدقة والحج وسائر الأيمان ، وخلعهم من جميع ذلك ، وجعلهم في سعة منه في الدنيا والآخرة ، بعد أن تبين له أن الصلاح له والمسلمين في خروجه عن الخلافة والتبري منها ، وأشهد على نفسه بجميع

ما سُمِّيَ ووُصِفَ في هذا الكتاب جميعَ الشهود المسَمَّينَ فيه وجميعَ مَنْ حضر ، بعد أن قُرِئَ عليه حرفاً حرفاً ، فأقرَّ بفهمه ومعرفة جميع ما فيه طائفاً غير مُكرَّه ، وذلك يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنة ٢٥٥ هـ .
فوقع المعتر في ذلك :

« أقرَّ أبو عبد الله بجميع ما في هذا الكتاب وكتبَ بخطه » .

وكتب الشهود شهاداتهم : شهد الحسن بن محمد ، ومحمد بن يحيى ، وأحمد بن جناب ، ويحيى بن زكرياء بن أبي يعقوب الأصبهاني ، وعبد الله ابن محمد العامري ، وأحمد بن الفضل بن يحيى ، وحamad بن إسحاق ، وعبد الله ابن محمد ، وإبراهيم بن محمد . (تاريخ الطبري ١١ : ١٦٢)

١٩١ كتاب الموالى بالكرخ والدور إلى المهدي

وفي سنة ٢٥٦ هـ انتشر الخبر في العامة أن القوم على أن يخلعوا المهدي ويفتكو به ، فتحرك الموالى بالكرخ والدور^(١) ، ووجهوا إلى المهدي وسألوه أن يوجه إليهم أحد إخوته ، فوجه إليهم أخاه أبا القاسم ، فذكروا أنهم سامعون مُطيعون لأمير المؤمنين ، وأنه بلغهم أن موسى بن بغا وبايكباك وجماعة من قوادهم يريدونه على الخلع ، وأنهم يبذلون دماءهم دون ذلك ، وأنهم قد قرءوا بذلك رقاعاً أُلقيت في المسجد والطُرقات ، وشكوا مع ذلك سوء حالهم وتأخر أرزاقهم ، وما صار من الإقطاعات إلى قوادهم التي قد أجمعت بالضياع والخراج ، وما صار لكبرائهم من المعاونة والزيادات من الرسوم القديمة ،

(١) الكرخ : محلة بغداد ، ودور بغداد : موضع بها أيضا .

مع أرزاق النساء والدخلاء الذين قد استغرقوا أكثر أموال الخراج ،
وكثر كلامهم في ذلك ، فقال لهم أبو القاسم : اكتبوا هذا في كتاب إلى
أمير المؤمنين أتولى إيصاله لكم ، فكتبوا ذلك .

١٩٢ - رد المهدي عليهم

فكتب المهدي جواب كتابهم بخطه وختمه بخاتمه ، وغدا أبو القاسم
إلى الكرخ فوافاهم بكتاب المهدي فقرأ عليهم ، وإذا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله وصلى على محمد النبي وعلى آله وسلم
تسليما كثيرا ، أرشدنا الله وإياكم ، وكان لنا ولكم وليا وحافظا ، فهمت
كتابكم ، وسررتني ما ذكرتم من طاعتكم ، وما أتم عليه ، فأحسن الله
جزاءكم ، وتولى حياطتكم ، فأما ما ذكرتم من خلّكم^(١) وحاجتكم فعزيت
على ذلك فيكم ، ولوددت والله أن صلاحكم يهيبا بأن لا آكل ولا أطعم
ولدى وأهلي إلا القوت الذي لا يسع شيء دونه ، ولا ألبس أحدا من ولدى
إلا ما ستر العورة ، ولا والله - حاطكم الله - ما صار إن منذ تولدت أمركم
لنفسى وأهلي وولدى ومتقدمي غلمانى وحشمتى إلا خمسة عشر ألف دينار ،
وأتم تقفون على ما ورد ويرد ، وكل ذلك مصروف إليكم ، غير مدّخر
عنكم ، وأما ما ذكرتم مما بلغكم وقرأتم به الرقاع التي أقيت في المساجد
والطرق ، وما بذلتم من أنفسكم ، فأتم أهل ذلك ، وأين تعتذرون مما

(١) الخلة : الحاجة .

ذ كرتكم ، ونحن وأتم نفس واحدة ، فجزاكم الله عن أنفسكم وعهودكم وأما تكم خيرا ، وليس الأمر كما بلغكم ، فعلى ذلك فليكن عملكم إن شاء الله ، وأما ما ذ كرتكم من الإقطاعات والمعاون وغيرها ، فأنا أنظر فى ذلك وأصيرُ منه إلى محبتكم إن شاء الله والسلام عليكم ، أرشدنا الله وإياكم ، وكان لنا ولكم حافظا ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم تسليما كثيرا .
(تاريخ الطرى ١١ : ١٩٥)

١٩٣ - كتاب الموالى بالكرخ والدور إلى المهتدى

فلما فرغ القارىءُ كثر الكلام ، فقال لهم أبا القاسم اكتبوا بذلك كتابا ، فكتبوا بعد أن دَعَوْا الله فيه لأمر المؤمنين :
« إن الذى يسألون أن تُردَّ الأمور إلى أمير المؤمنين فى الخاصِّ والعامِّ ، ولا يعترض عليه معترض ، وأن تردَّ رسوئهم إلى ما كانت عليه أيامَ المستعين بالله ، وأن يكون على كل تسعة منهم عَريف ، وعلى كل خمسين خليفة ، وعلى كل مائة قائد ، وأن تسقط أرزاق النساء والزيادات والمعاون ، ولا يدخل مَوْتَى فى قَبالة^(١) ولا غيرها ، وأن يوضع لهم العطاء فى كل شهرين على ما لم يَزَلْ ، وأن تبطلَ الإقطاعات ، وأن يكون أمير المؤمنين يَريد من شاء ويرفع من شاء . »

وذكروا أنهم صاثرون فى إثر كتابهم إلى باب أمير المؤمنين ، ومقيمون هناك إلى أن تُقضى حوائجهم ، وأنه إن بلغهم أن أحدا اعترض

(١) قل به كسر وسمع وصرب قالة : كعل ، والفيل : الكميل والضاس .

على أمير المؤمنين في شيء من الأمور أخذوا رأسه ، وإن سقط من رأس
أمير المؤمنين شعرة قتلوا به موسى بن نافع وبإيكباله ومفلحا وياجور وبكالبا
وغـيرهم ، ودَعَوْا الله لأمر المؤمنين ، ودَفَعُوا الكتاب إلى أبي القاسم
فانصرف به حتى أوصله .

١٩٤ - كتاب المهتدى إليهم

فأخذ المهتدى كتابهم ، ووقعَ باجابتهم إلى ما سألوا ، ثم كتب كتابا
مُفْرَدًا بخطه وختمه بخاتمه ، ودفعه إلى أبي القاسم وصار أبو القاسم إليهم
بكتاب أمير المؤمنين ، فقرأ عليهم فإذا فيه .

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده . وصلى الله على محمد النبي
وآله وسلم .

أرشدكم الله وحاطكم وأمتع بكم ، وأصلح أموركم وأمور المسلمين بكم ،
وعلى أيديكم ، فهيتُ كتابكم وقرأته على رؤسائكم ، فذكروا مثل الذي
ذكرتم ، وسألوا مثل الذي سألتهم . وقد أجبتكم إلى جميع ما سألتهم ، محبةً
لصالحكم وألفتكم واجتماع كلمتكم . وقد أمرت بتقرير أرزاقكم ، وأن تصير
دائرةً عليكم ، فليست لكم حاجة إلى حركة ، فطيبوا نفسا والسلام » .

١٩٥ - كتابهم إلى المهتدى

فتكلموا كلاما كثيرا ، ثم كتبوا كتابا يعتذرون فيه بمثل العذر الأول إلى أمير المؤمنين ، وذكروا فيه خصالا مما ذكروه في الكتاب الذي قبله ، ووصفوا أنه لا يُقْنِعُهُمْ إِلَّا أَنْ يُنْفِذَ إِلَيْهِمْ خَمْسَةُ تَوْقِيعَاتٍ : - تَوْقِيعًا بِحِطِّ الزِّيَادَاتِ ، وَتَوْقِيعًا بِرَدِّ الْإِقْطَاعَاتِ ، وَتَوْقِيعًا بِإِخْرَاجِ الْمَوَالِي الْبَوَّائِينَ مِنَ الْخَاصَّةِ إِلَى عِدَادِ الْبَرَّانِينَ ^(١) ، وَتَوْقِيعًا بِرَدِّ الرُّسُومِ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ أَيَّامُ الْمُسْتَعِينِ ، وَتَوْقِيعًا بِرَدِّ التَّلَاجِي ^(٢) - حَتَّى يَدْفَعُوهَا إِلَى رَجُلٍ يَضْمُونُ إِلَيْهِ خَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الدَّوْرِ . وَخَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ سَامَرَّا يَتَنَجَّزُونَ مِنَ الدَّوَاوِينِ ، ثُمَّ يَصِيرُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْجَيْشَ إِلَى أَحَدِ إِخْوَتِهِ أَوْ غَيْرِهِمْ مِمَّنْ يَرَى ، لِيَسْفُرَ ^(٣) بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ بِأُمُورِهِمْ . وَلَا يَكُونُ رَجُلًا مِنَ الْمَوَالِي ، وَأَنْ يُؤْمَرَ صَالِحُ بْنُ وَصِيفٍ فَيَحَاسِبَ هُوَ وَمُوسَى بْنُ بَغَا عَلَى مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ . وَأَنَّهُ لَا يُرْضُهُمْ دُونَ مَا سَأَلُوا فِي كِتَابِهِمْ كُلِّهَا ، مَعَ تَعْجِيلِ الْعَطَا وَإِدْرَارِ أَرْزَاقِهِمْ عَلَيْهِمْ فِي كُلِّ شَهْرَيْنِ ، وَأَنَّهُمْ سَدَّ كَتَبُوا إِلَى أَهْلِ سَامَرَّا وَالْعَارِبَةِ نِي مَوَاقِفَتِهِمْ ، وَأَنَّهُمْ صَاثِرُونَ إِلَى بَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَنْجِرَ ذَلَّاتُ لَهُمْ . وَدَعَمُوا الْكِتَابَ إِلَى أَبِي الْقَاسِمِ

(١) مِنْ قَوْلِهِمْ « مِنْ أَصْلَاحِ حَوَائِيهِ أَصْلَحَ اللَّهُ رَأْيِي » أَيْ مِنْ أَصْلَاحِ سِرِّيَّتِهِ أَصْلَحَ اللَّهُ عِلَاقَتَهُ ، أَحَدٌ مِنَ الْخَوِّ وَالرِّ ، وَالْخَوُّ : كُلُّ نَظَرٍ طَامِعٍ ، وَالرِّ : الْمَنْ الطَّاهِرُ ، فَهَاتَانِ الْكَلِمَتَانِ عَلَى النِّسْبَةِ إِلَيْهِمَا بِالْأَلْفِ وَالْيُونِ ، وَأَصْلُ الرَّأْيِ مِنْ قَوْلِهِمْ حَرَحَ لَأَنَّ رَأْيًا إِذَا حَرَحَ إِلَى الْبَرِّ وَالصَّحْرَاءِ ، وَلَيْسَ مِنْ قَدِيمِ الْكَلَامِ وَفَصِيحِهِ .

(٢) التَّلَاجِي : جَمْعُ تَلَحُّةٍ ، وَهِيَ الْإِكْرَاهُ ، تَعْلُهُ مِنَ الْإِطْلَا .

(٣) سَفَرُ بَيْنَهُمْ كَصَرْبٍ وَهَرٍ : أَصْلَحَ .

١٩٦ - كتابهم إلى القواد

وكتبوا كتاباً آخر إلى موسى بن بغا وبابكباك ومحمد بن بغا ومفلح
وباجور وبكالبا وغيرهم من القواد كتاباً ذكروا فيه :
« أنهم قد كتبوا إلى أمير المؤمنين بما كتبوا ، وأن أمير المؤمنين
لا يمنعهم ما سألوا إلا أن يعترضوا عليه . وأنهم إن فعلوا ذلك وخالفوه لم
يوافقوه على شيء ، وأن أمير المؤمنين إن شاكته شوكة أو أخذ من رأسه
شعرة . أخذوا ردوسهم جميعاً . وأهم ليس يُقنعهم لا أن تظهر صالح
ابن وصيف حتى يُجمع بينه وبين موسى بن بغا حتى ينظر أين موضع الأموال ،
فإن صالحاً قد كان وعدم قبل استتاره أن يعطيهم أرزاق ستة أشهر .
تم دفعوا هذا الكتاب إلى رسول موسى .

١٩٧ - كتاب المهتدى إليهم

فأمر المهتدى سليمان بن وهب^(١) بإنشاء الكتب على ما سألوا في خمسة
رقاع ، فأنفذها المهتدى في درج كتاب منه بخطه ، ودفعه إلى أخيه أبي القاسم ،
وكتب القواد إليهم جواب كتابهم ، ودفعوه إلى صاحب موسى ، فصار
إليهم أبو القاسم وقرأ عليهم كتاب المهتدى فإذا فيه :
« بسم الله الرحمن الرحيم : وفقنا الله وإياكم لطاعته ما يرضيه ، فهمت

(١) ورد للمهتدى بالله ، تم من بعده للمعتد على الله ، انظر ترجمته في وفيات الأعيان ١ : ٢١٦ ،
والعصرى ص ٢٢٣ والأعلى ٢٠ : ٦١ .

كتابكم - حاطكم الله - وقد أتقنت إليكم التوقيعات الخمس على ما سألتكم ، فوكلوا من يتنجزها من الدواوين إن شاء الله ، وأما ما سألتكم من تصيير أمركم إلى أحد إخواني ليوصل إلي أخباركم ، ويؤدي إلي حوائجكم ، فوالله إني لأحب أن أتقّد ذلك بنفسى ، وأن أطلع على كل أمركم وما فيه مصلحتكم ، وأنا مختار لكم الرجل الذى سألتكم من إخواني أو غيرهم إن شاء الله ، فاكتبوا إلي بحوائجكم وما تعلمون أن فيه صلاحكم ، فإني صائر من ذلك إلى ما تحبّون إن شاء الله ، وفقنا الله وإياكم لطاعته وما يرضيه .

(تاريخ الطرى ١١ : ١٩٨)

١٩٨ - كتاب القواد إليهم

وأوصل إليهم رسول موسى كتاب موسى وأصحابه فإذا فيه

« بسم الله الرحمن الرحيم : أبقاكم الله وحفظكم وأتم نعمته عليكم ، فهمنا كتابكم ، وإنما أنتم إخواننا وبنو عمنا ، ونحن صائرون إلى ما يحسون ، وقد أمر أمير المؤمنين - أعزه الله - فى كل ما سألتكم بما تحبّون ، وأنفذ التوقيعات به إليكم ، وأما ما ذكرتم من أمر صالح مولى أمير المؤمنين وتغيّرنا له ، فهو الأخ وابن العم ، وما أردنا من ذلك ما تكرهون ، فإن وعدكم أن يُعطىكم أرزاق ستة أشهر فقد رفعنا إلى أمير المؤمنين رِقاعا نسأله مثل الذى سألتكم ، وأما ما قلتم من ترك الاعتراض على أمير المؤمنين وتفويض

الأمر إليه ، فنحن سامعون مطيعون لأمر المؤمنين ، والأمور مفوضة إلى الله ، وهو مولانا ونحن عبيده ، وما نعرض عليه في شيء من الأمور أصلاً ، وأما ما ذكرتم أنا نريد بأمر المؤمنين سوءاً ، فمن أراد ذلك فجعل الله دائرة السوء عليه ، وأخزاه في دنياه وآخرته ، أبقاكم الله وحفظكم وأتم نعمته عليكم . (تاريخ الطبري ١١ : ١٩٨)

١٩٩ - كتاب علي بن يحيى إلى سليمان بن وهب

ونالت علي بن يحيى جفوة من سليمان بن وهب . فكتب إليه :
جفاني أبوأيوب ، نفسي فداؤه فعاتبته كما يريع ويغيبا^(١)
فو الله لولا الظن مني بؤده لكان سهيل من عتايه أقربا^(٢)

٢٠٠ - رد ابن وهب عليه

فكتب إليه سليمان :

ذكرت جفائي وهو من غير شيمتي وإني لدان من بعيد تقرُّبا
فكيف بخيل لي أضن بؤده وأصفيه وذا ظاهراً ومغيباً^(٣)
علي بن يحيى لا عدمت إخاءه فما زال في كل الخصال مهذباً

(١) راع يريع : رجع ، وأعته : أعطاه التي مالم وهي الرضا .

(٢) سهيل : محم .

(٣) أصفيه الود : أحلصته .

ولكن أشغلا أعدت وتواترت فلما رأيت الشغل حاقاً وأتعباً
ركنت إلى عذر الأخلاء منهم كرام وإن كان التواصل أوجباً
فإن يطلب مني عتابك أوبة ببر تحبني بالإنابة معتباً^(١)
(الأمان ٢٠ : ٧٠)

٢٠١ - كتاب ابن وهب إلى سليمان بن عبد الله بن طاهر

وأهدى سليمان بن وهب إلى سليمان بن عبد الله بن طاهر سلالاً رطباً
من ضيعته، وكتب إليه :

أذن الأمير بفضلِهِ ويحوده وبنيله
لوليّه في برّه يحنّاه سُكر نخله
فبعثت منه بسلة تحكي حلاوة عدله
(الأمان ٢ : ٧١)

٢٠٢ - كتاب رجل إلى سليمان بن وهب

وكتب رجل إلى سليمان بن وهب وهو يتولى شيئاً من أعمال
الضياع :

أطال الله إسماعيلك في الآجل والعاجل
أما ترعى لمن أمّك فضلاً حرمة الآل؟
وعندي عاجل من رشوة يتبعها آجل
وأنت العالم الشاهد أني كاتب عامل

(١) في الأصل « بالأمانة » وهو تحريف .

قَوْلُ الْكَافِلِ الْبَاذِلِ لَدُونِ الْعَاجِزِ الْبَاخِلِ
فَمَا أَفْشَى لَكَ السَّرَّ فِعَالُ الْأَخْرَقِ الْجَاهِلِ

٢٠٣ - رده عليه

فضحك وكتب في رقته :

أَبْنُ لِي مَا الَّذِي تَخْطُبُ شَرِّحًا أَيُّهَا الْبَاذِلُ ؟
وَمَا تُعْطِي إِذَا وُلِّيتَ تَعْجِيلًا وَمَا الْآجِلُ ؟
أَفِي الْإِسْلَامِ تَنْقِصٌ أَمْ الْوِزْنُ لَهُ كَامِلٌ ؟
وَفِي الْمَوْقُوفِ تَضْمِينٌ أَمْ الْوَعْدُ بِهِ حَاصِلٌ ؟
وَهَلْ مِيقَاتُهُ الْغَلَّةُ فِي الْعَامِ أَوِ الْقَابِلِ ؟
أَبْنُ لِي ذَاكَ ، وَارِدُ ذَرْقَتِي يَا كَاتِبًا حَامِلًا
فَلَمَّا قَرَأَهَا الرَّجُلُ قَطَعَ مَا بَيْنَهُ ، وَرَدَّ الرِّقْعَةَ عَلَيْهِ ، وَوَلَّاهُ سُلَيْمَانَ مَا التَّمَسُّ .
(الأعراف ٢٠ : ٧١)

٢٠٤ - كتاب اعتذار لسليمان بن وهب

« أَنَا مُقَرَّرٌ مُعْتَرِفٌ ، فَمَا تُرَاكَ صَانِعًا بِمَنْ أَعْلَقَكَ زَمَامُهُ ، وَأَمَكَّنَكَ مِنْ
قِيَادِهِ ، وَحَكَّمَكَ فِي أَمْرِهِ ، مُعَاقِبًا لَهُ أَرْمَتَ فَضْلًا عَلَيْهِ بِالْعَفْوِ عَنْهُ ؟ لَكِنِّي أَرْجُو
أَنْ أَسْتَقْبِلَ طَاعَةً لَا تَمْتَنِعُ مِنْ شُكْرِهَا . وَاعْتَظِرُ كُلَّ تَقْصِيرٍ خَلَا فِي جَنْبِهَا ،
فَالْأَيَّامُ بِمَا تَحِبُّ أَمَامَكَ » . (اختصار النظم والنثر ١٣ : ٣٨٥)

٢٠ هـ - كتاب أبي العيناء إلى أبي الصقر إسماعيل بن بلبل

ولما ولي أبو الصقر إسماعيل^(١) بن بلبل الوزارة للمعتد^(٢) على الله ، خير أبا العيناء فيما يحبه حتى يفعله به ، فقال : أريد أن تكتب إلى أحمد بن محمد الطائي تعرفه مكاني ، وتلزمه قضاء حقّ مثلي من خدمه ، فكتب إليه كتابا بخطه ، فوصله إلى الطائي ، فسَيَّب^(٣) له في مدة شهر مقدار ألف دينار وعشرة أنجل ، فانصرف بجميع ما يحبه ، وكتب إلى أبي الصقر كتابا مضمّنهُ :

« أنا - أعزك الله - طليقتك من الفقر ، وتقيذك^(٤) من البؤس ، أخذت يدي عند عثرة الدهر ، وكبوة الكبر ، وعلى أية حال حين فقدت الأولياء^(٥) والأشكال ، والإخوان والأمثال ، الذين يفهمون في غير تعب ، وهم الناس الذين كانوا غيائا للناس ، فخللت عُقدة الخلة^(٦) ، ورددت إلى بعد النفور النعمة . وكتبت لي كتابا إلى الطائي ، فإنما كان منك إليك أثبتته^(٧) ، وقد استصعبت^(٨) على الأمور ، وأحاطت بي النوائب ، فكثرت من بشره ، وبذل من يُشره ، وأعطى من ماله أكرمه ، ومن برّه أحكمه ، مُكرِّمًا لي مدة

(١) انظر خبره في الصغرى ص ٢٢٩ .

(٢) هو أبو العباس أحمد بن التوكل ولي الخلافة سنة ٢٥٦ ومات سنة ٢٧٩ ، وكان مستضعفا ، وكان أخوه الموفق طلحة هو اله'اب على أمره .

(٣) السيب : العطاء ، وسَيَّبَها معناه : أعطاه .

(٤) التقيد : التقيد (بفتح القاف) .

(٥) الأولياء : جمع وليّ ، وهو الصبر ، والأشكال : جمع شكل ، وهو المثل .

(٦) الخلة : الفقر والحاجة ، وفي المثل « الخلة تدعو إلى السلة » والسلة بالفتح : السربة .

(٧) أثابته : رجعته ورده .

(٨) استصعب الأمر : صار صعبا كصعب وأصعب (واستصعبه : وحده صعبا ، فهو لازم متعد) .

ما أقيمت ، ومثقلًا لي من فوائده لما ودَّعت ، حكمتني في ماله فتحكمت ،
وأنت تعرف جوري إذا تمكنت ، وزاد في طوله^(١) فشكرت ، فأحسن
الله جزاك ، وأعظم حماك ، وقدمني أمامك ، وأعاذني من فقدك وحماك ،
فقد أنفقت على مما ملكك الله ، وأنفقت من الشكر ما يسره الله لي ،
والله عز وجل يقول : « لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ » فالحمد لله الذي جعل لك
اليَدَ العَالِيَةَ : والرَّثْبَةَ الشَّرِيفَةَ ، لا أزال الله عن هذه الأمة ما بسطَ فيها من
عَدْلِكَ ، وَبَثَّ فيها مِنْ رِفْدِكَ^(٢) . (زهر الآداب ٣ : ٩٥)

٢٠٦ - كتاب أبي العيناء إلى بعض الرؤساء

وكتب أبو العيناء إلى بعض الرؤساء - وقد وعده بشيء فلم
يُنجزه - :

« ثِقَتِي بِكَ تمنعني من استبطائك ، وعِلْمِي بِشُغْلِكَ يدعوني إلى
إذْكَارِكَ ، وَلَسْتُ آمِنٌ - مع استحكام ثِقَتِي بطَوْلِكَ ، والمعرفة بعلو همتك -
اخترامَ الأجلِ ، فإن الآجال آفاتُ الآمال ، فمَسَحَ اللهُ في أجلك ، وبلغك
منتهى أملك ، والسلام » . (رفيات الأعيان ١ : ٥٠٥)

٢٠٧ - كتاب أبي العباس بن ثوابة إلى إسماعيل بن بلبل

وكتب أبو العباس^(٣) أحمد بن محمد بن ثوابة إلى إسماعيل بن بلبل حين
صاهرَ الناصرَ لدين الله الموفقَ بالله :

(١) الطول والتطول : التفضل والامتنان .

(٢) الرشد : العطاء والصلوة .

(٣) انظر هامش ص ٢٨٣ .

«بسم الله الرحمن الرحيم ، بلغنى ، للوزير - أيده الله - نعمة زاد شكرها على مقادير الشكر، كما أرزى مقدارها على مقادير النعمة ، فكان مثلها قول إبراهيم بن العباس :

بَنُوكَ غَدَوَا آلَ النَّبِيِّ وَوَارِثُوا الْخِلَافَةَ وَالْحَاوُونَ كِشْرَى وَهَاشِمَا
وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهَا مَوْهَبَةً تَرْتَبُطُ مَا قَبْلَهَا ، وَتَنْتَظِمُ مَا بَعْدَهَا ،
وَتَصِلَ جَلَالَ الشَّرَفِ ، حَتَّى يَكُونَ الْوَزِيرُ - أَعَزُّهُ اللَّهُ - عَلَى سَادَةِ الْوُزَرَاءِ
مُوفِيًا ، وَجَمِيلَ الْعَادَةِ مُسْتَحَقًّا ، وَلِمَحْمُودِ الْعَاقِبَةِ مُسْتَوْجِبًا ، وَأَنْ يُلْبَسَ خَدَمَهُ
وَأَوْلِيَائِهِ مِنْ هَذِهِ الْحُلَلِ الْغَالِيَةِ مَا يَكُونُ لَهُمْ ذِكْرًا بَاقِيًا وَشَرَفًا مُخَلَّدًا»
(معجم الأدباء ٤ : ١٥٧)

٢٠٨ - كتاب عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

إلى عبيد الله بن سليمان

ولما ولي عبيد الله^(١) بن سليمان بن رهب الوزارة للمعتد ، كتب إليه
عبيد الله بن عبد الله بن طاهر كتابا ، وفيه شعر له :

أَبَى دَهْرُنَا إِسْعَافَنَا فِي نَفُوسِنَا وَأَسْعَفَنَا فِيمَنْ نَحِبُّ وَنُعْظِمُ
فَقُلْتُ لِي : نَعْمَاكَ فِيهِمْ أَتَمَّهَا رَدَعٌ أَمَرْنَا بِنَ هُمِ الْمَقْدَمُ
فلما قرأ عبيد الله هذا الشعر قال : «أحس ما احتال في شكوى حاله بين

(١) انظر حنبه في المعرى ص ٢٣١ ، وفي زهر الآداب : «ولما ولي سليمان بن رهب الوزارة ...» .

أضعاف مدحه ، وأمر بإيصال رِقاعه إليه ، وقضى كل حاجة كانت له :
(أدب الكتاب ص ٢٣٤ ، ووفيات الأعيان ١ : ٢١٧ ، وزهر الآداب ٢ : ١٩٨)

٢٠٩ - كتاب سعيد بن عبد الملك

إلى عبيد الله بن سليمان

وحُجِبَ سعيد بن عبد الملك عن عبيد الله بن سليمان .
فكتب إليه :

« سِرْتُ إلى بابك - أعزك الله - عند ما حَدَّثَ من أمرِكَ ، فلم يُقْضَ
لِقَاؤُكَ ، وعلمتُ أن ثقتك بما عندي قد مثلت لك حالي من السرور بنعمة
الله عندك . وأرتك موصي من الاعتداد بكل ما خصَّكَ ووَصَلَ إليك ،
فوكَّلتُ العذر إلى ذلك .

ثم إنا نأتيك مُتِمِّينَ بطلعتك ، مشتاقين إلى رؤيتك ، فيحجُبنا عنك
ملاحظ ، وهو - كما علمت - كِنٌ^(١) الصنعة ، لثيم الطبيعة ، يحجُب عنك
الكرام ، ويأذنُ عليك لِلثام ، كلما نَجَمَت^(٢) له يَدٌ بيضاء ، أتبعها يدًا سوداء ،
فإن رأيت - أعزك الله - أن تصرفه عن باب مكارمك فعلت إن شاء الله .

(زهر الآداب ٢ : ١٢١)

(١) كِنٌ الشيء : ستره .

(٢) أي طهرت .

٢١٠ - كتاب أبي العيناء إلى عبيد الله بن سليمان

وكتب أبو العيناء إلى عبيد^(١) الله بن سليمان بن وهب وزير المعتمد :
 « أنا - أعزك الله تعالى - وولدي وعيالي زرعٌ من زرعك ، إن أسقيته
 زاع^(٢) وزكا ، وإن جفوته ذبل وذوى^(٣) ، وقد مسنى منك جفاء بعد برّ ،
 وإغفال بعد تعاهدٍ ، حتى تكلم عدوّ ، وشمت حاسدٌ ، ولعبت بي ظنونُ رجال
 كنتُ بهم لاعبا ، ولهم مخزسا ، والله درّ أبي الأسود في قوله :
 لا تُهني بعد إذ أكرمتني وشديدهُ عادةٍ مُتَزَعَةٍ

(زهر الآداب ١ : ٢٩١ ، وعيون الأخبار ٨ : ١٩٥)

٢١١ - رد عبيد الله عليه

فوقع في رقعة

« أنا - أسعدك الله - على الحال التي عهدت ، وميل إليك كما علمت ،
 وليس من أنسيناه أهملناه ، ولا من أخرناه تركناه ، مع اقتطاع الشغل لنا ،
 واقتسامه زماننا . كَان من حقك علينا أن تذكّرنا بنفسك ، وتعلمنا أمرك ،
 وقد وقعت لك برزق شهرين ، لتزيج علتك ، وتعرفني مبلغ استحقاقك ،
 لأطلق لك باقى أرزاقك ، إن شاء الله ، والسلام . » (زهر الآداب ١ : ٢٩١)

(١) وفي عيون الأخبار « إلى أبي القاسم بن عبيد الله بن سليمان » والصواب « إلى أبي القاسم

عبيد الله بن سليمان .

(٢) زاع يربح : نما وزاد ، وزكا يزكو : نما أيضا .

(٣) أى ذبل .

٢١٢ - كتاب أبي العيناء إلى عبيد الله بن سليمان

وكتب أبو العيناء إلى عبيد الله بن سليمان ، وقد نكبه وأباه المعتمد^(١) ،
وهما يطالبان بمال يبيعان له ما يملكانه من عقارٍ وأثاثٍ وعَبْدٍ وأَمَةٍ ، وقد
أُعْطِيَ بِخَادِمٍ أَسْوَدَ لِعَبِيدِ اللَّهِ خَمْسُونَ دِينَارًا :

« قد علمت - أصلحك الله - أن الكريم المنكوب أجدى على الأحرار
من اللئيم الموفور : لأن اللئيم يزيد مع النعمة لوْماً ، والكريم لا يزيد مع المحنة
إلا كَرَمًا ، هذا متكىل على رازقه ، وهذا يُسِيء الظن بخالقه ، وعَبْدُكَ
إلى ملك « كافر » فقيرٌ ، وثمنه - على ما اتصل بي - يسير ، لأنه
بخدمته السلطان ، يعرفني الرؤساء والإخوان ، ولست بواجدٍ ذلك في غيره
من الغلمان ، فإن سَمَحْتَ به فتلك عادتك ، وإن أمرت بأخذ ثمنه فذلك
مادتي ، أدام الله دولتك ، واستقبل بالنعمة نكبتك » .

فأمر له به . (زهر الآداب ١ : ٢٩١)

٢١٣ - جواب لأحمد بن سليمان بن وهب

وقال الحسين بن إسحق : كنت عند أحمد^(٢) بن سليمان بن وهب ،
ونحن على شراب ، فوافقه رُقعةٌ فيها أبياتٌ مدح ، فكتب الجواب :

(١) قدما أن الموفق طلعة . كان هو الغالب على أمر أخيه المعتمد ، وجاء في الأعاني (ج ٢٠ ص ٧٢) « أن الموفق إنما استكتب سليمان بن وهب وابنه عبيد الله ليقف منهما على ذخائر موسى بن هارون ودائعه فلما استقصى ذلك نكبهما لكثرة مالهما » وجاء في تاريخ الطبري (ج ١١ : ص ٢٥١) « وفي سنة ٢٦٤ خرج سليمان بن وهب من بغداد إلى سامرا ، ومعه الحسن بن وهب ، فلما صار سامرا غضب عليه المعتمد وحبسه وقبده واتهب داره ودارى أبيه وهب وإبراهيم . . . » .
(٢) انظر ترجمته في معجم الأدباء ٣ : ٥٤ .

« وَصَلَتْ رَقْمَتُكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - فَكَانَتْ كَوْصِلَ بَعْدَ هَجَرٍ ، وَغَنَى
 بَعْدَ فَقْرٍ ، وَظَفَرَ بَعْدَ صَبْرٍ ، أَلْفَاظُهَا دُرٌّ مَشُوفٌ ^(١) ، وَمَعَانِيهَا جَوْهَرٌ مَرْصُوفٌ ،
 وَقَدْ اصْطَحَبَا أَحْسَنَ صُحْبَةٍ ، وَتَأَلَّفَا أَقْرَبَ أَلْفَةٍ ، لَا تَمُجُّهَا الْآذَانُ ، وَلَا تَتَعَبُ
 بِهَا الْأَذْهَانُ ، وَقَرَأْتُ فِي آخِرِهَا مِنَ الشَّعْرِ مَا لَمْ أَمْلِكْ نَفْسِي أَنْ كَتَبْتُ
 - لَجَلَالَتِهِ عِنْدِي ، وَحُسْنِ مَوْقِعِهِ مِنْ نَفْسِي - بِمَا لَا أَقُومُ بِهِ ، مَعَ تَحْيِيفٍ ^(٢)
 الصَّهْبَاءِ لِي ، وَشُرْبِهَا مِنْ عَقْلِي وَمِقْدَارِ شُرْبِي ، وَلَكِنِّي وَاثِقٌ مِنْكَ بِطَيِّ
 سِيَّتِي ، وَنَشْرِ حَسَنَتِي :

نَفْسِي فِدَاؤُكَ يَا أَبَا الْعَبَّاسِ	وَإِنِّي كِتَابُكَ بَعْدَ طُولِ الْيَاسِ
وَإِنِّي ، وَكُنْتُ بَوَّخَشْتِي مَتَفَرِّدًا	فَأَصَارُنِي لِلْجَمْعِ وَالْإِينَاسِ
وَقَرَأْتُ شَعْرَكَ فَاسْتَطَلْتُ لِحُسْنِهِ	نَحْرًا عَلَى الْخُلَطَاءِ وَالْجُلَاسِ ^(٣)
عَايَنْتُ مِنْهُ عَيُونََ وَشَى سُدِّيَّتِ	يَبْدَائِعِ فِي جَانِبِ الْقِرْطَاسِ ^(٤)
فَاقَتْ دَقَائِقُهُ وَجَلَّ لِحُسْنِهِ	عَنْ أَنْ يُحَدِّدَ بِفِطْنَةٍ وَقِيَاسِ
شِعْرٌ كَجَرَى الْمَاءِ يَخْرُجُ لَفْظُهُ	وَمِنْ حُسْنِ طَبْعِكَ تَخْرُجُ الْأَنْفَاسِ
لَوْ كَانَ شِعْرُ النَّاسِ جِسْمًا لَمْ يَكُنْ	لِكَمَالِهِ إِلَّا مَكَانَ الرَّاسِ

(مَعْجَمُ الْأَدْبَاءِ : ٥٦)

(١) مشوف : مجلوف ، من شواه يشوفه شوقا : أى جلاه .
 (٢) تحييفه : تنقصه من حيفه ، والحيف كمنب : جمع حيفة بالكسر ، وهى الناحية .
 (٣) الخلطاء : جمع خليط ، وهو الخالط ، وفى الأصل « على الخلقاء » وأراه محرفا .
 (٤) الوشى : نقش الثوب ، سديت بدائع : أى جعلت البدائع سدى لها ، والسدى بالفتح :
 الخيوط التى تمد طولاً فى النسيج (واللحمة بالضم والفتح : ما ينسج عرضاً) .

٢١٤ - كتابه إلى ابن أبي الأصبع

وكتب أحمد بن سليمان بن وهب إلى ابن أبي الأصبع^(١) :
 « لو أطعتُ الشوقَ إليك ، والتَّزاعَ^(٢) نحوكَ ، لكُثُرَ قُصْدِي لك ،
 وغَشِيَانِي^(٣) إِيَّاكَ ، معِ الْعِلَّةِ القاطعة عن الحركة ، الحائلة بيني وبين الركوب ،
 فالِئِلَّةُ إنْ تَخَلَّفَتْ مُخَلَّفَتِي ، وإِشَارُ التَّخْفِيفِ يُؤَخِّرُ مَكَاتِبَتِي . فَأَمَّا مَوَدَّةُ الْقَلْبِ ،
 وِخْلُوصُ النِّيةِ ، وَتَقَاءُ الضَّمِيرِ ، وَالاعْتِدَادُ بِمَا يَجِدُّهُ اللَّهُ لك من نعمة ،
 وَيَرْفَعُكَ إِلَيْهِ من درجة ، وَيَبْلُغُكَ إِيَّاهُ من رُتْبَةٍ ، فَعَلَى مَا يَكُونُ عَلَيْهِ الْأَخُ
 الشَّقِيقُ ، وَذُو الْمَوَدَّةِ الشَّقِيقُ ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَاهِدِي عَلَى ذَلِكَ من
 قَلْبِكَ أَعْدَلَ الشُّهُودِ ، وَوَافِدِي بِإِعْلَامِكَ إِيَّاهُ أَصْدَقَ الْوُفُودِ ، وَبِحَسَبِ
 ذَلِكَ انْبِسَاطِي إِلَيْكَ فِي الْحَاجَةِ تَعَرِّضَ قَبْلَكَ ، وَيُعْنَى بِالنَّجَاحِ مِنْهَا عِنْدَكَ ،
 وَعَرَضَتْ حَاجَةٌ أَيْسَ تَمْنَعُنِي قَلَّتْهَا مِنْ كَثِيرِ الشُّكْرِ عَلَيْهَا ، وَالاعْتِدَادُ بِمَا
 يَكُونُ مِنْ قَضَائِكَ إِيَّاهَا ، وَقَدْ حَمَلْتُهَا بِحِي لَتَسْمَعَهَا مِنْهُ ، وَتَتَقَدَّمَ بِمَا أُحِبُّ
 فِيهَا ، جَارِيًا عَلَى كَرَمِ سَجِيَّتِكَ ، وَعَادَةٍ تَفْضُلُكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . »

(معجم الأدباء ٣ : ٦٠)

٢١٥ - كتابه إلى أخيه عبيد الله بن سليمان

وكتب إلى أخيه الوزير عبيد الله بن سليمان - وقد سافر ولم يودعه - :

(١) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي الأصبع ، انظر الفهرست لابن الديم ص ١٨٤ ، وفي الأصل « ابن أبي الإصبع » .
 (٢) تزعم إلى أهله كضرب تزاغة بالفتح ، وتزاعا بالكسر ؛ وتزوعا بالضم : اشتاق .
 (٣) غشيه غشيانا : جاءه .

« أطل الله بقاء الوزير، مُصْحِباً لَهُ السَّلامَةَ الشَّامِلَةَ، وَالغِيْظَةَ الْمُتَكَامِلَةَ،
وَالنِّعَمَ الْمُتَظَاهِرَةَ، وَالْمَوَاهِبَ الْمُتَوَاتِرَةَ، فِي ظَعْنِهِ وَمُقَامِهِ، وَحَلِّهِ وَتَرْحَالِهِ،
وَحَرَكَتِهِ وَسُكُونِهِ، وَلَيْلِهِ وَنَهَارِهِ، وَهَجَلِ إِيْلِنَا أَوْبَتِهِ، وَأَقْرَبِ عِيُونِنَا بَرَجْعَتِهِ،
وَمَتَّعِنَا بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ .

كَانَ شَخْصُ الْوَزِيرِ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ بَعْتَهُ أَعْجَلَ عَنْ
تَوْدِيْعِهِ، فَزَادَ ذَلِكَ فِي وَلَهِي، وَإِضْرَامِ لَوْعَتِي، وَاشْتَدَّتْ لَهُ وَحْشَتِي،
وَذَكَرْتُ قَوْلَ كَثِيرٍ :

كُنْتُمْ تَزِينُونَ الْبِلَادَ فَفَارَقْتُمْ (عَشِيَّةً بِنْتُمْ) زَيْنَهَا وَجَاهَهَا
فَقَدْ جَعَلَ الرَّاضُونَ إِذْ أَنْتُمْ لَهَا بِخَصْبِ الْبِلَادِ يَشْكُونَ وَبَالَهَا
وَالْوَزِيرُ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - يَعْلَمُ مَا قِيلَ فِي يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ :

يَنْسَى صِنَائِعَهُ وَيَذْكُرُ وَعْدَهُ وَيَبْتَئُ فِي أَمْثَالِهِ يَتَفَكَّرُ »

(مِجْمَعُ الْأَدْبَاءِ ٣ : ٦١)

٢١٦ - كِتَابُهُ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ

وَكُتِبَ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ :

« لَيْسَ عَنِ الصَّدِيقِ الْمَخْلِصِ، وَالْأَخِ الْمَشَارِكِ فِي الْأَحْوَالِ كُلِّهَا
مَذْهَبٌ، وَلَا وِرَاءَهُ لِلْوَائِقِ بِهِ مَطْلَبٌ، وَالشَّاعِرُ يَقُولُ :
وَإِذَا يُصِيبُكَ (وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ) حَدَّثْتُ حَدَاكَ إِلَى أَخِيكَ الْأَوْثَقِ^(١)
وَأَنْتَ الْأَخُ الْأَوْثَقُ، وَالْوَلِيُّ الْمَشْفِيقُ، وَالصَّدِيقُ الْوَصُولُ، وَالْمَشَارِكُ

(١) حَدَاكَ : سَاقَكَ .

في المكروه والمحبوب ، قد عرفني الله من صدق صفائك ، وكرم وفائك ،
على الأحوال المتصرفة ، والأزمنة المتقلبة ، ما يستغرق الشكر ، ويستعبد
الحُر ، وما من يوم يأتي على إلا وثقتي بك تزداد استحكامًا ، واعتمادى عليك
يزداد توكلًا والتَّيَمُّنًا ، أنبسط في حوائجى ، وأثقتُ بنُجَحِ مسألتى ، والله
أسألُ لك طولَ البقاء في أدومِ النعمة وأسبغِها^(١) ، وأكملِ العوافى وأتمِّها ،
والأيسلبَ الدنيا نضرتَّها^(٢) بك ، وبهجتها يبقائك ، فما أعرفُ بهذا الدهر
المتنكر في حالاته ، حسنةً سواك ، ولا حيلةً غيرك ، فأعيدُك بالله من
العيون الطامحة ، والألسنة القاذحة ، وأسأله أن يملك في حرزه الذى
لا يُرام ، وكنفه الذى لا يُضام ، وأن يحرُسَك بعينه التى لا تنام ، إنه ذو
المنِّ والإِنعام . (معجم الأدباء ٣ : ٦٢)

٢١٧ — كتاب أبى العباس بن ثوابة إلى عبيد الله بن سليمان

ومن فصل لأبى العباس أحمد بن محمد بن ثوابة إلى عبيد الله بن سليمان :
« لم يؤتَ الوزيرُ من عدم فضيلة ، ولم أُوتَ من عدم وسيلة ، وغُلَّةُ
الصادى^(٣) تأبى له انتظارَ الوارد ، وتُعجلُ عن تأمل ما بين الغدير والوادي ،
ولم أزل أترقب أن يُخطِرني بباله ، ترقبَ الصائم لفطره ، وأنتظرُه انتظارَ
السارى لفجره ، إلى أن برح الخفاء^(٤) ، وكشِفَ الغطاء ، وشِيتَ الأعداء ،

(١) أى وأتمها . (٢) أى بهجتها ورواءها .

(٣) الغلة : حرارة العطش ، والصادى : العطشان .

(٤) أى انكشف الأمر ووضح ، أخذه من قول حسان :

ألا أبلغ أبا سفيان عى مغفلة فقد برح الحفاء

وإنَّ في تَخْلُفِي وتَقَدُّمِ المَقْصَرِّينَ ، لآيَةً لِلْمُتَوَشِّعِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .
(معجم الأدياء ٤ : ١٤٧)

٢١٨ كتاب له

ومن كلام أبي العباس :

« مِنْ حَقِّ المَكَاتِبَةِ أَنْ يَسْبِقَهَا أَنْسٌ ، وَيَنْعَقِدَ قَبْلَهَا وَدٌّ ، وَلَكِنْ الْحَاجَةُ أَهْجَلَتْ عَنْ ذَلِكَ ، فَكُتِبَتْ كِتَابَ مَنْ يُحْسِنُ الظَّنَّ إِلَى مَنْ يَحْقِّقُهُ .
(معجم الأدياء ٤ : ١٤٧)

٢١٩ - كتاب ابن ثوابة إلى عبيد الله بن سليمان

وكتب ابن ثوابة إلى عبيد الله بن - ليمان يعتذر إليه من تركه مكاتبتَه بالتفدية^(١) :

« اللَّهُ يَعْلَمُ - وَكُنِيَ بِهِ عَلِيًّا - لَقَدْ أَرَدْتُ مَكَاتِبَتَكَ بِالتَّفْدِيَةِ ، فَرَأَيْتُ عَيْبًا أَنْ أَفْدِيَكَ بِنَفْسِي لَا بُدَّ لَهَا مِنَ الْفَنَاءِ ، وَلَا سَبِيلَ لَهَا إِلَى الْبَقَاءِ ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَكَ شَيْئًا يُضْمِرُ خِلَافَهُ فَقَدْ غَشَّ ، وَالْأَمْرُ إِذَا كَانَتْ الْضَّرُورَةُ تَوْجِبُهُ ، وَتُحَقِّقُ أَنَّهُ مِلْكٌ لَا يَتَحَقَّقُ ، وَعَطَاءٌ لَا يَتَحَصَّلُ ، لَمْ يَجْزْ أَنْ يَخَاطَبَ بِهِ مِثْلُكَ^(٢) ، وَإِنْ كَانَ عِنْدَ قَوْمٍ نَهَايَةٌ مِنْ نَهَايَاتِ التَّعْظِيمِ . وَدَلِيلًا مِنْ دَلَالَاتِ الْجَاهِدِ ، وَطَرِيقًا مِنْ طَرِيقِ التَّقَرُّبِ » (أدب الكتاب ص ١٥٥ ، وهرم الآداب ٣ : ١٦)

(١) في هرم الآداب « في التمرة » .

(٢) في هرم الآداب « والأمر إذا كانت الضرورة توجب أنه ملك لا يحقق إعطاء ، ولا يتحصل لم يجب أن يخاطب به مثلك » وفي أدب الكتاب « فقد غش ، والأمر ، إذا كانت الضرورة توجبه ، وتحقق أنه ملك لا يتحقق ، وعطاء لا يتحصل ، وإن كان عند قوم ... » وكلاهما محرف .

٢٢٠ - جواب عن تعزية لابن ثوابه

« وصل كتابك بالتعزية عن أخي وفهمته ، وقد جَلَّتْ مصيبتى به وعظُمَتْ ، فنكَّأتِ^(١) القلبَ ، وهَدَّتِ الرُّكنَ ، وأذهبت القوة ، ونَقَصَتْ العِيشَ ، وأزَرَّتْ بالأمل ، فعند الله أحْتِسِبُهُ ، وإياه أسأل تفضلاً عليه ، وصفحاً عنه ، وتعمُّداً^(٢) لذنوبه ، وصبراً على حادث فضائه فيه ، واستعداداً للموت وتأهباً له ، فإنه مَصْرَعٌ لا بد منه ، ومَوْرِدٌ لا يحِصُّ عنه وقد كنت استجفيتُ كتابك ، وأُنَارْتِ تأخر تعزيتك ، وعدَدْتُ ذلك من هَفَوَاتِ الإِخوان الذين يقع التقصير منهم . وتصيحُ نِيَّاتهم وضمايرهم ، فرددتُ الزَّلَلَ من فعلك ، إلى موثوقٍ به من نيتك وضميرك ، وأسأل الله ألا يُعَدِّمَنَّاكَ على أحوالك كليهما ، ويمتحننا بمواهبه فيك »

(اختيار المطوم والمشور ١٣ : ١٣ -)

١ - تعزية له إلى ابني عمر

« أنا أستهجنُ وصفَ مشاركتكما عند كل حادث من نازلةٍ بكما . اكتفاءً بالحال . وتأكُّد الوصل والأسباب . وَحَدَّثَتْ هذه المصيبةُ قاله يعلم ما أَثَّرَتْ بقلبي ، وهَدَّتْ من قوتي ، ومَنَّاتُ من قُرب المدةِ نى ، فإن المصائبِ نوائبَ ، ومن رأى حُرْمَتاً بغيره لمَ أنها حالةٌ في نفسه ومن يتصلُ

(١) من دكا الفرحة كعم : قسرها قل أن تداً مديت .

(٢) أى سترأ وعمرأنا لها .

به ، ولقد اشتد جزعى لذلك وَوَحْشَتِي منه ، وَمِنْ خُلُوءِ منازلكما من الأم
البرّة ، والأخت الطاهرة ، مع قِصر أيام ، وقُرْب مدّة ، وعدم سَلوة ،
رضى الله عنكما ، ولا تَقْصَ لكما عددا .

وعزيرٌ على أن أتخلف عن حقكما ، أو أمرٌ يلزمني فيه ما يلزم كافّة
أهلكما ، لكنى فى حال قد عرّفتكما^(١) ، فإن اتسع لى العذرُ مع ما نازعنى
فيه من أحوالكما ، وإلاّ فإنّ فى تفضلكما موضعَ احتمالٍ المفقوة ، وتعمّد الزلّة ،
وإقالة العثرة ، والرجوع إلى نية قد صحّت ، رِضْوِيَّة قد خلصت واستحكت .

(اختيار المظوم والمشور ٣ -)

٢٢٢ - عهد من الموفق إلى أحد الولاة

كتبه ابن ثوابة

« هذا^(٢) ما عهد به أبو أحمد الموفق بالله ولىّ عهد المسلمين ، إلى فلان ،
حين ولّاه الصّلاة بأهل كُورَةِ الرّى ودُنْباوَنَد^(٣) ونواحيها والحرب
والأحداث ميهما .

أمره بتقوى الله وطاعته ، وخشيتته ومراقبته ، فى سرّه وعلايته ،
وظاهرٍ أمره وباطنه ، والعمل بما أمر الله به ، والانتها عما نهى عنه فيما
واقفه وخالفه ، وأرضاه وأسخطه ، فإنه من يتق الله يقّه ، ومن يعتصم به

(١) فى الأصل « قد عرّفتكما » ، وربما كان الصواب « قد عرّفتكما لياها » .

(٢) تأثّر فيه عهد المهدي السابق واقتبس منه - انظر ص ١٥٢ من الجزء الثالث .

(٣) حل من نواحي الرى .

يَهْدِيهِ ، وَمَنْ يُطِيعْهُ يَتَوَلَّهِ وَيَكْفِهِ ، « إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ » .

وَأَمْرُهُ أَنْ يُشْعِرَ قَلْبَهُ خِيفَةَ اللَّهِ وَهَيْبَتَهُ وَالتَّقْوِيَّاتِ إِلَيْهِ ، وَالاعْتِمَادَ عَلَيْهِ ، وَأَنْ يَجْعَلَ كِتَابَ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ لَهُ إِمَامًا ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثَالًا ، فَإِنْ فِيهَا دَلَالَةٌ وَتَبَيُّنَاتَانَا ، وَضِيَاءٌ وَنُورٌ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ ، وَهُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَكُونَ أَوَّلَ مَا يُعْنَى بِهِ وَيَقْدَّمُ ، وَيُرَاعَى وَيُؤْثَرُ ، إِقَامَةُ الصَّلَاةِ لِمَوَاقِيتِهَا ، بِإِتِمَامِ رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا ، وَأَدَاءُ فَرَضِ اللَّهِ فِيهَا ؛ إِذَا كَانَتْ عِمَادَ الدِّينِ ، وَأَفْضَلَ مَا تَقَرَّبَ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ . وَكَانَ مِنْ أَضَاعِهَا وَقَصَّرَ فِي وَاجِبِهَا ، أَشَدَّ تَضْيِيعًا لِمَا سِوَاهَا مِنْ حَقُوقِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ وَفَرَائِضِهِ وَدِينِهِ وَشِرَائِعِهِ « وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ » .

وَأَمْرُهُ أَنْ يُلْهِمَ نَفْسَهُ فِي كُلِّ حَالٍ مِنْ حَالَاتِهِ ، وَصَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مِنْ أَمْرِهِ ، ذِكْرَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ، وَقُدْرَتَهُ عَلَيْهِ ، وَأَلَّا يُعْضِيَ أَمْرًا إِلَّا بَعْدَ اسْتِخَارَةِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ فِيهِ ، وَاسْتِقْضَائِهِ فِي ذَلِكَ بِالذِّمِّ هُوَ لَهُ أَرْضَى ، وَعِنْدَهُ أَزْكَى . فَإِنْ الْعَائِبَةُ لِلتَّقْوَى ، وَإِنْ أَفْضَلُ الْأُمُورِ خَيْرُهَا طَائِفَةٌ ، وَأَحْمَدُهَا مَغَبَّةٌ ، وَمَا التَّوْفِيقُ إِلَّا بِاللَّهِ ، عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يُحَسِّنَ الْوِلَايَةَ لِأَهْلِ عَمَلِهِ ، وَالسِّيَاسَةَ لِمَنْ اسْتَرْعَى أَمْرَهُ ، وَيُكْثِرَ الْجُلُوسَ لَهُمْ ، وَالنَّظَرَ فِي أُمُورِهِمْ ، وَيَفِيضَ الْعَدْلَ وَالنَّصِفَةَ فِيهِمْ ، وَيَكْفِيَ الْعَدُوَّ الظَّالِمَ عَنْهُمْ ، وَيَسُوِّيَ الْحَقَّ بَيْنَ كَافَتِهِمْ . وَلَا يَمِيلُ إِلَى شَرِيفٍ فِي شَرَفِهِ ، وَلَا إِلَى خَامِلٍ لِسُقُوطِ مَنْزِلَتِهِ ، وَأَذَى يَخْتَارُ لَوِلَايَةِ أَعْمَالِهِ - اضْرِبْهَا

ونائيبها ، وقريبها وبعيدها ، ذوى العقاف والشهامة والكفاية ، ويُوعز إليهم فى الرفق بأهلها ، والتألف لمن حسنت طاعته ، واستقامت طريقته ، والشدة على من خالف الحق مذهبهُ ، ولا يكون لأحد عنده إغضاء عن ريةٍ يشتمل عليها ، وسبيل غير محمودٍ يسلكها ، فإن فى إقامة الحق صلاحاً وخيراً كثيراً ، وفى التفريط ضرراً وخللاً عظيماً .

وأمره أن يتفقد من معه من موالى أمير المؤمنين وأوليائه ، ويُحسن صحبتهم وعِشرتهم ، ويتفقد أمورهم ومصالحتهم ، ويراعى أحوالهم فى طاعتهم ومناصحتهم ومذاهبهم فيما يُصرفهم فيه ، ويُهيِّب^(١) بهم إليه ، ويُنزِلهم منازلهم على حسب ما يحمّد ويدّمّ منهم ، ليزداد محسِنهم فى إحسانه ، وينزع مُقصرهم عن تقصيره .

وأمره أن يقدم أهل الفضل والصلاح والمشايعة والمؤالاة والنسيحة للسلطان ويُدْنيههم ويقرّبهم ، ويسمع منهم ، ويعرف لهم ماسدّوا ، ويظهر من نصائحهم ، ويُحَمِّمًا من حالاتهم ، حتى يدعو من فعله بهم غيرهم إلى سلوك مذاهبهم ، والاقتراء بهم . والازوم لهذّيبهم ، وأن يتخذ أهل العفة والرأى والسنن والورع جلساءه وبطانته ، ويشاورهم فى أمره ، ويستعين بأرائهم فيما هو مُصدِر ، حتى يكون ما يُتمضى ويُنفذ منه بحسب ما يجتمعون عليه ، ويرَوْنَه موافقاً للحق والعدل ومجاوباً للظلم والجور .

وأمره أن تكون أحكامه بما ينفرد بالانظر فيه ، وإقامته من الحديث وما أشبهها . مما يجب لله عليه فى ذلك ، من اتباع مُحْكَمٍ تنزيل ، أو مأثورٍ سنّة ،

(١) أهاب به : دعاه .

أورأى يتفق عليه نبيل^(١) مُحْسِنٌ ومن يليه من الفقهاء وذوى المعرفة ،
والأَيُّقَدِيم على سَفَك دم ، ولا تَخْلِيَة سبيل محبوس ، ولا قَطْع مستحقٍ
للقطع ، حتى يكتبَ إليه باسم من وجَبَ ذلك عليه ، واسم أبيه وقِصَّتْه ، في
إقرارٍ إن كان منه ، أو يئْتِ إن قامت عليه ، وأسماء تلك البيعة ، وما تُعرَف به
في أنسابها ومواضعها ، وما شهدت به ، وعدلها فيمن هي منه ، ليأتية الأمر
فيه يمثله ، فإن هذين الحدين من أجل الأحكام منزلة ، وأعظمها تبعه ،
وأولها بالحظر ، إلى أن يوقف على حقيقة ما يجب فيها ، ويأمر السلطان
- أعزه الله - بما يوفقه الله في إقامتها إن شاء الله .

وأمره ألا يأخذ أحداً من الرعية بقرينة^(٢) ولا إحنة ، ولا يعرض لأحد
من أهل البراءة والسلامة والاسـتقامة ، ولا يلحق بهم جرائر أهل
النُطَفِ^(٣) والرؤية ، وأن يُشْرِف على أهل الدُّعارة والفساد في عمله ويقمهم
ويردعهم ، فيشرّد بهم ، ويعاقب من استحق العقوبة منهم بقدر جُرمه ،
وبحسب ما خُد في مثله ، من غير أن يبلغَ بأحدٍ ممن لا يجب عليه الحدُّ حداً ،
فإن لكل شيء قدرا ، ولن يستطيع الرأى فيمن أشكلَ عليه مقدارُ تأديبه ،
ومن لا يُصلحه إلا المبالغة في عقوبته ، ويكتب بحاله وشرح جريمته ، ليأتية
الرأى فيه بما يعمل به إن شاء الله .

وأمره أن يصرف عنايته إلى النواحي التي تصاقب^(٤) عمله ، من نواحي

(١) في الأصل « سبيل » وأراه محرفاً ، والنبيل : الذكي التجيب ، والواو في « ومن » للسمية .

(٢) قرنه بسوء : رماه به واتهمه ، والقرنة بالكسر : التهمة الإحنة : الحقد .

(٣) نطف كفرح وعى نطفاً بالتحريك ونطافة ونطوفة : آثم بريئة وتلطح بعب وفسد .

(٤) صاقبه : قاربه .

الأعداء المكتنفة له ، ويرتب يازائها من يسد خللها ، ويرتق فتقها ، ويراعهم بإشرافه وتفقدده ، ويعاجل من يحتاج إلى معالجته ممن نجم^(١) ويجم بها ، ويخاف عاديته وشرته ، ويناهضه بنفسه وبكافة الأولياء الذين معه ، ويستعمل في أمره ما يدفع الله به مكروهه ومعرته ، مؤثراً في ذلك اليقظة على الغفلة ، والجِدُّ على الفتور ، فإن مراعاة أولئك الأعداء وكف عاديته ، من أم الأمور التي يتقلدها ، ويؤمل عنده الكفاية لها ، وأن يتقدم إلى من قبله من التجار وغيرهم ألا يجاوزوا شيئاً من عمله إلى شيء من تلك النواحي بالمير^(٢) والأسلحة ، ولا يحملوا تلك المير إليها ، ويظهر النداء فيهم ، فمن تجاوز أمره وتمداه تقدم في حبسه وكتب باسمه واسم أبيه وإحصاء ما وجد معه من أصناف المير وغيرها ، ليأتيه الأمر بما يمثله إن شاء الله .

وأمره أن يتفقد طرف عمله ومساحله^(٣) بالضبط لها ، وبذرة^(٤) السابلة المختلفة فيها ، ويبلغ في ذلك المبلغ الذي يرجو معه بإذن الله أمنها وسلامتها ، ويرتب فيها الثقات من أصحابه ، وأهل الجلد من جنده وأعوانه ، ويأمرهم بمراعاة ما يوكلهم به منها ، ورفع مئوناتهم ممن يجتاز بها ، حتى لا يلزمهم جناية بسبب ثار ولا غيره ، وألا يحمل أحدا منهم كلفة ولا نائبة^(٥) ، فإن

(١) أى ثار ، من نعم النوات : إذا ظهر وطلع .

(٢) جمع ميرة بالكسر : وهى الطعام .

(٣) المساح جمع مسلحة بالفتح : وهى الثغر ، والقوم ذوو سلاح .

(٤) البذرة : الحفارة ، فارسية معربة ، والمبفرق : الحفير .

(٥) فى الأصل « يابه » والنائبة : ما ينوب الإنسان أى ينزل به من المهمات والحوادث

في ذلك رِقَقاً بهم ، وصلاً حالهم ، ورحمةً لطرقهم ، ودُرُوراً لتجاراتهم ،
ووصولاً للنفع إلى البلدان التي يقصِدونها للتجارات ، وأمناً من انقطاعها
عنها بإذن الله .

وأمره أن يُحسِنَ مَعُونَةَ أحمد بن محمد ، المتقلِّد لأعمال الخراج والضَّياع
قَبْلَهُ ، على ما استعان به عليه ، مما فيه زَجَا^(١) الخراج ، ودُرُورُ جبايته ، ويُرِيحُ
عِلَّتَهُ^(٢) فيمن يحتاج إلى إشخاصه اليوم^(٣) من المستعِين والمدافِعِينَ بما يجبُ
عليهم ، وفي سائر ما يلتبسُ منه المعونة عليه ، وأن يضمَّ إليه من الأعوان
العِدَّةَ التي لم تَزَلْ تُضَمُّ إلى المتولَّى لما قلَّده ، ويعمل على أن ذلك من أولى
ما قدَّمه وآثره ، واستفرغ فيه وسعته ، للصالح العائد به ، والحظُّ الراجع فيه
إن شاء الله .

وأمره أن يتفقَّدَ مَنْ في الحبسِ قَبْلَهُ ، ويُكثِرَ عَرْضَهُم والنظرَ في
أمرهم ، والأسبابَ التي حُبِسُوا بها ، ولا يقصِدَ لإطالة حبسٍ من لا يجب
ذلك عليه ، ولا لإطلاق ما يوجب الحقُّ تخليده ، ويعمل في أمورهم ومشاوره
أهلَ الفقه فيهم ، وإقامةِ التأديب والحدودِ عليهم ، بما حُدِّ في أمثالهم
إن شاء الله .

وأمره ألاَّ يَقْسِمَ على أهل عمله قِسْمَةً بسببِ نُزُلٍ^(٤) ولا غيره ، مما كان

(١) زجا الخراج يزجو زجاء : تيسرت جبايته .

(٢) في الأصل « ويرتج عليه » وهو تصحيف .

(٣) كذا في الأصل ، والأظهر أنه « إلينا » .

(٤) التزل كمنق وقل : ماهي للضيف أن يتزل عليه .

شِرَارُ الْعُمَالِ يوظفونه ويقسمونه على أهل أعمالهم ، ويتجنب الطَّعْمُ ^(١) الشَّائِئَةَ ، والمكاسِبَ الرديئة ، ويحذر أن يعرض لشيء منها ، أو يطلقه لأحد من كفاته ، فيرد عليه من النكير ما هو خريء بتوقيه والتصوثن عنه .

وأمره أن يتقدم في تعريف ما يوجد من الضوَالِ ^(٢) في عمله والإشادة بذكرها ، فإن عَرَفَ أحد ضالَّةً منها ، وأوضح ملكة إياها بما يوضح به مثله ، سُمِّت إليه ، وأشهد بها عليه ، وإن لم يحضر لها طالب ، وأشفق من ضياعها ، باعها في أسواق المسلمين بأقصى أثمانها ، وأحوط ما يُعْمَلُ به في أمرها ، وسَلَّمْ ثمنها إلى حامل الخراج قبله ، ليجعله عزلاً ^(٣) في بيت المال ، فإن استحقَّه مستحقٌّ بعد ذلك دفعه إليه إن شاء الله :

وأمره أن يحبس مَنْ ظفِرَ به من أباقي ^(٤) أرقاء المسلمين والمعاهدين ويستوثق منهم ، ويسأل عن أسمائهم وأسماء مواليتهم ومواضعهم ، ويكتب بذلك إلى العمال الذين هم في أعمالهم ، ويدفع كل عبد منهم أو أمة إلى مولاه ، إذا قامت البيئة العادلة على أنه رِقٌّ له ، أبق منه ، ويُشَهِد بذلك عليه إن شاء الله .

وأمره أن يَتَخَيَّرَ لِلْحِسْبَةِ على أهل الأسواق وسائر أصحاب الصناعات والبياعات ^(٥) في عمله ، مَنْ يُعْرِفُ بالقصد في مذهبه ، والسَّتْرُ في نفسه ،

(١) الطعم جمع طعمة بالضم : وهي وجه المكسب .

(٢) الضوَال جمع ضالة : وهي الحيوان الضائع لا يعرف له رب ، وقد تطلق الضالة على المعاني .

(٣) العزل : ما يورد بيت المال مقدمة غير موزون ولا مستقد .

(٤) جمع آبق : وهو الهارب .

(٥) البياعات جمع بياعة بالكسر وهي السلعة ، وفي الأصل « الساعات » وهو تحريف .

والعَفَافُ فِي طُعْمَتِهِ ، وَاسْتِيفَاءُ الْحَقِّ فِيمَا يُقْلَدُهُ وَيُسْتَكْفَى الْقِيَامَ بِهِ ، وَيَتَقَدَّمُ إِلَيْهِ فِي أَخْذِ كُلِّ طَبَقَةٍ مِنْ أَهْلِ الطَّبَقَاتِ الَّتِي يَقَعُ فِي الْحِسْبَةِ فِيهَا ، بِتَصْحِيحِ الْمَعَامَلَةِ ، وَرَفْعِ الْعَشِّ ، وَتَجَنُّبِ كُلِّ مَا عَادَ بِمَضَرَّةٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَتَحْيِيفٍ^(١) لَهُمْ ، وَتَعْيِيرٍ^(٢) الْمَسْكَايِلِ وَالْمَوَازِينَ فِي سَائِرِ عَمَلِهِ ، وَإِقَامَتِهَا عَلَى الْوَفَاءِ وَالْعَدْلِ ، وَخَتْمِهَا بِالرَّصَاصِ ، وَحَمْلِ الْمُبْتَاعِينَ فِيهَا وَغَيْرِهِمْ عَلَيْهَا ، وَالْإِشْرَافِ عَلَى مَا يَرْتَبِعُهُ وَيَتَقَدَّمُ بِامْتِثَالِهِ فِي سَائِرِ وَجُوهِ الْحِسْبَةِ ، حَتَّى لَا يَخَالَفَ شَيْءٌ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ ، وَمُعَاقِبَةُ مَنْ عَسَى أَنْ يُقَدِّمَ عَلَى مُخَالَفَتِهِ فِيهِ ، يَرُدُّعُهُ وَيَعِظُ مَنْ سِوَاهُ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : « أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ، وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ » .

وَأَمْرُهُ : إِنْ كَانَ فِيمَا يُوَدَّى إِلَى صَالِحِ مَا وَلَاهُ وَاسْتِقَامَتِهِ وَوُقُوعِ الْإِحْتِيَاطِ فِيهِ ، مُوَافَقَةً أَمْرٍ لَمْ يَعْهَدْ إِلَيْهِ فِيهِ ، وَاحْتِاجَ إِلَى اسْتِمَارِهِ فِي ذَلِكَ ، أَنْ يَتَوَقَّفَ عَنْ إِحْدَاثِ حَدَثٍ فِي شَيْءٍ مِنْهُ ، وَيَكْتَسِبَ إِلَيْهِ بِهِ ، لِأَيَّتِهِ الْأَمْرُ فِي ذَلِكَ بِمَا يَعْمَلُ بِهِ وَيَقْتَصِرُ عَلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ مِمَّا سَبِيلُهُ أَنْ يُخْضِيَ فِيهِ رَأْيَهُ ، عَمِلَ فِيهِ بِمَا يُوقِّعُهُ اللَّهُ لَهُ ، مِمْتَثِلًا فِي ذَلِكَ أَعْدَلَ السَّيْرِ وَأَقْصَدَهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَأَمْرُهُ أَنْ يَقْرَأَ عَهْدَهُ عَلَى أَهْلِ عَمَلِهِ ، وَيُعَلِّمَهُمْ رَأْيَهُ فِيهِ ، وَعُنَايَتَهُ بِمَا فِيهِ صَالِحُهُمْ ، وَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِمْ ، وَالْعَدْلُ عَلَيْهِمْ ، وَالتَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ بِذَلِكَ

(١) تَحْيِيفُهُ : تَقْصِصُهُ مِنْ حَيْفِهِ ، وَالْحَيْفُ كَنْفٌ : التَّوَاضُّعُ جَمْعُ حَيْفَةٍ بِالْكَسْرِ .

(٢) قَالَ فِي اللِّسَانِ : « عِيرَتِ الدَّنَائِرُ : وَهُوَ أَنْ تَلْقَى دِينَارًا دِينَارًا ، فَتَوَازِنَ بِهِ دِينَارًا دِينَارًا ، وَكَذَلِكَ عِيرَتِ تَعْيِيرًا إِذَا وَزَنْتَ وَاحِدًا وَاحِدًا ، يُقَالُ هَذَا فِي الْكَيْلِ وَالْوِزْنِ ، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : فَرَّقَ الْبَيْتَ بَيْنَ عَايَرَتٍ وَعَيْرٍ ، فَجَعَلَ عَايَرَتٍ فِي الْمَسْكَايِلِ وَعَيْرَتٍ فِي الْمِيزَانِ . . . » .

في أمرهم ، لِيَبْسُطَ آمَالَهُمْ ، وَيُحْسِنَ ظَنُونَهُمْ ، وَيُحَمِّدُوا اللَّهَ عَلَى مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

هذا عهدى إليك ، وأمرى إياك فيما قلدتك وأسندتُ إليك ، فامثله
واعمل به ولا تُجاوزه ، واستعن بالله فيما غلبك منه يقك ، والله أسأل أن
يصلى على محمد عبده ورسوله ، وأن يوفقك ويحسن كفايتك ، والسلام .
(اختيار المنظوم والمثور ١٣ : ٣٤٦)

٢٢٣ - كتاب جعفر بن ثوابة إلى عبيد الله بن سليمان

وكتب أبو الحسين جعفر بن محمد بن ثوابة إلى عبيد الله بن سليمان :
« قد فتحتَ للمظلوم بابك ، ورفعتَ عنه حجابك ، فأنا أحاكم الأيام
إلى عدلك ، وأشكو صَرفها^(١) إلى عطفك ، وأستجير من لُوم غلبتها بكرم
قدرتك ، فإنها تؤخرني إذا قدّمت ، وتحرمني إذا قسّمت ، فإن أعطت
أعطت يسيراً ، وإن ارتجعت ارتجعت كثيراً ، ولم أشكها إلى أحد قبلك ،
ولا أعددتُ لإنصافها إلا فضلك ، ودفعَ ذمام^(٢) المسألة وحقّ الظلامة
حقّ التأمل وقدمَ صدق الموالاة والمحبة ، والذي يملأ يدي من النصفة ،
ويُسبِغ العدل على ، حتى تكون إلى مُحسِننا ، وأكون بك للأيام مُعدياً ،
أن تخاطبني بخواصّ خدامك ، الذين نقلتهم من حال الفراغ إلى الشغل ،
ومن الخمول إلى النباهة والذكر ، فإن رأيت أن تُعديني^(٣) فقد استعديتُ ،

(١) صرف الدهر : نوائبه .

(٢) الذمام : الحق والحرمة .

(٣) أعداه : نصره وأعانه وقواه ، واستعداه : استعان به واستنصره .

وَتُجِيرَنِي فَقَدْ عُدْتُ بِكَ ، وَتَوَسَّعَ عَلَيَّ كَنَفُكَ فَقَدْ أُوتِيتُ إِلَيْهِ ، وَتَشَمَّلَنِي بِإِحْسَانِكَ فَقَدْ عَوَّلْتُ عَلَيْهِ ، وَتَسْتَعْمَلُ بَدَنِي وَلِسَانِي فِيمَا يَصْلُحَانِ لخدمَتِكَ فِيهِ ، فَقَدْ دَرَسْتُ كُتُبَ أَسْلَافِكَ ، وَهَمُّ الْأَعْمَةِ فِي الْبَيَانِ ، وَاسْتَضَاءَتْ بِرَأْيِهِمْ ، وَاقْتَفَيْتُ آثَارَهُمْ اقْتِفَاءً جَمَعَنِي بَيْنَ وَخْشِي كَلَامَ وَأُنَيْسِهِ ، وَوَقَفَنِي مِنْهُ عَلَى جَادَةٍ مُتَوَسِّطَةٍ ، يَرْجِعُ إِلَيْهَا الْغَالِي ، وَيَسْمُو نَحْوَهَا الْمَقْصُرَ ، فَعَلْتُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . (معجم الأدباء ٧ : ١٨٨)

٢٢٤ - كتاب أحمد بن أبي طاهر إلى علي بن يحيى

وكتب أحمد^(١) بن أبي طاهر يشكر علي^(٢) بن يحيى :
« وَصَلَ إِلَيَّ - وَصَلَ اللَّهُ نِعْمَتَكَ بِالْمَزِيدِ - مَا ابْتَدَأَتْ بِهِ مِنْ بَرِّكَ الْمَتَابِعِ ، وَفَضْلِكَ الْوَاسِعِ ، فَصَادَقْنَا عَلَى حَالٍ مِنَ الْخَلَّةِ^(٣) قَدْ دَعَتْنَا ضَرُورَةُ الْحَاجَةِ بِهَا إِلَى ذَلِكَ الْمَسْأَلَةِ ، فَرَمَ^(٤) مَا تَلَمَّه الدَّهْرُ مِنْ مُرُوءَتِنَا ، وَسَدَّ مَا كَشَفَهُ مِنْ خَلَّتِنَا ، وَكَفَانَا مِثْوَنَةَ الْامْتِحَانِ لِلإِخْوَانِ فِي مَوَدَّتِنَا ، وَسَتَرَ وَجُوهَنَا بِالصِّيَانَةِ عَنِ الْمَسْأَلَةِ ، وَأَبْقَى جَاهَنَا عِنْدَ أَهْلِ الْمَوَدَّةِ ، فَمَا ظَنُّكَ بِمَعْرُوفٍ صَادَفَ حَاجَةً ، وَصَنِيعَةٍ كَانَتْ إِبَاسُهَا بِلَاذِلَةٍ وَلَا بَذَلَةٍ^(٥) ، وَمَعُونَةٍ جَاءَتْ

(١) هو أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور ، صاحب كتاب المنظوم والمشور ، ولد ببغداد سنة ٢٠٤ وتوفي سنة ٢٨٠ - انظر ترجمته في الفهرست ص ٢٠٩ ومعجم الأدباء ٣ : ٨٧ .

(٢) هو أبو الحسن علي بن يحيى بن أبي منصور النجم ، وكان من خاصة ندماء النوكل ، وخص به ومن بعده من الخلفاء إلى أيام المعتد ، وكان مقدما عندهم ، يفضون إليه بأسرارهم ، ويأمنونه على أخبارهم ، وكان راوية للأشعار والأخبار شاعرا محسنا ، وتوفي سنة ٢٧٥ - انظر الفهرست ص ٢٠٥

(٣) الخلّة : الحاجة والفقر .

(٤) رمه : أصلحه .

(٥) البذلة : اسم من الابتذال : وهو امتحان النفس وعدم صيانتها .

بلا مَثُونَةٍ ، وَغَيْثٍ جَاءَ بِلَا عَارِضٍ وَلَا مُخِيلَةٍ^(١) ، وَأَمَلٍ أُدْرِكَ بِلَا تَعَبٍ ،
وَحَقٍّ أُوجِبَ بِلَا حُرْمَةٍ وَلَا سَبَبٍ ؟ مَا كَانَ إِلَّا كَالْقَطْرِ ، فِي الْأَرْضِ
الْقَفْرِ ، أَغْفَلَهَا الزَّمَانُ ، وَجَفَّاهَا الْعُمُرَانُ ، وَكُلُّ مَعْرُوفٍ وَإِنْ كَثُرَ فَأَكْثَرُ
مِنْهُ فَضْلُكَ ، وَكُلُّ صَنِيعَةٍ وَإِنْ كَبُرَتْ فَأَكْبَرُ مِنْهَا الْأَمَلُ فَيْكَ ، وَكُلُّ
شُكْرِ بَلَغَ غَايَةَ مَحْمُودَةٍ فَأَقْلُ كَرَمِكَ يَسْتَرْقُهُ ، وَكَبِيرُهُ يَقْصُرُ عَنْ تَطَوُّلِكَ
بِهِ ، فَتٌ وَاللَّهِ الْمَادِحِ الْمُطْنِبِ ، وَقَصْرٌ عَنْكَ لِسَانُ الشَّاكِرِ الْمَعْتَرِفِ ،
وَالْحَامِدِ الْمُجْتَهِدِ ، وَأَنْفَادَ فَضْلِكَ الْحَاسِنِ ، وَاسْتَوْفَى أَقْلُكَ جَمِيعَ الْفَضَائِلِ ،
وَكَلَّ دُونَكَ لِسَانُ الْخَطِيبِ وَالشَّاعِرِ ، وَتَزَيَّنَتْ بِكَ الْأَيَّامُ ، وَازْدَحَمَتْ
عَلَيْكَ الْأَمَالُ ، وَامْتَثَلَ مَكَارِمُ الْكَرَامِ ، وَقَصَرَ عَنْكَ الْجِيَادُ وَالْأَجْوَادُ ،
فَالِی الذِّی زَيْنُنَا بِإِخَائِكَ ، نَرْغَبُ فِي بَقَائِكَ ، وَنَسْأَلُهُ أَنْ يَهَبَكَ لِفَاقَتِنَا إِلَيْكَ ،
وَاتَّكَلْنَا بَعْدَهُ عَلَيْكَ . (اخْتِيارُ النِّظَامِ وَالْمَشُورِ ١٣ : ٣٨٢)

٢٢٥ - كتابه إلى علي بن يحيى

وله إلى علي بن يحيى :

« إِنْ أَحَقَّ مَعْرُوفٌ بِأَنْ يُشْكَرَ ، وَيدَّ بَارَةً بِأَنْ لَا تُكْفَرَ ، وَأَحَقُّ
وَاجِبٌ بِأَنْ يُؤَدَّى ، وَإِحْسَانٌ وَبِرٌّ بِأَنْ يُجَازَى ، مَعْرُوفُكَ - أَعَزُّكَ اللَّهُ -
عِنْدِي ، وَيدُّكَ قِبَلِي ، وَحَقُّكَ عَلَيَّ ، وَإِحْسَانُكَ إِلَيَّ ، لِأَنَّ الْمَعْرُوفَ يَحْسُنُ
عِنْدَ الْأَحْرَارِ مَوْقِعُهُ ، وَيُحِبُّ عَلَيْهِمْ شُكْرُهُ وَنَشْرُهُ وَإِشَادَةُ بِذِكْرِهِ ،

(١) العارض : السحاب العارض في الأفق ، والسعاة المخيلة (ياء مشددة مكسورة) والمخيلة
(مكسر الحاء) : التي تحسبها ماطرة .

تَطْلُوعِ مَبْتَدَأًا ، وَتَشَفَّعَ مَا تُقَدِّمُ مُعَقِّبًا ، وَتُحْسِنَ رَبِّ مَا أَسْدَيْتَهُ مُتَفَضِّلًا ،
لَا أَخْلَاكَ اللَّهُ مِنْ بَرٍّ وَإِحْسَانٍ ، وَلَا أَخْلَانَا مِنْكَ فِي حَالٍ .

(المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٨٠)

٢٢٦ - كتابه في ذم ابن ثوابه

ولأحمد بن أبي طاهر في ذم ابن ثوابه حين ولي طَسَاسِيحَ^(١) الكوفة :
« أما بعد ، فإن فلانا قديم علينا شامخًا بأنفه ، عاقدا لثقله ، ذاهبا
بنفسه ، يرى أن الجنة خلقت لمن أطاعه ، والنار لمن عصاه ، وأن الملائكة
المقرئين لم تنزل على من نزلت عليه من الأنبياء إلا بتوكيد ذلك له ، فلا
يعذب الله العباد إلا على معصيته ، ولا يثيبهم إلا على طاعته ، ولا أن
الصبيحة أخذت قوم ثمود إلا لاعتراض كان منهم على أولية أجداده ، ولم
يرسل الله الرياح العقيم على قوم عاد إلا عن خلاف كان منهم لآبائه ، وأن
الواجب على هذه الأمة ، والفرض المحتوم الذي لا يقبل منهم غيره ، طاعته
وقلة الخلاف عليه ، بالاستحقاق منه لذلك في نفسه ، وللوراثية عن آبائه
وأجداده ، كأنه قدار^(٢) عاقِرُ ناقةِ ثمود في خلقته ، وفرعون ذو الأوتاد
في جبريته ، يحسب الجود ذلًا ، والبخل عزا ، والجور عدلا ، وأن ما نهى
الله عنه من قبيح فهو الجميل الذي أمره به ، وما أمر به من جميل فهو القبيح

(١) طَسَاسِيح جمع طسوج (بفتح الطاء وصم السين المشددة) : وهو الناحية ، وحاء في ترجمة ابن ثوابه
في معجم الأدباء « وكان عبيد الله بن سليمان الوزير قد صرف أحمد بن محمد بن ثوابه عن طَسَاسِيح
كان يتقلدها » .

(٢) هو قدار بن سالف .

الذي نهاه عنه ، لا يستكثر الخلافة فيحدث بها نفسه تيهًا ، ولا النبوة
يتمناها على ربه مُجيبًا ، وإذا قعد على فرشه وأخذ مجلسه ، ورعى بطرفه في
منازله ، دخلته العزّة ، وعلته الأبهة ، وغلب عليه الكبر ، حتى يخيل إليه
أن بيت الله الحرام بعض داره ، وأن صحنها هو الصرح الممرّد^(١) الذي ذكره
الله في كتابه ، وأن مهبط الملائكة على ظهر كنيسه ، وبئر زمزم من بعض
آباره ، وما بين الصفا والمروة مراغة لدوابه ، يضع من قدر نفسه ، ويرفع من
قدر طعامه ، فيرى أن مائدته هي التي ذكر الله في كتابه^(٢) ، فمن أكل منها
كان رِقَاله بأكلته ، تجري عليه أحكامه ، وينفذ فيه أمره ، ضيفه أشدُّ
الناس شبهًا بالملائكة : طعامه التسبيح ، وشعاره الصبر ، وكل حشيه طائفة
من الجن ، مبرّحون^(٣) بالشّم دون الأكل ، وبالمصّ دون الشرب ، ولولا
ما كفى الله من غربته^(٤) ، بالغرب^(٥) الذي به ، لَضَجَّت الأرض إلى الله من
تيهه ، ولتبدت الأئمة لله بالابتهاال إليه من تجبّره ، يرى أن قارون^(٦) كان

(١) الصرح : القصر وكل بناء عال ، والمرد : الملس ، يشير إلى قوله تعالى : « قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ
مَّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ » .

(٢) يشير إلى قوله تعالى : « قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ
تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ » .

(٣) برّح به الأمر تبرّحاً : جهده واشتد عليه .

(٤) الغرب : الحدة .

(٥) لعينه عرب : إذا كانت تسيل فلا تقطع دموعها .

(٦) قال تعالى : « إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ . وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ

مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ » كان ابن عم موسى وابن خاله ، والأكار بالتشديد
الحراث ، جمعه أكرة ، كأنه جمع آكر في التقدير .

من بعض أكرته ، والخضر^(١) صلوات الله عليه من بعض فيوجه ، ولولا ما تقدم من حقه ، وما سبق من مودته ، والذي أنا عليه من الميل إلى ناحيته ، والنصرة لمذاهبه ، والحيلة من ورائه ، والذب عنه ، وأنى لا أرى أن أصفه إلا بأحسن ما فيه ، ولا أستحل ذلك منه ، لأنطلق لسانى من وصف عجائبه ، ولطيف بدائعه ، بما لم يخطر على قلب بشر .

(اختيار المنظوم والمشور ١٣ : ٤١٩)

٢٢٧ - كتاب ابن أبي طاهر إلى أبي علي البصير

وكتب أحمد بن أبي طاهر إلى أبي علي البصير يعاتبه على مؤاخاة ابن مكرم ، معددا سيئاته ومثالبه :

« وفر الله يا أخى من كل خير حظك ، وأجزل منه قسمك ، وبلغك غاية همك ، ونهاية طلبتك ، ومتع إخوانك بما منحهم منك ، وأعاذهم من الغير فيك ، إنه يقال - جعلني الله فداك - : أخوك من صدقك ، وعدوك من نافقك ، عليك لأخيك مثل الذى عليه لك ، والعتاب أمارة الإشفاق ، ودليل الضن من الإخوان ، ومن جادل نفسه فى هواه ، عرف صوابه وخطأه ، وعلى النصفة ثبات المودة ، ومن المشاكاة تكون الموافقة^(٢) ، ولولا

(١) هو النبي الذي لقيه موسى عليه السلام ، وفتاه يوشع بن نون ، فى طريقهما ، وفى ذلك يقول تعالى : « فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا » والفيوج جمع فيج بالفتح : وهو رسول السلطان الذى يسمى بالكتب .
(٢) وربما كان « المرافقة » .

رجائي يا أخى أن تستميلك المعاتبة^(١)، وترجعك^(٢) المراقبة^(٣)، وعلمي أن فيما أعدد عليك ، وأذكرك به ، وأتقدم فيه إليك ، ما يثني أخلاقك ، إلى ما يشبه أعراقك^(٤)، وأنى قد بلغت بك فى النظرة^(٥) الموضع الذى يتعذر مخرج العذر عليك منه ، إلا أن تعود بالإقرار ، بمقامك على الجفاء والإصرار ، وما أرجع إليه من الثقة بك ، وإخلاص المحبة والمقة لك ، وما أعرفه من صحة ودك ، وكريم عهدك ، وحسن اختيارك وتميزك ، ما عتبت عليك ولا استعبتك ، وخلصتكم وما اخترت ، ولم أنبهك على ما أضعت ، ولما وصلت ما قطعت ، حتى يثوب إليك حازم من رأيك ، وعاطف من ودك وإخائك ، ولكنى ما أمسكت عن المعاتبة ، وتأنيثك^(٦) بالمراقبة ، ورأيتك قد رضيت بالمهنة^(٧) التى تلزمك فى المهجنة ، وكنت إلى لين استعطافك ، وحسن إنصافك ، أحوج منى إلى قطع أسبابك ، والمقام على ترك عتابك ، وكنت مستعداً لاحتمال ما يضيئى منك ، ويتناهى إلى عنك ، لميل النفس بالرغبة إليك ، وإقبالها - وإن أدبرت عنها - عليك ، لأن العدوان فى المعاملة ، من شأن من يحظر عليه فى المواصلات ، سيما من قد أخلق عندك إخاؤه ، ورث فى نفسك وفاؤه ، ودعاك طول عهده إلى ملالة وده ، لم أجد بداً من ردك ، باستعتابك إلى ما هو أولى بك ، ردك الله إلى أجل العادة ، وما هو أولى بك فينا من النصفة .

(١) فى الأصل « وتوحك » وهو تحريف .

(٢) أى أصلك وفى الأصل « إلى ما لا يشه »

(٣) أى الإيهال والتأخير .

(٤) تأناه : انتظره .

(٥) المهنة : الخدمة ، وامتته : اتدله واحتقره ، والمهنة : ما يبيع .

الأخى - أقبل الله بك إلى الواجب - أنا الخليل الذى لا يُزِيلُهُ عن ودك
وقديم عهدك مَسْكُورٌ^(١) ، ولا يُغَيِّرُ مَنْ قد بلاك وبلوته^(٢) ، وامتنحك
فاختارك واخترتك ، أولئك عنده حميد ، وآخرك^(٣) عنده جديد ، مودته لك
غير مدخولة ، وعشرته غير مملولة ، لم تنب^(٤) عنك خلائقه ، ولم تنشعب
عنك طرائقه ، يَغُضُّ من نفسه ليرفقاك ، ويضرها لينفعاك ، حين نطقت
بلسانك فيما ضررتنى ، وتقدمت لك فيما أخرتنى ، وأخدمت^(٥) مودتك نفسى
وعرضى ، وهتكت لك أدبى ومروءتى ، فوددتُ بودك ، وصددتُ
بصدك ، ووقفتُ بك حيث وقفت بنفسك ، وانقذتُ لك حيث سلكت
بى محبتك ، ولم أجشمتك الوقوف عند هوائى ، ولم أئتمك الانصراف إلى
رضائى ، إلا فى أمر تسلم عاقبته ، ولا تسوءك مَعَبَّتُهُ ، أوثر على محبتى ماسررك ،
وأقدم على أمرى أمرك ، لأأوزنك المعاملة ، ولا أقارضك المشاغلة ، ماتحب
فمضمون لك عندى ، وماتكره فمصرف عنك منى ، أحمل عنك الثقيل ،
وأثوغر ليسهل لك السبيل ، أوسع لك فى الذنب المنهج ، إذا ضاق عليك
من العذر المخرج ، أطلعك على مكنون سرى ، وأظهرك على باطن أمرى ،
لا أقول هذا تمثنا ، ولا أعتد به تبجحا^(٦) ، ولا أقتضيك عليه شكرا ،

(١) فى الأصل « شكر » وهو تحريف ، والسكر بالتحريك : الغضب والغيظ ، وربما كان
الأصل « شكوى » .

(٢) بلاء : اختبره .

(٣) فى الأصل « وأحرك » .

(٤) أى لم تغش .

(٥) أخدمت فلانا : أعطيته خادما يخدمه ، أى حلت مسى وعرضى خادمين لمودتك .

(٦) تبجح به : طر .

إذ كنتُ أرى أني أودّي به فرضاً واجباً ، وأقضي به حقّاً لازماً ، ولكنني
أذكرُك ما نسيتَ ، وأنبّهك على ما أضعتَ ، وأحتجُّ عليك إذ قصّرتَ ،
وقدّمتَ عليّ في إخطائك ، من ليس من أكفائي ولا أكفائك ، المقلّي المذمّم ،
المهين « ابن مكرّم » ، العاق لأبيه ، والمتقي من أخيه ، والقاذف لأمه ،
والقاطع لرحمه ، المهتوك الحرمة ، الوضع الهمة ، الضيق الصدر ، القريب
القعر ، السريع إلى الصديق ، البطيء عن الحقوق ، المشهور بالزنا^(١) ،
المعروف بالبناء ...^(٢) ، العاكف على ذنبه^(٣) ، الصادف^(٤) عن ربه ، الوضع
في خلائقه ، العاني^(٥) على خالقه ، الدائم البطنة ، النطيف^(٦) الدين والجيب ،
الدنس العرض والثوب ، عدوّه آمين من فائلته ، وصديقه خائف من بائقته ،
جهله جهل الصبيان ، وضعفه ضعف النسوان ، سهك^(٧) الرّيح ، ثقيل الرّوح ،
خفيف العقل والوزن ، خيبت الفرج والبطن ، جليسه بين نثن وأذى ، وقدر
وبدّي^(٨) ، من استخفّ به أكرمه ، ومن وصله صرّمه ، غث الخلقة ، رث الهيئة ،
وسخ المروءة ، يحلف ليخنث . ويعهد لينكث ، ويعد ليخلف ، ويحدث
ليكذب ، إن تكلم ملاً الأسماع عيّا ، والأنف نثنا ، وإن سكت قرى^(٩)

(١) في الأصل « المشهور إليه » هكذا . والرنا والزنا بالقصر والمد .

(٢) حذفنا قترتين هما لما بينهما من البذاءة .

(٣) في الأصل « على دينه » وهو تصحيف .

(٤) أي العرض .

(٥) عتا : استكبر وجاور الحدّ .

(٦) نطف كفرح وعى : تلطّح بعيب واتهم بريئة .

(٧) السهك محرّكة : ريح كريهة ممن عرق ، سهك كفرح فهو سهك .

(٨) البذاءة : السخه والإغشاش في المطق وقد نصره من مذ .

(٩) أي قدم إليها ، من قرى الضيف يقره إذا أحسن إليه - وهو تهكم .

العيون قبحا ، والقلوب مَقْتًا ، إسناده عن المختين ، وبلاغته في ذم الصالحين ،
وطرفه قَذْفُ الْمُخَصَّنَاتِ^(١) ، وسَعْيُهُ فِي كَسْبِ السَّبِيَّاتِ ، وَخَلْوَتُهُ لِاقْتِرَافِ
السُّوءَاتِ ، وَتَمَنَّى الشَّهَوَاتِ ، أَحْسَنُ عِنْدَهُ مِنْ مَدْحِهِ الْأَفْرَاطُ فِي ذَمِّهِ ،
كَمَا أَنَّهُ أَجْمَلُ مِنْ وَصْلِهِ الْمَقَامُ عَلَى صَرْمِهِ^(٢) .

هذا قليل من كثير ما أعرف عنه ، ويسير في (جنب ما^(٣)) يوصف
منه ، فَأَنَّى يَا أَخِي اخْتَرْتَهُ ؟ وَلَأَيَّ شَيْءٍ عَلَى آثَرْتَهُ ؟^(٤) وَأَيَّ
أُمُورِهِ اسْتَلَنْتَ ؟ أَتَنْدِيدُهُ بِالْإِخْوَانِ^(٥) ، أَمْ مَحَافِظَتَهُ عَلَى الْخُلُوفِ^(٦) ، أَمْ أَنَسَهُ
بِالْخِيَانَةِ ، أَمْ شَسْتَهُ الصَّحَابَةَ ، أَمْ مَوَاكِلَتَهُ الْكَلَابَ ، أَمْ مَقَامَهُ عَلَى
الْإِغْتِيَابِ ، أَمْ نَتْنَ رَائِحَتِهِ ، أَمْ سُوءَ مَعَاشَرَتِهِ ، أَمْ مَلَالَهُ وَضَجَرَهُ ، أَوْ وَضَرَهُ
وَبَخْرَهُ^(٧) ؟ أَمْ وَصَلَتَهُ حِينَ قَطَعْتُهُ ، وَاخْتَرْتَهُ حِينَ اطَّرَحْتُهُ ؟ .

وإن مما حقق ظني بك فيه ، أنك لم تكن له زَوْارًا فَوَاطِبْتَ عَلَيْهِ ،
وَكُنْتَ عَنْهُ مَتَثَاقِلًا فَاسْرَعْتَ إِلَيْهِ ، وَلَهُ دَائِمًا فِلْسَانُكَ رَطْبٌ بِمَدْحِهِ ، حَتَّى
كَأَنَّكَ إِلَى غَايَةِ مَكْرُوهِ أَجْرِيَتْ فِي أَمْرِهِ ، وَإِلَّا فَكَيْفَ أَنْسَتْ بِالْجَانِبِ
الْوَحْشِيِّ مِنَ الثَّقَةِ ، وَأَوْحَشْتَ الْجَانِبَ الْمَعْمُورَ لَكَ بِالْأَنْسِ وَالْمِقَةِ ، وَقَدْ

(١) المحصنة : العيفة أو المتزوجة ، قال ثعلب : كل امرأة عفيفة فهي محصنة بفتح الصاد وكسرهما
وكل امرأة متزوجة فهي محصنة بالفتح لا غير .

(٢) أي قطعه .

(٣) ما بين القوسين يياض بالأصل ، وقد تمت به الجملة .

(٤) يياض بالأصل .

(٥) ندّد به صرح بيبوبه وشهره وسمّع به ، وفي الأصل « أتنديداً على الإخوان » والذي في
كتب اللغة تعدية هذا الفعل بالباء .

(٦) الخوان : كغراب وكتاب : ما يؤكل عليه الطعام ، والمراد به الطعام .

(٧) وضره : أي وسخه وقذره ، وأصل الوضر : وسح الدسم واللبن ، والبخر : تنن الفم .

تظاهرت عليه بما قلت الشهادة ، وهتفت به الألسن من كل ناحية ،
وتحاماه كل ذى دين ومروءة ، فأعطيت المودة غير أهلها ، ومنحت الجفوة
غير مستحقها ، ووصلت من قطعك ، وقطعت من وصلك .

فبادر يا أخى فى يومك منه بترك ما لا ينفعك فى غد معرفته ، وتوقع
هجاءه ^(١) لك عن قليل ، ونبو ^(٢) أخلاقه عنك عن قريب « وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ
ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ » . (اختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٤٢٣)

٢٢٨ - كتاب عبد الله بن المعتز إلى عبيد الله بن سليمان

وكتب عبد الله بن المعتز ^(٣) إلى عبيد الله بن سليمان بن وهب فى
يوم عيد .

« أَخَرَتْنِي الْعِلَّةُ عَنِ الْوَزِيرِ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - فَخَضَرْتُ بِالْدَّعَاءِ فِي كِتَابِي
لَيْنُوبَ عَنِّي ، وَيَعْمُرُ مَا أَخْلَتَهُ الْعَوَائِقُ مِنِّي ، وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ هَذَا
الْعِيدَ أَكْظَمَ الْأَعْيَادِ السَّالِفَةِ بَرَكَةً عَلَى الْوَزِيرِ ، وَدُونَ الْأَعْيَادِ الْمُسْتَقْبَلَةِ فِيمَا يُحِبُّ
وَيُحِبُّ لَهُ ، وَيَقْبَلُ مَا تَوَسَّلَ بِهِ إِلَى مَرْضَاتِهِ ، وَيَضَاعِفُ الْإِحْسَانَ إِلَيْهِ عَلَى الْإِحْسَانِ

(١) فى الأصل « حجاب » وأرى أنه محرف .

(٢) من نبا الطبع عن الشيء : أى نهر ولم يقبله ، وبا الصىء عى : تجافى وتباعد ، ونبأ فلان
عن فلان : لم يتقد له ، وفى الأصل « ونو أخلاقه عليك » وربما كان : « وتبوأ أخلاقه عليك »
أى مخالفته لك .

(٣) هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل العباسى ، كان أديباً بليغاً شاعراً مطبوعاً سهل
اللفظ حسن الإبداع للعانى ، وفى خلافة المقتدر (الذى ولى الخلافة من سنة ٢٩٥ إلى سنة ٣٢٠)
اتفق مع ابن المعتز جماعة من رؤساء الأحناد ووجوه الكتاب ، غلبوا المقتدر سنة ٢٩٦ وبايعوا
ابن المعتز ، ثم إن أصحاب المقتدر تحزبوا وتراجعوا وحاربوا أهوان ابن المعتز وشتوم ، وأعادوا المقتدر
إلى الخلافة ، واختفى ابن المعتز ثم أخذ وقتل ، وأقام فى الخلافة يوماً وليلة - انظر ترجمته فى وفيات
الأعيان ١ : ٢٥٨ ونزهة الألبا ص ٢٩٩ وكتب التاريخ .

منه ، ويمتعه بصُحبة النعمة ولباس العافية ، ولا يُريه في مَسَرَّة تقصا ، ولا يقطع عنه مَزِيداً . ويجعلني من كل سوء فِدَاءه ، ويصرف عيون الغير^(١) عنه وعن حظي منه » . (زهر الآداب ١ : ٢٠٧)

٢٢٩ — كتابه إلى عبيد الله بن سليمان يهنئه بقدومه

وكتب عبد الله بن المعتز إلى الوزير عبيد الله بن سليمان يهنئه بقدومه :
« الحمد لله على ما امتنَّ به على الوزير — أعزه الله — من جيل السلامة ، وحُسن الإياب^(٢) ، حمدا مستمداً من مزيده^(٣) ، وإخلاصاً مستدعياً لقبوله ، وبارك الله له في قدومه ومسيره ، وفي جميع أموره ، وجعل له مِنَّةً وافية على نعمه ، وأبقاه لملك يحرُسُه ، ومؤمِّل يُنْعِشُه ، وعائِر يَرْفَعُه ، وحَفِظَ له ما خَوَّلَه^(٤) ، كما حفظَ له ما استراحه ، ووقفه فيما طَوَّقَه ، وزاده كما زاد منه » .
(الأوراق للصولي ٢ : ٢٨٨)

٢٣٠ — كتابه إلى عبيد الله بن سليمان يعزيه عن ابنه

وكتب إليه يعزيه عن ابنه أبي محمد :
« عِلِّمُ الوزير — أيده الله — بذخائر الأجر يُغْنِي عن نزعتِه فيه ، وسَبَقَه

(١) الغير : حوادث الدهر المعيرة .

(٢) في الأصل « وحسن الإيابة » والتي في كتب اللغة : الأوب ، والإياب ، والأوبة ، والأية والإيية والتأوب والتأييب والتأوب ، أي الرجوع ، وليس فيها الإيابة .

(٣) في الأصل « حمداً يستمد أمر مزيده » وأراه محرفاً .

(٤) أي ملكه .

إلى الصبر يكفيني تذكرة به ، لكن لولي الوزير - أيده الله - موضع إن أخلاه دخل في جملة المضيعين لحقه ، اللاهين عما عناه ، وقد كان من قضاء الله في أبي محمد - رضى الله عنه - ما خصت به المصيبة مواقع نعم الوزير ، وآثار إحسانه . حاش لله إقراراً بالحق ، وتجزاً للوعد منه ، وعظم الله أيها الوزير أجرَكَ ، ووفرَ ذخركَ ، وعمرَ بقيتِكَ ، وكثرَ عددَكَ ، وسرَكَ ولا ساءَكَ ، وزادَكَ ولا نقصَكَ ، ووصلَ بسلام الزمانِ نعمتَكَ ، ووليكَ بما تحبُ فيما خولَكَ ، وكلُّ مصيبة وإن عظمت صغيرةٌ في ثواب الله عليها ، ضئيلةٌ بين نعم الله قبلها وبعدها ، وما زال أولياء الله يُعرضون على المحن ، فيستقبلونها بالصبر ، ويتبعونها بالشكر ، وتنفذُ بصائرُهم مذمومَ أوائلها إلى محمود عواقبها ، ويعُدُّونها تراقيَ إلى شرف الآخرة ، ومراتبَ لأهل السعادة ، في دارٍ لا تلجُها المصومُ ، ولا يزول فيها النعيمُ .

وإذا تأمل الوزير ما تجاوزت هذه الحادثة عنده من النعم ، في ولده أبي الحسين ، الذي قد نهض بما حمَّله ، ووفَّى آماله . وأقرَّ عينه ، وغازى حاسده ، واكتسبَ لباسَ كرامته ، وقام للخلافة بخلافته ، علِم أنه راجع على الدهر ، حقيقٌ بتجاوز الصبر إلى الشكر ، فجعل الله الخلفَ للوزير من الماضي ، طولَ عمرِ الباقي ، وحرَّسه من المكاره كلها ، وكفاه وكفانا فيه .

٢٣١ - وله فصل من تعزية بولد

« لئن حُرِمَ الأجرَ بِبرِّك ، لقد كُفِيَ الإثمَ بِمُقُوقِكَ ، ولئن فُجِعتَ بِفقدِهِ ،
لقد أُمِنْتَ الفِتنةَ بِهِ . (الأوراق للصولي ٢ : ٢٩٠)

٢٣٢ - وله تعزية

« حارِيةٌ سَرَّكَ اللهُ بِمدَّتِها ، وآثَرَكَ بِشواهِبا ، وأثابَكَ عن ارتِجاعِها ،
فأبَشَرَ بِعاجِلٍ مِن صُنْمِهِ ، وآجِلٍ مِن جزائِهِ ومَثُوبَتِهِ .
عَظَّمَ اللهُ أَجْرَكَ ، وجعل الثوابَ عِوَضَكَ ، ووفَّقَكَ لَنيلِ مَرْضاتِهِ
عَنكَ ، وإِنا لِلَّهِ ، قَوْلًا بِما عِلْمٌ ، تَنجِزُهُ بِما وَعَدَ .
(الأوراق للصولي ٢ : ٢٩٤)

٢٣٣ - وله تعزية أخرى

« الخلودُ في الدنيا لا يُؤمَلُ ، والفناء لا يُؤْمَنُ ، ولا سُخْطَ على حَكَمِ اللهِ ،
ولا وحشةً مع خِلافَتِهِ ، والأُنسِ بِطاعَتِهِ ، فأدِّ ما اسْتَرَدَّ صابِرا ، وأصْبِحْ
لِما اسْتَرْجَعَ مُسْلِمًا ، فإنَّ مَنْ عِلِمَ أَنَّ النعمةَ تَفْضُلُ مِنَ واهِبِها ، شَكَرَها
مُقْبِلَةً ، وصَبَرَ عَنا مُوَلَّيَّةً ، جعلَكَ اللهُ مُحْتِمِلًا لِلنِّعْمَةِ ، مُؤَدِّيًا لِلشُّكْرِ ، صابِرا
عندِ المِحْنةِ ، مُحْفُوظًا موفورًا أَجرَها ، والفوزَ بالصبرِ عَلَيْها .
(الأوراق للصولي ٢ : ٢٩٤)

٢٣٤ - وله تهنئة بمولود

« اتَّصِلْ بِي خَيْرُ مَوْلُودِكَ ، فَسَرَّني لَكَ مَاسَرُّكَ ، وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَتَّبِعَ
النِّعْمَةَ بِهَ عَلَيْكَ يَبْقَاهُ لَكَ ، وَأَنْ يَعْمُرَكَ حَتَّى تَرَى زِيَادَةً إِلَيْهِ مِنْهُ ،
كَمَا رَأَيْتَهَا بِهِ . » (الأوراق للصولي ٢ : ٢٩٣)

٢٣٥ - وله فصل في قبول عذر

« كَيْفَ أَرُدُّ عُذْرَ مَنْ لَا تَهْتَدِي إِلَيْهِ الْمَوْجِدَةُ^(١) ، وَلَا تَتَسَلَّطُ عَلَيْهِ
الْثُّهْمَةُ ، وَوَاللَّهِ مَا عَرَضْتُ لَكَ وَحَرَّكَتُ مِنْكَ إِلَّا بُخْلًا بِمَا ذَخَرْتُهُ مِنْ
مُودَتِكَ ، وَاعْتَمَدْتُ عَلَيْهِ مِنْ إِخْلَاصِكَ ، لَخَوْفِي مَعَ ذَلِكَ أَنْ تُصِيرَ غَفْلَتُكَ
تَغَافِلًا ، وَزَلَّتْكَ تَعَمُّدًا ، وَهَذَا مَا لَا أَحِبُّهُ لَكَ ، وَإِنْ كُنْتَ أَحْتِمِلُهُ مِنْكَ ،
وَمَا أَعْتَذِرُ مِنْ مَطَالِبَتِكَ بِمَا جَعَلَكَ أَهْلًا لِلْمَعْرِفَةِ بِهِ ، وَجَعَلَنِي بِوَدِّكَ
مُسْتَحِقًّا لَهُ . » (الأوراق للصولي ٢ : ٢٩٠)

٢٣٦ - وله فصل في حاجة

« مُوَصَّلُ كِتَابِي فَلَانُ ، وَقَدْ جَعَلْتُ الثِّقَةَ بِكَ مَطِيئَةً إِلَيْكَ ،
فَلَا تُنْضِهَا^(٢) بِطَّلِكَ ، وَأَسْرِعْ رَدَّهَا بِسَابِقِ إِنْجَازِكَ ، وَتَصْدِيقِ الْأَمْلِ فِيكَ
وَالظَّنِّ بِكَ . » (الأوراق للصولي ٢ : ٢٩٠)

(١) الموجدة : المضرب .

(٢) أنضأها : مزها .

٢٣٧ - وله فصل

« قَدْ مِلْتُ إِلَيْكَ فَمَا أَعْتَدِلُ ، وَنَزَلْتُ بِكَ فَمَا أُرْتَحِلُ ، وَوَقَفْتُ عَلَيْكَ

فَمَا أَتَقِلُّ » . (الأوراق للصولي ٢ : ٢٩١)

٢٣٨ - وله فصل

« لَوْلَا أَنْ الْإِطْنَابَ فِي وَصْفِ مَطِيَّةٍ لِّلْمُتَخَرِّصِ^(١) ، وَتُهْمَةً لِّلْمُخْلِصِ^(٢) ،

لَأَطَلْتُ بِهِ كِتَابِي ، وَكُنِيَ بِمُقَاسَاةِ ذِي النِّقْصِ مُذَكَّرًا بِأَهْلِ التَّمَامِ ، وَقَدْ
لَبِثْتُ بَعْدَكَ بِقَلْبٍ يَوْذُ لَوْ كَانَ عَيْنَا لِيْرَاكَ ، وَعَيْنٍ تَوْذُ لَوْ كَانَتْ قَلْبًا فَلَا تَخْلُو

مِنْ ذِكْرَاكَ » . (الأوراق للصولي ٢ : ٢٩١)

٢٣٩ - وله فصل

« كَيْفَ يَنْقَطِعُ ذِكْرِي لَكَ بِغَيْرِ خَافٍ مِنْكَ ، وَيَنْصَرِفُ قَلْبِي عَنْكَ

وَالْتَجَارِبُ تَزْوِي^(٣) إِلَيْكَ . وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ خِيَالَكَ شَمْسُ نَفْسِي إِذَا نَمَتْ ،
وَذِكْرُكَ سِرَاجُهَا إِذَا انْتَبَهَتْ ، وَإِنْ ذَلِكَ لِأَقْلُ حَقْوِكَ ، وَلَا ظَلَمْتُ غَيْرَكَ
بِكَ ، وَلَا مِلْتُ عَلَيْهِ لَكَ » . (الأوراق للصولي ٢ : ٢٩١)

(١) تخرص عليه : افتري .

(٢) في الأصل « للمخلص » وأراه محرفا .

(٣) زواه : نجاه ، أي تصرفني إليك ، ووجهي محوك .

٢٤٠ - وله فصل

ذكرت حاجة فلان ، لا فصلها الله بالنجاح ، ولا يسر بابها بالافتتاح ،
ووصفت عذرا له نصح به غير نفسه ، وما نصح عنها ، ولكنه نصح عليها ،
وأنا وإنا أصونك عنه ، وأنصح لك فيه ، فإنه خبيث النية ، فاسد الطوية ،
جائر المعائب ، طالب للمعائب ، مقلب لسانه بالملق ، سائر بالتخلق وجه
الخلق ، موجود عند الرجاء . مفقود مع البلاء ، فأتعب عقلك باختياره ،
ولا توحش نعمتك باصطناعه . (الأوراق للصولي ٢ : ٢٩٢)

٢٤١ - وله فصل في الشوق

« إني لأسف على كل يوم فارغ منك ، وكل لحظة لا تؤنسها
رؤيتك ، وسقياً لدهر كان موسوماً بالاجتماع معك ، معموراً بلقائك ،
جمع الله شمل سروري بك ، وعمر بقائي بالنظر إليك » .
(الأوراق للصولي ٢ : ٢٩٢)

٢٤٢ - وله شفاعاة في شغل

« من عظمت النعمة عليه ، كثرت الرغبة إليه ، فاستجلب بالإنعام منك
إنعام الله عليك ، واستزد بما تهب^(١) منك ما يهب لك ، واجعل حظي من
ولايتك قبول اختياري لك هذا الرجل ، وأخلطه بأوليائك القائمين^(٢) »

(١) في الأصل « واستزد ما به منك » وهو تحريف .

(٢) قال يقيل : نام في العائله ، وهي نصف النهار .

فِي ظِلِّكَ ، فَقَدْ أَفْرَدَكَ بِرَغْبَتِهِ ، وَصَرَفَ إِلَيْكَ وَجْهَ رَجَائِهِ ، وَلَيْسَ فِيهِ فَضْلٌ
لِلاتِّظَارِ ، وَلَا بَقِيَّةٌ لِلإِذْكَارِ ، فَمَجِّلٌ إِنْ نَوَيْتَ جُودًا ، وَبَادِرٌ إِنْ نَوَيْتَ
صُنْعًا ، وَلَا تَكُنْ مِمَّنْ وَلَايَتُهُ وَعْدٌ ، وَصَرَفُهُ اعْتِدَارٌ .

(الأوراق للصولي ٢ : ٢٩٣)

٢٤٣ — وَلَهُ فَصْلٌ فِي فِرَاقِ

« كَأَنَّ الدَّهْرَ أَبْخَلُ مِنْ أَنْ يُعْطِيَنِي ^(١) بِكَ ، وَأَنْكَدُ مِنْ أَنْ يُسَوِّغَنِي ^(٢)
قُرْبَكَ ، وَإِنِّي لَهُ لَصَابِرٌ إِلَّا عَلَى فَقْدِكَ ، وَرَاضٍ إِلَّا بِبَعْدِكَ » .

(الأوراق للصولي ٢ : ٢٩٣)

٢٤٤ — وَلَهُ فَصْلٌ

« تَوَلَّى اللَّهُ عَنِّي مَكَافَاتِكَ ، وَأَعَانَ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرِ نَيْتَكَ ، وَأَصْحَبَ
بِقَاءَكَ عِزًّا يَدُسُّ بِكَ لَوْلِيَّكَ ، وَعَلَى أَعْدَائِكَ ، وَكِلا ة ^(٣) تَذُبُّ عَنِ وَدَائِعِ
مِنْهُ عِنْدَكَ ، وَزَادَ فِي نِعَمِكَ وَإِنْ عَظُمَتْ ، وَبَلَّغَكَ آمَالَكَ وَإِنْ انْفَسَحَتْ » .

(الأوراق للصولي ٢ : ٢٩٤)

٢٤٥ — وَلَهُ فَصْلٌ

« لَا أَزَالُ اللَّهُ عَنَّا ظِلِّكَ ، وَأَعْلَى فِي شَرَفِ الْمَنَازِلِ مُرْتَقَاكَ ، وَلَا أَعْدَمُنَا

(١) مَلَأَهُ اللَّهُ حَيِيَّةً : مَتَعَهُ بِهِ وَأَعَاشَهُ مَعَهُ طَوِيلًا .

(٢) سَوَّغَهُ إِيَّاهُ : تَرَكَهُ لَهُ خَالصًا .

(٣) كَلَامُهُ كَمَنْعُهُ كَلَامَةً بِالْكَسْرِ : حَرَسَهُ .

فيك إحسانا باقيا ، ومزيذا متصلا ، ويوما محمودا ، وغدأ مأمولا ، وعزا يمكن
قبضتك ، ويمد بسطتك .
(الأوراق للصولي ٢ : ٢٩٤)

٢٤٦ - وله فصل

« لن تكسب - أعزك الله - المحامد ، وتستوجب الشرف ، إلا بالمثل
على النفس والحال ، والنهوض بحمل الأثقال ، وبذل الجاه والمال ، ولو كانت
المكارم ثنال بغير مؤنة ، لا شترك فيها السفلى والأحرار ، وتساعدها الوضعا
من ذوى الأخطار ، ولكن الله تعالى خص الكرماء الذين جعلهم أهلها ،
نخف عليهم حملها ، وسوَّغهم فضلها ، وحظرها على السفلة لصغر أقدارهم عنها ،
وبعد طباعهم منها ، ونفورها عنهم ، واقشعزارها منهم . »

(زمر الآداب ٣ : ٣١٣)

٢٤٧ - وله فى وصف البيان

« البيان ترُجَّمان القلوب ، وصيقلُ العقول ، ومُجَلَّى الشُّبهة ، ومُوجِبُ
الحُجَّة ، والحاكم عند اختصام الظنون . والمفرِّق بين الشك واليقين ، وهو
من سلطان الرُّسل الذى انقاد به المستضعِب ، واستقام الأُصيد^(١) ، وبُهِتَ
الكافر ، وسلمَ الممتنع ، حتى أَشِبَ^(٢) الحقُّ بأنصاره ، وخلا رَبُّعُ الباطل
من عُماره . »

(١) الأصيد : المائل العنق .

(٢) من أشب الشجر كفرح : أى التف .

وخيرُ البيان ما كان مصرّحاً عن المعنى ، ليُسْرِعَ إلى الفهم تلقّيه ،
وموجزاً ليخِفَّ على اللفظ تعاطيه ، وفضلُ القرآن على سائر الكلام معروف
غير مجهول ، وظاهرٌ غيرُ خفيٍّ ، يشهد بذلك عجزُ المتعاطين ، وَوَهْنُ
المتكلفين ، وتحيرُ الكذابين ، وهو المبلغ الذي لا يَمَلُّ ، والجديد الذي
لا يَنخَلِّقُ ، والحق الصادع ، والنور الساطع ، والماحي لظلم الضلال ، ولسان
الصدق النافي للكذب ، ونذيرٌ قدّمته الرحمة قبل الهلاك ، وناعي
الدنيا المنقولة ، وبشير الآخرة المخلّدة ، ومِفْتَاحُ الخيرة . ودليل الجنة ، إن
أوجزَ كان كافياً ، وإن أكثرَ كان مذكّراً ، وإن أوماً كان مُقْنِعاً وإن أطال
كان مُفْهِماً ، وإن أمرَ فَناصِحاً ، وإن حَكَمَ فَعَادِلًا ، وإن أخبر فصَادِقًا ،
وإن بيّن فشَافِيًا ، سهل على الفهم ، صعب على المتعاطي ، قريب المأخذ ، بعيد
المَرَامِ ، سراجٌ تستضيء به القلوبُ ، حُلُوٌّ إذا تذوّقته العقول ، بحر العلوم ،
وديوان الحكيم ، وجوهر الكلم ، ونزهة المتوسّمين ، وروح قلوب المؤمنين ،
نزل به الروح الأمين ، على محمد خاتم النبيين . صلى الله عليه وعلى آله
الطيبين ، فخصمَ الباطلَ ، وصدّع بالحق ، وتألّف من النفرة ، وأنقذ من
الهلكة ، فوصلَ الله له النصر ، وأضرَع^(١) به خدّ الكفر .

(زهر الآداب ١ : ١٦٤)

٢٤٨ - وله في وصف الكتاب والقلم

« الكتابُ والِجُ الأبوابُ ، جَرىءٌ على الحُجَّابِ ، مُفهمٌ لا يفهمٌ ، وناطقٌ لا يتكلمٌ ، به يشخصُ المشتاقُ ، إذا أقعده الفراقُ ^(١) .
والقلمُ مجهزٌ لجيوشِ الكلامِ ، يخدمُ الإرادةَ ، ولا يملُ الاستزادةَ ،
يسكتُ واقفاً ، وينطقُ سائراً ^(٢) ، على أرضٍ يابضها مُظلمٌ ، وسوادها مُضيءٌ ،
وكأنه يقبلُ بساطِ سلطانٍ ، أو يفتحُ نُوَّارَ بستانٍ ^(٣) » .

(رهر الآداب ٢ : ٣٢ ، والمقد العريد ٢ : ١٨١ ، والأوراق للصولي ٢ : ٢٠٢)

٢٤٩ - كتاب أحمد بن إسماعيل إلى بعض الكتاب

وكتب أحمد بن إسماعيل إلى بعض الكتاب - وقد نال رتبةً فنقصَ
إخوانه في الدماء - :

« الكِبَرُ - أعزّك الله - معرّضٌ يستوى فيه النبيةُ ذكراً ، والخاملُ
قدراً ، ليس أمامه حِجابٌ يمنعه ، ولا حاجزٌ يحظره ، والناسُ أشدُّ تحفظاً
على الرئيسِ المحظوظِ ، وأكثرُ اجتلاءً لأفعاله ، وتنبّهً لمعايبه ، وتصفحاً
لأخلاقه ، وتنقيراً ^(٤) عن خصاله ، منهم ، عن خاملٍ لا يُعتأ به ، وساقطٍ
لا يُكترَثُ له فيسيرُ عيبُ الجليلِ يقدح فيه . وصغيرُ الذنبِ يكبرُ منه ،
وقليلُ الذمِّ يسرعُ إليه .

(١) وفي كتاب الأوراق للصولي « ومه يداوى العراق » .

(٢) وفي العقد « يسكتُ وأكفاً ، وينطقُ ساكماً » .

(٣) النوار : الرهر أو الأبيس منه .

(٤) نقر الشيء وعنه : بحث عنه ، وفي الأصل « وعيرا » فالهاء ، وهو تصحيف .

والحال التي جدّدها الله لك - وإن كنت أراها دون حَقِّكَ ، وناقصةً
عن همتك ، وأرضاً عند سمائك - حالٌ : الحاسدُ عليها كثيرٌ ، وآمالُ
المنافسين إليها تسيرٌ ، والمودةُ تقتضي النصيحة ، والمِقةُ^(١) تدعو إلى صدق
المشورة ، وليس يحرسُ النعمة ويحوطها ، ويحسِمُ الأطماعَ ويصرفها ،
ويستجيب القلوبَ النافرةَ ويُطلقها ، إلا ترك ما أراك تستعمله في ترتيب
المكاتبة ، وتمييزِ المخاطبة والمُخاصّة^(٢) في ألفاظ الدعاء ، والبخل يَسيرُ الشناء ،
وتطبيق^(٣) إخوانك ومعاملتك في ذلك ، حتى صار عندك كأنه نسبٌ
لا تتعدّاه ، ونعتٌ لهم لا تتخطّاه ، فأما إخوانك فليس من حَقِّكَ أن تحطّهم
حالَ رفعتك ، وأن تنقصهم دولةَ زادتكَ ، كما ليس من حَقِّكَ عليهم أن
يغالطوك . فيُنسِكوا عن خطابك ، ويتحاموا عن عتابك .

(أدب الكتاب ص ١٠٥)

٢٥٠ - كتاب أحمد بن إسماعيل إلى صديق له

وكتب أحمد بن إسماعيل إلى صديق له تقصّه في دعائه ، ولحن في كتابه :
وما أنا والكتابُ إلى صديقٍ أدِينُ من الوفاء بغير دينه ؟
أعظمه ويحقّرُنِي ، وأدعو له باللفظ يدعو لي بدونه !
ويَنقُصُنِي ولم أنقصه حقاً ويَحْشُنُ لفظه من بعد لينه !

(١) المِقة : المحبة .

(٢) يقال : تحصّروا وحصّروا : أى اقتسموا حصصاً ، وفي الأصل « والمُخاصّة » وهو تصحيف .

(٣) أى تعميم وتسوية .

فقام كتابه بالرد عني لكثرة ما تضمن من لُحُونِه»
(أدب الكتاب ص ١٦١)

٢٥١ - كتاب أحمد بن يحيى الأسدي إلى الحسين بن سعد

وقال أحمد بن يحيى الأسدي: كتب إلى الحسين بن سعد، فنقصني في الدماء، فكتبت إليه:

«قد علمت - أعزك الله - أن السبب في العداوة بين محمد بن عبد الملك

الزيات وإبراهيم بن العباس الصولي، أنه لما ولي وزارة [المعتضد]^(١) نقص إبراهيم عما يستحقه من الدماء، فلم تحتل ذلك نفسه ورياسته وموضعه من الصناعة والدولة، فمات به في ذلك فلم يُعْتَبَ، فألهب له نار هجاء لا يُطْفِئها الدهر، وعلامة ذلك قوله في كلام منشور قد ذكره: «ولي هذا الأمر فما ظن أن الرياسة تنجذب إليه، ولا أن العز يتحصل له، إلا بحط إخوانه عن منزلتهم، ونقصهم عن مرتبتهم، فبخسني^(٢) في المكاتب، وساءني في المعاملة» في كلام له طويل، ثم نظم ذلك في شعر فقال:

مَنْ رَأَى فِي الْأَنَامِ مِثْلَ أَخِي ؟ كَانَ عَوْنِي عَلَى الزَّمَانِ وَخَلِي
رَفَعْتَهُ حَالًا ، فَخَاوَلَ حَطِّي وَأَبَى أَنْ يَعِزَّ إِلَّا بِدُلِّي
وكان هذا الخطاب في أول الأمر، ثم أنحى عليه بالهجاء، فافتقِدَ -

(١) هكذا في الأصل، وهو خطأ، فإن ابن الريات إنما وُزِرَ للمعتصم والوائق والمتوكل، ثم نكبه المتوكل وقتله سنة ٢٣٣، وأما المعتضد فإنه ولي الخلافة سنة ٢٧٩ ونوى سنة ٢٨٩، والصواب أنه «الوائق».
(٢) أي نقصني.

أعزك الله - إنصاف إخوانك ، وتجنب ظلمهم ، يصف لك غدير وُدِّهم .
(أدب الكتاب ص ١٥٩)

٢٥٢ - كتاب أحمد بن علي المازراني إلى ابن بشر المرثدي

وروى الصولي أيضا في أدب الكتاب قال :

لما ولي ابن بشر المرثدي كتابة الموفق بالله ، قص أحمد بن علي
المازراني في الدعاء حين كاتبه ، فكتب إليه :
كلما رُمْتُ أَنْ أَخْلَفَ مَنْ كَانَتْ أُمَامِي خَلَفْتُ عَنْ وَرَائِي^(١)
أَنْقَصْتُ الدَّعَاءَ لِي مِنْكَ لَمَّا زَادَكَ اللَّهُ رِفْعَةً فِي دَعَائِي ؟
فَلَنْ تَمَّ مَا أَرَاهُ وَأَصْبَحْتُ وَزِيرًا لَتَطْمَعَنَّ جِزَائِي^(٢)
فاعتذر إليه وزاده في الدعاء .

وكان هذا في كلام منشور لمن كان قبل المازراني : « وكنت آمل لك
الرفعة ، ولم أدر أنها تكسبني الضعة ، وأرجو لك الثروة ولم أدر أنها تؤديني
إلى الإضاعة ، فكان المنى طرد العنا ، والدعاء سبب الثراء » .
(أدب الكتاب ص ١٦٠)

٢٥٣ - فصل لعبد الله بن أحمد في الشكر

« إِنْ مِنْ حَقِّ النِّعْمَةِ أَنْ تُذَكَّرَ وَتُنْشَرُ ، وَمِنْ كُفْرِهَا أَنْ تُنْسَى

(١) يقال : خلفه وراءه أي جعله وراءه فتخلف عنه : أي تأخر عنه ، ويقال أيضاً : خلف
عن أصحابه : أي تخلف .
(٢) لتطمعن : أي لتذوقن ، وفي الأصل « لتطمعني » وهو محريف .

وتُسْتَر، وما أحبُّ أن أتزيّن بنعمتك وأكون عُطْلاً^(١) من شكرك ، ولا أن تكون مِنَّتُكَ مُوَفَّرَةً عندي وأنا ناقصُ الحظ من رعاية ما أوليتني ، لِنِعَمِ إِذْنِ ما أتيت إليّ ، إذ صرفتَ أفضلَ نظرك نحوى ، ولَبِئْسَ ما اخترتُ لنفسى ، إذ حرَمْتُها فضلَ الشكرِ لمن أنعم عليّ ، فجعلتُ حظّى في قضاء حقّ النعمة ، وما في الشكر من استيجابِ الزيادة .

(اختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٣٨٠)

٢٥٤ - كتاب ابن عبد كان عن أحمد بن طولون

إلى ابنه العباس

وكتب ابن عبد كان^(٢) عن أحمد بن طولون إلى ابنه العباس حين عَصَى عليه بالإسكندرية^(٣) ، مُنْذِرًا له ومُوجِّحًا له على فعله .

(١) من قولهم : امرأة عاطل وعطل : إذا لم يكن عليها حلى .
(٢) هو أبو جعفر محمد بن عبد الله بن عبد كان ، كان على المكاتبات والرسائل في عهد الدولة الطولونية ، وكان بليغا مترسلا فصيحاً - انظر الفهرست لابن النديم ص ١٩٧ ومعجم الأدباء ٦ : ٨٥ .
(٣) كان الخليفة المعتز قد ولي بأكبار مصر ، فولى عليها مايكبارك من قبله أحمد بن طولون سنة ٢٥٤ ، ثم استقل ابن طولون بمصر سنة ٢٥٧ في عهد الخليفة المعتد ، ثم أراد أن يوسع نطاق ملكه فأغار على الشام سنة ٢٦٤ ، وفي أثناء غيابه بها عصى عليه ابنه العباس ، وجاء في تاريخ الكامل لابن الأثير في هذا الصدد (ج ٧ : ص ١٠٧) : « كان أحمد بن طولون قد خرج إلى الشام واستخلف ابنه العباس على مصر ، فلما أبعد عن مصر حسن للعباس جماعة كانوا عنده أخذ الأموال والاسراح إلى برقة ، ففعل ذلك ، وأتى برقة في ربيع الأول سنة ٢٦٥ ، وبلغ الخبر أباه فعاد إلى مصر ، وأرسل إلى ابنه ولاطفه واستعطفه ، فلم يرجع إليه ، وخاف من معه فأشاروا عليه بقصد إفريقية ، فسار إليها وكاتب وجوه البربر ، فأتاه بعضهم ، وامتنع بعضهم ، وكتب إلى إبراهيم بن الأغلب يقول : إن أمير المؤمنين قد قلدني أمر إفريقية وأعمالها ، ورحل حتى أتى حصن « بلدة » ففتحها أهله له ، فعاملهم أسوأ معاملة ونهبهم ، فغضب أهل الحصن إلى إلياس بن منصور رئيس الأباضية هناك ، فاستعانوا به ، فغضب لذلك وسار إلى العباس ليقاتله ، وكان إبراهيم بن الأغلب قد أرسل إلى عامل طرابلس جيشاً وأمره بقتال العباس ، فالتقوا واقتتلوا قتالا شديداً ، قاتل العباس فيه يده ، فلما كان

« من أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين^(١) ، إلى الظالم لنفسه ، العاصي
لربه ، المليم بذنبه ، المفسد لكسبه ، العادي^(٢) لطوره ، الجاهل لقدره ،
النا كص على عقبه ، المركوس^(٣) في فتنه ، المبخوس من حظ دنياه وآخرته .
سلام على كل منيب مستجيب ، تائب من قريب ، قبل الأخذ
بالكظم^(٤) ، وحلول الفتوت والندم .

وأحمد الله الذي لا إله إلا هو حمد معترف له بالبلاء الجميل ، والطول
الجليل ، وأسأله مسألة مخلص في رجائه ، مجتهد في دوائه ، أن يصلي على محمد
المصطفى ، وأمينه المرتضى ، ورسوله المجتبي ، صلى الله عليه وسلم .
أما بعد ، فإن مثلك مثل البقرة تثير المذبة بقرئها ، والنملة يكون حثفها
في جناحها ، وستعلم - هيلتك^(٥) الهوايل ! أيها الأحمق الجاهل ، الذي تني
على النى عطفه واغتر بضجاج المواكب خلفه - أي مودة هلكة

القد واقام إلياس بن منصور الأباخي في اثني عشر ألفاً من الأباضية ، فاجتمع هو وعامل طرابلس على
قتال العباس قتل من أصحابه خلق كثير ، وانهمز ألبح هزيمة ، وكاد يؤسر غلصه مولى له ، ونهبوا
سواده وأكثر ما حمله من مصر وعاد إلى برقة ألبح عود ، وشاع بمصر أن العباس انهزم فاعتم والده
حتى ظهر عليه ، وسير إليه العساكر لماعلم سلامته ، فقاتلوه قتالا صبر فيه الفريقان ، فانهزم العباس
ومن معه ، وكثر القتلى في أصحابه ، وأخذ العباس أسيراً وحمل إلى أبيه فحبسه في حجرة في داره ، إلى
أن قدم باقي الأسرى من أصحابه ، فلما قدموا أحضرهم أحمد عنده والعباس معهم ، فأمره أبوه أن يقطع
أيدي أعيانهم وأرجلهم ففعل ، فلما فرغ منه ونحى أبوه وذمه ، ثم أمر به فضرب مائة مفرعة ، ودموعه
تجري على خده رقة لولده ، ثم رده إلى الحجرة واعتقله وذلك سنة ٢٦٨ هـ ومات ابن طولون
سنة ٢٧٠ هـ .

- (١) يعنى المعتمد على الله .
- (٢) عدا الأمر وعنه : جاوزه ، والطور : القدر .
- (٣) الركب : قلب أول النى على آخره .
- (٤) الكظم : مخرج النفس .
- (٥) هيلته أمه كفرح : ثكلته ، وامرأة هابل وهبول .

يَا ذَنُ اللَّهِ تَوَرَّدْتَ ، إِذْ عَلَى اللَّهِ جَلُّ وَعِزُّ تَمَرَّدْتَ وَشَرَّدْتَ ، فَإِنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
قَدْ ضَرَبَ لَكَ فِي كِتَابِهِ مِثْلًا : « قَرْيَةٌ كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا
رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ
بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ » .

وإِذَا كُنَّا تَقَرُّبِكَ إِلَيْنَا ، وَتَنْسِيبِكَ إِلَى يَوْتِنَا ، طَمَعًا فِي إِبَاتِكَ ، وَتَأْمِيلًا
لِفَيْئَتِكَ^(١) ، فَلَمَّا طَالَ فِي النَّفْسِ أَنَّهُمَا كُكُّ ، وَفِي فَعْمَةِ الْجَهْلِ ارْتِبَا كُكُّ ،
وَلَمْ نَرَ الْمَوْعِظَةَ تُلِينُ كِبِدَكَ ، وَلَا التَّذْكِيرَ يُقِيمُ أَوْدَكَ^(٢) ، لَمْ تَكُنْ لِهَذِهِ النِّسْبَةِ
أَهْلًا ، وَلَا لِإِضَافَتِكَ إِلَيْنَا مَوْضِعًا وَمَحَلًّا ، بَلْ لَا تُكْنِي بِأَبِي الْعَبَّاسِ إِلَّا
تَكْرُهَا ، وَطَمَعًا بِأَنْ يَهَبَ اللَّهُ مِنْكَ خَلْفًا تُقْلِدُهُ اسْمَكَ ، وَتُكْنِي بِهِ دُونَكَ ،
وَنَعْدُكَ كُنْتَ نِسِيًا مَنْسِيًّا^(٣) ، وَلَمْ تَكْ شَيْئًا مَقْضِيًّا ، فَانْظُرْ - وَلَا نَظَرَ
بِكَ - إِلَى حَارِ نِسْبَتِهِ تَقْلُدْتَ ، وَسَخَطِ مِنْ قَبْلِنَا تَعَرَّضْتَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْبَلَاءَ
يَا ذَنُ اللَّهِ قَدْ أَظْلَكَ ، وَالْمَكْرُوهَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ قَدْ أَحَاطَ بِكَ ، وَالْعَسَا كَرَّ بِحَمْدِ اللَّهِ
قَدْ أَتَتْكَ كَالسَّيْلِ فِي اللَّيْلِ ، تُؤْذِنُكَ بِحَرْبٍ وَبَوَيْلٍ ، فَإِنَّا نُقْسِمُ - وَنَرْجُو
أَنْ لَا نَجُورَ وَنَظْلَمَ - أَلَا تَتَذَنِّي عَنْكَ عِنَانًا ، وَلَا تُؤَثِّرُ عَلَى شَانِكَ شَانَا ، وَلَا
تَتَوَقَّلَ^(٤) ذِرْوَةَ جَبَلٍ ، وَلَا تَلِجَ بَطْنُ وَادٍ ، إِلَّا تَبِعْنَاكَ^(٥) بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ
فِيهِمَا ، وَطَلَبْنَاكَ حَيْثُ أُمِّمْتَ مِنْهُمَا ، مُتَفَقِينَ فِيكَ كُلِّ مَالٍ خَطِيرٍ ،

(١) الميثة : الرجوع .

(٢) الأود : الأعوجاج .

(٣) النسي : مانسى .

(٤) وقل في الجبل كوعد وتوكل : صعد .

(٥) في الأصل « جعلناك » والظاهر أنه محرف ، وصوابه « تبعناك » كما ذكره مصحح

ومستصغرين بسببك كل خطب جليل ، حتى تستمر من طعم العيش
ما استحليت ، وتستدفع من البلايا ما استدعيت ، حين لا دافع
بحول الله عنك ، ولا مخرج لنا عن ساحتك ، وتعرف من قدر
الرخاء ما جهلت ، وتود أنك هببت ولم تكن بالمعصية عجبت ، ولا رأى من
أضلك من غواتك قبلت ، فحينئذ يتفرى^(١) لك الليل عن صبحه ،
ويسفر لك الحق عن مخضه ، فتنظر بعينين لا غشاة عليهما ، وتسمع بأذنين
لا وقر^(٢) فيهما ، وتعلم أنك كنت متمسكا بجبال غرور ، متاديا في مقابح
أمر ، من عقوق لا ينام طالبه ، وبقي لا ينجو هاربه ، وغدر لا ينتعش
صريع ، وكفران لا يودى^(٣) قتيله ، وتقف على سوء رويتك ، وعظم
جريرتك ، في ترك قبول الأمان ، إذ هولك مبذول ، وأنت عليه محمول ،
وإذ السيف عنك مغمود ، وباب التوبة إليك مفتوح ، وتلهف والتلهف
غير نافع ، إلا أن تكون أجبت إليه مشرعا ، وانقذت إليه منتصحا .
وإن مما زاد في ذنوبك عندي ما ورد به كتابك على بعد نفوذى على
القسطا من التوبيهات والأعالي^(٤) ، والعدات بالباطيل ، من مصيرك -
بزعمك - إلى إصلاح ما ذكرت أنه فسد على ، حتى ملت إلى الاسكندرية

(١) تفرى : اشق ، والمعنى ما يكشف ، وسفر الصبح كضرب وأسعر : أضاء وأشرق .

(٢) الوقر : الصمم .

(٣) ودى القتل كوعى : أعطى دينه .

(٤) أخذها من قول الإمام على كرم الله وجهه في رس خطبه : « أعالي بأضاليل » وفي كتب اللغة
« العلالة بالضم والتعلة كتحية والعلة بالفتح : ما يعلل به » ولم أحد فيها كلمة أعالي ولا معردها ، ولا
بد أن تكون جمع أعلولة بالضم ، كأعاليب وألأعيب ... الخ . والأطيل : جمع أبطولة بالضم أو
إبطالة بالكسر أو باطل على غير قياس .

فَأَقَمْتَ بِهَا طَوْلَ هَذِهِ الْمُدَّةِ ، وَاسْتَظْهَرَا عَلَيْكَ بِالْحُجَّةِ ، وَقَطَعَا لِمَنْ عَسَى أَنْ
يَتَعَلَّقَ بِهِ مَعْذِرَةٌ عِلْمٌ بِأَنَّ الْأُبَاةَ غَيْرُ صَادَّةٍ ، وَلَا أَنَّهُ خَالَجَنِي شَكٌّ وَلَا عَارَضَنِي
رَيْبٌ فِي أَنَّكَ إِنَّمَا أَرَدْتَ الزَّوْجَ^(١) وَالْاِحْتِيَالَ لِلرَّبِّ وَالزَّوْجَ إِلَى بَعْضِ
الْمَوَاضِعِ الَّتِي لَعَلَّ قَصْدَكَ إِيَّاهَا يُودِيكَ^(٢) ، وَلَعَلَّ مَصِيرَكَ إِلَيْهَا يَكْفِينِيكَ ،
وَيُبَلِّغُكَ إِلَى أَكْثَرِ مِنَ الْإِرَادَةِ فِيكَ ، لِأَنَّكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَا تَقْصِدُ مَوْضِعًا
إِلَّا تَلَوَّتُكَ ، وَلَا تَأْتِي بِلَدًا إِلَّا قَفَوْتُكَ ، وَلَا تَلُوذُ بِعَصْمَةٍ تَظُنُّ أَنَّهَا تُنْجِيكَ
إِلَّا اسْتَعْنَتْ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فِي جَدِّ^(٣) حَبْلِهَا ، وَفَصَمَ عُرْوَتَهَا ، فَإِنَّ أَحَدًا
لَا يُؤْوِي مِثْلَكَ وَلَا يَنْصُرُهُ إِلَّا لِأَحَدِ أَمْرَيْنِ مِنْ دِينِ أَوْ دُنْيَا ، فَأَمَّا الدِّينُ فَأَنْتَ
خَارِجٌ مِنْ جَمَلِهِ ، لِمُقَامِكَ عَلَى الْعُقُوقِ ، وَمُخَالَفَةِ رَبِّكَ وَإِسْخَاطِهِ ، وَأَمَّا الدُّنْيَا
فَمَا أَرَاهُ بَقِيَ مَعَكَ مِنَ الْحَطَامِ الَّذِي سَرَقَتْهُ وَحَمَلَتْ نَفْسُكَ عَلَى الْإِثَارِ بِهِ ،
مَا يَتِيهًا لَكَ مَكَائِرُ ثَنَانًا بِمِثْلِهِ ، مَعَ مَا وَهَبَ اللَّهُ لَنَا مِنْ جَزِيلِ النِّعْمَةِ الَّتِي نَسْتَوْدِعُهُ
تِبَارَكَ وَتَعَالَى إِيَّاهَا ، وَنَرْغَبُ إِلَيْهِ فِي إِعْمَائِهَا ، إِلَى مَا أَنْتَ مُقِيمٌ عَلَيْهِ مِنَ الْبَنَى
الَّذِي هُوَ صَارِعُكَ ، وَالْعُقُوقِ الَّذِي هُوَ طَالِبُكَ .

وَأَمَّا مَا مَنَيْتَنَاهُ مِنْ مَصِيرِكَ إِلَيْنَا فِي حُسُودِكَ وَجُوعِكَ وَمَنْ دَخَلَ
فِي طَاعَتِكَ ، لِإِصْلَاحِ عَمَلِنَا ، وَمُكَافَأَةِ أَعْدَائِنَا ، بِأَمْرِ أَظْهَرَ وَافِيهِ الشَّمَاتَةُ بِنَا ،
فَمَا كَانَ إِلَّا بِسَبَبِكَ ، فَأَصْلَحَ أَيُّهَا الصَّبِيُّ الْأَخْرَقُ أَمْرَ نَفْسِكَ قَبْلَ إِصْلَاحِكَ
عَمَلِنَا ، وَاحْزَمُ فِي أَمْرِكَ قَبْلَ اسْتِعْمَالِكَ الْحَزْمِ لَنَا ، فَمَا أَحْوَجَنَا اللَّهُ

(١) الزَّوْجُ : الْبَعْدُ .

(٢) الَّذِي كَتَبَ فِي اللَّفْظِ « أَوْدَى الرَّجُلُ : هَلَكَ ، وَأَوْدَى بِهِ الْمَوْتُ : أَهْلَكَ .

(٣) الْجَدُّ : الْقَطْعُ . وَالْعَصَمُ : الْقَطْعُ وَالْكَسْرُ أَيْضًا .

- وله الحمد - إلى نُصرتك ومُوازرتك ، ولا اضطررنا إلى التكثر بك على شِقاقك ومعصيتك «وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصَدًا» .

وليت شعري على من تُهول بالجنود ، وتُخرق^(١) بذكر الجيوش ؟ ومن هؤلاء المسخرون لك ، الباذلون دماءهم وأموالهم وأديانهم دونك ، دون رِزقٍ تَرْزُقُهُمْ إياه ، ولا عطاء تُدرُّه عليهم ؟ فقد علمت - إن كان لك تمييز ، أو عندك تحصيل - كيف كانت حالك في الواقعة التي كانت بناحية أطرابلس^(٢) ، وكيف خذلك أولياؤك والمرترقة معك حتى هُزِمت ، فكيف تغترُّ بمن معك من الجنود الذين لا اسمَ لهم معك ، ولا رِزقَ يجري لهم على يدك ؟ فإن كان يدعوهم إلى نُصرتك هيبتك والمداراة لك ، والخوف من سلطانك ، فإنهم ليجذبهم أضعاف ذلك منا ، ووجودهم من البذل الكثير والعطاء الجزيل عندنا مالا يجِدونه عندك ، وإنهم لأخرى بخذلك ، والميل إلينا دونك ، ولو كانوا جميعا معك ، ومقيمين على نُصرتك ، لرجونا أن يُمكن الله منك ومنهم ، ويجعل دائرة السوء عليك وعليهم ، ويُجرينا من عادته في النصر وإعزاز الأمر على ما لم يزل يتفضل علينا بأمثاله ، ويتطوّل بأشباهه ، فما دعاني إلى الإرجاء لك ، والتسهيل من خِناقك^(٣) ، والإطالة من عِنانك ، طول هذه المدة إلا أمران : أغلبهما كان على احتقار أمرك واستصغار وقلة الاحتفال والاكتراث به ، وأنى اقتصرت من عقوبتك على ما أحلته^(٤)

(١) الخرق : التمويه ، والمخرق : الموه .

(٢) يقال فيها : طرابلس وأطرابلس كما هي في معجم ياقوت .

(٣) الخناق : الحبل يحنق به .

(٤) في الأصل « ما أحلته » وأراه محرّفا ، والصواب ما ذكرته ، والإباق : الهرب .

بنفسك من الإيلاق إلى أقاصى بلاد المغرب ، شريداً عن منزلك وبلدك ،
 فريداً من أهلك وولدك ، والآخراً أنى علمت أن الوحشة دعيتك إلى الانحياز
 إلى حيث انحزت إليه ، فأردت التسكين من تقارك ، والطمانينة من
 جأشك^(١) ، وعميت على أنك تحن إلينا حين الولد ، وتثوق إلى قربنا توقان
 ذى الرّحم والنسب ، فإن فى رفقنا بك ما يعطيك إلينا ، وفى تأخينا إياك
 ما يردك علينا ، ولم يسمع منا سامع فى خلاء ولا ملائ^(٢) انتقاصاً بك ،
 ولا غصاً منك ، ولا قدحاً فيك . رقة عليك ، واستتماماً لليد عندك ، وتأميراً
 لأن تكون الراجع من تلقاء نفسك ، والموفق بذلك لرشدك وحظك ، فأما
 الآن مع اضطرارك إياى إلى ما اضطررتنى إليه من الانزعاج نحوك ، وحبسك
 رُسلى النافذين بههد كثير إلى ما قبلك ، واستعمالك المواربة والخداع فيما
 يجرى عليه تدبيرك ، فما أنت بموضع للصيانة ، ولا أهل للإبقاء والمحافظة ،
 بل اللعنة عليك حالة ، والذمة منك بريّة ، والله طالبك ومؤاخذك بما
 استعملت من العقوق والقطيعة ، والإضاعة لرحم الأبوة ، فعليك من ولد
 حاقٍ مُشاقٍ^(٣) لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين ، ولا قبل
 الله لك صرّفاً ولا عدلاً^(٤) ، ولا ترك لك مُنقلباً ترجع إليه ، وخذلك خذلان
 من لا يؤثبه^(٥) له ، وأثكلك ولا أمهلك ، ولا حاطك ولا حفظك ، فوالله

(١) الجأش : رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع .

(٢) الملا : الجماعة .

(٣) أى محالف ، وفى الأصل « شاق » وهو تحريف .

(٤) الصرّف : التوبة ، والعدل : العدية .

(٥) أى لا يحتفل به لحقارته .

لَأَسْتَعْمِلَنَّ لَعْنَتَكَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ، والدعاء عليك في آناء الليل والنهار ،
والغُدُوِّ والآصالِ ، وَلَا كُتِبَنَّ إِلَى مِصْرَ وَأَجْنَادِ الشَّامَاتِ وَالشُّغُورِ وَقِنْسَرِينَ
وَالْعَوَاصِمِ وَالْجَزِيرَةِ وَالْحِجَازِ وَمَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ ، كُتِبَ تَقْرَأُ عَلَى مَنَابِرِهَا فَيْكَ ،
بِاللَّعْنِ لَكَ ، وَالْبَرَاءَةِ مِنْكَ ، وَالذَّلَالَةِ عَلَى عَقُوقِكَ وَقَطِيعَتِكَ ، يَتَنَاقَلُهَا آخِرٌ
عَنْ أَوَّلٍ ، وَيَأْتِيُرُهَا^(١) غَابِرٌ عَنْ مَاضٍ ، وَتُخَلَّدُ فِي بَطُونِ الصَّحَائِفِ ، وَتَحْمِلُهَا
الرُّكْبَانُ ، وَيَتَحَدَّثُ بِهَا فِي الْآفَاقِ ، وَتُلْحِقُ بِكَ وَبِأَعْقَابِكَ عَارًا ، مَا اطَّرَدَ
الَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَاخْتَلَفَ الظَّلَامُ وَالْأَنْوَارُ .

فَإِذَا تَعَلَّمَ أَيُّهَا الْمَخَالِفُ أَمْرَ أَبِيهِ ، الْقَاطِعُ رَحْمَةَ ، الْعَاصِي رَبَّهُ ، أَيُّ
جُنَايَةٍ عَلَى نَفْسِكَ جَنَيْتَ ، وَأَيُّ كَبِيرَةٍ اقْتَرَفْتَ وَاجْتَنَيْتَ ؟ وَتَتَمَنَّى لَوْ كَانَتْ
فَيْكَ مُسْكَةٌ^(٢) ، أَوْ فَيْكَ فَضْلُ إِنْسَانِيَةٍ ، أَنْتَ لَمْ تَكُنْ وَلِدْتَ ، وَلَا فِي الْخَلْقِ
عُرِفْتَ ، إِلَّا أَنْ تُرَاجِعَ مِنْ طَاعَتِنَا ، وَالْإِسْرَاعَ إِلَى مَا قَبَلْنَا ، خَاضِعًا ذَلِيلًا
كَمَا يَلْزِمُكَ ، فَتُقِيمَ الْإِسْتِغْفَارَ مُقَامَ اللَّعْنَةِ ، وَالرَّقَّةَ مُقَامَ الْغِلْظَةِ ، وَالسَّلَامَ عَلَى
مَنْ سَمِعَ الْمَوْعِظَةَ فَوَعَاهَا ، وَذَكَرَ اللَّهَ فَاتَّقَاهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(مَسِحُ الْأَعْيُنِ ٧ : ٥)

٢٥٥ - كِتَابُ بِمَذْهَبِ الْقَرَامِطَةِ

قَالَ الطَّبْرِيُّ :

وَفِي سَنَةِ ٢٧٨ هـ وَرَدَتْ الْأَخْبَارُ بِحَرَكَةِ قَوْمٍ يَعْرِفُونَ بِالْقَرَامِطَةِ بِسَوَادٍ

(١) أَيُّ يَتَقَلَّبُهَا وَيُرَوِّبُهَا .

(٢) الْمَسْكَةُ : مَا يَتَمَسَّكُ بِهِ .

الكوفة^(١) ، وكان فيما حكوا عن هؤلاء القرامطة من مذهبهم أن جاءوا بكتاب فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، يقول الفرج بن عثمان ، وهو من قرية يقال لها نصرانة : إنه داعيةٌ إلى المسيح ، وهو عيسى ، وهو الكلمة ، وهو المهدي ، وهو أحمد بن محمد بن الحنفية ، وهو جبريل ، وذكر أن المسيح تصوّر له في جسم إنسان ، وقال له : إنك الداعية ، وإنك الحجة ، وإنك

(١) قال الطبري : فكان ابتداء أمرهم قدوم رجل من ناحية خوزستان إلى سواد الكوفة ، ومقامه بموضع منه يقال له النهرين ، يظهر الزهد والتشف ، ويسف الخوص ، ويأكل من كسبه ، ويكثر الصلاة ، فأقام على ذلك مدة ، فكان إذا قصد إليه إنسان ذاكره أمر الدين ، وزهده في الدنيا ، وأعلمه أن الصلاة المفترضة على الناس خمسون صلاة في كل يوم وليلة ، حتى فشا ذلك عنه بموضعه ، ثم أعلمهم أنه يدعو إلى إمام من أهل بيت الرسول ، فلم يزل على ذلك يقعد إليه الجماعة فينبرم من ذلك بما يلقى بقلوبهم ، وكان يقعد إلى بقال في القرية » إلى أن قال : « ثم مرض فكث مطروحا على الطريق وكان في القرية رجل يحمل على أثوار له ، أحر العينين شديدة حرتهما ، وكان أهل القرية يسمونه « كرميته » لحرة عينيه ، وهو بالنبطية « أحر العينين » ، فكلم البقال كرميته هذا في أن يحمل هذا العليل إلى منزله ، ويوصي أهله بالإشراف عليه والعناية به ، ففعل وأقام عنده حتى برى ، ثم كان يأوى إلى منزله ، ودعا أهل القرية إلى أمره ووصف لهم مذهب ، فأجاب به أهل تلك الناحية وكان يأخذ من الرجل إذا دخل في دينه ديناراً ، ويزعم أنه يأخذ ذلك للإمام ، فكث بذلك يدعو أهل تلك القرى فيجيبونه ، واتخذ منهم اثني عشر تقياً أمرهم أن يدعوا الناس إلى دينهم ، وقال لهم : أتم كحواري عيسى بن مريم ، فاشتغل أكررة تلك الناحية عن أعمالهم بما رسم لهم من الحسين صلاة ، التي ذكر أنها مفترضة عليهم ، وكان للهيصم في تلك الناحية ضياع ، فوقف على تقصير أكرته في العبادة ، فسأل عن ذلك فأخبر أن إنساناً طرأ عليهم فأظهر لهم مذهباً من الدين ، وأعلمهم أن الذي افترسه الله عليهم خمسون صلاة في اليوم والليلة ، فقد شغلوا بها عن أعمالهم ، فوجه في طلبه فأخذ وحياً به إليه ، فسأله عن أمره ، فأخبره بقصته ، فحلف أن يقتله ، فأمر به فحبس في بيت وأقفل عليه الباب ووضع المفتاح تحت وسادته وتفاغل بالمعرب ، وسمع بعض من في داره من الجوارى بقصته فرقت له ، فلما نام الهيصم أخذت المفتاح من تحت وسادته وفتحت الباب وأخرجته ، وأقفلت الباب وردت المفتاح إلى موضعه ، فلما أصبح الهيصم دعا بالمفتاح ففتح الباب فلم يجد ، وشاع بذلك الخبر ، ففتن به أهل تلك الناحية ، وقالوا : رفع ، ثم ظهر في موضع آخر ، ولقي جماعة من أصحابه وغيرهم ، فسألوه عن قصته فقال : ليس يمكن أحداً أن يبدأني بسوء ، ولا يقدر على ذلك مني ، فعظم في أعينهم ، ثم خاف على نفسه ففرج إلى ناحية الشام فلم يعرف له خبر ، وسمى باسم الرجل الذي كان في منزله صاحب الأتوار كرميته ، ثم خفف فقالوا قرط . »

الناقة ، وإنك الدابة ، وإنك روح القدس ، وإنك يحيى بن زكرياء ، وعرفه
أن الصلاة أربع ركعات : ركعتان قبل طلوع الشمس ، وركعتان قبل غروبها ،
وأن الأذان في كل صلاة أن يقول : الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر
الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله مرتين ، أشهد أن آدم رسول الله ، أشهد
أن نوحا رسول الله ، أشهد أن إبراهيم رسول الله ، أشهد أن موسى رسول
الله ، وأشهد أن عيسى رسول الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله ، وأشهد أن
أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله ، وأن يقرأ في كل ركعة الاستفتاح ،
وهي من المنزل على أحمد بن محمد بن الحنفية ، والقبلة إلى بيت المقدس ،
والحج إلى بيت المقدس ، ويوم الجمعة يوم الاثنين لا يعمل فيه شيء ، والشورة
الحمد لله بكلمته وتعالى باسمه المتخذ لأوليائه بأوليائه ، قل إن الأهلّة مواقيتُ
للناس ، ظاهرُها ليُعلم عددُ السنين والحساب والأشهر والأيام ، وباطنُها
أوليائى الذين عرفوا عبادى سبيلى ، اتقون يا أولى الألباب ، وأنا الذى
لا أسأل عما أفعل ، وأنا العليم الحكيم ، وأنا الذى أبلو عبادى ، وأمتحن
خلقى ، فمن صبر على بلائى ومحنى واختبارى ألقته فى جنتى ، وأخلدته فى
نعمتى ، ومن زال عن أمرى وكذب رُسلى ، أخلدته مَهْأَنًا فى عذابى ، وأتممتُ
أجله ، وأظهرتُ أمرى على السِّنة رُسلى ، وأنا الذى يُعلُّ على جبارٍ إلا
وضعتُه ، ولا عزيزٍ إلا أذلّته ، وليس الذى أصرَّ على أمره ، وداوم على
جهالته ، وقالوا لن نبرح عليه ما كفين ، وبه مؤمنين ، أولئك هم الكافرون .
ثم يركع ويقول فى ركوعه : سبحان ربِّ العِزة وتعالى عما يصف

الظالمون ، يقولها مرتين ، فإذا سجد قال : الله أعلى الله أعلى ، الله أعظم الله أعظم .

ومن شرائعه أن الصوم يومان في السنة ، وهما المهرجان والنوروز ، وأن النبيذ حرام ، والحمر حلال^(١) ، ولا غُسل من جنابة إلا الوضوء كوضوء الصلاة ، وأن من حارب وجب قتله ، ومن لم يحاربه ممن خالفه اخذت منه الجزية ، ولا يؤكل^(٢) كل ذي ناب ، ولا كل ذي مخلب [ويشترك في المرأة جماعة من الرجال^(٣)] . (تاريخ الطرى ١١: ٣٣٩ ، وغرر الحقائق الواضحة ص ٢١٣)

٢٥٦ — من كتاب عن المعتضد إلى خمارويه بن أحمد

ابن طولون

ولما حُملت قطر الندى بنت خمارويه بن أحمد بن طولون إلى المعتضد^(٤) ، تب معها أبوها يذكّره بخدمة سلفها^(٥) ، ويذكّر ما ترد عليه من أبهة الخلافة ، وجلالة الخليفة ، وسأل إيناسها وبسطها ، فبلغت من قلب المعتضد لما زُفّت إليه مبلغا عظيما ، وسُرّبها غاية السرور ، وأمر الوزير

(١) وفي غرر الحقائق « وأن البید والحمر غیر حرام .

(٢) وفيه « ويؤكل » .

(٣) ما بين العوسين وارد في غرر الحقائق .

(٤) هو أبو العباس أحمد بن الموفق طلحة بن المتوكل ، ولي الخلافة سنة ٢٧٩ ، وتوفي سنة ٢٨٩ وولي خمارويه ملك مصر بعد وفاة أمه سنة ٢٧٠ وقتل سنة ٢٨٢ .

(٥) كان حدها طولون مملوكا للأمون ، وأصله من عمارى من قبائل التركستان ، أهداه إلى الأمون عامله ابن أسد الصامى في حملة من أرسلهم إليه سنة ٢٠٠ هـ ، وقد أعجب به الأمون فألحقه بحاشيته ، وما زال يرقيه حتى جعله رئيس حرسه ، ولقبه بأمير الستر — وهو منصب لم يكن ياله إلا من كان للحليفة معه خاصة بأمانه وإخلاصه ، ليكون محاطا على حياته الشخصية — وكان في عهد المعتصم رئيس طائفة من المماليك .

أبا القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب بالجواب عن الكتاب ، فأراد أن يكتبه بخطه ، فسأله أبو الحسين بن ثوبة أن يؤثره بذلك ففعل وغاب أياما ، وأتى بنسخة يقول في فصل منها :

« وأما الوديعةُ فهي بمنزلة شيء انتقلَ من يمينك إلى شمالك ، عنايةً بها ، وحياطة عليها ، ورعاية لمودتك فيها . »

ثم أقبل على عبيد الله يعجب من حسن ما وقع له من هذا ، وقال : تسميتي لها بالوديعة نصف البلاغة ، فقال عبيد الله : ما أقبح هذا ! تفاءلت لامرأة زُفّت إلى صاحبها بالوديعة ، والوديعةُ مسترَدّة ، وقولك : من يمينك إلى شمالك أقبح ، لأنك جعلت أباها اليمين ، وأمير المؤمنين الشمال ، ولو قلت على حال :

« وأما الهديةُ فقد حسنَ موقعها منا ، وجَلَّ خطَرُها عندنا ، وهي - وإن بُعدتْ عنك - بمنزلة ما قَرُبَ منك ، لتفقدنا لها ، وأنسينا بها ، ولسرورها بما وردتْ عليه ، واغتباطها بما صارت إليه » لكان أحسن ، فنقدَ الكتاب . (رهر الآداب ٢٠٢ : ٢٨٩)

٢٥٧ - كتاب عن المعتضد باحن معاوية بن أبي سفيان

وروى الطبري قال :

وفي سنة ٢٨٤ هـ عزم المعتضد بالله على لمن معاوية بن أبي سفيان على المنابر ، وأمر بإنشاء كتاب بذلك يُقرأ على الناس .

وذكر أن المعتضد أمر بإخراج الكتاب الذي كان المأمون أمر بإنشائه
بلعن معاوية ، فأخرج له من الديوان ، فأخذ من جوامعه نسخة هذا
الكتاب ، وكانت نسخة الكتاب الذي أنشئ للمعتضد بالله :

« بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله العلي العظيم ، الحليم الحكيم ،
العزیز الرحيم ، المنفرد بالوحدانية ، الباهر بقدرته ، الخالق بمشيئته وحكمته ،
الذي يعلم سوابق الصدور وضمائر القلوب ، لا يخفى عليه خافية ، ولا
يعزب عنه مثقال ذرة في السموات العلى ولا في الأرضين السفلى ، قد أحاط
بكل شيء علما ، وأحصى كل شيء عددا ، وضرب لكل شيء أمدا ، وهو
العليم الخبير ، والحمد لله الذي برأ خلقه لعبادته ، وخلق عباده لمعرفة ، على
سابق علمه في طاعة مطيعهم ، وماضى أمره في عصيان عاصيهم ، فبين لهم
ما يأتون وما يتقون ، ونهج لهم سبل النجاة ، وحذّرهم مسالك الهلكة ، وظاهر
عليهم الحجة ، وقدم إليهم المذرة ، واختار لهم دينه الذي ارتضى لهم
وأكرمهم به ، وجعل المعتصمين بحبله والمتمسكين برؤيته أولياءه وأهل
طاعته ، والعائدين^(١) عنه والمخالفين له أعداءه وأهل معصيته : « لِيَهْلِكَ مَنْ
هَلَكَ عَنْ يَتْنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ يَتْنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ » والحمد لله
الذي اصطفى محمدا رسوله من جميع برّيته ، واختاره لرسالته ، وابتعته بالهدى
والدين المرتضى إلى عباده أجمعين ، وأنزل عليه الكتاب المبين المستبين ،
وتأذن له بالنصر والتمكين ، وأيده بالعز والبرهان المتين ، فاهتدى به من
اهتدى ، واستنقذ به من استجاب له من العنى ، وأضل من أدبر وتولى ،

حتى أظهر الله أمره ، وأعز نصره ، وقهر من خالفه ، وأنجز له وعده ، وختم به رسله ، وقبضه مؤدياً لأمره ، مبلغاً لرسالته ، ناصحاً لأُمته ، مرضياً مُهتدياً إلى أكرم مآب المنقلين ، وأعلى منازل أنبيائه المرسلين ، وعباده الفائزين ، فصلّى الله عليه أفضل صلاةٍ وأتمّها ، وأجلّها وأعظمها ، وأزكّاها وأطهرها ، وعلى آله الطيبين ، والحمد لله الذي جعل أمير المؤمنين وسلفه الراشدين المهتدين ، ورثة خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، والقائمين بالدين ، والمقومين لعباده المؤمنين ، والمستحفظين ودائع الحكمة وموارث النبوة ، والمستخلفين في الأمة ، والمنصورين بالعز والمنعة ، والتأييد والغلبة ، حتى يُظهر الله دينه على الدين كلّ ولو كره المشركون .

وقد انتهى إلى أمير المؤمنين ما عليه جماعة من العامة ، من شبهة قد دخلتهم في أديانهم ، وفساد قد لحقهم في معتقدهم ، وغصبية قد غلبت عليها أهواؤهم ، ونطقت بها ألسنتهم ، على غير معرفة ولا روية ، وقلّدوا فيها قادة الضلالة بلا بينة ولا بصيرة ، وخالفوا الشئن المتبعة إلى الأهواء المبتدعة ، قال الله عز وجل : « وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ » خروجاً عن الجماعة ، ومسارةً إلى الفتنة ، وإثارةً للفرقة ، وتشتيتاً للكلمة ، وإظهاراً لموالاة من قطع الله عنه الموالاة ، وبتر منه العصمة ، وأخرجه من الملة ، وأوجب عليه اللعنة ، وتعظيماً لمن صغر الله حقّه ، وأوهن أمره ، وأضعف رُكنه ، من بنى أمية الشجرة الملعونة ، ومخالفة لمن ستنقذهم الله به من الهلكة ، وأسبغ عليهم به النعمة ، من أهل بيت البركة والرحمة ، قال الله عز وجل : « يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ

وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» فَأَعْظَمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَتَتْهُ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ ، وَرَأَى فِي تَرْكِ إِنْكَارِهِ حَرَجًا عَلَيْهِ فِي الدِّينِ ، وَفَسَادًا لِمَنْ قَلَّدَهُ اللَّهُ أَمْرَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَإِهْمَالًا لِمَا أَوْجِبَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ تَقْوِيمِ الْمُخَالَفِينَ ، وَتَبْصِيرِ الْجَاهِلِينَ ، وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَى الشَّاكِكِينَ ، وَيَسْطِ الْيَدِ عَلَى الْعَانِدِينَ .

وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يُخْبِرُكُمْ مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ ، أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا ابْتَعَثَ مُحَمَّدًا بِدِينِهِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَصْدَعَ بِأَمْرِهِ ، بِدَأْ بِأَهْلِهِ وَعَشِيرَتِهِ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى رَبِّهِ وَأَنْذَرَهُمْ وَبَشَّرَهُمْ ، وَنَصَحَ لَهُمْ وَأَرْشَدَهُمْ ، فَكَانَ مَنْ اسْتَجَابَ لَهُ وَصَدَّقَ قَوْلَهُ وَاتَّبَعَ أَمْرَهُ تَقَرَّرَ يَسِيرٌ مِنْ بَنِي آيِيهِ ، مِنْ بَيْنِ مُؤْمِنٍ بِمَا آتَى بِهِ مِنْ رَبِّهِ ، وَبَيْنَ نَاصِرٍ لَهُ وَإِنْ لَمْ يَتَّبِعْ دِينَهُ ، إِعْزَازًا لَهُ وَإِشْفَاقًا عَلَيْهِ ، لِمَاضِي عِلْمِ اللَّهِ فِيمَنْ اخْتَارَ مِنْهُمْ ، وَتَقَدَّتْ مَشِيئَتُهُ فِيمَا يَسْتَوْدِعُهُ إِيَّاهُ مِنْ خِلَافَتِهِ وَإِزَّتْ نَبِيَّتُهُ ، فَمُؤْمِنُهُمْ مُجَاهِدٌ يَبْصِرَتُهُ ، وَكَافِرُهُمْ مُجَاهِدٌ بِنُصْرَتِهِ وَحِمِيَّتِهِ ، يَدْفَعُونَ مَنْ نَابَذَهُ ، وَيَقْهَرُونَ مَنْ عَارَاهُ ^(١) وَعَانَدَهُ ، وَيَتَوَثَّقُونَ لَهُ مِمَّنْ كَانَتْهُ وَعَاصَدَهُ . وَيَبَايَعُونَ لَهُ مَنْ سَمَّحَ بِنُصْرَتِهِ ^(٢) ، وَيَتَجَسَّسُونَ لَهُ أَخْبَارَ

(١) عَارَاهُ مَعَارَاةٌ وَعَرَارَا : قَاتَلَهُ وَأَذَاهُ ، وَفِي شَرْحِ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ « عَارَاهُ » بِالزَّيِّ ، يُقَالُ : عَارَزَنِي فَعَزَزْتُهُ أَيْ عَالَبَنِي فَغْلَبْتُهُ ، وَكَاتَفَهُ : عَاوَنَهُ وَسَاعَدَهُ .

(٢) يَعْنِي بِذَلِكَ جَدُّهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلُبِ ، وَمَا كَانَ مِنْهُ فِي بَيْعَةِ الْعُقْبَةِ الثَّانِيَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (قَبْلَ هِجْرَتِهِ مِنْ مَكَّةَ) كَانَ قَدْ تَوَاعَدَ مَعَ الْأَنْصَارِ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِدَعْوَتِهِ (فِي مَوْسَمِ الْحِجِّ) أَنْ يَجْتَمِعَ بِهِمْ عِنْدَ الْعُقْبَةِ لِإِلَاحْفَافِهِمْ مِنْ قَرِيشَ ، وَوَقَّافَهُمْ هُنَاكَ وَمَعَهُ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَحْضُرَ أَمْرَ ابْنِ أَخِيهِ وَيَتَوَثَّقَ لَهُ ، فَلَمَّا جَلَسَ كَانَ أَوَّلَ مُتَكَلِّمِ الْعَبَّاسِ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْحَزْرَجِ — وَكَانَتْ الْعَرَبُ لِنَعْمَا يَسْمُونَ هَذَا الْحَيَّ مِنْ الْأَنْصَارِ الْحَزْرَجِ ، خَزَرَجُهَا وَأَوْسُهَا — إِنْ عَجَّدَا مُنَاحِيثَ قَدْ عَلِمْتُمْ ، وَقَدْ مَنَعْنَاهُ مِنْ قَوْمِنَا مِمَّنْ هُوَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِنَا فِيهِ ، فَهُوَ فِي عِزٍّ مِنْ قَوْمِهِ وَمُنْعَةٍ فِي بَلَدِهِ ، وَإِنَّهُ قَدْ أَبَى إِلَّا الْإِنْحِيَازَ إِلَيْكُمْ وَاللِّحُوقَ بِكُمْ ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَسْكُمُ وَأَمُونَ لَهُ بِمَا دَعَاكُمْ إِلَيْهِ ، وَمَا سَعَوْهُ مِنْ خَالِفِهِ ، فَأَتَمُّ وَمَا تَحْمِلْتُمْ مِنْ ذَلِكَ ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ مُسْلِمُوهُ وَخَازِلُوهُ بَعْدَ الْخُرُوجِ بِهِ إِلَيْكُمْ ، فَمَنْ الْآنَ فَدَعُوهُ ، فَإِنَّهُ فِي عِزٍّ وَمُنْعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَبَلَدِهِ ... الخ — انْظُرْ تَارِيخَ الطَّبْرِيِّ ٢ : ٢٣٨ ، وَسِيرَةَ ابْنِ هِشَامٍ ١ : ٢٦٦

أعدائه^(١)، ويكيدون له بظهور الغيب كما يكيدون له برأى العين، حتى بلغ الملقى، وحان وقت الاهتداء، فدخلوا في دين الله وطاعته وتصديق رسوله والإيمان به، بأثبت بصيرة، وأحسن هدى ورغبة، فجعلهم الله أهل بيت الرحمة، وأهل بيت الدين، أذهب عنهم الرجس^(٢) وطهرهم تطهيرا، ومعدن الحكمة، وورثة النبوة، وموضع الخلافة، وأوجب لهم الفضيلة، وألزم العباد لهم الطاعة.

وكان ممن حانده ونابذه وكذبه وحاربه من عشيرته العدد الأكثر، والسواد الأعظم، يتاقونه بالكذب والتثريب^(٣)، ويقصدونه بالأذية والتخويف، ويبارزونهم بالعداوة، وينصبون له المحاربة، ويصدون عنه من قصده، وينالون بالتعذيب من اتبعه، وكان أشدّهم في ذلك عداوة، وأعظمهم له مخالفة، أوّلهم في كل حرب ومناصبة، ورأسهم في كل إجلاب^(٤) وفتنة، لا يرفع على الإسلام راية إلا كان صاحبها وقائدها ورئيسها في كل موطن الحرب، من بدر وأحد والخندق والفتح، أبو سفيان ابن حرب وأشياعه من بني أمية الملعونين في كتاب الله، ثم الملعونين على

(١) يعنى ما كان من العباس في عزوة أحد، وذلك أن جيش المشركين كان قد خرج من مكة لمحاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم - انتقاما لما أصابهم يوم بدر - حتى نزلوا مقابل المدينة، وبلغ الخبر رسول الله من كتاب ميثبه إليه عمه العباس مع رجل استأجره لذلك ولم يخرج معهم في هذه الحرب، محتجا بما أصابه يوم بدر ولم يساعدهم بشيء (وقد قدمنا في ص ٩٥ من الجزء الثالث أنه كان يخرج مع المشركين يوم بدر وأسر وأخذ رسول الله منه المدينة) وكان بمكة يكتب إلى رسول الله بأخبار المشركين، وقيل: لأنه كان قد أسلم قبل الهجرة، وكان يكتم إسلامه - طرأسد العتبة ٣: ١١٠ والسيرة الحلبية ٢: ٢٣٠.

(٢) الرجس: كل ما استقدر من العمل.

(٣) التثريب: اللوم.

(٤) الإجلاب: بالتحريك: اختلاط الأصوات، وفعله كضرب وصر، وقد أجلبوا وجلبوا.

لسان رسول الله في عِدَّة مواطن وعدة مواضع ، لِسَائِق علم الله فيهم ، وماضي حُكْمه في أمرهم وكفرهم وتفاقهم ، فلم يَزَلْ - لعنه الله - يُحَارِب مجاهداً ، ويدافع مُكايِداً ، ويَجِدُّ مُتَابِداً ، حتى قهره السيفُ ، وعلا أمرُ الله وهم كارهون ، فتقولُ ^(١) بالإسلام غيرَ مُنطَوٍ عليه ، وأسرَّ الكفرَ غيرَ مُقْلِع عنه ، فعرفه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، وقبله وقيلَ ولده على عِلْمٍ منه بحاله وحالهم ، وميزله المؤلِّفة قلوبهم ^(٢) .

فما لعنهم الله به على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأنزل به كتاباً قوله « وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ، وَنُحُوقُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا » ولا اختلاف بين أحدٍ أنه تبارك وتعالى أراد بها بني أمية ^(٣) ، ومما ورد من

(١) وفي شرح ابن أبي الحديد « فتعوذ » .

(٢) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتصر على هوازن ونميف وجوعهم بحنين سنة ٨ هـ (وحنين بصيغة التصغير : واد بين مكة والطائف) غنم منهم سبياً وغانم كثيرة ، فأعطى المؤلفة قلوبهم (وهم من أسلم من أهل مكة) وكانوا أشرفاً من أشرف الناس ، يتألفهم وتألف بهم قومهم ، فكان أولهم أبو سفيان بن حرب ، أعطاه أربعين أوقية من الفضة ومائة من الإبل ، قال : وأبى يزيد ، فأعطاه كذلك ، قال : وأبى معاوية ، فأعطاه كذلك ، فأخذ أبو سفيان ثلثمائة من الإبل ومائة وعشرين أوقية من الفضة ، وقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لأنك كريم في الحرب وفي السلم - انظر السيرة الحلبية ٣ : ١٣٧ ، وتاريخ الطبري ٣ : ١٣٦ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٠ - وميزله : أي لأجله : وميز الشيء : فصل بعضه من بعض ، والمعنى أنه أفرد المؤلفة قلوبهم بفضل من العطاء امتازوا به على من سواهم .

(٣) لا . بل قد اختلفوا في هذه الشجرة ، فالأكثر قالوا : إنها شجرة الرقوم المذكورة في القرآن في قوله . « إِنَّ شَجَرَةَ الرُّقُومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ » وقوله : « أَذَلِكَ خَيْرٌ مُّزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الرُّقُومِ ، إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ، إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ، طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ، فَإِنَّهُمْ لَا كِلُونَ مِنْهَا فَمَالِثُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ » والمراد بلعنها لعن طاعمها على الاسناد المجازي ، وكان أبو جهل لما سمع بذكرها قال : يزعم محمد أن نار جهنم تحرق الحجارة حيث قال « وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ » ثم يقول بأن في النار شجراً ، والنار

ذلك في السنة ، ورواه ثقات الأمة ، قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ،
وقد رآه مقبلاً على حمار ، ومعاوية يقوده ، ويزيد ابنه يسوق به : لعن الله
الراكب والقائد والسائق^(١) . ومنه ما روته الرواة عنه من قوله يوم يئنة
عثمان : « يا بني عبد مناف تلقفوها تلقف الكربة ، فها هناك جنة ولا نار »
وهذا كفر صراح يلحقه به اللعنة من الله ، كما لحقت الذين كفروا من
بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا
يعتدون . ومنه ما يروون من وقوفه على ثنية أحد بعد ذهاب بصره^(٢)
وقوله لقائده : ها هنا رمينا^(٣) محمدا وقتلنا أصحابه . (ومنه الكلمة التي قالها
للعباس قبل الفتح ، وقد عرضت عليه الجنود : لقد أصبح ملك ابن أخيك

أكل الشجر ، فكيف يولد فيها ١ . وقال ابن عباس : الشجرة بنو أمية ، يعنى الحكم بن أبي العاص
قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام أن ولد الحكم يتداولون منبره (وسيد ذكر هذه
الرؤيا في تلك الرسالة بعد) فقص رؤياه على أبي بكر وعمر وقد خلا في بيته . فها هما ، فلما تفرقا سمع
رسول الله الحكم يحبر برؤيا رسول الله ، فاشتر ذلك عليه ، واتهم عمر بافتاء سره ، ثم ظهر أن
الحكم كان يتسمع لآيهم ، فنفاه رسول الله وأخيه ، قال الواحدى : هذه القصة كانت بالمدينة ،
والسورة مكية ، فيبعد هذا التفسير ، إلا أن يقال : هذه الآية مدنية ، ولم يعل به أحد ، ومما
يؤكد هذا التأويل قول عائشة رضى الله عنها لمروان بن الحكم : أما أنت ي مروان فأشهد أن
رسول الله لعن أباك وأمت في صلبه ، فانت فضض من لعنة الله (وقصص كجبل : أى قطعة)
وروى عن عائشة أيضا أنها قالت لمروان بن الحكم : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأبيك
وحسدك : إنكم الشجرة الملعونة في القرآن - انظر تفسير الفخر الرازى ، مفاتيح الغيب ٥ : ٦٠٩
وروح المعاني للألوسى ٤ : ٥٤٠ وغيرهما من الناسير .

(١) وحاء في مخاصمة بين الحسن بن علي رضى الله عنه وبين معاوية أو الحسن ول له : « وأنشدك
الله يا معاوية ، أنذكر يوما جاء أبوك على جل أحر ، وأنت نسوقه ، وأخوك عتبة هذا يقوده ،
فرآكم رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « اللهم لعن الراكب والقائد والسائق » - انظر شرح
ابن أبي الحديد ٢ : ص ١٠١ .

(٢) الثنية : الطريق في الجبل ، وكان أبو سفيان قد دقت عينه يوم الطائف ، وقفت عينه
الأخرى يوم اليرموك - وقد شهد اليرموك ، وكان هو القاص في جيش المسلمين يحرضهم ويحثهم على
القتال - ولما عمى كان يقوده مولى له - انظر أسد الغابة ٣ : ١٢ وصبح الأعشى ١ : ٤٤٨ .

(٣) وفي تاريخ الطبرى « ذبينا محمدا » .

عظيماً ! فقال له العباس : وَيَحْكُ الْإِنِّه لَيْسَ بِمَلِكٍ ، إِنِّه النَّبِوءَةُ . وَمِنْهُ قَوْلُهُ يَوْمَ الْفَتْحِ ، وَقَدْ رَأَى بِلَالاً عَلَى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ يُؤْذَنُ وَيَقُولُ : أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، لَقَدْ أَسْعَدَ اللَّهُ عُتْبَةَ^(١) بْنَ رَبِيعَةَ إِذْ لَمْ يَشْهَدْ هَذَا الْمَشْهَدَ^(٢) ، وَمِنْهُ الرُّوْيَا الَّتِي رَأَاهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَجَّهَ^(٣) لَهَا ، فَمَا رُئِيَ ضَاحِكاً بَعْدَهَا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : « وَمَا جَعَلْنَا الرُّوْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ » فَذَكَرُوا أَنَّهُ رَأَى نَفَرًا مِنْ بَنِي أُمِيَّةٍ يَنْزُونَ^(٤) عَلَى مَنْبَرِهِ . وَمِنْهُ طَرْدُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَكَمَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ لِمَا كَانَتْ إِيَّاهُ فِي مِشْيَتِهِ ، وَأَلْحَقَهُ اللَّهُ - بِدَعْوَةِ رَسُولِهِ - آفَةً بَاقِيَةً ، حِينَ التَفَتَ إِلَيْهِ فَرَأَاهُ يَتَخَلَّجُ يَحْكِيهِ ، فَقَالَ لَهُ : كُنْ كَمَا أَنْتَ ، فَبَقِيَ عَلَى ذَلِكَ سَائِرَ عَمْرِهِ^(٥) ، هَذَا إِلَى مَا كَانَ مِنْ مَرْوَانَ ابْنِهِ فِي افْتِتَاحِهِ أَوَّلَ فِتْنَةٍ كَانَتْ فِي الْإِسْلَامِ^(٦) ، وَاحْتِقَابِهِ^(٧) لِكُلِّ دَمٍ حَرَامٍ سُفِكَ فِيهَا ،

(١) هُوَ أَبُو سَفْيَانَ ، وَجَدَ مَعَاوِيَةَ لَأَمَهُ هِنْدَ .

(٢) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ وَارِدٌ فِي رَوَايَةِ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ ، سَاقِطٌ مِنْ طَبْعَةِ الطَّبْرِى الَّتِي بَأَيْدِنَا .

(٣) وَجَّهَ كَوَعْدَ : سَكَتَ عَلَى غِيْظٍ .

(٤) نَزَا يَنْزُو : وَثَبَ ، جَاءَ فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ : رَوَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى قَوْمًا مِنْ بَنِي

أُمِيَّةٍ يَرْقُونَ مَنْبَرَهُ وَيَنْزُونَ عَلَيْهِ نَزْوُ الْقِرْدَةِ ، فَقَالَ : هَذَا حَظُّهُمْ مِنَ الدُّنْيَا يَعْطُونَهُ بِإِسْلَامِهِمْ .

(٥) كَانَ الْحَكَمُ يَعْكِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مِشْيَتِهِ وَبَعْضَ حَرَكَاتِهِ ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَكَفَّأُ فِي مِشْيَتِهِ) فَالْتَفَتَ يَوْمًا فَرَأَاهُ وَهُوَ يَتَخَلَّجُ فِي مِشْيَتِهِ (أَيْ يَضْطَرِبُ) فَقَالَ : كُنْ كَذَلِكَ ،

فَلَمْ يَزَلْ يَرْتَعْشُ فِي مِشْيَتِهِ مِنْ يَوْمٍئِذٍ ، وَطَرَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ وَلَعَنَهُ وَأَخْرَجَهُ إِلَى الطَّائِفِ وَقَالَ لَهُ :

لَا تَسَاكُنْنِي فِي بِلَدٍ أَبَدًا ، وَصَارَ مَشْهُورًا بِأَنَّهُ طَرَدَ رَسُولَ اللَّهِ ، وَلَمْ يَزَلْ مَنِيًّا حَيَاةَ النَّبِيِّ ، فَلَمَّا وَلِيَ أَبُو

بَكْرٍ الْخِلَافَةَ قِيلَ لَهُ فِي الْحَكْمِ لِيُردَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَقَالَ : مَا كُنْتُ لِأَحِلَّ عَقْدَةَ رَسُولِ اللَّهِ ، وَكَذَلِكَ

عَمِرَ ، فَلَمَّا وَلِيَ عُثْمَانُ الْخِلَافَةَ - وَالْحَكْمَ عَمَهُ - رَدَّهُ وَقَالَ : كُنْتُ قَدْ شَفَعْتُ فِيهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَوَعَدَنِي

بِرَدِّهِ - انْظُرْ أَسَدَ الْغَابَةِ ٢ : ٣٤ .

(٦) هِيَ الْفِتْنَةُ الَّتِي نَجَحَتْ فِي أَوَاخِرِ خِلَافَةِ عُثْمَانَ ، وَأَفْضَتْ إِلَى قَتْلِهِ ، ثُمَّ إِلَى الشَّقَاقِ عَصَا الْمُسْلِمِينَ ،

وَكَانَ مَرْوَانَ غَالِبًا عَلَى أَمْرِ عُثْمَانَ ، وَقَدْ طَلَبَ الثَّوَارَ إِلَيْهِ أَنْ يَسْلَمَ إِلَيْهِمْ مَرْوَانَ ، إِذْ أَتَاهُوهُ بِأَنَّهُ اقْتُلَ ،

عَلَيْهِ كِتَابًا إِلَى عَامِلِ مِصْرَ ، وَبَعَثَهُ مَعَ غُلَامِ عُثْمَانَ ، يَأْمُرُهُ بِهِ بِقَتْلِ الْمَصْرِيِّينَ مِنْهُمْ ، فَأَبَى عُثْمَانُ أَنْ يَسْلَمَهُ

وَالْقِصَّةُ مَشْهُورَةٌ .

(٧) احْتَقَبَ الرَّكَّابُ الْحَقِيْبَةَ : شَدَّهَا مِنْ خَلْفٍ ، ثُمَّ تَوَسَّعُوا فِي اللفظِ حَتَّى قَالُوا : احْتَقَبَ فُلَانٌ

الْإِثْمَ : إِذَا اكْتَسَبَهُ ، كَأَنَّهُ شَيْءٌ مَحْسُوسٌ جَمَعَهُ وَاحْتَقَبَهُ مِنْ خَلْفِهِ .

أو أريق بعدها ، ومنه ما أنزل الله على نبيه في سورة القدر « لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ » قالوا : مُلِكَ بِنَى أُمِيَّة ^(١) ، ومنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا بماوية ليكتب بين يديه ، فدافع بأمره واعتل بطعامه ، فقال النبي : « لَا أَشْبِعُ اللَّهَ بَطْنَهُ » ^(٢) ، فبقي لا يشبع ، وهو يقول : وَاللَّهِ مَا أَتْرَكُ الطَّعَامَ شَبَعًا ، وَلَكِنْ إِعْيَاءً ^(٣) ، ومنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يَطْلُعُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ » ^(٤) رجل من أمتي يُحْشَرُ عَلَى غَيْرِ مِلَّتِي « فطَلَعَ مَعَاوِيَةَ » ^(٥) ، ومنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا رَأَيْتُمْ مَعَاوِيَةَ عَلَى مِنْبَرٍ فَاقْتُلُوهُ » ومنه الحديث المرفوع المشهور أنه قال : « إِنْ مَعَاوِيَةَ فِي تَابُوتٍ مِنْ نَارٍ فِي أَسْفَلِ دَرَكٍ مِنْ جَهَنَّمَ يَنَادِي : يَا حَنَّانُ يَا مَنَّانُ ، فَيَقَالُ لَهُ : « آلَانَ

(١) مما ذكره المفسرون في تفسيرها ، ما جاء في تفسير الفخر الرازي (٨ : ٦٣٠) قال : « روى القاسم بن فضل عن عيسى بن مازن قال : قلت للحسن بن علي عليه السلام : يا مسود وجوه للمؤمنين ، عمدت إلى هذا الرجل فبايعت له ا - يعني معاوية - فقال : إن رسول الله رأى في منامه بي أمية يطشون منبره واحداً بعد واحد ، وفي رواية : يتزنون على منبره ترو الفرقة ، فشق ذلك عليه ، فأنزل الله تعالى : « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ » ، إلى قوله خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ » يعني ملك بي أمية . قال القاسم « لحبنا ملك بي أمية فإذا هو ألف شهر » اهـ ، وذكر ذلك أيضاً الألويسي في روح المعاني (٩ : ص ٤٢٢) وأرى أن الخبر موضوع ، وأن ذلك التأويل لا ينهض عليه دليل ، على أن ملك بي أمية ليس « ألف شهر لا يزيد يوم ولا ينقص يوم » كما يقول القاسم بن فضل ، فقد قامت الدولة الأموية سنة ٤١ هـ وسقطت سنة ١٣٢ هـ ، فولايتهما أكثر من ألف شهر .

(٢) روى ابن الأثير في أسد الغابة (ج ٤ : ص ٣٨٦) قال : « عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كنت ألعب مع الصبيان ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتواريت خلف باب ، قال : فجاء فخطاني حطاة (والخطو : تحريك الشيء مزعزعا) وقال : اذهب قاذع لي معاوية ، فجئت فقلت : هو يأكل ، ثم قال : اذهب قاذع لي معاوية ، فجئت فقلت : هو يأكل ، فقال : لَا أَشْبِعُ اللَّهَ بَطْنَهُ ، أخرج مسلم هذا الحديث بعينه لمعاوية .

(٣) أعيا إعياء : كل .

(٤) الفج : الطريق الواسع بين جبلين .

(٥) أرى أن هذا الحديث والحديثين بعده موضوع .

وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَمِنْ أَنْبَاءِ الْبَشَرِ الْأَمْثَلِ
 الْمُسْلِمِينَ فِي الْإِسْلَامِ مَكَانًا ، وَأَقْدَمِهِمْ إِلَيْهِ سَبَقًا ، وَأَحْسَنِهِمْ فِيهِ أَثَرًا وَذِكْرًا :
 عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، يُنَازِعُهُ حَقَّهُ بِإِطْلَاقِهِ ، وَيُجَاهِدُ أَنْصَارَهُ بِضُلَالِهِ وَغُوَاتِهِ ،
 وَيُحَاوِلُ مَا لَمْ يَزَلْ هُوَ وَأَبُوهُ يُحَاوِلَانِهِ مِنْ إطفاء نور الله وجحود دينه « وَيَأْتِي
 اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ » وَيَسْتَهْوِي أَهْلَ الْغِبَاوَةِ ، وَيُؤْمَرُ
 عَلَى أَهْلِ الْجَهَالَةِ ، بِمَكْرِهِ وَبَغْيِهِ الَّذِينَ قَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 الْخَبَرَ عَنْهُمَا ، فَقَالَ لِعِمَّارٍ^(١) بْنُ يَاسِرٍ : « تَقْتُلُكَ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ ، تَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ
 وَيَدْعُونَكَ إِلَى النَّارِ^(٢) » مُؤَثِّرًا لِلْعَاجِلَةِ ، كَافِرًا بِالْآجِلَةِ ، خَارِجًا مِنْ رِبْقَةِ

(١) هو عمار بن ياسر رضي الله عنه ، أحد السابقين الأولين ، وقد عذبه المصركون في بدء الدعوة
 الإسلامية فاحتل العذاب ، وكان يعذب هو وأخوه وأبوه وأمه بالنار ، فربهم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فقال : « صبرا آل ياسر فوعدكم الجنة ، اللهم اغفر لآل ياسر » .

(٢) روت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : لما بي رسول الله مسعده بالمدينة أمر
 بالبن أن يضرب وما يحتاج إليه ، ثم قام فوضع رداءه ، فلما رأى ذلك المهاجرون والأنصار وضعوا
 أردبتهم وأكسبتهم يرتجزون ويقولون ويسلون :

لئن قعدنا والنبي يعمل ذاك لاذن لعمل مضلل

قالت : وكان عثمان بن عفان رجلا نظيفا منتظما ، فكان يعمل اللبنة ويحافى بها عن ثوبه فإذا وضعها
 نقض كفيه ، ونظر إلى ثوبه ، فإذا أصابه شيء من التراب نقضه ، فنظر إليه على رضي الله عنه فأنشد :

لا يستوي من يعمر الساجدا يدأب فيها راكعا وساجدا

وقائما طورا وطورا قاعدا ومن يرى عن التراب حائدا

فسمعها عمار بن ياسر ، فجعل يرتجزها وهو لا يدري من يعنى ، فسمعه عثمان فقال : يا ابن صمية
 (وصمية أمية) ما أعرفني عن تعرض ومعه جريدة ، فقال : لتكنن أو لأعرضن بها وجهك ، فسمعه
 النبي وهو جالس في ظل حائط فقال : « عمار جلدة ما بين عيني وأنتي ، فمن بلغ ذلك منه فقد بلغ مني »
 وأشار بيده فوضعها بين عينيه ، فكف الناس عن ذلك وقالوا لعمار : إن رسول الله قد غضب فيك ،
 ونخاف أن ينزل فبنا قرآن ، فقال : أنا أرضيه كما غضب ، فأقبل عليه فقال : يا رسول الله مالي
 ولأصحابك ؟ قال : مالك ولهم ؟ قال : يريدون قتلى ، يحملون لبنة ويحملون على لبنتين ، فأخذ به
 وطاف به في المسجد ، وجعل يمسح وجهه من التراب ويقول : « يا ابن صمية ، لا يقتلك أصحابي » ،
 ولكن تقتلك الفئة الباغية » فلما قتل بصفين - وكان من أصحاب علي - وروى هذا الحديث عبد الله
 ابن عمرو بن العاص ، قال معاوية : ثم قتلوه ، لأنهم أخرجوه إلى القتل ، فلما بلغ ذلك عليا قال :
 ونحن قتلنا أيضا حمزة لأننا أخرجناه ! - انظر العقد الفريد ٢ : ٢٣٧ .

الإسلام ، مستحيلاً للدم الحرام ، حتى سُفِكَ في فتنته ، وعلى سبيل غَوَايَتِهِ وضلالته ، مالا يُحْصَى عَسَدُهُ من خيار المسلمين الذَّائِبِينَ عن دين الله ، والناصرين لحقه ، مجاهداً في عداوة الله ، مجتهداً في أن يُعْصَى الله فلا يُطَاع ، وتَبْطُلُ أحكامه فلا تُقام ، ويخالف دينه فلا يُدَان^(١) ، وأن تملو كلمة الضلالة ، وترتفع دعوة الباطل « وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا » ودينه المنصور ، وحُكْمُهُ النافذ ، وأمرُهُ الغالب ، وكَيْدُهُ من عاداه وحادّه^(٢) المغلوبُ الداحِضُ ، حتى احتمل أوزار تلك الحروب وما تبعها . وتطوّق تلك الدماء وما سُفِكَ بعدها ، وسَنَّ سُنَنَ الفساد التي عليه إثمها وإثم من عمل بها إلى يوم القيامة ، وأباح المحارم لمن ارتكبها ، ومنع الحقوق أهلها ، واغترّهُ الإِمْلا^(٣) ، واستدرجَه الإِمْهالُ ، والله له بالمرصاد .

ثم مما أوجب الله له به اللعنة ، قَتْلُهُ مَنْ قَتَلَ صَبْرًا^(٤) من خيار الصحابة والتابعين ، وأهل الفضل والدين ، مثل عمرو بن الحمق الخزاعي ، وحُجْر بن عَدِيّ الْكِنْدِيّ^(٥) فيمن قتل من أمثالهم ، في أن تكون له العزة والمُلك والغلبة ، والله العزة والمُلك والقدرة ، والله عز وجل يقول « وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا » ومما استحق به اللعنة من الله ورسوله ادّعاؤه زياد بن سُمَيَّةَ

(١) أى فلا يدان به .

(٢) حاده : عاضبه وعاداه وخالفه ، داحض : أى باطل .

(٣) إملى له الله : أملاه ، وفي ابن أبي الحديد « وغرته الآمال » .

(٤) صبر الإنسان على القتل : أن يجلس ويرمى حتى يموت .

(٥) انظر خبرها فيما قدمنا في الجزء الثاني (ص ٤٦ و ص ٦٣)

أخاه ، ونسبته إياه إلى أبيه جُرأةً على الله ، والله يقول « اذْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ ، هُوَ أَقْسَطُ »^(١) عِنْدَ اللَّهِ « ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقول « ملعونٌ مَنْ ادَّعى إلى غير أبيه ، أو اتنى إلى غير مَواليه » ويقول : « الولد للفراش وللعاهر الحجر »^(٢) » تخالفتُ حكمَ الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم جهارا ، وجعلَ الولدَ لغير الفراش ، والحجرَ لغير العاهر^(٣) ، فأحلَّ بهذه الدعوة من محارم الله ومحارم رسوله في أم حبيبة^(٤) زوجة النبي صلى الله عليه وسلم وفي غيرها من سُفُور وجوه ما قد حرَّمه الله ، وأثبتَ بها قُرْبَى قد باعدها الله ، وأباح بها ما قد حَظَره الله ، مما لم يدخل على الإسلام خَلالَ مثله ، ولم يَنل الدينَ تبديلَ شَيْءٍ به ، ومنه إثارُهُ لخِلافة الله على عباده أبْنَه يزيدَ السُّكَيْرِ الخُمَيْرِ ، صاحب الديوك والفهود والقروء ، وأخذَه البيعةَ له على خيار المسلمين بالقهر والسطوة والتوغُّد والإخافة والتهدُّد والرَّهبة ، وهو يعلم سَفَهَهُ ، ويطلع على خُبْنِهِ ورَهَقِهِ^(٥) ، ويعاين سَكْرانَهُ^(٦) وجُورَهُ وكفرَهُ ، فلما تمكَّن - قاتله الله - فيما مَكَّنَه منه ، ووطَّأه له ، وعصى الله ورسوله فيه ، طلبَ بشارات المشركين وطوائِلِهِمْ^(٧) عند المسلمين ، فأوقع بأهل المدينة في وَقْعَةِ الحَرَّةِ^(٨)

(١) أى أعدل .

(٢) انظر ص ٣٧ من الجزء الثانى .

(٣) وفى الطبرى « والعاهر لا يصره غيره » .

(٤) هى بنت أبى سفيان ، وسعرت المرأة كصرت سعورا : كشفت عن وجهها .

(٥) الرهق : السعة والحق والخفة وركوب السر والطم وعشيان المحارم .

(٦) أى سكره .

(٧) الطوائل : جمع طائلة ، وهى الثأر .

(٨) انظر الجزء الثانى ص ٩٧ .

الوقعة التي لم يكن في الاسلام أشنع منها ، ولا أفش مما ارتكب من
الصالحين فيها ، وشقى بذلك عبداً^(١) نفسه وغليته ، وظن أنه قد انتقم من
أولياء الله ، وبلغ النوى^(٢) لأعداء الله ، فقال مجاهراً بكفره ، ومُظهراً لشركه :

ليت أشياخي يذُرْ شَهِدُوا جَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقَعِ الْأَسَلِ
قد قتلنا القَرَمَ من ساداتهم وعدلنا مِثْلَ بدرٍ فاعتدل^(٣)
لَأَهْلُوا واستهلوا فَرَحاً ثم قالوا يا يزيدُ لا تشل^(٤)
لستُ من خِنْدِفَ إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل^(٥)
لَقِنتُ هاشِمَ الْمَلِكِ ، فلا خَيْرَ جاء ولا وحى تَزَلُ^(٦)

هذا هو المروق من الدين ، وقول من لا يرجع إلى الله ، ولا إلى دينه ،
ولا إلى كتابه ، ولا إلى رسوله ، ولا يؤمن بالله ولا بما جاء من عند الله ،
ثم من أغلظ ما انتهك ، وأعظم ما اجترم ، سَفَكُهُ دَمَ الحسين بن علي ،
وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع مَوَاقِعِهِ من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومكانه منه ، ومنزلته من الدين والفضل ، وشهادة
رسول الله صلى الله عليه وسلم له ولأخيه بسيادة شباب أهل الجنة ، اجترأ

(١) العد : العصب .

(٢) النوى . الحاجة والوحه الذي تنويه ويقصده ، وفي ابن أبي الحديد « وبلغ الثأر » .

(٣) القرم : السيد .

(٤) هذا البيت والبيتان منه من قول يزيد .

(٥) خندف : هي أم مدركة وطائفة وقعة (كرفة) أبناء إلياس بن مصر بن رارس معد

ابن عدنان .

(٦) ثم كمرح : حطط للمحلة ، وفي الأصل « تاريخ الطبری » « ولعت هاشم بالملك » وهو تحريف

وقد أصلحته كما ترى ، وربما كان « ولعت هاشم بالملك » « بدون صرف » .

على الله ، وكفرا بدينه ، وعداوة لرسوله ، ومجاهدة لعترته ، واستهانة بحُرْمته ، فكأنما يقتلُ منه ومن أهل بيته قوماً من كفار أهل الترك والديلم ، لا يخاف من الله نِقْمَةً ، ولا يَرْقُبُ منه سَطْوَةً ، فَبَرَّ^(١) الله عمره ، واجتث أصله وفرعه ، وسلَّبه ما تحت يده^(٢) ، وأعدَّ له من عذابه وعقوبته ما استحقه من الله بمعصيته .

هذا إلى ما كان من بنى مروان ، من تبديل كتاب الله وتعطيل أحكامه ، واتخاذ مال الله دُولاً^(٣) بينهم ، وهدم بيته ، واستحلال حرامه ، ونصيبهم المجانيق عليه ، ورَمَيْهم إياه بالنيران ، لا يَأْلُون^(٤) له إحراقاً وإخراباً ، ولما حرَّم الله منه استباحة وانهاكا ، ولَمَن لجأ إليه قتلاً وتنكيلاً ، ولَمَن أَمَنه الله به إخافة وتشريداً ، حتى إذا حَقَّتْ عليهم كلمة العذاب ، واستحقوا من الله الانتقام ، وملئوا الأرض بالجور والعُدوان ، وسمَّوا عبادَ الله بالظلم والافتسار^(٥) ، وحلَّتْ عليهم السَّخَطَةُ ، ونزلَتْ بهم من الله السَّطْوَةُ ، أتاح الله لهم من من عِترَةِ نبيه وأهل ورائته مَنْ استخلصهم منهم لخلافته ، مثل ما أتاح الله من أسلافهم المؤمنين ، وآبائهم المجاهدين لأوائهم الكافرين ، فسَفَكَ الله بهم دماءَهم مرتدِّين ، كما سفك بآبائهم دماءَ آباء الكفرة المشركين ، وقطَعَ الله دابرَ القوم الظالمين ، والحمد لله رب العالمين ، ومكَّن الله المستضعفين ،

(١) نره : قطعه ، والمعنى أماته حدثاً في شرح شهاب ، فقد مات وهو ابن بضع وثلاثين سنة ، وفي ابن أبي الحديد « فبر » والتقدير : الكسر والإهلاك ، واحتشه : قطعه .

(٢) فقد انتقلت الخلافة بعده إلى ابنه معاوية الثاني الذي لم يلبث في الخلافة إلا أربعين يوماً ثم مات وانتقلت الخلافة إلى البيت الرواني .

(٣) جمع : دولة بالضم ، أى متداولاً بينهم دون سائر المسلمين .

(٤) لا يألون : أى لا يقصرون .

(٥) الافتسار : القهر .

وَرَدَّ اللَّهُ الْحَقَّ إِلَى أَهْلِهِ الْمُسْتَحِقِّينَ ، كَمَا قَالَ جَلَّ شَأْنُهُ : « وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ » .

واعلموا أيها الناس أن الله عز وجل إنما أمرَ لِيُطَاعَ ، ومثلَ لِيَتَمَثَّلَ ، وَحَكَمَ لِيُقْبَلَ ، وَأَلْزَمَ الْأَخْذَ بِسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُتَّبَعَ ، وَأَنْ كَثِيرًا مِمَّنْ ضَلَّ فَالْتَوَى وَانْتَقَلَ مِنْ أَهْلِ الْجَهَالَةِ وَالسَّفَاهَةِ ، مِمَّنْ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عز وجل : « قَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ » وقال : « إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا » وقال : « أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ » فَانْتَهَوْا مَعَاشِرَ النَّاسِ عَمَّا يُسْخِطُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ، وَرَاجِعُوا مَا يُرْضِيهِ عَنْكُمْ ، وَارْضُوا مِنَ اللَّهِ بِمَا اخْتَارَ لَكُمْ ، وَالْزَمُوا مَا أَمَرَكُمْ بِهِ ، وَجَانِبُوا مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ ، وَاتَّبِعُوا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، وَالْحُجَّةَ الْيَدْنَةَ ، وَالسَّبِيلَ الْوَاضِحَةَ ، وَأَهْلَ بَيْتِ الرَّحْمَةِ الَّذِينَ هَدَاكُمْ اللَّهُ بِهِمْ بِدِينًا (١) ، وَاسْتَنْقَذَكُمْ بِهِمْ مِنَ الْجَوْرِ وَالْعُدْوَانِ أَخِيرًا ، وَأَصَارَكُمْ إِلَى الْخَفْضِ وَالْأَمْنِ وَالْعِزِّ بِدَوْلَتِهِمْ ، وَشَمَلِكُمُ الصَّلَاحُ فِي أَدْيَانِكُمْ وَمَعَاشِكُمْ فِي أَيَّامِهِمْ . وَالْعَنُوا مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَفَارِقُوا مَنْ لَا تَنَالُونَ الْقُرْبَةَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بِمَفَارِقَتِهِ ، اللَّهُمَّ الْعَنِ أَبَا سَفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ وَمَعَاوِيَةَ أَبْنَهُ وَيَزِيدَ بْنَ مَعَاوِيَةَ وَمَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ وَوَلَدَهُ وَوَلَدَ وَلَدِهِ ، اللَّهُمَّ الْعَنِ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ، وَقَادَةَ الضَّلَالَةِ ، وَأَعْدَاءَ الدِّينِ ، وَمَجَاهِدِي الرِّسُولِ ، وَمَغْيَرِي الْأَحْكَامِ ، وَمُبَدِّلِي الْكِتَابِ ، وَسَفَّاكِي الدِّمِ الْحَرَامِ ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَتَبَرَأُ إِلَيْكَ مِنْ مَوَالَاةِ أَعْدَائِكَ ، وَمِنْ الْإِغْمَاضِ لِأَهْلِ مَعْصِيَتِكَ كَمَا قُلْتَ « لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ »

يأيها الناس ، اعرفوا الحق تعرفوا أهله ، وتأملوا سبل الضلالة تعرفوا سبلها ، فإنه إنما يبين عن الناس أعمالهم ، ويلحقهم بالضلال والصلاح آباؤهم ، فلا يأخذكم في الله لومة لائم . ولا يميلن بكم عن دين الله استهواء من يستهويكم ، وكيد من يكيدكم ، وطاعة من تخرجكم طاعته إلى معصية ربكم . أيها الناس ، بنا هذاكم الله ، ونحن المستحفظون فيكم أمر الله ، ونحن ورثة رسول الله ، والقائمون بدين الله ، فقفوا عند ما تفقكم عليه ، وأتقوا لما تأمركم به ، فإنكم ما أطعتم خلفاء الله وأئمة الهدى ، على سبيل الإيمان والتقوى ، وأمير المؤمنين يستعصم الله لكم ، ويسأله توفيقكم ، ويرغب إلى الله في هدايتكم لرشدكم ، وفي حفظ دينكم عليكم ، حتى تلقوه مستحقين طاعته ، مستحقين^(١) لرحمته ، والله حسب أمير المؤمنين فيكم ، وعليه توكله ، وبالله على ما قلده من أموركم استعانتة ، ولا حول لأمر المؤمنين ولا قوة إلا بالله ، والسلام عليكم .

وكتب أبو القاسم عبيد الله بن سليمان في سنة ٢٨٤^(٢).

(تاريخ الطبرى ١١ : ٣٥٥ ، وشرح ابن أبي الحديد ٣ : ص ٤٤٢)

(١) أى حاملين .

(١) قال الطبرى : « تخوفه عبيد الله بن سليمان بن وهب اضطراب العامة ، وأنه لا يأمن أن تكون فتنة ، فلم يلتفت إلى ذلك من قوله . وقال : « وذكر أن عبيد الله بن سليمان أحضر يوسف ابن يعقوب القاضى وأمره أن يعمل الحيلة في إبطال ما عزم عليه المعتضد ، فضى يوسف بن يعقوب فكلم المعتضد في ذلك ، وقال له : يا أمير المؤمنين إني أخاف أن تضطرب العامة ، ويكون منها عند مماها هذا الكتاب حركة ، فقال : إن تحركت العامة أو نطقت وضعت سيفي فيها . فقال : يا أمير المؤمنين ، فما تصنع بالطالبيين الذين هم في كل ناحية يخرجون ويبيعون إليهم كثير من الناس لهربتهم من الرسول وما أسرهم ، وفي هذا الكتاب إطراؤهم ، وإذا سمع الناس هذا كانوا إليهم أميل ، وكانوا هم أبسط السنة وأثبت حجة منهم اليوم ، فأمسك المعتضد فلم يرد عليه حواجا ، ولم يأمر في الكتاب بعده شيء . »

٢٥٨ - كتاب أم الشريف إلى ابن أخيها محمد

ابن أحمد بن عيسى

وفي سنة ٢٨٦ هـ أناخ المعتضد بجنده على « آمِد^(١) » ، وقد تحصَّن بها محمد بن أحمد بن عيسى ، فبثَّ المعتضدُ جيوشه حولها وحاصرها ، ووجه شُعلة ابن شهاب اليشكري إليه ، ليأخذ بالحجة عليه ، فسار إليه ، واتصل الخبر بأم الشريف عمه محمد بن أحمد ، فتحدثت إليه في أمر ابن أخيها ، ثم كتبت معه إليه كتاباً لطيفاً حسناً ، أجزلت فيه الموعظة ، وأخلصت فيه النصيحة . وكتبت في آخره هذه الأبيات :

إِقْبِلْ نصيحةَ أمِّ قلبها وَجِعٌ	عليك خوفاً وإشفاقاً وَقَلْ سَدَدًا ^(٢)
وَاسْتَعْمِلِ الفِكرَ في قولي ، فإنك إن	فَكَّرْتَ أَلْفَيْتَ في قولي لك الرِّشْدَا
وَلَا تَثِقْ بِرجالٍ في قلوبِهِمْ	ضغائنٌ تَبَعْتُ الشَّنَّانَ وَالْحَسَدَا ^(٣)
مِثْلَ النَّعَاجِ تُخْمَلُ في بيوتِهِمْ	حَتَّى إِذَا أَمِنُوا أَلْفَيْتَهُمْ أُسْدَا
وَدَاوِ ذَلكَ والأدواءَ بِمِكنَةٍ	وَإِذْ طيِّبُكَ قد أَلْقَى إِلَيْكَ يدا
أَعْطِ الخليفةَ ما يُرضيه منك ، وَلَا	تَمْنَعْهُ مالاً وَلَا أَهْلاً وَلَا ولدا
وَارْدُدْ أَخَا يَشْكُرٍ رَدًّا يَكُونُ لَهُ	رِدْءًا من السُّوءِ ، لَا تُشْمِتْ بِهِ أَحدا
فَأَخَذَ شُعلة الكتاب وسار به إلى محمد بن أحمد ، فلما نظر فيه رمى به إليه ،	

(١) آمِد : مدينة من مدن ديار بكر .

(٢) السد والسداد : الاستقامة .

(٣) الشَّنَّان يسكون النون وفتحها : الغضب .

ثم قال : يا أخا يشكر ، ما بآراء النساء تُسامى الدولُ ، ولا بعقولهن يسامى الملك ، ارجع إلى صاحبك ، فرجع إلى المعتضد وأخبره الخبر وأراه كتاب أم الشريف فأعجبه شعرها وعقلها . (مروج الذهب ٢ : ٤٦٨)

٢٥٩ - كتاب أم الشريف إلى المعتضد

فلما عضتُ الحربُ وجهه إلى المعتضد يطلب الأمان فأجابه إليه ، ثم وجه المعتضد شُعلة بن شهاب في طلب أم الشريف ، فلما رآته بكت وضربت يديها على الأخرى وقالت : يا شهاب ، كَأَنى والله كنت أرى ما أرى ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ! فقال لها : إن أمير المؤمنين قد وجهنى إليك ، وما ذاك إلا لحسن رأى منه فيك ، فقالت له : فهل لك أن توصل إليه كتابى هذا بما قلت فيه ؟ قال : نعم ، فكتبت إليه بهذه الأبيات :

قل للخليفة والإمام المرتضى	رأس الخلائق من قریش الأبطح
بك أصلح الله البلاد وأهلها	بعد الفساد وظالما لم تصلح ^(١)
وترحزحت بك قبة العز التي	لولاك بعد الله لم تتزخزح
وأراك ربك ما تحب ، فلا ترى	مالاً تحب ، فجذ بعفوك واصفح
يا بهجة الدنيا وبدّر ملوكها	هب ظالمى ومفسدى لمصلح

فسار بالكتاب إلى المعتضد فأعجبه الأبيات ، وأمر أن يحمل إليها ثُخوت^(٢) من الثياب وجلة من المال ، وإلى ابن أخيها محمد بن أحمد مثل ذلك ،

(١) أى من قریش التى تسكن أبطح مكة ، وهو مسيل وادىها .

(٢) الثخوت : جمع تحت بالفتح ، وهو وعاء تصان فيه الثياب .

وشفعها في كثير من أهلها ، ممن عَظُمَ جُرمُه ، واستحق العقوبة عليه .

(مروج الذهب ٢ : ٤٦٩)

٢٦٠ - كتاب صاحب الشامة إلى بعض عماله

ومن كتب صاحب الشامة الحسين بن زكرويه القرمطي^(١) إلى بعض عماله :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله أحمد بن عبد الله المهدي المنصور بالله الناصر لدين الله ، القائم بأمر الله ، الحاكم بحكم الله ، الداعي إلى كتاب الله ، الذاب عن حرَم الله ، المختار من ولد رسول الله ، أمير المؤمنين ، وإمام المسلمين ، ومُذِلّ المنافقين ، خليفة الله على العالمين ، وحاصِد الظالمين ، وقاصم المعتدين ، ومُبيد الملّحين ، وقاتل القاسطين^(٢) ، ومُهْلِك المفسدين ، وسراج

(١) كان داعية قرمط رجلا يسمى زكرويه بن مبرويه ، فلما تتابع من المعتضد توجيه الجيوش إلى من بسواد الكوفة من القرامطة ، وألح في طلبهم ، وأنخن فيهم القتل ، ورأى زكرويه أنه لا مدفع عن أنفسهم عند أهل السواد ولا غناء ، سعى في استغواء من قرب من الكوفة من أعراب أسد وطى وتميم وغيرهم من قبائل الأعراب ، ودعاهم إلى رأيه ، وزعم لهم أن من بالسواد من القرامطة يطالبونهم على أمره إن استجابوا له ، فلم يستجيبوا له .

وكانت جماعة من « كلب » تنحرف الطريق على البر بالسماء ، فيما بين الكوفة ودمشق على طريق تدمر وغيرها ، وتحمل الرسل وأمتعة التجار على إبلاها ، فأرسل زكرويه أولاده إليهم ، فبايعوهم وخالطوهم وانتموا إلى علي بن أبي طالب ، وإلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، وذكروا أنهم خائفون من السلطان ، وأنهم ملجئون إليهم ، فقبلوهم على ذلك ، ثم دبوا فيهم بالدعاء إلى رأى القرامطة فلم يقبل ذلك أحد من الكلبيين إلا الفخذ المعروفة ببني العيص بن ضضم بن عدي بن جناب ومواليهم خاصة ، فبايعوا في آخر سنة ٢٨٩ بناحية السماء ابن زكرويه المسمى يحيى ، ثم قتل في بعض الوقعات ، فنصبوا أخاه الحسين بن زكرويه ، وزعم لهم أنه أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل ابن جعفر الصادق ، وأظهر شامة في وجهه ذكر أنها آيته ، فعرف بصاحب الشامة ، وظهر على جند حمص وغيرها من أرض الشام ، وتسمى بإمرة المؤمنين على منابرهما ، وكان ذلك سنة ٢٨٩ و سنة ٢٩٠ - انظر تاريخ الطبري ١١ : ٣٧٧ .

(٢) أي الجائرين .

المُبْصِرِينَ ، وَضِيَاءَ الْمُسْتَضِيئِينَ ، وَمُسْتَنْتِ الْمَخَالِقِينَ ، وَالْقِيَمَ بِسُنَّةِ سَيِّدِ
الْمُرْسَلِينَ ، وَوَلَدِ خَيْرِ الْوَصِيِّينَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّيِّبِينَ ، وَسَلَّمَ
كَثِيرًا ، إِلَى جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْكَرْدِيِّ :

سَلَامٌ عَلَيْكَ ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ
يُصَلِّيَ عَلَى جَدِّي مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَمَّا بَعْدُ : فَقَدْ أَتَيْنَا
مَا حَدَّثَ قَبْلَكَ مِنْ أَخْبَارِ أَعْدَاءِ اللَّهِ الْكَفَرَةِ ، وَمَا فَعَلُوهُ بِنَاحِيَتِكَ ، وَأَظْهَرُوهُ
مِنَ الظُّلْمِ وَالْعَيْثِ ^(١) وَالْفُسَادِ فِي الْأَرْضِ ، فَأَعْظَمْنَا ذَلِكَ ، وَرَأَيْنَا أَنْ نُنْفِذَ إِلَى
مَا هُنَاكَ مِنْ جِيوشِنَا مَنْ يَنْتَقِمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ الظَّالِمِينَ ، الَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي
الْأَرْضِ فُسَادًا ، وَأَنْقَذْنَا « عُظْمِيرًا » دَاعِيَتَنَا . وَجَمَاعَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَدِينَةِ
رَحْمَنٍ ، وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِالْعَسَاكِرِ ، وَنَحْنُ فِي إِثْرِهِمْ ، وَقَدْ أَوْعَزْنَا إِلَيْهِمْ فِي الْمَصِيرِ
إِلَى نَاحِيَتِكَ ، لِطَلَبِ أَعْدَاءِ اللَّهِ حَيْثُ كَانُوا ، وَنَحْنُ نَرْجُو أَنْ يُجَرِّينَا اللَّهُ فِيهِمْ عَلَى
أَحْسَنِ عَوَائِدِهِ عِنْدَنَا فِي أَمْثَالِهِمْ ، فَيَنْبَغِي أَنْ تَشُدَّ قَلْبَكَ وَقُلُوبَ مَنْ مَعَكَ
مِنْ أَوْلِيَائِنَا ، وَتَتَّقَ بِاللَّهِ وَبِنَصْرِهِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ يَعُودُنَاهُ فِي كُلِّ مَنْ مَرَّقَ عَنِ
الطَّاعَةِ ، وَانْحَرَفَ عَنِ الْإِيمَانِ ، وَتُبَادِرِ إِلَيْنَا بِأَخْبَارِ النَّاحِيَةِ وَمَا يَتَجَدَّدُ فِيهَا ،
وَلَا تُخَفِ عَنَا شَيْئًا مِنْ أَمْرٍ إِنِ شَاءَ اللَّهُ ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّاتُهُمْ فِيهَا
سَلَامٌ ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى جَدِّي مُحَمَّدٍ
رَسُولِ اللَّهِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَسَلَّمَ كَثِيرًا . (تاريخ الطبري ١١ : ٣٨٤)

(١) العيث : الإفساد .

٢٦١ - كتاب بعض عماله إليه

وهذه نسخة كتاب عاملٍ له إليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله أحمد الإمام المهدي المنصور بالله (ثم
الصَّدْرُ كله على مثال صَدْر كتابه السابق إلى قوله : وعلى أهل بيته الطيبين
ومسلم كثيرًا) ثم بعد ذلك :

من عامر بن عيسى العنقاقي .

سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، أما بعد : أطال الله بقاء
أمير المؤمنين ، وأدام الله عزّه وتأييده ، ونصره وسلامته ، زكّامته ونعمته
وسمادته ، وأسبغَ نَعَمه عليه ، وزاد في إحسانه إليه ، وفضله لديه .
فقد كان وَصَلُ كتابِ سيدي أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - يُعلمني
فيه ما كان من نفوذ بعض الجيوش المنصورة مع قائد من قوّاده إلى ناحيتنا ،
لمجاهدة أعداء الله بنى الفصيص ، والحائن ابن دُحيم ، وسلبهم حيث كانوا ،
والإيقاع بهم وبأسبابهم وضياعهم ، ويأمرني - أدام الله عزّه - عند نظري
في كتابه ، بالنهوض في كلِّ مَنْ قَدِرت عليه من أصحابي وعشائري ،
لِلقائهم ومكائفة الجيش ومعاضدتهم ، والمسير بسيرهم ، والعمد إلى كلِّ
ما يؤمّنون إليه ويأمرون به ، وفهمته ، ولم يصل إلى هذا الكتاب - أعزّ الله
أمير المؤمنين - حتى وافت الجيوش المنصورة ، فنالت طرّفا من ناحية
ابن دُحيم ، وانصرفوا بالكتاب الوارد عليهم من مسرور بن أحمد الداهية ،

ليلقوه بمدينة «أفامية»^(١) ثم ورد على كتاب مسرور بن أحمد في درج^(٢) الكتاب الذي اقتصصت ما فيه في صدر كتابي هذا ، يأمرني فيه يجمع من تهباً من أصحابي وعشيرتي ، والنهوض إلى ما قبله ، ويحذرنى التخلف عنه ، وكان ورود كتابه على وقت صبح عندنا نزول المارق سبك عبد مفلح مدينة «عريقة»^(٣) في زهاء ألف رجل ، ما بين فارس وراجل ، وقد شارف بلدنا ، وأطل على ناحيتنا ، وقد وجه أحمد بن الوليد عبد أمير المؤمنين - أطل الله بقاءه - إلى جميع أصحابه ، ووجهت إلى جميع أصحابي ، فجمعناهم إلينا ، ووجهنا العيون إلى ناحية «عريقة» لنعرف أخبار هذا الخائن ، وأين يريد أن يكون قصدنا ذلك الوجه ، ونرجو أن يظفر الله به ، ويمكن منه ، بمنه وقدرته ، ولولا هذا الحادث ، ونزول هذا المارق في هذه الناحية ، وإشرافه على بلدنا ، لما تأخرت في جماعة أصحابي عن النهوض إلى مدينة «أفامية» لتكون يدي مع أيدي القواد المقيمين بها ، لمجاهدة من بتلك الناحية ، حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ، وأعلمت سيدي أمير المؤمنين - أطل الله بقاءه - السبب في تخلفي عن مسرور بن أحمد ، ليكون على علم منه ، ثم إن أمرني - أدام الله عزه - بالنفوذ إلى «أفامية» ، كان تفوذي برأيه ، وامتثلت ما يأمرني به إن شاء الله ، أتم الله على أمير المؤمنين نعمه ، وأدام

(١) أفامية : مدينة من سواحل الشام وكورة من كور حمص .

(٢) درج الكتاب : طيه وداخله ، يقال في درج الكتاب كذا وكذا .

(٣) عريقة : بلدة في شرقي طرابلس الشام ، بينهما أربعة فراسخ . وهي آخر عمل دمشق ، في

عزه وسلامته ، وهنأه كرامته^(١) ، وألبسه عفوّه وعافيته ، والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد النبي وعلى أهل بيته الطاهرين الأخيار . (تاريخ الطبري ١١ : ٣٨٤)

٢٦٢ — كتاب محمد بن سليمان الكاتب إلى القاسم بن عبيد الله

وفي سنة ٢٩١ هـ وجه القاسم^(١) بن عبيد الله وزير المكتنّى بالله^(٢) ، محمد ابن سليمان الكاتب — وكان إليه ديوان الجيش — وضمّ جميع القواد إليه لمناهضة ذى الشامة وأصحابه ، فالتقوا به قرب « سمّاة » ، وهُزِم أصحاب القرمطيّ وقُتلوا ، وأسر من رجالهم بشر كثير ، وتفرق الباقيون في البوادي . وكتب محمد بن سليمان إلى الوزير بالفتح :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، قد تقدمت كتيّ إلى الوزير — أعزه الله — في خبر القرمطيّ اللعين وأشياعه ، بما أرجو أن يكون قد وصل إن شاء الله . » (تاريخ الطبري ١١ : ٣٨٦)

٢٦٣ — كتاب ابن المعتز إلى القاسم بن عبيد الله

وكتب عبد الله بن المعتز إلى القاسم بن عبيد الله يعتذر .

« ترفع — أعزك الله — عن ظلمي إن كنت بريئاً ، وتفضل بالعفو عني إن

(١) استوزره المعتضد بعد وفاة أبيه عبيد الله بن سليمان بن وهب سنة ٢٨٨ ، انظر خبره في النعمري ص ٢٣٢ ، ومروج الذهب .

(٢) هو أبو محمد علي بن المعتضد ، ولي الخلافة بعد موت أبيه سنة ٢٨٩ ، وتوفي سنة ٢٩٥ .

كنتُ مسيئًا ، فواللهِ إني لأُطلبُ غفرَ ذنبي لم أجنيه ، وأُتمسَ الإقالةَ مما لا أعرفه ، لتزدادَ تطوُّلاً ، وأزدادَ تدلُّلاً ، وأنا أُعيدُ حالي عندك بكرمك من واثٍ يَكِيدُها ، وأحرُسُها بوفائك من باغٍ يحاولُ إفسادها ، وأسألُ اللهَ تعالى أنْ يحملَ حظِّي منك بقدرِ ودِّي لك ، ومحلي من رجائك بحيث أستحقُّ منك .

(زهر الآداب ١ : ٢٠٨ ، والأوراق للصولي ٢ : ٢٩٢)

٣٦٤ - كتاب ابن المعتز إلى القاسم

وله إليه :

« لو كان في الصمت موضع يسع حالي ، خلفت عن سمع الوزير ونظره ، ولم أشغل وجهها من فكره ، وما زالت الشكوى تُعرب عن لسان البلوى ، ومن اختلت حالته ، كان في الصمت هلكته ، وقد كان الصبر ينصرني على ستر أمري حتى خذلني » . (زهر الآداب ١ : ٢٠٨)

٣٦٥ - كتابه إلى بعض الرؤساء

وله إلى بعض الرؤساء :

« لا تشين حُسنَ الظفر بقبح الانتقام ، وتجاوز عن مُذنبٍ لم يسلك بإقرارٍ طريقاً ، حتى اتخذ من رجاء عفوك رفيقاً » .

(زهر الآداب ١ : ٢٠٧ ، والأوراق للصولي ٢ : ٢٩٣)

٢٦٦ - كتابه إلى عليل

وكتب إلى عليل .

« أذن الله في شِفائك ، وتلقَ داءك بدوائك ، ومسَحَ بيد العافية عليك ،
ووجهَ وافِدَ السلامة إليك ، وجعلَ عِلَّتَكَ ماحيةً لذنوبك ، مضاعفةً لشوابك .
(زهر الآداب ١ : ٢٠٧ ، والأوراق للعولي ٢ : ٢٩٠)

٢٦٧ - كتاب ابن المعتز إلى بعض الوزراء

وكتب إلى بعض الوزراء :

« ما زال الحاسد لنا عليك أيها الوزير ينصب الجبائل ، ويطلب الغوائل ،
حتى انتهز فرصته ، وأبلغك شيئاً زخرفه ، وكذباً زوره ، وكيف الاحتراسُ
ممن أحضر ويغيب ؟ ويقول وأمنيك ؟ مُرْتَصِدٌ لَا يَنْقُلُ ، وما كِرٌّ لَا يَفْتُرُ ،
وربما استنصيح الغاش ، وصدق الكاذب ، والحِظْوَةُ لَا تُدْرِكُ بالحيلة ، ولا
يجرى أكثرها على حسب السبب والوسيلة . »

٢٦٨ - رده عليه

فأجابه :

« حصولُ الثقة بك - أعزك الله - يُغْنِي عن حضورك ، وصدقُ حالتك
يحتجُّ عنك ، وما تقرّر عندنا من نيتك وطويئتك يُغْنِي عن اعتذارك . »

(زهر الآداب ٣ : ٢٠٤)

٢٦٩ - كتاب قينة إلى ابن المعتز

قال أبو العباس بن المعتز : كان لنا مجلس حظي ، أرسلتُ بسببه خادمةً إلى قينة^(١) ، فأجابت ، فلما مرت في الطريق وجدت فيه حارساً حرامياً^(٢) ، فرجعت ، فأرسلتُ أعاتبها . فكتبتُ إلى :

« لم أتخلف عن المسير إلى سيدي في عشتي أمس ، لأرى وجهه المبارك ، وأجيب دماؤه ، إلا لعلّة قد عرقها فلانة ، ثم خفتُ أن يسبق إلى قلبه الطاهر أني قد تخلفتُ بغير عذر ، فأجبتُ أن تقرأ عذري بخطي ، والله ما أقدرُ على الحركة ، ولا شيء أسرُّ إلى من رؤيتك والجلوس بين يديك ، وأنت يامولاي جاهي وسندي ، لا فقدت سندي ، ورأيتك في بسط العذر مؤقفاً » وكتبت في أسفل الكتاب .

أليس من الحرمان حظٌ سلبته وأحوجني فيه البلاء إلى العذر؟
فصبراً ، فما هذا بأوّل حادثٍ رمّني به الأقدار من حيث لا أدري

٢٧٠ - رده عليها

فأجبتها :

« كيف أردُّ عذر من لا تتسلط التهمة عليه ، ولا تهتدي الموجدة^(٣) إليه ،

(١) القينة : الحارية المغنية أو أعم .

(٢) نسة إلى حرام : وهي قبيلة من بني سليم ، وقبيلة من بني سعد بن بكر .

(٣) الموجدة : المعضب .

وكيف أعلمه قبولَ المعاذير، ولا آمنُ بعضَ جواهره إلى يسيرٍ إلى انتهازِ فرصةٍ فيما عاد إلى الفرطة^(١)، فإن سلّمتُ من ذلك، فمن يحوّني من تواكله على تقديم العذر، ووقوعه موقعَ التصديق في كل وقت، فتصل أيام الشغل والعلة، وتنقضي أيام الفراغ والصحة، فتطول مدة الغيبة، وتدرس آثار المودة» وكتبت آخر الرقعة.

إذا غبت لم تعرف مكاني لذة^٢ ولم يلق نفسي لهوها وسرورها
وبدلت سمعاً واهياً غير ممسك^٣ لقول، وعينا لا يراني ضميرها
(زمر الآداب ٣ : ٢٠٣)

٢٧١ - كتاب ابن المعتز إلى بعض إخوانه

يصف سرّ من رأى

وكتب عبد الله بن المعتز إلى بعض إخوانه يصف سرّ من رأى، ويذكر خرابها، ويدّم بغدادَ وأهلها، ويفضّل سأمراً^(٢) :
« كتبت إليك من بلدة قد أنهض^(٣) الدهرُ سُكّانها، وأقعد جُدرانها، فشاهدُ اليأس فيها ينطق، وحبلُ الرجاء فيها يقصر، فكانَ عُمرانها يطوى، وكانَ خرابها يُنشر، وقد وُكّلت إلى الهجرِ نواحيها، واستُحِثَّ باقيها إلى فانيها، وقد تمزّقت بأهلها الديار، فما يجب فيها حقّ جوار، فالظامن^(٤)»

(١) الفرطة : اسم للخروج والتقدم ومجاوزة الحد.

(٢) لفة في سر من رأى، وقد قدما كلمة هاء في ص ١٥٠.

(٣) أي أنهضهم للرحيل.

(٤) أي المسافر الراحل.

منها تَمْخُو الأَثَرُ ، والمقيمُ بها على طَرْفِ سَفَرٍ ، نهارُهُ إِزْجَافٌ^(١) . وسروره
أحلام ، ليس له زاد فَيَرْحَلُ ، ولا مرعى فَيَرْتَعُ ، فخالها تصِفُ للعيون
الشكوى ، وتُشير إلى ذم الدنيا ، بعد ما كانت بالرأى القريبِ جَنَّةَ
الأرض ، وقرارَ الملك ، تَقِيضُ بالجنود أقطارُها ، عليهم أَرْدِيَةُ السيوف ،
وغلائل^(٢) الحديد ، كأن رِمَاحهم قُرُونُ الوُغُول ، ودُرُوعهم زَبَدُ السُّيُول ،
على خيل تأكل الأرضَ بحوافرها ، وتمدُّ بالنَّعْ^(٣) سُرادِقَها ، قد نُشِرَتْ
في وجوهها غُرَرٌ^(٤) كأنها صحائف البرق ، وأمسكها تحجِيلٌ^(٥) كأنه أسورةُ
اللَّجَيْنِ ، وقرطت^(٦) عُذْرًا كالشنوف ، في جيش يتلقفُ الأعداءَ أوائلُهُ ،
ولم تنهض أواخرُهُ ، وقد صُبَّ عليه وقارُ الصبر ، وهبَّتْ له روائحُ النصر ،
يصرِّفه ملكٌ يملأُ العيونَ بجمالٍ والقلوبَ بجلالا ، لا تُخْلِفُ نَحِيلَتُهُ^(٧) ،
ولا تُنْقِضُ مَرِيرَتُهُ ، ولا يُنْخِطُ^(٨) بسهم الرأى غَرَضَ الصواب ، ولا يَقْطَعُ
بمطايا اللهو سَفَرَ الشَّباب ، قابضا بيد السياسة على قِطَارٍ^(٩) مُلك لا ينتشر
حَبْلُهُ ، ولا تَنْشَظِي عصاه ، ولا تُطْفَأُ جَمرته ، في سِنِّ شبابٍ لم يَجْنِ مَأْتَمًا ،

(١) أرجفوا : خاضوا في أخبار الفتن ونحوها .

(٢) الغلائل جمع علالة بالكسر : وهي الشعار الذي يلبس تحت الثياب مما يلي الجسد ، والوعول جمع وعل كشمس وكتف : وهو نيسر الجبل .

(٣) النع : الفبار .

(٤) الغر جمع غرة بالضم : وهي ياض في جبهة الفرس فوق الدرهم ، والتعجيل : ياض في قوائم الفرس ، واللجين : الفضة .

(٥) العذر جمع عذار ككتاب : وهو من اللجام ماسال على خد الفرس : وقرط الجارية : ألبسها القرط ، والشنوف جمع شنف بالفتح : وهو القرط الأعلى .

(٦) النخيلة : الظن ، والمريرة : العزيمة .

(٧) القطار في الأصل : أن تقطر الإبل بعضها إلى بعض على نسق واحد ، وتشظى العود : تطاير

شظايا جمع شظية كغنية : وهي الفلقة (بالكسر) من العصا ونحوها .

وَشَيْبٍ لَمْ يُرَاهِقَ^(١) هَرَمًا ، قَدْ فَرَشَ مِهَادَ عَدْلِهِ ، وَخَفَضَ جَنَاحَ رَحْمَتِهِ ،
 رَاجِمًا بِالْعَوَاقِبِ الظَّنُونَ ، لَا يَطِيشُ ، عَنْ قَلْبٍ فَاضِلٍ الْحَزْمَ ، بَعِيدِ الْعَزْمِ ،
 سَاعِيًا عَلَى الْحَقِّ يَعْمَلُ بِهِ ، عَارِفًا بِاللَّهِ يَقْصِدُ إِلَيْهِ ، مُقِرًّا لِلْحَلْمِ وَيَبْذَاهُ ، قَادِرًا
 عَلَى الْعِقَابِ وَيَعْدِلُ فِيهِ ، إِذِ النَّاسُ فِي دَهْرٍ غَافِلٍ ، قَدْ أَطْمَأْنَنْتَ بِهِمْ سِيرَةً^(٢)
 لَيْتَنَ الْحَوَاشِي ، خَشِينَةَ الْمَرَامِ ، تَطِيرُ بِهَا أَجْنَحَةُ السَّرُورِ ، وَيَهْبُ فِيهَا نَسِيمُ
 الْحُبُورِ^(٣) ، فَالْأَطْرَافَ عَلَى مَسَرَّةٍ ، وَالنَّظَرَ إِلَى مَبَرَّةٍ ، قَبْلَ أَنْ تَخْبُ^(٤) مَطَايَا الْغَيْرِ ،
 وَتُسْفَرَ وَجْهُهُ الْحَذَرَ ، وَمَا زَالَ الدَّهْرُ مَلِيًّا بِالنَّوَائِبِ ، طَارِقًا بِالْمَجَائِبِ ،
 يُؤْتِمَنُ يَوْمُهُ ، وَيَغْدِرُ غَدُهُ .

عَلَى أَنَّهَا - وَإِنْ جُفِيتْ - مَعْشُوقَةُ الشُّكْنَى ، حَبِيبَةُ الْمَثْوَى^(٥) ، كَوَكْبُهَا
 يَقْظَانُ ، وَجَوْثُهَا عُرْيَانُ^(٦) ، وَخَصْبَاؤُهَا جَوْهَرٌ ، وَنَسِيمُهَا مُعْطَرٌ ، وَتَرَابُهَا
 مِسْكٌ أَذْفَرُ^(٧) ، وَيَوْمُهَا غَدَاةٌ ، وَلَيْلُهَا سَحَرٌ ، وَطَعَامُهَا هَنِيءٌ ، وَشَرَابُهَا مَرِيءٌ ،
 وَتَاجِرُهَا مَالِكٌ ، وَفَقِيرُهَا فَانِكٌ^(٨) ، لَا كِبْفَادِيكُمْ الْوَسِيخَةُ السَّمَاءُ ، الْوَمِيدَةُ^(٩)
 الْهَوَاءُ ، جَوْهَا نَارٌ ، وَأَرْضُهَا خَبَارٌ^(١٠) ، وَمَاؤُهَا تَحِيمٌ ، وَتَرَابُهَا سِرْجِينٌ ،

-
- (١) أى ولم يقارب الهرم والشيخوخة ، يقال : دخل مكة مراهقًا : أى مقاربًا لآخر الوقت حتى كاد يفوته التعريف ، وراهق الغلام : قارب الحلم .
 (٢) السيرة بالكسر : اسم من السير أى الذهاب .
 (٣) الحبور : السرور .
 (٤) الحبب بالتحريك : ضرب من العدو وبابه رد ، وسفرت المرأة كضرب : كشفت عن وجهها .
 (٥) المثوى : المنزل .
 (٦) أى صهو خلو من الغيوم .
 (٧) مسك أذفر وذفر كفرج : جيد إلى النهاية ، من الذفر بالتحريك : وهو شدة ذكاء الريح ، والغداة : البكرة ، أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس .
 (٨) فك بالمكان كنصر : أقام به ، أى أنه لا يرحل عنها إلى سواها ، إذ يحد بها مايسد عوزه .
 (٩) الومد بالتحريك : أن تسكن الريح مع شدة الحر .
 (١٠) الحار : ملان من الأرض واسترخى ، والحميم : الماء الحار ، وفي رواية « وماؤها طين » والسرجين والسرقيين بكسرهما : الربل .

وحيطانها تُرْوَز^(١) ، وتَشْرِينها تَمُوز ، فكم من شمسها من محترق ، وفي ظلها
من غرق ، ضيقة الديار ، قاسية الجوار ، ساطعة الدخان ، قليلة الضيفان ، أهلها
ذئاب ، وكلامهم سياب ، وسائلهم محروم ، ومالههم مكتوم ، لا يجوز إنفاقه ،
ولا يُحَلُّ خِناقُه^(٢) ، حُشُوشهم مَسَايِل ، طرقهم مَزَايِل ، وحيطانهم أخصاص ،
ويوتهم أقفاص . ولكل مكروه أَجَلٌ ، وللبقاع دُول ، والدهر يسير
بالمقيم ، ويمزج البؤس بالنعيم ، وبعد اللجاجة انتهاء . والهَمُّ إلى فُرْجة ،
ولكل سائلة قرارٌ ، وبالله أستعين . وهو المحمود على كل حال .

غَدَتْ سُرْمَنٌ رَا فِي الْعَفَاء ، فِالْهَا

« قِفَانَبِكْ مِنْ ذَكْرِي حَيْبٍ وَمَنْزِلٌ^(٣) »

وَأَصْبَحَ أَهْلُهَا شَبِيهَا بِحَالِهَا « لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالٍ^(٤) »

إِذَا مَا أَمَرُوْهُ مِنْهُمْ شَكَا سَوْءَ حَالِهِ « يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجْعَلِ »

(معجم اللدان ٥ : ١٨ و ٢ : ٢٤١ وزهر الآداب ١ : ٢٠٧)

(١) التز بالفتح ويكسر : ما يتحلل من الأرض من الماء ، وتشرين وتموز : شهران من الفهور
الرومية ، وتشرين من أشهر البرد (يتبدى* تشرين الثاني من ١٤ نوفمبر) وتموز من أشهر الحر
(يتبدى* من ١٤ يوليو) .

(٢) الحاق : الحبل ينحق به ، والحشوش جمع حش مثل الحاء : وهو الكيف وموضع
قضاء الحاجة .

(٣) الأَشْطَارُ الثَّانِيَةُ فِي الْآيَاتِ الثَّلَاثَةِ مُتَّسَةٌ مِنْ مَعْلَقَةِ أَمْرِ الْقَيْسِ الْمَشْهُورَةِ ، وَالْعَفَاء :
الدروس والامحاء .

(٤) الشَّمال : رخ الشمال .

٢٧٢ — كتاب ابن المعتز إلى أحمد بن سعيد الدمشقي

وكتب ابن المعتز إلى أحمد^(١) بن سعيد الدمشقي جواباً عن كتاب استزاده فيه :

« قيّد نعمتي عندك بمثل ما كنت استدعيته به ، وذُبَّ عنها أسباب سوء الظن ، واستدِمْ ما تحبُّ مني بما أحبُّ منك . »

(معجم الأدباء ٣ : ٤٩ وزهر الآداب ٢ : ١٨١)

٢٧٣ — كتاب آخر إليه

وكتب إليه جواباً عن اعتذار كان من الدمشقي ، في شيء بلغ ابن المعتز عنه :

« والله لا قابلَ إحسانك مني كُفْرٌ ، ولا تبسّع إحساني إليك مَنْ ، فلك عندي يدٌ لا أقبضها عن نفعك ، وأخرى لا أبسطها إلى ظلمك ، فتجنّب ما يُسخطني ، فإني أصون وجهك عن ذلِّ الاعتذار . »

(معجم الأدباء ٣ : ٤٩ وزهر الآداب ٢ : ١٨١)

٢٧٤ — كتاب إلى عبد الله بن شبيب من صديق له

وحدّث عبد الله بن شبيب قال : كتب إليّ بعض إخواني من البصرة — وقد تأخر كتابي عنه — كتاباً أوجز فيه ، وملح :

« أطال الله بقاءك كما أطال جفاءك ، وجعلني فداءك إن كان في فداؤك :

(١) كان مؤدب ولد المعتز ، واختص عبد الله بن المعتز ، مات سنة ٣٠٦ ، انظر ترجمته في معجم الأدباء ٣ : ٤٦ ، وفي زهر الآداب « أحمد بن محمد » وهو تحريف .

كُتِبَتْ وَلَوْ قَدَّرْتُ هَوًى وَشَوْقًا إِلَيْكَ لَكُنْتُ سَطْرًا فِي الْكِتَابِ^(١)
(أدب الكتاب ص ١٥٣)

٢٧٥ - كتاب إلى محمد بن طيفور من بعض إخوانه

وورد على محمد بن طيفور ، وهو عامل على أصفهان كتاب من بعض
إخوانه في شأن رجل استباحه له في منزلة :

« أنت - أعزك الله تعالى - أجلُّ من أن يُتوسَّلَ بغيرك إليك ، وأن
يستباحَ جودك إلا بك ، غيرَ أني أذكرك بكتابي في أمرٍ حامِله ما شرع
كرمك ، وزرع إحسانك ، من الأجر قبل الصادرين والواردين ، فهناك الله
تعالى ذلك ، ولا زالت يدُ الله يجمِّل إحسانه ونعمته متواترةً عليك . »

فقال محمد للرجل : احتكم لك وله ، فأخذ منه ألف دينار ولمن كتب
إليه فيها مثلها . (زهر الآداب ٣ : ٢٩٦)

٢٧٦ - كتاب إلى محمد بن طيفور من بعض خاصته

وكتب محمد بن طيفور لبعض خاصته بمال كثير وصَّله به ، فكتب
الرجل إليه :

« قد استغرقتُ نعمتُك وجوه الشكر لك ، وغرَّرتُ الحمد فيما سلف ،
ولولا فرطُ عجزٍ من عجزٍ عن كُفِّ ما يجب لك من الحمد ، لقبِلْتُ ما أنفَذْتَهُ . »

٢٧٧ — رده عليه

فكتب إليه محمد :

« قد صَغَّرَ شكرُكُ لنا ما أسلفناه إليك ، نخذ ما أنفدناه ، ثوابًا عن معرفتك بشكر ما أسديناه ، وإلا سمح شكرك بما رأيناك له أهلا ، إلى أن يسع قبولُ مثلك ما يستحق به جميل الدعاء ، وجزيل الشناء ، إن شاء الله تعالى .
(زهر الآداب ٣ : ٢٩٧)

٢٧٨ — كتاب صاحب البريد بالدينور

قال الطبري : وفي سنة ٣٠٠ هـ ورد كتاب صاحب البريد بالدينور^(١) يذكر أن بغلة هناك وضعت فُلُوَّة^(٢) ، ونسخة كتابه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الموقِظِ بعبْره قلوبَ الغافلين ، والمرشِدِ بآياته ألبابَ العارفين ، الخالق لما يشاء بلا مثال ، ذلك الله الباري المصور في الأرحام ما يشاء ، وإن الموكَّلَ بخبر التطواف بقرماسين رفع يذكر أن بغلة لرجل يُعرف بأبي بُرْدَة من أصحاب أحمد بن علي المرِّي وضعت فُلُوَّة ، ويصف اجتماع الناس لذلك ، وتمجُّبهم لما عاينوا منه ، فوجهت من أحضرني البغلة والفُلُوَّة ، فوجدت البغلة كماء^(٣) خَلُوقِيَّة ، والفُلُوَّة مَسْـوِيَّة

(١) دينور : مدينة من أعمال الجبل بفارس ، بقرب قرماسين .

(٢) الفلو بالكسر وكعدو وسمو : المهر .

(٣) الكعة بالضم : لون بين السواد والحمر يكون في الخيل والإبل وغيرهما ، والكعيت من الخيل كزبير يستوى فيه المذكر والمؤنث ، قال في اللسان : واجمع كمت بالضم كسروه على مكبره التوهم وإن لم يلفظ به ، لأن اللونة يغلب عليها هذا البناء الأحمر والأشقر ، قال طفيل :

الخلق^(١) ، تامة الأعضاء ، مُنْسِدِلَةُ الذَّنَبِ ، سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ ،
لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ .

(تاريخ الطبري ١٢ : ٢١)

٢٧٩ — كتاب علي بن الفرات عن المقتدر في المواريث

وفي سنة ٣١١ مات أحمد بن محمد بن خالد الكاتب - وكان من مشايخ
الكتاب ورؤسائهم - وخلف ورثة أحداثا ، فَأَنْهَى^(٢) كثرة ما خلف
من المال إلى المقتدر^(٣) ، فأمر بالتوكيل بِمَخْزَنَاتِهِ وداره ، فسار بعض الورثة
إلى المحسن بن علي بن الفرات ، وضمينوا له مالا ، على إزالة التوكيل وحلّ
الاعتقال ، فكلم المحسن أباه في ذلك (وكان أبوه وزير^(٤) المقتدر) فركب إلى
المقتدر فقال له : إن المعتضد والمكتفي قد كَانَا قَطْعَا الدخول على الناس في
المواريث ، وأنا أرى لمولاي أن يُخَيَّرَ رِسْوَمَهُمَا ، وأنت يأمر بإثبات عهد
ألا يُتَعَرَّضَ لأحد في ميراث ، فأجابه المقتدر إلى ذلك ، إذ ظن أنها نصيحة
منه ، فسُئِلَت الدار إلى ورثة الكاتب ، وأنشأ ابن الفرات كتابا عن
المقتدر ، نسخته :

وكنا مدماة كأت متونها جرى فوقها واستشعرت لون مذهب
والخلقية : نسبة إلى الخلق كعبور : طيب يتخذ من الرعفران وغيره من أنواع الطيب وتعلب عليه
الحرمة والصفرة ، والمعنى : تشبه الخلق في لونه .

(١) أي مستوية الخلق معتدلة .

(٢) أنهى الشيء : أبلغه .

(٣) ولي أبو الفضل جعفر المقتدر بالله بن المعتضد الخلافة سنة ٢٩٥ وقتل سنة ٣٢٠ .

(٤) وزير أبو الحسن علي بن الفرات للمقتدر ثلاث مرات وقتل سنة ٣١٢ — انظر ترجمته في الفهرى

ص ٢٣٩ وتاريخ الطبري ١٢ : ٢٠ .

« بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد ، فإن أمير المؤمنين المقتدر بالله يؤثر في الأمور كلها ما قرّبه من الله عز وجل ، واجتلب له جزيل مَثُوبته ، وواسع رحمته وحسنته ، العائدة على كافة رعيته ، كما جعل الله في طبعه ، وأولج في يته ، من التعطف عليها ، وإيصال المنافع إليها ، وإبطال رسوم الجور التي كانت تُعاملُ بها ، جارياً مع أحكام الكتاب والسنة ، عاملاً بالآثار عن الأفاضل من الأئمة ، وعلى الله يتوكل أمير المؤمنين ، وإليه يفوض ، وبه يستعين » . (تاريخ الطبري ١٢ : ٦٠)

٢٨٠ - كتاب الوزير ابن مقلة إلى القواد والعمال

ومن حوادث سنة ٣١٨ الإيقاع بجند الرّجالة المصافيّة^(١) ببغداد ، وقد كتب الوزير محمد بن علي بن مُقْلَة فيهم بعد قهرهم نسخة أنقذت إلى القواد والعمال ، وهي :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، قد جرى - أعزك الله - من أمر الرّجالة المصافيّة بالحضرة ما قد اتصل بك ، وعرفت جملة وتفصيله ، وجهته وسبيله ، وقد خار الله عز وجل لسيدنا أمير المؤمنين وللناس بعده ، بما تهياً من قمعهم ورذّهم ، خيرة ظاهرة متصلة بالكفاية الشاملة التامة ، بمنّ الله

(١) نسبة إلى المصاف جمع مصف : وهو الموقف في الحرب الذي يكون فيه الصفوف ، وقد كان هؤلاء الرحالة في صفوف حرس الخلافة ، وتدل قوادم على الخليفة وعلى الوزير حتى لا يقدر أن يحتجب عن واحد منهم في أي وقت جاء من ليل أو نهار ، ولا يردّ عن حاجة كائنة ما كانت ، وتحكموا على القضاة ، وطالبوهم بحل الحباسات وإخراج الوقوف من أيديهم ، واكتنفوا الجناة ، وعطلوا الأحكام ، واستطالوا على المسلمين .

وفضله ، ولم يرَ سيدنا - أيده الله - استصلاحَ أحد من هذه العُصبة إلا
السودان ، فإنهم كانوا أخفَّ جنايةً ، وأيسرَ جريرةً ، فرأى - أعلى الله
رأيه - إقرارهم على أرزاقهم القديمة ، وتصفيتهم بالعرض على المِحنة ، لعله
أن المساكر لا بد لها من رجالة ، وأمر - أعلى الله أمره - أن يستخدم
بمحضرته مَنْ تَوَّاهَ بِإِيقَتِهِ ، وتَخَفَّ مَوْتَهُ ، وتُرْجَى اسْتِقَامَتُهُ ، وبالله ثقة
أمير المؤمنين وتوفيقه ، وقَبْلَكَ وَقَبْلَ مِثْلِكَ رَجَالَةٌ أَنْتَ أَعْلَمُ بِمَنْ مَرَضَتْ
طَاعَتُهُ مِنْهُمْ ، ومن يعود إلى صِحَّةٍ وَصْلَاحٍ ، فَإِنْ قَنِعَ مَنْ تَرْضَاهُ مِنْهُمْ بِأَصْلِ
الْجَارِي عَلَيْهِ ، فَتَمَسَّكَ بِهِ ، وَأَقْرَبَهُ عَلَى جَارِيهِ ، وَمَنْ رَأَيْتَ الْإِسْتِبْدَالَ بِهِ
فَأَمْرُهُ إِلَيْكَ ، والله المستعان . (تاريخ الطبري ١٢: ٧٧)

٢٨١ - كتاب أحمد بن الضحاك إلى صديق له

يصف شعب بوان

وكتب أحمد بن الضحاك^(١) الفلكي إلى صديق له يصف
شعب بوان^(٢) :

« بسم الله الرحمن الرحيم : كتبت إليك من شعب بوان ، وله عندي

(١) جاء في تاريخ بغداد ج ٤ : ص ٢١١ : « حدثنا أبو عبد الله أحمد بن الضحاك الواسطي
بيغداد سنة ٣١١ ... الخ » وربما كان هو صاحب هذا الكتاب .

(٢) شعب بوان : بأرض فارس بين أرتجان والتويندجان ، وهو أحد متزهات الدنيا ، موصوف
بالحسن وكثرة الأسجار وتنفس المياه وكثرة أنواع الطياري ، وقد وصفه المتنبي في قصيدته التي مطلعها:
مغاني الشعب طيبا والمغاني بمنزلة الربيع من الرمان

(انظر ديوان المتنبي ص ٢٦٣ ، ومعجم البلدان ٢ : ٢٩٨) .

يدُّ بيضاء مذكورة ، ومِنَّةٌ غراء مشهورة ، بما أولانيه من مَنظَرٍ أَعْدَى^(١)
 على الأحزان ، وأقال من صُروف الزمان ، وسَرَّحَ طَرْفِي في جداولٍ تَطَرَّدُ بِماءِ
 مَعِينٍ^(٢) مُنْسَكِبٍ ، أرقَّ من دموع العشاق ، مَرَّرَتْهَا لَوْنَةُ الفِرَاقِ ، وأبردَ
 من نُغُورِ الأحباب ، عند الالتئام والاكتئاب ، كأنها - حين جَرَى آذِيهَا^(٣)
 يَتَرَقَّرِقُ ، وتَدَافَعُ تِيَّارُهَا يَتَدَفَّقُ ، وارتَجَّ حَبَابُهَا يَتَكَسَّرُ ، في خلال زهر
 ورياض ترنو^(٤) بِحَدَقِ مُوَلِّهِ - قُضِبُ^(٥) لُجَيْنٍ في صفائح عَقِيَّانٍ ، وسمُوطُ
 دُرِّ بين زَبَرْجَدٍ ومَرَّجانٍ ، أثَرَتْ على حِكْمَةِ صَانِعِهِ شَهِيدٌ ، وَعَلَّمَ على لُطْفِ
 خَالِقِهِ دَلِيلٌ ، إلى ظِلِّ سَجَسِجٍ أُخْوِي ، وَخَضِلِ أَلْمَى^(٦) ، قَدَغْنَتْ عليه أَغْصَانُ
 فَيَّانَةٍ ، وَقُضِبُ غَيْدَانَةٍ^(٧) ، تشوَّرت لها القُدُودُ المَهْفَهْفَةُ خَجَلًا ، وتَقِيلَتْهَا^(٨)
 الخُصُورُ المُرْهَفَةُ تشبُّهاً ، يَسْتَقِيدُهَا النسيمُ فتنقاد ، وَيَعْدِلُ بها فتعْدِلُ ، فَمِنْ

(١) أعداه عليه : نصره وأعانه وقواه .

(٢) تطرد : تجري ، والمعين : الماء الجاري على وجه الأرض ، من معن الماء ككرم ومنع :
 أى جرى ، أو من طان الماء يعين : أى جرى أيضاً .

(٣) الآذَى : اللوج ، وحباب الماء : الفقائيع التي تطفو فوقه كأنها الفوارير .

(٤) رنا : أدام النظر ، والمولة : الذهاب العقل وفي الأصل « تولد » .

(٥) في الأصل « قصب » وهو تصحيف ، واللجين : الفضة ، والعقيان : الذهب ، وسموط جمع سمط
 بالكسر : وهو القلادة .

(٦) أرض سَجَسِجٍ : ليست نصيلة ولا سهلة ، ويوم سَجَسِجٍ : لآخر مؤذ ولا فر ، وكل هواء
 معتدل طيب : سَجَسِجٍ ، وأخوى : وصف من الحوة بالضم : وهى سواد إلى الخضرة ، أو حرة إلى
 السواد ، والخضل : كل شيء ند يترشف نداءً ، وألمى : وصف من اللمى ، واللى مثلثة اللام : سمرة
 فى الشفة .

(٧) امرأة فَيَّانَةٍ : كثيرة الشعر طويلته ، والغيد بالتحريك : النعومة ولين الأعطاف ، والوصف
 منه على أفعال فعلاء ، فالأغيد من النبات : الناعم المتنى ، والغيداء : المرأة المتئنة من اللبن ، وقد جاء
 بالوصف منه هنا على فعلانة ، ولم أجده فى كتب اللغة .

(٨) تشورت : خجلت ، يقال : شوَّرت الرجل وبالرجل فتشور . إذا خجلته فحجل ، وجارية
 مهفهفة : أى ضامرة البطن دقيقة الخصر ، وتقيله : أشبهه ، والمرهفة : الرقيقة اللطيفة .

متورّد يروق منظره ، ومُرْتَجّ يتهدّل مُشْرِه ، مشتركة فيه مُحرّة تُضج
الثمار بِنَفْحَةٍ^(١) نسيم النّوار .

وقد أقمتُ به يوماً وأنا لخيالك مُسامِرٌ ، ولشوقك منادِمٌ ، وشربت لك
تذكّاراً ، وإذا تفضّل الله بإتمام السلامة إلى أن أوافي شيراز ، كتبتُ إليك
من خبري بما تقف عليه إن شاء الله تعالى . (معجم البلدان ٢ : ٢٩٩)

٢٨٢ - كتاب عن الإخشيد إلى أرمانوس ملك الروم

وكتب الإخشيد^(٢) محمد بن طُغْج صاحب الديار المصرية ، ومأمعها من
البلاد الشاميّة ، والأعمال الحجازية ، إلى أرمانوس ملك الروم ، وقد أرسل
أرمانوسُ إليه كتاباً يذكر من جملة بأنه كاتِبُه وإن لم تكن عادته أن يكتُبَ
إلا الخليفةَ ، فأمر بكتابة جوابه ، فكتب له الكتابُ عدة أجوبة ،
ورفعوا نُسخها إليه ، فلم يرتضِ منها إلا ما كتبه إبراهيم بن عبد الله
النّجيري^(٣) - وكان عالماً بوجوه الكتابة - ونسخته :

« من محمد بن طُغْج مَوْلى أمير المؤمنين إلى أرمانوس عظيم الروم
ومن يَلِيه :

(١) في الأصل « ينفحه » .

(٢) ولى حكم مصر سنة ٣٢٣ في خلافة الراضى بالله أحد بن المقتدر (الذى ولى الخلافة سنة ٣٢٢ ومات سنة ٣٢٩) وتوفى الإخشيد سنة ٣٣٥ (وقد استولى بنو بويه على بغداد سنة ٣٣٤ في خلافة المستكنى بن المكنى بن المعتضد) .

(٣) نسبة إلى نجيرم ، قال ياقوت في معجم البلدان : « بفتح أوله وثانيه وياء ساكنة وراء مفتوحة ، ، ويروى بكسر الجيم . بليدة مما يلي البصرة على جبل هناك على ساحل البحر ، وقد نسب إليها قوم من أهل الأدب والحديث ، منهم إبراهيم بن عبد الله النجيري »

سلامٌ بقَدْرِ ما أنتم له مستحقُّون ، فإنَّا نحمدُ اللهَ الذي لا إلهَ إلا هو ،
ونسأله أن يصليَ على محمدٍ عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .
أما بعد ، فقد تُرجم لنا كتابُك الواردُ مع نقولا وإسحاق رسوليك ،
فوجدناه مفتتَحًا بذكر فضيلة الرحمة ، وما نُني^(١) عنا إليك ، وصَحَّ من
شيمنا فيها لديك ، وبما نحن عليه من المعدلة وحسن السيرة في رعايانا ،
وما وصلتَ به هذا القولَ من ذِكر الفداء ، والتوصلُ إلى تخلص الأسرى ،
إلى غير ذلك مما اشتمل عليه وتفهمناه .

فأما ما أطنبتَ فيه من فضيلة الرحمة ، فمن سديد القول الذي يليق
بذوى الفضل والتبَلُّ ، ونحنُ - بحمدِ الله ونعمه علينا - بذلك عارفون ،
وإليه راغبون ، وعليه باعِثون ، وفيه - بتوفيق الله إيانا - مجتهدون ، وبه
مُتَواصُّون وعاملون ، وإياه نسأل التوفيقَ لمرَاشِدِ الأمور ، وجوامعِ
المصالح ، بِمَنِّه وقُدْرته .

وأما ما نسبته إلى أخلاقنا من الرحمة والمعدلة ، فإننا نرغب إلى الله
جل وعلا ، الذي تفرَّدَ بكال هذه الفضيلة ، ووهبها لأوليائه ، ثم أثابهم
عليها ، أن يُوفِّقنا لها ، ويجعلنا من أهلها ، ويُيسِّرنا للاجتهاد فيها ، والاعتصام
من زيغ الهوى عنها ، وعُرَّة^(٢) القسوة بها ، ويجعل ما أودع قلوبنا من ذلك
موقوفًا على طاعته ، وموجباتِ مَرْضاتِهِ ، حتى نكونَ أهلًا لما وصفتنا به ،
وأحقَّ حقًّا بما دَعَوْتَنَا إليه ، وممن يستحق الزُّلْفَى من الله تعالى ، فإننا فقراء

(١) نمت الحديث : رفعته .

(٢) العرة بالفتح : المعرة والحلة الفسيحة ، وبالضم : القدر ، وتستعار للمساوى والمعايب .

إلى رحمته ، وحق لمن أنزله الله بحيث أنزلنا ، وحمله من جسيم الأمر ما حملنا ،
وجمع له من سعة الممالك ما جمع لنا بمولانا أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه -
أن يتهل^(١) إلى الله تعالى في معونته لذلك وتوفيقه وإرشاده ، فإن ذلك إليه
ويده « ومن لم يجعل الله له نورا فأله من نور » .

وأما ما وصفته من ارتفاع محلك عن مرتبة من هودون الخليفة في
المكاتبة ، لما يقتضيه عظم ملككم ، وأنه الملك القديم الموهوب من الله ،
الباقى على الدهر ، وأنت إنما خصصتنا بالمكاتبة لما تحققت من حالنا
عندك ، فإن ذلك لو كان حقا ، وكانت منزلتنا - كما ذكرته - تقصر عن منزلة
من تكاتبه ، وكان لك في ترك مكاتبنا غم ورشد . لكان من الأمر البين
أن أخطى وأرشد وأولى بمن حل محلك ، أن يعمل بما فيه صلاح رعيته ،
ولا يراه وصمة ولا نقیصة ولا عيبا ، ولا يقع في معاناة صغيرة من الأمور
تعقبها كبيرة ، فإن السائس الفاضل قد يركب الأخطار ، ويخوض الغمار ،
ويعرض مهنجته فيما ينفع رعيته ، والذي تجشمت من مكاتبنا إن كان كما
وصفته ، فهو أمر سهل يسير ، لأمر عظيم خطير ، وجل تقعه وصلاحه
وعائده^(٢) تخصكم ، لأن مذهبنا انتظار إحدى الحسنتين ، فمن كان منافي
أيديكم فهو على يئنة من ربه ، وعزيرة صادقة من أمره ، وبصيرة فيما هو
بسبيله ، وإن في الأسارى من يؤثر مكانه من ضنك الأسر ، وشدة البأساء ،
على نعيم الدنيا وخيرها ، لحسن منقلبه ، وحيد عاقبه ، ويعلم أن الله تعالى

(١) الاتهل : الاجتهاد في الدماء وإخلاصه .

(٢) العائدة . المنفعة .

قد أعاده من أن يفتنه ، ولم يُعِذه من أن يبتليه ، هذا إلى أوامر الإنجيل الذى هو إمامكم ، وما تُوجبه عليكم عزائم سياستكم ، والتوصل إلى استنقاذ أسرائكم ، ولولا أن إيضاح القول فى الصواب ، أوّلَى بنا من المسامحة فى الجواب ، لأضربنا عن ذلك صفحاً ، إذ رأينا أن نفس السبب الذى من أجله سما إلى مكاتبة الخلفاء عليهم السلام من كاتبهم ، أوعدا عنهم إلى من حلّ محلّنا فى دولتهم ، بل إلى من نزل عن مرتبتنا ، هو أنه لم يثق من منعه ، ورد ملتصقه بمن جاوره ، فرأى أن يقصده به الخلفاء الذين الشرف كله فى إجابتهم ، ولا عار على أحد وإن جَلَّ قدره فى ردِّهم ، ومن وثق فى نفسه بمن جاوره ، وجدَّ قصده أسهل السبيلين عليه ، وأدناها إلى إرادته ، حسب ما تقدم لها من تقدم ، وكذلك كاتب من حلّ محلّك من قصر عن محلّنا ، ولم يقرب من منزلتنا ، فمالِكنا عِدَّة ، كان يتقلد فى سالف الدهر كل مملكة منها ملكٌ عظيمُ الشأن :

فمنها ملكٌ مصرَ الذى أطنى فرعون ، على خطر أمره ، حتى ادعى الإلهية ، وافتخر على نبيِّ الله موسى بذلك .

ومنها ممالك اليمن التى كانت للتبابعة ، والأقبالِ العبَاهِلَة^(١) ، ملوك حمير ، على عظم شأنهم ، وكثرة عددهم .

ومنها أجناد الشام ، التى :

(١) العباهلة : الذين أقروا على ملكهم فلم يرالوا عه (بالبناء للمجهول) انظر الجزء الأول ص ٨٥

منها جُندِ مَحْصٍ ، وكانت دارهم ودار هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ وَمَنْ قَبْلَهُ
من عَظَمَائِهَا .

ومنْها جُندِ دِمَشْقَ عَلَى جَلَالَتِهِ فِي الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ ، واختيارِ الملوكِ
الْمُتَقَدِّمِينَ لَهُ .

ومنْها جُندِ الْأَرْدُنِّ عَلَى جَلَالَةِ قَدْرِهِ ، وأنه دار الْمَسِيحِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْحَوَارِيِّينَ .

ومنْها جُندِ فِلَسْطِينَ ، وهى الأرضُ الْمُقَدَّسَةُ ، وبها المسجدُ الْأَقْصَى ،
وَكُرْسِيُّ النَّصْرَانِيَّةِ ، وَمَمْتَقَدُّ غَيْرِهَا ، وَمَحَجُّ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ طُرًّا ، وَمَقَرُّ
دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَمَسْجِدَهُمَا ، وبها مسجدُ إِبْرَاهِيمَ وَقَبْرُهُ ، وقبرُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَيُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ وَأَزْوَاجِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وبها مولدُ الْمَسِيحِ وَأُمُّهُ وَقَبْرُهَا .
هذا إِلَى مَا تَتَقَلَّدُهُ مِنْ أَمْرِ مَكَّةَ الْمُحْفُوفَةِ بِالْآيَاتِ الْبَاهِرَةِ ، وَالذَّلَالَاتِ
الظَّاهِرَةِ ، فَإِنَّا لَوْلَمْ نَتَقَلَّدْ غَيْرَهَا ، لَكُنَّا بِشَرْنِهَا ، وَعِظَمِ قَدْرِهَا ،
وَمَا حَوَتْ مِنَ الْفَضْلِ ، تُوفِّي عَلَى كُلِّ مَمْلَكَةٍ ، لِأَنَّهَا مَحَجُّ آدَمَ ، وَمَحَجُّ
إِبْرَاهِيمَ وَارثِهِ وَمُهَاجِرُهُ ، وَمَحَجُّ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَقَبْلَتُنَا وَقَبْلَتَهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ،
وَدَارُهُ وَقَبْرُهُ ^(١) وَمَنْبِتُ وَلَدِهِ ، وَمَحَجُّ الْعَرَبِ عَلَى مَرِّ الْحَقَبِ ^(٢) ، وَمَحَلُّ
أَشْرَافِهَا وَذَوَى أخطَارِهَا ، عَلَى عِظَمِ شَأْنِهِمْ ، وَنَخَامَةِ أَمْرِهِمْ ، وَهُوَ الْبَيْتُ
الْعَتِيقُ الْحَرَّمُ الْمُحْجُوجُ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ فَيْجٍ عَمِيقٍ ، الَّذِي يَعْتَرِفُ بِفَضْلِهِ وَقِدَمِهِ

(١) كَذَا فِي صَبِيحِ الْأَعْمَى ، وَقَدْ حَاءَ فِي هَامِشِهِ : « كَذَا فِي الْمَغْرِبِ فِي أَخْبَارِ الْمَغْرِبِ أَيْضًا -
وَهُوَ الَّذِي تَقُلُّ عَنْهُ الْفَلَقِشْنَدِيُّ هَذَا الْكِتَابُ - وَيُظْهِرُ أَنَّهُ تَقَدَّمَ عَلَى مَا بَعْدَهُ - أَيْ وَمَنْبِتُ وَلَدِهِ -
وَيَكُونُ الضَّيْرُ فِيهِ هَائِلًا عَلَى سَيِّدِنَا إِسْمَاعِيلَ ، فَإِنَّ مَكَّةَ كَانَتْ دَارَهُ وَمَنْبَتَهُ » .

(٢) الْحَقَبُ : جَمْعُ حَقْبَةٍ الْكُسْرُ ، وَهِيَ مَدَّةٌ مِنَ الدَّهْرِ لَا وَقْتُ لَهَا ، وَالسَّيَّةُ .

أهل الشرف ، مَنْ مَضَى وَمَنْ خَلَفَ ، وهو البيت المعمور ، وله الفضل المشهور .

ومنها مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم المقدسة بتربيته ، وأنها مهبط الوحي ، ويئضه هذا الدين المستقيم الذي امتد ظلُّه على البر والبحر ، والسَّهْل والوُغْر ، والشرق والغرب ، وصحارى العرب على بُعد أطرافها ، وتَنَازُح^(١) أقطارها ، وكثرة سكانها فى حاضرتها وباديتها ، وعِظَمها فى وفودها وشِدَّتْها ، وصِدْق بأسها ونجدتها ، وكِبَر أحلامها^(٢) وبُعد مَرامها ، وانعقاد النصر من عند الله براياتها ، وأن الله تعالى أبَدَ خُضراء^(٣) كِيسرى ، وشَرَدَ قِيسَرَ عن داره ومحلِّ عِزِّه ومجده بطائفة منها .

هذا إلى ما تعلمه من أعمالنا ، وتحت أئرننا ونهيننا ثلاثة كراسي من أعظم كراسيكم : بيت المقدس ، وأنطاكية ، والإسكندرية ، مع ما إلينا من البحر وجزائره ، واستظهارنا بأتم العتاد^(٤) ، وإذا وفيت النظر حقه ، علمت أن الله تعالى قد أصفانا^(٥) بجُلِّ الممالك التى ينتفع الأنامُ بها ، وبشرف الأرض المخصوصة بالشرف كله دُنْيا وآخرة ، وتحققت أن منزلتنا بما وهبه الله لنا من ذلك فوق كل منزلة ، والحمد لله ولئ كل نعمة .

وسياستنا لهذه الممالك قريبها وبعيدها ، على عِظَمها وسَعَتها ، بفضل الله

(١) أى تباعد ، وهو تفاعل من نزلت الدار كعب وضرب : أى بدت .

(٢) الأحلام : العقول ، جمع حلم بالكسر .

(٣) الخُضراء : سواد القوم ومعظمهم ، وفى حديث العتج « أيديت خُضراء قريش » أى دهاؤم وسوادهم .

(٤) استظهر به : استعان ، والعتاد : العدة .

(٥) أصفاء بكذا : آثره به .

علينا ، وإحسانه إلينا ، ومعونته لنا ، وتوفيقه إيانا كما كتبت إلينا ، وصحّ
عندك من حُسن السيرة ، وبما يؤلّف بين قلوب سائر الطبقات من الأولياء
والرعية ، ويَجْمَعهم على الطاعة واجتماع الكلمة ، ويوسعها الأمن والدّعة في
المعيشة ، ويكسبها المودة والمحبة .

والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً ، على نِعَمه التي تقوّت عندنا عددَ
العادّين ، وإحصاء المجتهدين ، ونشرَ النّاشرين ، وقولَ القائلين ، وشكر
الشّاكرين ، ونسأله أن يجعلنا ممن تحدّث بنعمته عليه شكرًا لها ، ونشرا لما
منحه الله منها ، ومن رضي اجتهاده في شكرها ، ومن أراد الآخرة وسعى
لها سعيها وكانَ سعيه مشكورا ، إنه حميد مجيد .

وما كنتُ أحبُّ أن أباهيك بشيء من أمر الدنيا ، ولا أتجاوز
الاستيفاء لما وهبه الله لنا من شرف الدين الذي كرّمه وأظهره ، ووعدنا في
عواقبه الغلبة الظاهرة ، والقدرة القاهرة ، ثم الفوز الأكبر يوم الدين ،
لكنك سلكت مسلكا لم يحسن أن تعدل عنه ، وقلت قولاً لم يسعنا
التقصير في جوابه ، ومع هذا فإننا لم نقصد بما وصفناه من أمرنا مكاترتك ،
ولا اعتمادنا تعيين فضل لنا نموز به ، إذ نحن نكرّم عن ذلك ، ونرى أن
نكرّمك عند محلك ومنزلتك ، وما يتصل بها من حسن سياستك ومذهبك
في الخير ومحبتك لأهله ، وإحسانك لمن في يدك من أسرى المسلمين ، وعطفك
عليهم ، وتجاوزك في الإحسان إليهم جميع من تقدّمك من سلفك ، ومن كان
محمودا في أمره رُغِبَ في محبته ، لأن الخير أهل أن يُحَبَّ حيث كان ، فإن
كنت إنما تؤهل لمكاتبتك ومماثلتك ، من اتسعت مملكته ، وعظمت

دولته ، وحسنت سيرته ، فهذه ممالك عظيمة ، واسعة جمة ، وهي أجل الممالك التي ينتفع بها الأنام ، وسير الأرض المخصوصة بالشرف ، فإن الله قد جمع لنا الشرف كله ، والولاء الذي جعل لنا من مولانا أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - مخصوصين بذلك ، إلى مالنا بقديمتنا وحديثنا وموقعنا ، والحمد لله رب العالمين الذي جمع لنا ذلك بمنته وإحسانه ، ومنه نرجو حسن السعي فيما يرضيه بلطفه ، ولم ينطو عنك أمرنا فيما اعتمدناه . وإن كنت تجرى في المكاتب على رسم من تقدمك ، فإنك لو رجعت إلى ديوان بلدك ، وجدت من كان تقدمك قد كاتب من قبلنا من لم يحل محلنا ، ولا أغنى غنائنا^(١) ولا ساس في الأمور سياستنا ، ولا قلده مولانا أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - ما قلدا ، ولا فوض إليه ما فوض إلينا ، وقد كُتب أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون ، وآخر من كُتب تكين مولى أمير المؤمنين ، ولم يكن تقلد سوى مصر وأعمالها

ونحن نحمد الله كثيرا أولا وآخرا ، على نعمه التي يفوت عندنا عددها عد العادين ، ونشر النافرين ولم نرد بما ذكرناه المفاخرة ، ولكننا قصدنا بما عدنا من ذلك حالات : أولها التحدث بنعمة الله علينا ، ثم الجواب عما تضمنه كتابك من ذكر المحل والمنزلة في المكاتب ، ولتعلم قدر ما بسطه الله لنا في هذه المسالك ، وعندنا قوة تامة على المكافأة على جميل فعلك بالأسارى ، وشكر واف لما توليهم وتتوخاه من مسرتهم ، إن شاء الله تعالى وبه الثقة . وفقك الله لمواهب خيرات الدنيا والآخرة ، والتوفيق

(١) أعنى عناه : كنى كعائته .

للسداد في الأمور كلها ، والتيسير لصلاح القول والعمل الذي يحبه ويرضاه
ويُثيب عليه ، ويرزق في الدنيا والآخرة أهله ، بمنته ورحمته .

وأما الملك الذي ذكرت أنه باق على الدهر ، لأنه موهوب لكم من الله
خاصةً ، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والماقية للمتقين ، وإن
الملك كله لله ، يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من
يشاء ، ويدل من يشاء ، بيده الخير وإليه المصير ، وهو على كل شيء
قديرٌ ، وإن الله عز وجل نسخ ملك الملوك ، وجبرية الجبارين ، بنبوة محمد
صلى الله عليه وسلم وعلى آله أجمعين ، وشفع نبوته بالإمامة ، وحارها إلى
العتره الطاهرة ، بن المنصور الذي منه أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه -
والشجرة التي منها غصنُهُ ، وجعلها خالدة فيهم يتوارثها منهم كابر عن كابر ،
ويُلقيها ماضٍ إلى غابر ، حتى تجزأ أمرُ الله ووعده ، وبهر نصره وكلمته ،
وأظهر حجته ، وأضاء عمود الدين بالأئمة المهتدين ، وقطع دابر الكافرين ،
ليُحق الحق ويُبطل الباطل ولو كره المشركون ، حتى يرث الله الأرض
ومن عليها وإليه يرجعون .

وإنَّ أحقَّ مُلكٍ - أن يكون من عند الله ، وأولاه وأخلقَه أن
يَكُنْفَه^(١) الله بحراسته وحياطته ، ويحفه بعزه وأيده^(٢) ، ويَجْلِلَه بهاء
السكينة في بهجة الكرامة ، ويَجْمَلَه بالبقاء والنَّجاء^(٣) ، ملاح فجرٌ ،

(١) كفه كصره : صاه وحطه .

(٢) الأيد : القوة .

(٣) النجاء : النجاة .

وَكُرَّ دَهْرٌ - مُلْكُ إِمَامَةٍ عَادِلَةٍ ، خَلَفَتْ نَبِيَّةً فُجِّرَتْ عَلَى رَشِيمِهَا وَسَنَنِهَا ،
وَارْتَسَمَتْ أَمْرَهَا ، وَأَقَامَتْ شَرَائِعَهَا ، وَدَعَتْ إِلَى سُبُلِهَا ، مُسْتَنْصِرَةً بِأَيْدِهَا ،
مُتَعَجِّزَةً لَوَعْدِهَا ، وَإِنْ يَوْمًا وَاحِدًا مِنْ إِمَامَةِ عَادِلَةٍ خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ عُمْرِ
الدُّنْيَا تَمْلِكَا وَجَبَرِيَّةً .

وَنَحْنُ نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُدِيمَ نِعْمَهُ عَلَيْنَا ، وَإِحْسَانَهُ إِلَيْنَا ، بِشَرَفِ
الْوَلَايَةِ ، ثُمَّ يُحَسِّنِ الْعَاقِبَةَ بِمَا وَفَّرَ عَلَيْنَا نَفْرَهُ وَعُلَاهُ ، وَنَجْدَهُ وَإِحْسَانَهُ ، إِنْ
شَاءَ اللَّهُ ، وَبِهِ الثِّقَةُ ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

وَأَمَّا الْفِدَاءُ وَرَأْيُكَ فِي تَخْلِيصِ الْأَسْرَى ، فَإِنَّا وَإِنْ كُنَّا وَاثِقِينَ لِمَنْ
فِي أَيْدِيكُمْ بِإِحْدَى الْحُسْنَيْنَيْنِ ، وَعَلَى بَيِّنَةٍ لَهُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ ، وَثَبَاتٍ مِنْ حُسْنِ
الْعَاقِبَةِ وَعِظَمِ الْمَثُوبَةِ ، عَالِمِينَ بِمَا لَهُمْ ، فَإِنْ فِيهِمْ مَنْ يُؤْثِرُ مَكَانَهُ مِنْ صَنَّتِكَ
الْأَسْرَ وَشِدَّةِ الْبَأْسَاءِ ، عَلَى نَعِيمِ الدُّنْيَا وَلَذَّتْهَا ، سُكُونًا إِلَى مَا يَتَحَقَّقُهُ مِنْ
حُسْنِ الْمُنْقَلَبِ ، وَجَزِيلِ الثَّوَابِ ، وَيَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَاذَهُ مِنْ أَنْ يَفْتِنَهُ ،
وَلَمْ يُعِذْهُ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَهُ^(١) ، وَقَدْ تَبَيَّنَّا مَعَ ذَلِكَ فِي هَذَا الْبَابِ مَا شَرَعَهُ لَنَا
الْأَئِمَّةُ الْمَاضُونَ ، وَالسَّلَفُ الصَّالِحُونَ ، فَوَجَدْنَا ذَلِكَ مُوَافِقًا لِمَا أَلْمَسْتَهُ ،
وغيرَ خَارِجٍ عَمَّا أَحْبَبْتَهُ ، فَسُرَرْنَا بِمَا تَبَسَّرْ مِنْهُ ، وَبَعَثْنَا الْكِتَابَ وَالرَّمْلَ
إِلَى عَمَّالِنَا فِي سَائِرِ أَعْمَالِنَا ، وَعَزَمْنَا عَلَيْهِمْ فِي جَمْعِ كُلِّ مَنْ قَبِلَهُمْ وَأَتْبَاعَهُمْ
بِمَا وَفَّرَ الْإِيمَانَ فِي إِنْفَازِهِمْ ، وَبَذَلْنَا فِي ذَلِكَ كُلِّ مِمَّا مُمْكِنٌ ، وَأَخَّرْنَا إِبْجَابَتَهُ عَنْ
كِتَابِكَ ، لِيَتَقَدَّمَ فِعْلُنَا قَوْلُنَا ، وَإِنْجَازُنَا وَعِدَّتُنَا ، وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ قَدْ ظَهَرَ
لَكَ مِنْ ذَلِكَ مَا وَقَعَ أَحْسَنَ الْمَوَاقِعِ مِنْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

وأما ما ابتدأتنا به من المواصله ، واستشعرته لنا من المودة والمحبة ، فإن عندنا في مقابلة ذلك ما توجب السياسة التي تجمّعنا على اختلاف المذاهب ، وتقتضيه نسبة الشرف الذي يؤلّفنا على تباين النحل ، فإن ذلك من الأسباب التي تخصنا وإياك ، ورأينا من تحقيق جميل ظنك بنا إيناس رؤسك وبسطهم ، والاستماع منهم ، والإصغاء إليهم ، والإقبال عليهم ، وتلقينا انبساطك إلينا ، وإلطافك^(١) إيانا ، بالقبول الذي يحقّ علينا ، ليقع ذلك موقعه ، وزدنا في تأكيد ما اعتمدته ما حملناه رسلك في هذا الوقت - على استقلالنا إياه - من طرائف بلدنا وما يطرأ من البلاد علينا ، وإن الله بعّده وحكمته أودع كل قرية صنفا ، ليتشوّف إليه من بعد عنه ، فيكون ذلك سببا لعبارة الدنيا ومعايش أهلها ، ونحن نفردك بما سلّمناه إلى رسولك لتقف عليه إن شاء الله .

وأما ما أنفذته للتجارة ، فقد أمكنا أصحابك منه ، وأذنّا لهم في البيع ، وفي ابتياع ما أرادوه واختاروه ، لأننا وجدنا جميعه مما لا يحظره علينا دين ولا سياسة ، وعندنا من بسطك وبسط من يرد من جهتك ، والحرص على عمارة ما بدأتنا به ورعايته ، ورب^(٢) ما غرسته ، أفضل ما يكون عند مثلنا لمثلك ، والله يعين على ما ننويه من جميل ، ونعتقد من خير ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

ومن ابتدأ بجميل لزّمة الجري عليه والزيادة ، ولا سيما إذا كان من أهله

(١) أطفه بكذا : آخفه وبرّه به .

(٢) رب النعمة كنصر : حفظها وراعاها وراها كما يربي الرجل ولده .

وخليقابه ، وقد ابتدأتنا بالمؤانسة والمباسطة ، وأنت حقيقٌ بعمارة ما بيننا ،
وباعتمادنا بحوائجك وعوارضك قبلنا فأبشِرْ بتيسير ذلك إن شاء الله .
والحمد لله أحق ما ابتدئ به ، وختم بذكره ، وصلى الله على محمد نبي
الهدى والرحمة ، وعلى آله وسلم تسليماً . (صبح الأعمى ٧ : ١٠)

٢٨٣ - كتاب أبي الطيب المتنبي إلى أحد إخوانه

وكتب أبو الطيب المتنبي بعد أن أبل^(١) من مرض إلى أحد إخوانه :
« وصلتني - أعزك الله - مُعتلاً ، وقطعتني مُبلاً ، فإن رأيت ألا تكدر
الصحة عليّ ، وتحبب العلة إليّ ، فملت » . (مفتاح الأفكار ٣٧٣)

٢٨٤ - كتاب الراضى إلى المتقى

وكتب الراضى إلى أخيه المتقى^(٢) - وكان قد جرى بينهما كلام بحضرة
المؤدّب ، وكان المتقى قد اعتدى على الراضى - :
« أنا معترف لك بالعبودية فرضاً ، وأنت معترف لى بالأخوة فضلاً ،
والعبد يُذنب ، والمولى يعفو ويغفر ، وقد قال الشاعر :
إذا الذى يفضبُ فى غيرِ شئٍ أعتبُ فعتباك حبيبٌ إلى^(٣)
أنت (على أنك لى ظالمٌ) أعزُّ خلقٍ الله طراً على
فمضى إليه المتقى راضياً ، وأكب عليه باكياً . (غرر الحصائص الواضحة ص ٣٨٣)

(١) أبل من مرضه : صح .

(٢) هو أبو إسحق إبراهيم بن المقدر ، ولى الخلافة بعد أخيه الراضى من سنة ٣٢٩ إلى سنة ٣٣٣

(٣) أعتبه : أعطاه العتي ، وهى الرضا .

التوقيعات

في العصر العباسي الأول

السفاح

كتب إلى السَّفَاح جماعة من أهل الأَنْبَار^(١) يذكرون أن منازلهم أُخِذَتْ منهم ، وأُذْخِلَتْ في البناء الذي أمر به ، ولم يُعْطَوْا أَثْمَانَهَا ، فَوَقَّعَ :
« هذا بناء أُسِّسَ على غيرِ تَقْوَى » .

ثم أمر بدفع قِيمِ منازلهم إليهم .

ووقع في كتاب أبي جعفر ، وهو يحارب ابن هُبَيْرَةَ بواسِطَ^(٢) :
« إِنْ حَلَمَكَ أَفْسَدَ عِلْمَكَ ، وَتَرَاحِيكَ أَثَّرَ فِي طَاعَتِكَ ، نَخْذُلِي مِنْكَ ،
وَلَاكَ مِنْ نَفْسِكَ » .

ووقع إليه في ابن هُبَيْرَةَ بعد أن راجعه فيه غيرَ مرَّةٍ : « لستُ منك
ولستَ مِنِّي إِنْ لَمْ تَقْتُلْهُ^(٣) » .

وجاءه كتاب من أبي مُسْلِمٍ يستأذنه في الحج وفي زيارته ، فوقع إليه :
« لَا أَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ زِيَارَةِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ وَخَلِيفَتِهِ ، وَإِذْنُكَ لَكَ » .

ووقع في كتاب جماعةٍ من بِطَانَتِهِ يَشْكُونَ احتباسَ أرزاقهم :
« مَنْ صَبَرَ فِي الشَّدَّةِ ، شُورِكَ فِي النِّعْمَةِ » .

(١) الأبار : مدينة على الفرات في غربي بباد ، وكان أول من عمرها سابور بن هرمز
فوالأكتاف ملك العرس ، ثم جدها أبو العباس السفاح ، وبني بها قصورا ، وأقام بها إلى أن مات .

(٢) انظر ص ٢ من الجزء الثالث .

(٣) انظر ص ٦ من الجزء الثالث .

ثم أمر بأرزاقهم .
 ووقع إلى عامل تُظلم منه : « وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا » .
 وفي قوم شكوا غرق^(١) ضياعهم في ناحية الكوفة :
 « وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ » .
 ووقع إلى أبي سلمة الخلال^(٢) ، وقد كتب إليه يستأذنه في تولية قوم
 من الحاشية والشيعة :
 « يَا أَبَا سَلَمَةَ ، مَا أَقْبَحَ بِنَا أَنْ تَكُونَ لَنَا الدُّنْيَا ، وَأَوْلِيَاؤُنَا خَالُونَ مِنْ
 حَسَنِ آثَارِنَا ! »
 ووقع إلى سابع : « تَقَرَّبْتَ إِلَيْنَا بِمَا بَاعَدَكَ عَنْ اللَّهِ ، وَلَا ثَوَابَ لِمَنْ
 خَالَفَ اللَّهَ » .
 ووقع إلى أخيه في بعض الجناة : « إِذَا كَانَ الْحَلِيمَ مَفْسُدَةً ، كَانَ الْعَفْوُ
 مَعْجَزَةً » .

المنصور

ووقع المنصور في كتابه إلى عبد الله بن علي عمه^(٣) :

(١) في الأصل « حرق » وأراه محرقا .
 (٢) هو أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال ، أول وزير ورر لأول خليفة عباسي ، وقد فوض
 السفاح إليه الأمور ، وسلم إليه الدواوين ، وكان يقال له وزير آل محمد (كما كان يقال لأبي مسلم :
 أمين آل محمد) تم اتهم بانحرافه عن بي العباس ، فتكر له السفاح ، وكتب مع أخيه المنصور إلى
 أبي مسلم بخراسان ، يعلمه بما عزم عليه أبو سلمة من قتل الدولة عنهم ، وما يتخوف منه ، فبعث
 أبو مسلم قوما من أهل خراسان قتلوه وقالوا قتله الخوارج — انظر تاريخ الطبري ٩ : ١٤٠ والفخرى
 ص ١٣٦ .

(٣) انظر ص ١٨ من الجزء الثالث .

« لَا تَجْعَلَنَّ لِلْأَيَّامِ فِيَّ وَفِيكَ نَصِيبًا مِنْ حَوَادِثِهَا » .

ووقع إليه أيضا :

« إِذْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي يَبْنُوكَ وَيَبْنُوكَ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ
مَحْمُومٌ ، وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ » فاجعل
الحظَّ لك دوني ، يكن لك كله » .

ووقع إلى عبد الحميد صاحب خراسان :

« شَكُوتَ فَأَشْكَيْتُكَ ^(١) ، وَعَتَبْتُ فَأَعْتَبْتَنِيكَ ^(٢) ، ثُمَّ خَرَجْتَ عَنِ الْعَامَّةِ ،
فَتَأَهَّبَ لِفِرَاقِ السَّلَامَةِ » .

ووقع إلى أهل الكوفة - وشكوا عاملهم - :

« كَمَا تَكُونُوا يُؤْمَرُ عَلَيْكُمْ ^(٣) » .

(١) أشكاه : أزال شكايته (وأشكاه أيضا : زاده أذى وشكابة ، صد) .

(٢) أعتبه : أَرْضَاه .

(٣) أخذه من قوله صلى الله عليه وسلم : « عَمَالِكُمْ كَأَعْمَالِكُمْ ، وَكَمَا تَكُونُوا يُؤْمَرُ عَلَيْكُمْ »
- انظر نهاية الأرب ٣ : ٣ - ذكروا أن بعض النحويين أعمل ما المصدرية حملا على أن المصدرية ،
وخرج عليه هذا الحديث ، وقيل : لاحقة إلى جعل ما هنا ناصبة ، بل الفعل بعدها مرفوع ، ونون
الرفع محذوفة للتخفيف ، وقد سمع حذفها نثرا ونظما ، جاء في الحديث : « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ
لَا نَدْخُلُوا الْحِمَةَ حَتَّى نُؤْمِنُوا ، وَلَا نُؤْمِنُوا حَتَّى نَحَابُوا » وقال الشاعر :

أَيُّتْ أَسْرَى وَتَبَيَّنَى تَدْلُكِي وَجْهَكَ بِالْعَبْرِ وَالْمَسْكِ الذِّكْرَى

وقيل : الكاف مختصرة من كي ، فهي الناصبة ومازائدة .

(انظر حاشية الصان ٣ : ١٨٧ باب إعراب الفعل ، وحاشية الحضري على ابن عقيل ٢ : ١٠٠)
وجاء في حاشية يس على التصريح ٢ : ٢٣٢ : « فِي تَأْوِي الْجَلَالِ السُّيُوطِي : مَسْأَلَةٌ : هَلْ وَرَدَ فِي
الْحَدِيثِ « كَمَا تَكُونُونَ يُؤْمَرُ عَلَيْكُمْ » ؟ الْجَوَابُ : نَعَمْ ، رَوَاهُ ابْنُ جُمَيْعٍ فِي مَجْمَعِهِ مِنْ حَدِيثِ الْحَسَنِ
ابْنِ أَبِي نَكْرَةَ ، وَفِيهَا بَعْدَ ذَلِكَ : أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ لَفْظِ حَدِيثِ « كَمَا تَكُونُونَ يُؤْمَرُ عَلَيْكُمْ » حُدِفَتِ النَّوْنُ
مِنْ تَكُونُوا دُونَ نَاصِبٍ وَجَارِمٍ ، فَأَحَابَ : بِأَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي شُعْبِ الْإِسْمَاعِيلِيِّ بِلَفْظِ كَمَا
تَكُونُوا بِلَا نَوْنٍ ، وَقَدْ خَرَجَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوَاجِهِ : أَحَدُهَا أَنَّهُ عَلَى لَفْظٍ مِنْ يَحْدَفُ النَّوْنُ دُونَ نَاصِبٍ
وَجَارِمٍ ، الثَّانِي : وَهُوَ رَأْيُ الْكُوفِيِّينَ وَالْبَرْدِ أَنَّهُ مَنْصُوبٌ أَوْ رَدُوهُ شَاهِدًا عَلَى مَذْهَبِهِمْ أَنَّ مَا تَنْصَبُ ،
الثَّلَاثُ : أَنَّهُ مِنْ تَغْيِيرَاتِ الرِّوَاةِ » .

وإلى قوم تظلموا من عاملهم : « لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ » .

وفي قصة رجل شكَا عَيْلَةً^(١) : « سَلِ اللَّهَ مِنْ رِزْقِهِ » .

وفي قصة رجل سَأَلَهُ أَنْ يَبْنِيَ بَقْرِيَّةً مَسْجِدًا : « فَإِنْ الصَّلَاةُ عَلَى بَعْدِ ذَلِكَ ، أَعْظَمُ لثَوَابِكَ » .

وفي رواية أخرى :

ورفع رجل من العامة إليه رُمُعةً في بناء مسجد في مَحَلَّتِهِ ، فوقع :
« إِنْ مِنْ أَشْرَاطٍ^(٢) السَّاعَةِ أَنْ تَكْثُرَ الْمَسَاجِدُ ، فَرَدَّ فِي خُطَاكَ يُرَدُّ فِي أَجْرِكَ » .

وفي قصة رجل قُطِعَتْ عَنْهُ أَرْزَاقُهُ :

« مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ، وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » .

وفي قصة رجل شكَا الدَّيْنَ :

« إِنْ كَانَ دَيْنُكَ فِي مَرَضَةِ اللَّهِ قِضَاءً » .

وإلى صَرُورَةٍ^(٣) سَأَلَهُ أَنْ يَحْجَّ :

« وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا » .

وإلى صاحب مصر حين كتب يذكر نُقْصَانَ النِّيلِ .

« طَهَّرْ عَسْكَرَكَ مِنَ الْفَسَادِ ، يُعْطِكَ النِّيلُ الْقِيَادَ » .

(١) العيلة : الفقر ،

(٢) أشراط : جمع شرط كسب ، وهو العلامة ، والساعة : القيامة ، ورواية الطبري : « مَنْ

أَشْرَاطُ السَّاعَةِ كَثُرَ الْمَسَاجِدُ ، فَرَدَّ فِي خُطَاكَ تَرَدَّدَ مِنَ الثَّوَابِ » .

(٣) رجل صرور وصرورة : أى لم يحج .

وإلى عامله على خمس - وجاءه منه كتاب فيه خطأ - :

« استبدل بكاتبك ، وإلا استبدل بك » .

وإلى صاحب أرمينية :

« إن لي في قفاك عينا ، وبين عيني عينا ، ولهما أربع آذان » .

وإلى رجل استوصله^(١) : « لا مانع لما أعطاه الله » .

وفي كتاب أتاه من صاحب الهند ، يخبره أن الجند شغبوا^(٢) عليه ،

وكسروا أقفال بيت المال ، فأخذوا أرزاقهم منه :

« لو عدلت لم يشغبوا ، ولو وفيت لم ينتهبوا » .

وشكا إليه رجل من بعض عماله ، فوقع في قصته إلى العامل .

« اكفني أمره ، وإلا كفيته أمرك » .

وكتب سوار^(٣) بن عبد الله القاضي إليه : « إن عندنا رجلا شديد

الترف^(٤) يدعى السيد الحميري^(٥) » فوقع في كتابه :

(١) أي طلب صلته .

(٢) شغبهم وبهم وعليهم كمنع وفرح : هيج الفر عليهم .

(٣) ولاء المنصور قضاء البصرة منذ سنة ١٣٨ وتوفي سنة ١٥٧ - انظر تاريخ الطبري ج ٩ :

١٧١ حوادث سنة ١٣٨ وما بعدها .

(٤) أي القول بالرفض ، والرافضة : فرقة من الشيعة ، وكان زيد بن علي قد بايعه على إمامته خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة ، وخرج بهم على والي العراق يوسف بن عمر الثقفي عامل هشام بن عبد الملك على العراقيين ، فلما استعرا القتال بينه وبين يوسف ، قالوا له : إنا نتصرك على أعدائك بعد أن تخبرنا برأيك في أبي بكر وعمر اللذين ظلما جدك علي بن أبي طالب ، فقال زيد : إني لا أقول فيهما إلا خيرا ، وما سمعت أبي يقول فيهما إلا خيرا ، وإنما خرجت على بني أمية الذين قتلوا جدي الحسين ، وأغاروا على المدينة يوم الحرة ، ثم رموا بيت الله بحجر المنجنيق والنار . ففارقوه عند ذلك ، حتى قال لهم : رفضتموني ، ومن يومئذ سموا رافضة - انظر الفرق بين الفرق ص ٢٥ ، ومقدمة ابن خلدون ص ٢١٩ .

(٥) كان السيد الحميري من شيعة محمد بن الحنفية ، وكان يعتقد أن ابن الحنفية لم يموت ، وأنه في

« إنا بعثناك قاضياً لاساعياً » .

ووقع في كتابٍ بليغٍ استباحه^(١) :

« إن البلاغة والغنى إذا اجتماعا في رجل أطفياهُ ، وقد رُزِقَتْ إحداها ،
فاكتَفَ بها ، واقتصرَ عليها » .

وكتب إليه عبد الله بن زياد بن الحرث رقعة بليغة يستمنحه فيها ،
فكتب عليها :

« إن الغنى والبلاغة إذا اجتماعا في بلد أبطراه ، وأمير المؤمنين مشفق
عليك ، فاكْتَفَ بالبلاغة^(٢) » .

ورفع رجل إليه يشكو حامله أنه أخذ حَدًّا من صَنِيعته ، فأضافه إلى ماله ،
فوقع إلى حامله في رُقعة المتظلم :

« إِنْ آثَرْتَ الْعَدْلَ صَحَبَتْكَ السَّلَامَةُ ، فَأَنْصِفْ هَذَا الْمُتَظَلِّمَ مِنْ
هَذِهِ الظُّلَامَةِ » .

وتظلم رجل من أهل السواد من بعض العمال في رقعة رفعها إليه ،
فوقع فيها :

« إِنْ كُنْتَ صَادِقًا لَجِئْتُ بِهِ مَلِيًّا^(٣) ، فَقَدْ أَذِنَّا لَكَ فِي ذَلِكَ » .

جبل رضوى (جبل بالحجاز) بين أسد ونمر يحفظانه ، وعنده عينان نضاختان تجريان بماء وعسل ،
ويعود بعد الغيبة فيملا الأرض عدلا كما ملئت جورا انظر الملل والنحل ١ : ١٥٥ .
(١) استباحه : سأله العطاء .

(٢) كان المنصور يرمى بالبخل ، وكان يلقب أبا الدوانيق (والناطق بكسر النون وفتحها والناطق :
سدس الدرهم) لقب بذلك لأنه لما بي بغداد كان ينظر في العمارة بنفسه ، فيحاسب الصناع والأجراء ،
فيقول لهذا : أنت نمت القائلة ، ولهذا : أنت لم ت بكر إلى عمالك ، ولهذا : أنت انصرفت لم تكمل اليوم :
(٣) لب الرجل : جعل ثيابه في عنقه وصدره في الحصىمة ثم قبضه وجره ، ويقال أيضا : أخذ
بتليبه وتلايبيه : إذا جمع عليه توبه الذي هو لابس عند نحره وصدره وقبض عليه يجره .

المهدى

ووقع المهدى فى قصة متظلمين شكوا بعض عماله :
« لو كان عيسى عاملاً كم قُذِّناه إلى الحق ، كما يُقَاد الجمل المَخْشُوشُ^(١) » .
يريد عيسى ولده .

ووقع إلى صاحب أرمينية - وكتب إليه يشكو سوء طاعة رعاياه - :
« خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » .
وإلى صاحب خراسان فى أمر جاءه : « أنا ساهِرٌ وأنت نائمٌ » .
وفى قصة قوم أصابهم قَحْطٌ :

« يَقْدِرْ لَهُمْ قُوَّةٌ سَنَةِ الْقَحْطِ وَالسَّنَةِ الَّتِي تَلِيهَا » .
وإلى شاعر^(٢) : « أسرفت فى مديحك ، فقَصَرْنَا فى حَبائِكَ^(٣) » .
وفى قصة رجل من الغارمين^(٤) :

« خذ من بيت مال المسلمين ما يُقضى به دينُك ، وتَقَرَّ به عينُك » .
وفى قصة رجل شكَا الحاجة : « أتاكَ الْغَوْتُ » .
وإلى رجل من بطانته استوصل :

فيعطى كل واحد منهم بحسب ما عمل فى يومه ، فلا يكاد يعطى أجرة يوم كامل - اقرأ حكايات بخله فى غرر الخصائص الواضحة ص ٢٩٢ .

(١) الخشاش ككتاب : ما يدخل فى عظم أنف البعير من خشب لينقاد ، وحششت البعير : جعلت فى أفعه الخشاش .

(٢) قال صاحب العقد الفريد : « أظنه مروان بن أبى حفصة » وهو شاعر عباسى مشهور .

(٣) الجباء : العطاء .

(٤) الغارمون : هم الدينون فى غير معصية ومن غير إسراف إذا لم يكن لهم وفاء ، وهم ممن تصرف لهم الزكاة كما جاء فى القرآن الكريم .

« ليت إسرائعنا إليك يقوم بإبطائنا عنك^(١) » .

وفي قصة قوم تظلموا من طامهم ، وسألوا إشتخاصه إلى بابه :

« قد أنصف القارة من راماهما^(٢) » .

وفي قصة رجل حبس في دم :

« ولکم في القصاص حياة يا أولي الألباب^(٣) » .

وإلى صاحب خراسان - وكتب إليه يُخبره بغلاء الأسعار - :

« خذهم بالعدل في المكيال والميزان » .

وإلى يوسف الرومي حين ظفر^(٤) به بخراسان :

« لئك امانی ، ومو کڈ ایمانی » .

وكتب إليه سلم^(٥) بن قتيبة يسأله أن يُشرفه بالإذن له في تقييل يده ،

فوقع إليه :

« يا أبا قتيبة ، إنا نصونك عنها ونصونها عن غيرك » .

(١) ويروى أن هذا القول قاله عتبة بن أبي سفيان لأعرابي استباحه في موسم الحج سنة ٤١هـ - انظر جهرة خطب العرب ٢ : ٢١١ .

(٢) هو مثل ، والقارة : قبيلة ، وم قوم رماة ، وزعمون أن رجلين التقيا ، أحدهما قارى ، فقال القارى : إن شئت صارعتك ، وإن شئت سابقتك ، وإن شئت راميتك ، فقال الآخر : قد اخترت المراماة ، فقال القارى : قد أنصفتي ، وأنشأ يقول :

قد أنصف القارة من راماهما إذا ماشة نلقاها

* نرد أولاهما على أخراها *

ثم انتزع له بسهم فشك به فؤاده .

(٣) وفي خاص الحاص أن هذا التوقيع ليحيى بن خالد البرمكي .

(٤) في الأصل « حين ظفر بخراسان » وأراه محرفا كما يدل عليه معنى التوقيع .

(٥) هو سلم بن قتيبة الباهلي ، وكان والي البصرة في عهد المنصور - انظر تاريخ الطبري ٩ :

٢٦٠ حوادث سنة ١٤٥هـ .

الهادي

وكتب موسى الهادي إلى الحسن بن قحطبة في أمر راجعه فيه :

« قد أنكرناك منذُ لَزِمْتَ أبا حنيفة ، كفانا الله » .

وإلى صاحب إفريقية في أمر فرط منه :

« يابن اللّخناء^(١) أني تمرّس ؟ »

هرون الرشيد

ووقع هرون الرشيد إلى صاحب خراسان :

« دَاوِ جُرْحَكَ لَا يَتَسِعَ » .

وإلى عامله على مصر :

« احذَرُ أَنْ تُخْرِبَ خِزَانَتِي^(٢) وَخِزَانَةَ أَخِي يُوسُفَ ، فَيَأْتِيَكَ مِنْهُ

مَالًا قَبْلَ لَكَ بِهِ ، وَمِنْ اللَّهِ أَكْثَرُ مِنْهُ » .

ووقع في قصة البرامكة :

« أَنْبَسَتْهُمْ الطَّاعَةُ ، وَخَصَّدَتْهُمْ الْمَعْصِيَةُ » .

وإلى عامله على فارس :

(١) اللخن بالتحريك : قبح ربح الفرج ، وامرأة لحاء ، ويقال اللخناء : التي لم تحتن ، وهي من

شتم العرب ، كأنهم يقولون : يادنيء الأصل ، أو يالكيم الأم ، وتمرّس بالقيء : احتك به .

(٢) يشير إلى قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام حين قال لملك مصر : « قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى

خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ » .

« كن منى على مثل ليلة البيات^(١) .

وإلى عامل خراسان :

« إن الملوك يؤثر منها الحظ^(٢) .

وإلى خزيمة بن خازم^(٣) إذ كتب إليه أنه وضع السيف حين دخل أرض أرمينية :

« لا أم لك^(٤) ، تقتل بالذنب من لا ذنب له ؟ » .

وفي قصة محبوس : « من لجأ إلى الله نجا » .

وفي قصة متظلم : « لا يجاوز بك العدل ، ولا يقصر بك دون الإنصاف » .

وإلى صاحب السند إذ ظهرت العصبية^(٥) :

« كل من دعا إلى الجاهلية ، تعجل إلى المنية » .

وفي رواية أخرى : وكتب إليه صاحب السند بظهور العصبية ،

فوقع : « من أظهر العصبية فعاجله بالمنية » .

وإلى عامله على خراسان :

« كل من رفع رأسه فازله عن بدنه » .

وفي رقعة متظلم من عامله على الأهواز - وكان بالمتظلم عارفاً - :

(١) بيت العدو : أوقع بهم ليلاء والاسم البيات .

(٢) وله خبر في فتنة الأمين - انظر تاريخ الطبري ١٠ : ١٩٢ .

(٣) لا أم لك : شتم وسب ، معناه : ليس لك أم حرة - وذلك أن بني الإمام عند العرب مذمومون ليسوا بمرضيين ولا لاحقين ببني الحرائر - وقيل معناه : أنت لقيط لا تعرف لك أم ، ولا يقول الرجل لصاحبه لا أم لك إلا في غضبه عليه مقصرا به شاكيا له (وربما وضع موضع المدح ، بمعنى التعجب منه) (٤) في الأصل « المعصية » وهو تحريف - انظر ما بعده .

(٥) في الأصل « المعصية » وهو تحريف - انظر ما بعده .

« قد وليّك موضِعَه . فتَنَكَّبَ^(١) سِيرَتَه » .

وفي كتاب بَكَارِ الزُّيُورِ إليه يخبره بسرّ من أسرار الطالبين :
« جرى الله الفضل^(٢) خيرَ الجزاء في اختياره إياك ، وقد أثابك
أمير المؤمنين مائة ألف بحُسنِ نيتك » .
وإلى محفوظ صاحب خراج مصر :
« يا محفوظ ، اجعل قرع^(٣) مصر قرعا واحدا وأنت أنت » .
وإلى صاحب المدينة :

« ضع رجليك على رقاب أهل هذا البطن^(٤) ، فإنهم قد أطلوا ليلى
بالشهاد ، ونفوا عن عيني لذيذ الرقاد » .
ووقع إلى السُّنْدِي^(٥) بز شامك :
« خَفِ الله وإمامك . فهما نجانك » .
وإلى سليمان بن أبي جعفر في كتاب : ورد عليه منه يدُ كُرُوثوب
أهل دمشق :

« استَحَيْتُ لشيخٍ وَلَدَه المنصورُ أن يَهْرُبَ مِنْ لَدَه كِنْدَةُ وطِيٍّ .
فَهَلَّا قَابَلَتْهم بوجهك وَأَبْدَيْتَ لَهُم مَفْحَتَكَ^(٦) ، وبذلتَ لَهُم مِئْتَتَكَ ،

(١) أي اعدل عنها .

(٢) يعني الفضل بن يحيى الرمكي .

(٣) في الأصل العقد العريد « احل فرح مصر فرحا واحدا » وهو تحريف ، وأرى أن صوابه
« احل فرع مصر فرعا واحدا » والفرع : المال الطائل المعدّ ، أو صوابه « احل خراج مصر
خراجا واحدا » والمعنى : است مخرّاج مصر دية واحدة ، وأنت قارّ في مكائك دون أن تحصر برقة
(٤) البطن من الأرض : البطن .

(٥) كان صاحب الحرس ، وله خبر في فتنة الأمين أيضا - انظر تاريخ الطبري ١٠ : ١٥٧ .

(٦) أبدى لهم صمغته : حاهرم بالعداوة .

وكنـت كـروان^(١) ابن عمك ؟ إذخـرج مُصَلِّتًا^(٢) لـسيفه ، مـتمثلاً بـبيت
الجـحاف بن حـكيم :

مـتَقَلِّدِينَ صَفَائِحًا هـِنْدِيَّةً يـتـركـن مـن ضـرِبوا كـمن لـم يـولَدِ^(٣)
جـالـدَـبـه حـتـى قُـتِلَ ، إـمـا بـدِعةً ، وإـمـا خـلَّةً ، أشـد هـِـرَاشًا^(٤) ، وأخـشـن مـِرَاسًا ،
ولـولا أن يـقال . . . لـقـلت رَحمـه اند ، لله أُمُّ تَنـدُـبـه ، وأبُّ أُنـهَضَه ! »

وكتب مـتـمـلك الروم إلى هـُرُون الرـشـيد : « إني مـتـوجّه نـحوك بـكل
صـلـيب في مـمـلـكتي ، وکل بَطَل في جـنـدي ، فـوقـع في كـتابـه :
« سَيَـيـلُـمُ الْكـافِرُ لِمَن عَقَبَى الدَّارِ^(٥) » .

وكتب إليه تـقـفـور مـلك الروم يـتـهـدده ، فـوقـع في كـتابـه : « الجـواب
مـابـراه لا مـاتـقـرؤه^(٦) » .

ووقـع إلى صـاحـب النـصـرانـية بالروم : إنا بالآثر ، وعلى الله الظفر .
وكتب إليه يـحـيى بن خـالـد مـن الـحـبـس حـين أحـس بالموت : « قد تـهـدَّم
الـخـصـمُ إلى مـوقـف الفـصـل ، وأنت بالآثر ، والله الحَكَمُ العَدْلُ ، وسـتـقـدِّم فتـعـلـم .
فـوقـع فيـه الرـشـيد .

« الحَكَمُ الذی رضیتہ فی الآخرة هو أعدی الخدم علیک ، وهو
من لا یُرَدُّ حُکمه . ولا یُضَرَفُ مِضاؤُه^(٧) :

(١) یعنی مروان بن محمد محمد ، آخر خلفاء بنی أمیہ .

(٢) اصلت اسيف : سله وحرده .

(٣) الصفائح : السوف المرصعة ، والهدية : المصوعة الهدى .

(٤) الحلة : الحصلة ، وعراشا : ای مایلا .

(٥) انظر ص ٣٢٦ من الجزء الثالث .

(٦) انظر ص ٣٢٥ من الجزء الثالث

(٨) انظر ص ٢٢٣ من الجزء الثالث

ووقع إلى علي بن عيسى بن ماهان ، وقد كتب إليه بقتل العُمُرُكي^(١) :
« بَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ » .

المأمون

ووقع المأمون في قصة متظلم من علي^(٢) بن هشام :
« يا أبا الحسين ، الشريف^(٣) من يظلم من فوقه ، ويظلمه من دونه ،
فانظر أي الرجلين أنت ؟ » .

وإلى هشام : « لا أُذْنِيكَ وَلَكَ يَبَابِي خَصْمٌ » .
وإلى الرُّشْتَمِيّ وقد تظلم منه غَرِيمٌ^(٤) له :
« ليس من المروءة أن تكون أوانيك من الذهب والفضة ، وجارك
طاو^(٥) ، وغريمك خاو » .

وفي قصة متظلم من عمرو بن مَسْعُودَة :
« يا عمرو ، عمّر نِعْمَتِكَ بِالْعَدْلِ ، فَإِنْ الْجَوْرُ يَهْدِمُهَا »
وفي قصة متظلم من أبي عباد :
« يا ثابت ، ليس بين الحقِّ والباطل قرابة » .

(١) نسبة إلى عمرك منحوتا من عمر كسكر (كما قالوا حضرمي في النسب إلى حضرموت) وكسكر
بكسر : كورة واسعة كانت قصبتها واسط التي بين البصرة والكوفة ، والعمر بالضم : الدير
للنصارى ، وهذا العمر في شرق واسط ، يحيط به بساتين نخيل بينه وبين دجلة .

(٢) انظر ص ٥٢٩ من الجزء الثالث .

(٣) وفي رواية العقد : « من علامة الشريف أن يظلم ... » .

(٤) الغريم : الدائن .

(٥) أي جائع ، من الطوى : وهو الجوع ، وفي رواية العقد : « وعريمك خاو » .

وفي قصة متظلم من أبي عيسى أخيه :
 « فَإِذَا تُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ يَنْتَهُمُ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ » :
 وفي قصة متظلم من حميد الطوسي :
 « يَا أَبَا غَنَمٍ ، لَا تَقْتَرْ بِمَوْضِعِكَ مِنْ إِمَامِكَ ، فَإِنَّكَ وَأَخْسَثُ عبيده
 فِي الْحَقِّ سَيِّئَانِ » .
 وفي رواية أخرى : « يَا أَبَا حَامِدٍ ، لَا تَتَكَلَّمْ عَلَى حَسَنِ رَأْيِي فِيكَ ،
 فَإِنَّكَ وَأَحَدَ رِعْيَتِي عِنْدِي فِي الْحَقِّ سَوَاءٌ » .
 وإلى طاهر^(١) صاحب خراسان :
 « إِحْمَدُ ، أَبَا الطَّيِّبِ ، إِذَا أَحْلَكَ خَلِيفَةُ مَحَلَّ نَفْسِهِ مِنْ نَفْسِهِ ، فَمَا لَكَ
 مَوْضِعٌ تَسْمُو إِلَيْهِ نَفْسُكَ إِلَّا وَأَنْتَ فَوْقَهُ عِنْدَهُ » .
 وفي كتاب بشر بن داود^(٢) :
 « هَذَا أَمَانٌ عَاقَدْتُ اللَّهَ فِي مَنَاجَاتِي إِيَّاهُ » .
 وفي كتاب قُتَيْبِ بْنِ جَعْفَرٍ فِي فَدَاكَ حِينَ أَمَرَهُ بِرَدِّهَا^(٣) :
 « قَدْ أَرْضَيْتَ خَلِيفَةَ اللَّهِ فِي فَدَاكَ ، كَمَا أَرْضَى اللَّهُ خَلِيفَتَهُ فِيهَا » .
 وفي قصة متظلم من محمد بن الفضل الطوسي :
 « قَدْ احْتَمَلْنَا بَدَاءَكَ^(٤) وَشَكَاسَةَ خُلُقِكَ ، فَأَمَّا ظُلْمُكَ لِلرَّعِيَةِ فَإِنَّا
 لَا نَحْتَمِلُهُ » .

(١) هو طاهر بن الحسين وكنيته أبو الطيب .

(٢) انظر تاريخ الطبري ١٠ : ٢٨١ .

(٣) انظر ص ٥٠٩ من الجزء الثالث وفي الأصل « إبراهيم بن جعفر » وصوابه « قم بن جعفر » .

(٤) البذاء والبذاءة . السفه والفحش في المطلق ، وقد بذؤ وشك فهو بذىء ، وشكس ككرم

فهو شكس كصعب وكشف ورجل (بفتح فضم) أى صعب الخلق .

ووقع إلى بعض عماله :

« طالع كل ناحية من نواحيك ، وقاصية من أقاصيك ، بما فيه استصلاحها » .

وكتب إليه إبراهيم بن المهدي في كلام له : « إن ففرت فيفضلك ، وإن أخذت فيحققك » فوق في كتابه :

« القدرة تذهب الحفيظة^(١) ، والندم جزء من التوبة ، وبينهما عفو الله » .

ووقع في رُقعة مولى طلب كسوة :

« لو أردت الكسوة ، للزمت الخدمة ، ولكنك آثرت الرقاد ، فحظك الرويا » .

ووقع في يوم عاشوراء لبعض أصحابه - وقد وافته الأموال - :

« يُرثمر له بخمسمائة ألفٍ لطول همته ، ولثمامة بن أشرس بثلاثمائة ألف لتركه ما لا يعنيه ، ولأبي محمد الزيدى يؤمر له بخمسمائة ألف لكبره ، وللمعلّى بخمسمائة ألف لصحيح سنّته^(٢) ، ولإسحق بن إبراهيم بخمسمائة ألف لصديق لهجته ، وللعباس بخمسمائة ألف لفصاحة منطقه ، ولأحمد^(٣) بن أبي خالد بألف ألف لخافته شهرته ، ولإبراهيم بن بويه كذلك لسرعة دمعته ، وللمريسي بثلاثمائة ألف لإسباغ وضوئه^(٤) ، ولعبد الله بن بشر بمثلها لحسن وجهه » .

(١) الحفيظة : الغضب ، ويروى أن قول ابن المهدي ورد المأمون عليه كان مشافهة لا مكتوبة - انظر جمهرة خطب العرب ٣ : ٢٦ .

(٢) في الأصل « سنه » وأراه محرفا .

(٣) أحد وزراء المأمون - انظر خبره في الفخرى ص ٢٠٥ .

(٤) أسبغ الوضوء : أبلغه مواضعه ووفى كل عضو حقه .

ووقع إلى الواقدي وقد كتب يذكر ديننا عليه ويستمنح :
 « فيك خصلتان : سخاء وحياة ، أما السخاء فهو الذي أطلق يدك فيما
 ملكت ، وأما الحياة فهو الذي حملك على أن ذكرت بعض دينك دون
 كله ، وقد أمرت لك بضعف ما كتبت ، فزد في بسط يدك ، فإن خزان
 الله مفتوحة ، ويده بالخير مبسوطة » .

ووقع إلى عامل شكاه أهل عمله :
 « إن آثرت العدل حصلت على السلامة ، فأنصف رعيته من
 هذه الظلّامة » .

ووقع إلى نصر بن سيار^(١) .
 « يا أبا رافع ، إنني رافعك إلى ومطهر^(٢)ك من الذين كفروا^(٣) » .
 وزفع إليه أهل السواد قصة في إتيان الجراد على غلاتهم ، فوقع فيها :
 « نحن أولى بضيافة الجراد ، من أهل السواد ، فليحط عنهم نصف
 الخراج » .

وكتب إليه عبد الله بن طاهر يشكو إليه بعدد عن حضرة ، ويسأله
 الإذن له في الإلما^(٣) بها ، فوقع في كتاب :

(١) كذا جاء في خاص الحاص ، وهو خطأ ، فإن نصر بن سيار مات في ساوة بالقرب من همدان سنة
 ١٣١ — انظر وفيات الأعيان ١ : ٢٨٢ في خلال ترجمة أبي مسلم ، وتاريخ الطبري ٩ : ١٠٢ —
 وقد قدمنا لك في ص ٣٣٣ من الجزء الثالث أن رفع بن ليث بن نصر بن سيار خرج على الرشيد
 بسرقة وخلعه سنة ٩٠ ، فالظاهر أن الذي كتب إليه المأمور ، هذا التوقيع هو ابن رافع هذا .
 (٢) اقتبس من الآية الكريمة : « إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْقُطْ إِلَيَّ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ
 وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا » .
 (٣) ألم به : نزل .

« قُرْبِكَ يَا أبا العباسِ إِلَى حَيْبٍ ، وَأَنْتَ مِنْ قَلْبِي حَيْثُ كُنْتُ قَرِيبٌ ،
وَلَمَّا بَعْدَتْ دَارُكَ ، نَظَرًا بِكَ ، وَرَغْبَةً إِلَيْكَ ، مَعَ قَوْلِ الشَّاعِرِ :
« رَأَيْتُ دُنُوَّ الدَّارِ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِذَا كَانَ مَا بَيْنَ الْقُلُوبِ بَعِيدٌ »
وَلَمَّا مَاتَ عَمْرُو بْنُ مَسْعُودَةَ رُفِعَتْ إِلَى الْمَأْمُونِ رُقْعَةٌ أَنَّهُ خَلَّفَ ثَمَانِينَ
أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَوَقَعَ فِي ظَهْرِهَا :
« هَذَا قَلِيلٌ لِمَنْ اتَّصَلَ بِنَا ، وَطَالَتْ خِدْمَتُهُ لَنَا ، فَبَارَكَ اللَّهُ لَوْلَاهُ فِيمَا
خَلَّفَ ، وَأَحْسَنَ لَهُمُ النَّظَرَ فِيمَا تَرَكَ » .

الوائق

وكتب محمد بن حمّاد يعرّض في حاجة له يبتغي شعر إلى الواثق يقول :
جذبتُ دواعي النَّفْسِ عَنْ طَلَبِ الْمُنَى وَقَلْتُ لَهَا كُنِّي عَنِ الطَّلَبِ الْمُزْرِي
فَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِكَفِّهِ مَدَارُ رَحَى بِالرِّزْقِ دَائِبَةٌ تَجْرِي
فَوَقَعَ تَحْتَهُمَا : « جَذَبْتُكَ نَفْسَكَ عَنْ امْتِهَانِهَا بِالسَّأَلَةِ دَعَانِي إِلَى صَوْنِكَ
بِسَعَةِ فَضْلِي عَلَيْكَ ، فَخُذْ مَا طَلَبْتَ هَنِيئًا » .

أبو مسلم الخراساني

ووقع أبو مسلم الخراساني في كتاب سليمان^(١) بن كثير الخزاعي :
« لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ » .

(١) أحد دعاة العباسيين — انظر الجزء الثاني ص ٥٥٧ — وبعد أن تم الأمر للسفاح اتهم أبو مسلم
سليمان بن كثير قتلته — انظر تاريخ الطبري ٩ : ١٤٢ .

وإلى أبي العباس في يزيد بن إسماعيل بن هبيرة :
« قَلَّ طَرِيقٌ سَهْلٌ تُلَقَّى فِيهِ الْحَجَارَةُ إِلَّا عَادَ وَعَرَا ، وَاللَّهُ لَا يَصْلُحُ طَرِيقُ
فِيهِ ابْنُ هَبِيرَةَ أَبَدًا ^(١) » .

وإلى محمد بن صول - وكتب إليه بسلامة أطرافه - :
« وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ »
وإلى عامله يبلخ : « لَا تُؤَخِّرْ عَمَلُ يَوْمٍ لَعْدٌ » .
وإلى أبي سلمة الخلال حين أنكر نيته :
« وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ، وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ
قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ » .

عمرو بن عبيد

وكتب أبو جعفر المنصور إلى عمرو ^(٢) بن عبيد .
« أبا عثمان ، أَعْنِي بِأَصْحَابِكَ ، فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الْعَدْلِ ، وَأَصْحَابُ الصَّدَقِ ،
وَالْمُؤَثِّرُونَ لَهُ » فوق في كتابه : « ارفع عِلْمَ الْحَقِّ يَتَّبِعُكَ أَهْلُهُ » .

أبو عبيد الله

وكتب إلى أبي عبيد الله كاتب المهدي رجل يعتذر ولا يُحْسِنُ ،
فوقع في كتابه .

(١) النظر ص ٥ من الجزء الثالث .

(٢) هو أحد أئمة المعتزلة . وكانت أخته زوجة واصل بن عطاء ، توفي سنة ١٤٤ ، انظر ترجمته

في وفيات الأعيان ١ : ٣٨٤ والنية والأمل ص ٢٢ .

« ما رأيتُ عُذْرًا أَشْبَهَ بِاسْتِثْنافِ ذَنْبٍ مِنْ هَذَا » .

الفيض بن أبي صالح

ووقع الفيض^(١) بن أبي صالح في رُقعة معتذر تائب :
« التوبة للمُذْنِبِ كالدواء للمريض ، فَإِنْ نَصَحْتَ^(٢) تَوْبَتُهُ . أَتَمَّ اللَّهُ
شِفَاءَهُ ، وَإِنْ تَكُنِ الْآخِرَى أَدَامَ اللَّهُ دَاءَهُ » .

يحيى بن خالد البرمكي

ووقع يحيى بن خالد البرمكي في جواب رُقعة لابنه الفضل و ما أهونَ
التدبيرَ بالوصف «

وفي رُقعة متظلمٌ ليعْرِضَ التوقيع على من شكاه : « أَنْصِفْ مَنْ وَلِيْتَ
أَمْرَهُ ، وَإِلَّا أَنْصَفَهُ مِنْكَ مَنْ يَلِي أَمْرَكَ^(٣) » .
وإلى رجلٍ ا. تبطأه واستزابه « أَجْنَحُ إِلَيْكَ بِغَالِبِ الْفَضْلِ ، وَأَعْتَذِرُ
إِلَيْكَ بِصَادِقِ النِّيَّةِ » .

جعفر بن يحيى البرمكي

ورقَّع جعفر بن يحيى البرمكي في رُقعة محبوس التمس الإطلاق :
« لِكُلِّ أَجَابٍ كِتَابٌ »^(٤) .

(١) ورر للمهدى ، ووفى سنة ١٧٣ - اطار برحمته في المسمى ص ١٦٩ .

(٢) أى خلصت .

(٣) ويعرى هذا التوقيع إلى ابنه جعفر .

(٤) وفي حاشي الحاشي أن هذا التوقيع لأبيه يحيى بن خالد .

ووقع في مثله : « المدلُّ أوقعه ، والتوبة تُطلقه » .
 وفي قصة مُنَصِّح^(١) : « بعضُ الصديق قبيح » .
 وأكثرَ الناسُ شكِيَّةً حامل فوقع إليه في قصتهم :
 « يا هذا ، قد كثُرَ شاكوكُك ، وقُلَّ شاكروك ، فإِذَا اعتدلتَ ،
 وإِذَا اعتزلتَ »^(٢) .

وفي قصة رجل شكَا بعضَ خَدَمِهِ :
 « خذ بأذنيه ورأه ، فهو مَالِك »
 وإلى عامل فارس في رَجُل كَتَبَ إليه بِالْوَصَاةِ .
 « كُنْ لَهُ كَأَيِّهِ وَلَوْ كَانَ مَكَانَكَ »
 وإلى عامل مصر في رَجُلٍ مِنْ بَطَانَتِهِ يوصيه :
 « إِنَّهُ رَغِبَ إِلَى شِعْبِكَ^(٣) ، فَارْغَبْ فِي اصْطِنَاعِهِ »
 وفي قصة متظلم من بعض عماله « إني ظلمتُكَ دِرْتَهُ » .
 وفي قصة محبوس : « الجناية حبستهُ ، والتوبة تُطلقه » .
 وإلى قوم : « عَيْنُ الْخَلِيفَةِ تَكَلُّوْا^(٤) ، وَنَظَرُهُ يَعْمُكُمْ » .
 وفي رقعة صَرُورَةٍ اسْتَأْذَنَهُ فِي السَّجِّ : « مَنْ سَافَرَ إِلَى اللَّهِ أَنْجَحَ »^(٥) .

(١) تنصح • تشبه بالناصح .

(٢) وفي رواية الكامل للبزد . « وقل حامدوك ، فإِذَا عدلت ... » وفي نهاية الأرب :
 « وكتب محمد إلى يحيى بن هرمه — وكان حامله على أصفهان — وقد تظلم منه أهلها : «يا يحيى ...»
 ولا ندرى من محمد المذكور ، إذ لم يرد بعده ما يعينه ، وجاء في شرح نهاية الأرب عن يحيى بن هرمه :
 (كدا في الأصل ، ولم تقف على هذا الاسم فيس بولي عمل أصفهان ، ولعل صوابه « هرمة ») .

(٣) الشعب بالكسر . ما فرج بين جبلين ، سعى به وادي النيل .

(٤) أي تحرسكم .

(٥) أنجح : صار ذا نصح .

- وفي قصة رجل شكَا عُرْبَةً^(١) : « الصوم لك وِجَاءٌ »^(٢) .
- وفي رقعة رجل سأل ولاية : « لا أُؤَلِّي بعضَ الظالمين بعضاً » .
- وفي قصة رجل سأل أن يُقْفَلَ^(٣) ابنه ، فقد طالت غَيْبَتُهُ عنه :
« غيبةُ يوسف صلى الله عليه وسلم كانت أطول »
- وفي قصة رجل تظلم من أحد عماله : « إنَّ^(٤) لِي مثله حتى يُنصفَكَ » .
- وفي قصة قوم شكوا سوءَ جِوَارِ بعضِ قرابته : « يَرْحَلْ عنكم » .
- وفي قصة مستمنح كان قد وصله مراراً :
« دَعِ الضَّرْعَ يَدِرْ لغيرك كما درَّ لك »^(٥)
- وإلى الفضل بن الربيع ، وجاءه منه كتاب غمّه وأكْرَبَتُهُ :
« كثرةُ مُلاحاةٍ^(٦) الرجال ، ربّما أراقت الدماء »
- وإلى منصور بن زياد في أمر عاتبه فيه : « لم تَزِرْ عَكَ لِنَحْصُودِكَ » .
- وإلى بعض عماله : « اجعل وسيلتك إلينا ما يزيدك عندنا » .
- وكتب إليه رجل يستبطئه ، فوقع في ظهر كتابه :
« أحتجُّ عليك بغالب القضاء ، وأعتذرُ إليك بصادق النية »^(٧)

(١) العزبة : العروبة .

(٢) أحذه من قوله صلى الله عليه وسلم : « يامعشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج ، فأغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجَاءٌ » والباءة النكاح ، ووج التيس وجثا ووجاء : إذا دق عروق حصيته بين حجرين من غير أن يخرجهما ، أى أن الصوم يقطع الشهوة للنكاح كما يقطعها الوجاء ، إذ أن الموحوء لا يصرب .

(٣) أقفل الجند : ردم من الغزو إلى وطنهم .

(٤) أى بث شكواك وتوجع ، أمر من أن يثن : أى تأوه من الوجع .

(٥) وفى خاص الحامس أن هذا التوقيع لأبيه محي .

(٦) الملاحاة : المازعة ، وفى العقد « ملاحاة الدماء » وأراه محرفاً .

(٧) انظر ص ٤٤٤

وإلى بعض ثدماؤه : « لا تُبْعِدَ مَن ضَمَّكَ » .

ووقع إلى متصل من ذنب : « حُكِّمُ الْفَلَتَاتِ خِلَافُ حَكْمِ الْإِصْرَارِ » .
وكتب إليه أن صاحب الطريق قد اشتطَّ فيما يطلب من الأموال
فوقع : « هذا رجل منقطعٌ عن السلطان ، وبين دُوَّبانٍ^(١) العرب ، بحيثُ
الْعَدْدُ وَالْعُدَّةُ ، وَالْقُلُوبُ الْقَاسِيَةُ ، وَالْأَنْوْفُ الْحَمِيَّةُ ، فَلْيُمْنِدْ مِنَ الْمَالِ
بِمَا يَسْتَصْلِحُ بِهِ مَنْ مَعَهُ ، لِيَدْفَعَ بِهِ عَدُوَّهُ ، فَإِنْ تَفَقَّاتِ الْحُرُوبُ يُسْتَظْهَرُ لَهَا ،
وَلَا يُسْتَظْهَرُ عَلَيْهَا » .

ووقع في رقعة معتذِرٍ من ذَنْبٍ :

« قد تقدَّمتُ طاعتك ، وسبقتُ^(٢) نصيحتك ، فإن بدَّرتُ منك
هفوةً فلن تغلبَ سيئةٌ حسنتين » .

ووقع - وقد قرأ كتابا فاستحسن خطه - :

« الْخَطُّ خِيطُ الْحِكْمَةِ ، يُنْظَمُ فِيهِ مَشْوَرُهَا ، وَيَفْصَلُ فِيهِ شُدُورُهَا^(٣) » .
ووقع : « الْخَرَاجُ عَمُودُ الْمَلِكِ ، وَمَا اسْتَنْزَرُ^(٤) بِمِثْلِ الْعَدْلِ ، وَمَا اسْتُنْزِرَ
بِمِثْلِ الْجَوْرِ » .

وكتب عمرو بن مسعدة إلى ضَمْرَةَ الْحَرُورِيِّ^(٥) كتابا ، فنظر فيه جعفر
ابن يحيى فوقع في ظهره :

(١) دُوَّبانُ العرب : لموصمهم وصاليكهم .

(٢) وفي رهر الآداب « وطهرت » .

(٣) الشدر (بالفتح) : قطع من الذهب ، حرر يوصل بها النظم ، أو هو اللؤلؤ الصغار ، واحدة شذرة .

(٤) استنمر : كثر ، واستنر : قلل .

(٥) كان الخوارج يسمون « الحرورية » نسبة إلى حروراء ، وهي قرية بظاهر الكوفة نزلوها

حين أعلوا عليها بعد رجوعه من صفين .

« إذا كان الإكثار أبلغَ كان الإيجاز مقصراً ، وإذا كان الإيجاز كافياً كان الإكثار عيباً » .

ويروى أن جعفر بن يحيى قال لكتّابه : « إن قدّرتُم أن تجعلوا كُتُبكم كلها توقيعاتٍ فافعلوا^(١) » .

وقال ابن خلدون في مقدمته^(٢) : « وقد كان جعفر بن يحيى وقع في القصص بين يدي الرشيد . ويرى بالقصة إلى صاحبها ، فكانت توقيعاته يتنافس البلاء في تحصيلها ، للوقوف فيها على أساليب البلاغة وفنونها ، حتى قيل إنها كانت تباع كل قصيدة منها بدينار » .

وقال ابن خلكان في وفیات الأعيان^(٣) « ويقال إن جعفر بن يحيى وقع ليلةً بحضرة هرون الرشيد زيادةً على الـ . توقيع . ولم يخرج في شيء منها عن دُوجِب الـ » .

وقال الجاحظ في البيان والبيان^(٤) : « وخبرني جعفر بن سعيد رضيع أيوب بن جعفر وحاجبه قال : ذكرت لعمر بن مسعدة توقيعات جعفر ابن يحيى قال : قد قرأت لام جعفر توقيعات في حواشي الـ . تب وأسافلها ، فوجدتها أجود اختصاراً ، وأجمع للمعاني » .

(١) انظر الكامل للبرد ١ : ١٤٤ وأدب الكتاب ص ١٣٤ وص ٢٢٨ والصناعين ص ١٦٦ وجاء في الصاعتين أيضاً (ص ١٨١) أنه مع إعجابه بالإيجاز قال : « متى كان الإيجاز أبلغ كان الإكثار عيباً ، ومتى كانت الكفاية في موضع الإكثار كان الإيجاز تقصيراً » .

(٢) الطرقات ديوان الرسائل والكتابة ص ٢٧٤ .

(٣) انظر ج ١ : ص ١٠٥ .

(٤) انظر ح ١ : ص ٥٩ .

الفضل بن يحيى

ووقع أخوه الفضل : « بئس الزاد إلى المعاد ، التعدي على العباد » .

الفضل بن سهل

وكتب الفضل بن سهل إلى أخيه الحسن :
« الحمد لله يا أخى ، فما يبيت خليفة الله إلا على ذكر كرك » .
وإلى طاهر بن الحسين : « تخير ما اصطنعت » .
وإليه أيضا : « لشر ما سموت » .
وإلى هرة ثمة - وأشار عليه برأى - : « لا يحل ما عقدت » .
وفي قصة متظلم : « كفى بالله للمظلوم ناصرا » .
وفي قصة من تقب بيت المال : « يذرا^(١) عنه الحد إن كان له فيه سهم » .
ووقع إلى حاجبه : « تمهل وتمهل » .
وإلى صاحب الشرطة : « ترفق ترفق » .
وفي قصة متظلم : « طيب نفسا ، فإن الله مع المظلوم » .
وإلى رجل شكَا غلبة الدين :
« قد أمرنا لك بثلاثين ألفا ، وسند فقمها بمثلها ، ليرغب المنتصِحون^(٢) »

(١) يدفع .
(٢) انتصح : قبل الصبح .

وإلى رجل شكاً إليه الدين :

« الدِّينُ سَوْءٌ يَهِيضُ^(١) الْأَعْنَاقَ ، وَقَدْ أَمَرْنَا بِقَضَائِهِ »

وفي قصة قوم قطعوا الطريق :

« إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ » .

وفي امرئ قاتلٍ شهيدٍ عليه العدوُّ فشُفِّعَ فيه : « كَتَابُ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ » .

وفي قصة رجلٍ شهيدٍ عليه أنه شتم أبا بكر وعمر : « يُضْرَبُ دُونَ الْحَدِّ وَيُشْهَرُ^(٢) ضَرْبُهُ »

وفي رقعة ساج :

« نَحْنُ نَرَى قَبُولَ السَّعَايَةِ شَرَامِنَهَا ، لِأَنَّ السَّعَايَةَ دَلَالَةٌ ، وَالْقَبُولَ إِجَازَةٌ ، وَلَيْسَ مَنْ دَلَّ عَلَى شَيْءٍ وَأَخْبَرَ بِهِ كَمَنْ قَبِلَهُ وَأَجَازَهُ ، فَاتَّقُوا السَّاعِيَ فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ فِي سَعَايَتِهِ صَادِقًا ، لَكَانَ فِي صَدَقَةِ آثِمًا ، إِذْ لَمْ يَحْفَظِ الْحُرْمَةَ ، وَيَسْتُرُ الْعَوْرَةَ ، وَالشَّيْءُ يُقَرَّنُ مَعَ جَنْسِهِ » .

ووقع إلى تميم بن خزيمة^(٣)

« الْأُمُورُ بِتَامِهَا . وَالْأَعْمَالُ بِخَوَاتِمِهَا ، وَالصَّنَائِعُ بِاسْتِدَامَتِهَا ، وَإِلَى

(١) هاس العظم يهيضه : كسره مد الجور .

(٢) شهره كنعه ، وشهره . أظهره في شنة .

(٣) وفي كتاب بغداد لابن طيغور والعقد الفريد : ووقع طاهر بن الحسين إلى خزيمة بن خازم :

« الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِمِهَا ، وَالصَّنِيعَةُ بِاسْتِدَامَتِهَا ، وَإِلَى الْعَاةِ مَا جَرَى الْحَوَادِ ، مُحَمَّدُ السَّابِقُ ، وَذِمُّ السَّاقِطِ » .

الغاية يجرى الجواد ، فهناك كشفتِ الخيرة قناعَ الشكِّ ، فحمدَ السابق ،
وذمَّ الساقط .

الحسن بن سهل

ووقع الحسن بن سهل في قصة متظلم :
« يُنظر فيما رَفَعَ ، فإن الحق متَّبِع ، وإلا فشانُ السَّليم دواء السَّقيم » .
وفي قصة قوم تظلموا من واليهم :
« الحقُّ أولى بنا ، والعدلُ بُعِثنا ، وإن صَحَّ ما ادَّعيتم عليه صَرَفناه
وعاقبناه » .

وفي قصة امرأة حُبِس زوجها : « الحقُّ يحبسُه والإِنصافُ يُطَلِّقه » .
وكتب إليه رجل من الشعراء يقول له :
رَأَيْتُ فِي النُّومِ أَنِّي رَاكِبٌ فَرَسًا وَلِي وَصِيفٌ وَفِي كَفِي دَنَانِيرُ^(١)
فَقَالَ قَوْمٌ لَهُمْ فَهْمٌ وَمَعْرِفَةٌ : رَأَيْتَ خَيْرًا وَلِلْأَحْلَامِ تَعْبِيرُ
رُؤْيَاكَ فَسَّرْ غَدًا عِنْدَ الْأَمِيرِ تَجِدُ فِي الْحَلْمِ دُرًّا وَفِي الْإِنُّومِ التَّبَاشِيرُ
فَوَقَعَ فِي أَسْفَلِ كِتَابِهِ : « أَضْغَاتُ أَحْلَامٍ^(٢) وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ
الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ، وَالْحَقُّ لَهُ مَا التَّمَسَّه^(٣) » .

(١) الوصيف : الخادم والحادمة .

(٢) أضغاث أحلام : رؤيا لا يصح تأويلها لاختلاطها .

(٣) وفي رواية أخرى لصاحب العقد : « عن البطين الشاعر قال : قدمت على علي بن يحيى الأرمي ،
فكُتِبَ إِلَيْهِ ... » والبيت الثالث :

رُؤْيَاكَ فَسَّرْ غَدًا عِنْدَ الْأَمِيرِ تَجِدُ تَعْبِيرَ ذَاكَ وَفِي الْفَالِ التَّبَاشِيرُ

وَبَعْدَهُ : لَجِئْتُ مُسْتَبَشِّرًا مُسْتَشْعِرًا فَرَحًا وَعِنْدَ مِثْلِكَ لِي بِالْفِعْلِ تَنْشِيرُ

وكتب إليه رجل يتوسل بسالف إحسانه ، فوقع :
« مَرْحَبًا بِمَنْ تَوَسَّلَ إِلَيْنَا بِنَا » وأمر له بصلة

طاهر بن الحسين

ووقع طاهر بن الحسين في رقعة مُتَنَصِّح : « سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ
أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ » .

وفي رقعة مستبطن إياه في الجواب : « تَرَكُ الْجَوَابَ جَوَابٌ »
ورفع إليه مستمنح وكذب في عدد عياله - وكان طاهر يعرِفهم - فوقع :
« لَا جَوَابَ لِكُذَّابٍ » ثم عاود وصدق في عددهم ، فوقع : الْآنَ
جِئْتَ بِالْحَقِّ » وأمر له بصلة .

ووقع في كتاب رجل تظلم من أصحاب نصر بن شبث^(١) :
« طَلَبْتَ الْحَقَّ فِي دَارِ الْبَاطِلِ » .

ووقع في قصة قَهْرَمَان^(٢) له شكاء سوء معاملة :
« ائْتَمَحْ يُسْمَحْ لَكَ » .

ووقع في قصة رجل طلب قبالة^(٣) بعض أعماله :
« الْقِبَالَةُ مِفْتَاحُ الْفَسَادِ ، وَلَوْ كَانَتْ صَلَاحًا مَا كُنْتَ لَهَا مَوْضِعًا » .
وإلى السُّنْدِيِّ بْنِ شَاهَكَ - وجاءه منه كتاب يسأله الأمان - :
« عِشْ مَا لَمْ أَرَكْ » .

(١) في العقد « نصر بن شبث » وهو تحريف ، وقد تقدم .
(٢) هو كالحازن والوكيل الحافظ لما تحت يده ، والقائم بأمور الرجل بلغة الفرس ، معرب .
(٣) القبالة : الكفالة ، قبل به كنصر وسمع وضرب فهو قبيل : أي ضامن وكفيل .

وإلى العباس بن موسى الهادي - واستبطأه في خراج الكوفة - :
 وليس أخو الحاجاتِ مَنْ باتَ نائماً ولكن أخوها مَنْ يبيتُ على وَجَلٍ
 ووقع في قصة رجل شكاً أنَّ بعض قواده تزل في دارله وفيها حُرْمُهُ^(١) :
 « إذا رأيته في ناحية دارك فقد حلَّ لك قتله » .
 ووقع في قصة رجل ذكر أنَّ أخاه قُتل في طاعة المأمون :
 « سالك طاعة الله ، والله وليُّ جزائه » .
 ووقع في قصة رجل ذكر أنه قتل في يوم واحد عشرة من أصحاب
 المخلوع « الأمين » :
 « لو كنت كما وصفت لم يخف علينا ما ذكرت » .
 ووقع في قصة رجل ذكر أن منزله أُحرق بالنار :
 « أخطأك مَنْ قصَّدك » .
 ودخل على طاهر كاتب العباس بن موسى - وكان ركيكاً - فقال :
 أخيك ابنُ موسى يُقرئك السلام ، قال : وما تلي من أمره ؟ قال : أنا كاتبه
 الذي أطعمه الخبز ، فوقَّع :
 « يُعزل العباس ، بسوء اختياره للكفاء^(٢) » .
 ووقع في قصة محبوب : « يُخرج ولا يُخوِّج » .
 ووقع في قصة آخر : « يُطلق ويُعتق »
 ووقع في قصة مستمنح : « يُبل^(٣) حاله »

(١) حرم الرجل : نساؤه وما يحمي .
 (٢) الكفاء والأكفاء جمع كفاء ، وربما كان الأصل « للكفاءة » بضم الكاف ، جمع كاف
 (٣) بله كنصره : نداء ، وبل رجمه : وصلها ، استعاروا البيل لمعنى الوصل كما استعاروا اليبس

ووقع في رقعة مستوصيل : « يُقَامُ أَوْدُهُ ^(١) »
 ووقع في قصة مستجير : « أنا جارُهُ »
 ووقع في قصة مستأمن : « يَوْمَنْ سِرْبُهُ ^(٢) »
 ووقع في قصة قاتل : « لا يُوْخِرُ قَتْلُهُ »
 ووقع في قصة شاعر : « يَمَجِّلُ ثَوَابَهُ »
 ووقع في قصة لص : « يُنْفِذُ حُكْمُ اللَّهِ فِيهِ »
 ووقع في قصة ساعر : « لا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ »
 ووقع في قصة قوم شغبوا على عاملهم :
 « الشَّغَبُ لِفَرْقَةٍ سَبَبٌ ، فَلْتُمْنَحَ أَسْمَاؤُهُمْ ، وَتُحَسِّنَ آدَابُهُمْ ، وَتُقَطَّعَ
 بِالنِّفَى آثَارُهُمْ »

عبد الله بن طاهر

وأدب عبد الله بن طاهر بعض قواده فمات ، فرُفِعَ إليه أن الناس
 يقولون : إنه قتله ، فوقع : « إِنَّمَا أَدْبَنَّا فَوَاقِقَ الْأَدَبِ الْأَبْلَ » .
 وأهدى نصر بن شَبَث ^(٣) إليه هدايا كثيرة فردّها ، فزاد فيها وبعثها
 ليلا مع رُقعة في معناها ، فردّها ووقع في الرقعة :

لمعنى القطيعة ، وفي الحديث « ملوا أرحامكم ولو بالسّلام » أى ندّوها بالصلة ، وربما كان الأصل « يبلى
 حاله » من بلاء يبلوه إذا اختبروه .

(١) الأود : الاعوجاج .

(٢) السرب : النفس والقلب .

(٣) في خاص الخاص « نصر بن شبيب » أيضا ، وهو تحريف .

« لو قِبلتُ الهدية ليلاً لَقَبَلْتُها نهاراً ، وما آتاني الله خَيْرٌ مِنَّا آتاكمُ ،
بَلْ أَنْتُمْ بِهِدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ^(١) » .

ووقع إلى عمّال له شكّام الرعية :

« قد قدّمتُ إليكم الإِعذارَ ، واحتججتُ إليكم بالإِنذارَ ، وليت العتابَ
بالغما ما أردتُ ، ولقد هممتُ بأن أجعلَ معاقِدَتِي لكم معاقبةً ، فانتهبوا من
سِنَتِكُمْ ^(٢) ، وانظُرُوا لأنفسِكُمْ ، وأحسِنُوا بالأَكْرَةِ ^(٣) ، فإن الله تعالى
جَعَلَ أَيْدِيَهُمْ لَنَا طَعَاماً ، وألَسَنَتَهُمْ سَلاماً ، وظَلَمَهُمْ حَرَاماً ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ
وَأَبْقَى ، أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ؟ »

وكتب إليه بعض قواده يسأله حَظَّ خراجِه والزيادةَ في أرزاقه ، فوقع
في كتابه :

« أفي النوم أبصرتَ ذا كَلِّهِ ؟ تخيراً رأيتَ ، وخيراً يكون ! »

يوسف بن القاسم

ووقع يوسف ^(٤) بن القاسم - والد أحمد بن يوسف - إلى عامل :
« إن كنتَ مُنْصِيفاً من نَفْسِكَ فَلِمَ تَظْلِمُ لغيرِكَ ؟ وإن ظلمتَ لغيرِكَ
فكيف تَنتَصِفُ من نَفْسِكَ ؟ » .

ووقع في رقعة رجل قد استباحه :

(١) وفي رواية أخرى أن تلك القصة كانت لعبد الله طاهر مع عبيد الله بن السري بمصر - انظر
ما قدمناه في ص ٥٠٤ من الجزء الثالث .

(٢) السنة : الناس .

(٣) الأكار : الحراث وجمعه أكرّة ، كأنه جمع آكر في التقدير .

(٤) روى الصولي في كتاب الأوراق ١ : ١٥٦ أن يوسف بن القاسم كان بخلف يحيى بن خالد على
التوقيع في داره ودار أمير المؤمنين .

« قد أمرنا لك بشيء هودونَ قدرك على الاجتهاد ، وفوق كفايتك مع الاقتصاد^(١) » .

ولما ولى الرشيد على بن عيسى بن ماهان خراسان ، سأل الرشيد أشياء ثقّلت عليه ، فقال ليوسف ، عرفه مقدار ما فعلتُ به ، فأبى أظنه جهله ، فوقّع إليه :

« قد كفيّناك بما ولّيناك ، وخراسان تُسْعِك ما وسّعك عُمرٌ » .
ووقع إلى بعض ولده :

« إذا لم يكن معروفك إلا عند من تعرفُ ، لم يحزْ معروفك رِواقَ بيتك » .

ووقع : « من جور الدنيا أنها لا تُعْطِي أحدا ما يستحق ، إِمّا أن تزيد وإِمّا أن تنقصه » :

ووقع إلى بعض ولده :

« إياك وصحبة فلان ، وإن كآت قريبَ النسب منك ، فإنه بعيد الشبه بك ، فقد يفسد على الإنسان بعضُ جسده فيقطعه وهو أولى به وأقرب » .

ووقع : « إن إساءة المحسن أن يكفَّ عنك إحسانه ، وإحسان المسيء أن يكفَّ عنك إساءته ، وأبعد ما بينهما » .

ووقع إلى رجل كذبه في شيء :

(١) ورد في العقد العريد أن الحسن بن سهل كتب هذا التوقيع في قصة رائد ، وبه « في الاستحقاق » محل قوله « على الاحهاد » .

« لو صُوِّرَ الصدق لكان أسداً ، ولو صُوِّرَ الكذب لكان ثعلباً ، وما صاحباهما بيعيدَين من هاتين الصورتين » .

أحمد بن يوسف

ووقع أحمد بن يوسف إلى عامل ظالم :
« الحقُّ واضحٌ لمن طلبه ، تهديده مخجَّته ، ولا تُخافُ عُثرته ، وتؤمن
في السرِّ مغيبته ، فلا تتقلبنَّ منه ، ولا تعدلنَّ عنه ، فقد بالغتُ في مناصحتك ،
فلا تُخوِجني إلى معاودتك ، فليس بعد التقديمِ إليك ، إلا سَطوةُ
الإنكار عليك »



ووقع في كتاب رجل يحثه على استتمام صنائعه عنده :
« مستتمُّ الصَّنِيعَةِ مَنْ صَابَرَها ، فعَدَّلَ زَيْنَها ، وأقام أودَها ، صيانةً
لمعروفه ، ونُصرةً لرأيه ، فإنَّ أولَ المعروفِ مستخَفٌّ ، وآخره مستثقلٌ ،
تكاد أوائله تكون للهوى ، وأواخره تكون للرأى ، ولذلك قيل : رَبُّ^(١)
الصَّنِيعَةِ أَشَدُّ مِنْ ابْتِدَائِها »



ووقع في عناية بإِنسان إلى بعض العمال :
« أنا بفلان تامُّ العناية ، وله شديد الرعاية ، وكنت أحبُّ أن يكون

(١) رب الصبيعة كصبر: نعاما وزادها وأتمها وأصلحها ، وفي زهر الآداب « تنمى الصبيعة ... »

ما أَرَعَيْتُهُ طَرَفَكَ مِنْ أَمْرِهِ فِي كِتَابِي ، مُسْتَوْدَعًا تَسْمَعُكَ مِنْ خُطَابِي ، فَلَا تَعْدِلَنَّ بِعَنَائِكَ إِلَى غَيْرِهِ ، وَلَا تَمْنَحَنَّ تَقَقُّدَكَ سِوَاهُ ، حَتَّى تُثِيلَهُ إِرَادَتَهُ ، وَتَجَاوِزَ بِهِ أُمْنِيَّتَهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .



وَوَقَعَ إِلَى رَجُلٍ غَضَبٌ رَجُلًا عَلَى ضَيْعَةٍ وَكَانَ غَائِبًا فَاسْتَغْلَاهَا سَنِينَ ، وَقَدِمَ الرَّجُلُ فَطَالَبَهُ فَقَالَ : الضَّيْعَةُ لِي وَفِي يَدِي ، فَوَقَعَ إِلَيْهِ أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ :
« الْحَقُّ لَا تَخْلُقُ »^(١) جِدَّتُهُ ، وَإِنْ تَطَاوَلْتَ بِالْبَاطِلِ مَدَّتُهُ ، فَإِنْ أَنْطَقْتَ حُجَّتَكَ بِإِفْصَاحٍ ، وَأَزَلْتَ مُشْكِلَهَا بِإِيضَاحٍ - غَيْرَ « لِي وَفِي يَدِي » فَكَثِيرًا مَا أَرَاهَا ذُرِيَّةَ الْغَاصِبِ ، وَحِجَّةَ الْمَغَالِبِ - وَفُرْحَكَ عَلَيْكَ ، وَسِيقَ بِلَا كَدٍّ إِلَيْكَ ، وَإِنْ رَكَنْتَ مِنَ الْبَيَانِ إِلَيْهَا ، وَوَقَفْتَ مِنَ الْإِحْتِجَاجِ عَلَيْهَا ، كَانَتْ حُجَّتُهُ بِالْبَيِّنَةِ أَعْلَى ، وَكَانَ بِمَا يَدَّعِيهِ أَوْلَى ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .



وَمِنْ تَوْقِيعَاتِهِ :

« مَا عِنْدَ هَذَا فَائِدَةٌ وَلَا عَائِدَةٌ »^(٢) ، وَلَا لَهُ عَقْلٌ أَصِيلٌ ، وَلَا فِعْلٌ جَمِيلٌ .



وَوَقَعَ إِلَى حَامِلٍ قَدْ أَخَّرَ حَمْلَ مَالٍ :

« قَدْ اسْتَبْطَأَكَ الْإِغْفَالُ ، وَأَبْطَرَكَ الْإِهْمَالُ ، فَمَا تُصْحِبُ قَوْلَكَ فَعَلَا ،

(١) خَلَقَ الثَّوْبَ كَصَرٍّ وَكَرَمٍ وَصَمْعٍ : بَلَى .

(٢) الْعَائِدَةُ : الْمُنْعَةُ وَالْمَعْرُوفُ .

وَلَا تُتْبِعْ وَعْدَكَ إِجْازًا ، وَقَدْ دَافَعْتَ بِمَالِ نَجْمٍ^(١) لَزِمَكَ حَمْلُهُ ، حَتَّى
وَجَبَ عَلَيْكَ مِثْلُهُ ، فَاحْمِلْ مَالَ ثَلَاثَةِ أَنْجُمٍ ، لِيَكُونَ مَا يُتَعَجَّلُ مِنْكَ أَدَاءً
مَا خَرَّ عَنْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .



ووقع إلى رجل استماحه :

« وَدِدْتُ لَوْ مَلَكَتُ بِفَيْتَاكَ ، لِبَلِّغْتُكَ أَمْنِيَّتَكَ ، وَلَكِنِّي فِي عَمَلٍ
قَصِدْتُ فِيهِ اتِّخَاذَ الْحَامِدِ ، وَعَدَلْتُ عَنْ اقْتِنَاءِ الْفَوَائِدِ ، نَفْسٌ^(٢) نَصِيْبِي مِنَ
الْوَفْرِ ، وَوَفَّرَ حَظِّي مِنَ الشُّكْرِ ، وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِمَا يَجِلُّ عَنْهُ قَدْرُكَ ، غَيْرَ
مُخْتَارِلِهِ ، بَلْ مُضْطَرًّا إِلَيْهِ ، فليَكُنْ مِنْكَ عُذْرٌ فِيهِ ، وَشُكْرٌ عَلَيْهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

عمرو بن مسعدة

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ مَسْعَدَةَ : كُنْتُ أَوْقَعُ بَيْنَ يَدَيِ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى الْبَرْمَكِيِّ ،
فَرَفَعَ إِلَيْهِ غِلْمَانَهُ وَرَقَةً يَسْتَزِيدُونَهُ فِي رَوَاتِهِمْ ، فَرَمَى بِهَا إِلَيَّ ، وَقَالَ : أَجِبْ
عَنْهَا ، فَكُتِبَتْ : « قَلِيلٌ دَائِمٌ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مُنْقَطِعٌ » فَضَرَبَ يَدَهُ عَلَى
ظَهْرِي وَقَالَ : « أَيُّ وَزِيرٍ فِي جِلْدِكَ ! »^(٣)

(١) اللحم والقسط : الحصبة ، وكانت العرب تؤقت طلوع النجوم ، لأهم ما كانوا يعرفون الحساب ،
وإنما يحفظون أوقات السنة بالأبواء ، وكانوا يسمون الوقت الذي يحل فيه الأداء نجما تحورا ، لأن
الأداء لا يعرف إلا باللحم ، ثم توسعوا حتى سموا ما يؤدى نجما لوقوعه في الأصل في الوقت الذي يطلع
فيه اللحم ، واشتقوا منه فقالوا : نجمت الدين نجما إذا جعلته محوما .

(٢) في الأصل « نخس » وأرى أنه محرف وصوابه نخس وهو ما يقتضيه المقام ، والوفر : العي .

(٣) وفي حاشي الحاش : « ورفع إلى يحيى بن خالد قوم من حشمه يستزيدونه في أرائقهم ، فأمر
أس بن أبي شيح بالتوقيع في قصصهم ، فوقع بين يديه « قليل دائم خير من كثير منقطع » فأعجب به
يحيى فقال : قد فاحت منك رائحة الوراثة .

محمد بن يزداد

ومن توقيعات محمد بن يزداد^(١) :

« أبوابُ الملوك مَعَادِنُ الحاجات^(٢) ، ومَوَاطِنُ الطَّلِبَاتِ ، وليس لاستنجاحها واستنجازها كالصبر والملازمة ، والمُعَادَاةُ والمِراوَحَةُ .
ومنها : « ما استحالَت لي فيك نِيَّةٌ ، ولا تَغَيَّرَتْ عَقِيْدَةٌ ، فكيف أُخْلِفْتُ وَعْدَكَ ، وأُحِلُّ عَقْدَكَ ، وَأَنْقُضُ عَهْدَكَ ، وَأَنْسَى رِفْدَكَ؟^(٣) »

عبد الله بن محمد بن يزداد

ووقع عبد الله بن محمد بن يزداد إلى بعض أصحابه :

« يا أبا العباس . ليس عليك بأسٌ ، ما لم يكن منك بأسٌ » .

ووقع إلى حامل اغتر^(٤) بكفايته وزاد :

« يا هذا : أَشْرَفْتَ وما أَنْصَفْتَ . وَأَوْجَفْتَ^(٥) حتى أَعْجَفْتَ ، وَأَدَلَلْتَ

حتى أَمَلَلْتَ ، فاستصغِرْ ما فعلتَ تَبْلُغْ ما أَمَلْتَ » .

(١) هو أبو عبد الله محمد بن يزداد بن سويد آخر وزراء المأمون - انظر خبره في الفهرى

ص ٢٠٨ - .

(٢) قدمنا لك في ص ٤٣٤ من الجزء الثالث أن المأمون وقع في كتاب لأحمد بن يوسف : « الخير

متبع ، وأبواب الملوك مغان لطالبي الحاجات ... » وفيه روايتان أخريان ، انظرهما هناك .

(٣) الرد : العطاء والصلة .

(٤) في الأصل « خاص الخاص » « اعتذر » وأرى أنه محرف ، وأن صوابه « اغتر » أو

« اغتر » أو « اعتد » .

(٥) وجف الفرس والبعير كوعد وحيث : عدا ، وأوحفه : أعداه ، وعجفت الدابة كتعب :

هزلت ، وعجفها كنصر وصرب وأعنفها : هزلها ، وأدل عليه وتدل : انبسط وولق بمحبته فأفرط عليه .

إبراهيم بن العباس

وورد كتاب بعض الكتاب إلى إبراهيم بن العباس بمدح رجل وضم
آخر، فوقَّع في كتابه :

« إذا كان للمحسن من الجزاء ما يُقْنِعُهُ ، وللمُسِيء من النَّكال
ما يَقْمَعُهُ ^(١) . بَدَلَ الحسنِ الواجبِ على رغبةٍ ، وانتقاد المسِيءِ للحق رَهْبَةً .
فوثب الناس يقبلون يده .

ووقع لرجل مَتَّ ^(٢) إليه بحرمة :
« قد مَتَّ بحرمة مألوفة ، ووسيلة معروفة ، أقوم بواجبها ، وأرعاها من
جميع جوانبها » .

محمد بن عبد الله بن طاهر

ووقع محمد بن عبد الله بن طاهر إلى الكتاب ، وقد ضاقت بهم
الكواغِدُ ^(٣) في أيام فتنة المستعين والمعتز .
« دَقُّوا الأَقْلَامَ ، وَأَوْجِزُوا الكلامَ ، فَإِنَّ القَرَّاطِيسَ لَا تُرَامُ ،
والسلام » .

واعتذر رجل إلى محمد بن عبد الله بن طاهر من شيء بلغه عنه ، فرأى
خطه قبيحا فوقَّع في رقعته .

(١) قمع كمنعه : قهره وذله .

(٢) أي توسلت .

(٣) الكواغِد جمع كاغِد بالفتح : وهو القراطيس ، معرب .

« أردنا قبولَ عُذْرِكَ ، فاقطعنا عنه ما قابلنا من قبيح خطك ، ولو كنتَ صادقاً في اعتذارك ، لساعدتُك حركةُ يدك ، أو ما علمتَ أن حسن الخط يناضل عن صاحبه بوضوح الحجة ، ويمكن له ذك البُغية ؟ »

عبيد الله بن سليمان بن وهب

ورفع إلى عبيد الله بن سليمان بن وهب عامل من عماله ، « إن في نيت النار كائونا من آثار الأَكاسرة ، وفيه أكثر من ألفي رطل فضة ، وفي فضته توفيرٌ لبيت المال » فوقع :

« حِرْصُكَ على تَقْفِيَةِ آثار الأوائِل ، يدلُّ على لُؤْم أصْلِكَ ، فبُعْدًا وَسُخْطًا^(١) لك . »

ووقع في كتاب متنجِّز إياه وعدا : « الشرطُ أمْلَأكُ ، والوعدُ كَأْخِذٍ باليدِ ، والوفاء من سجايا الكرام »

وفي كتاب مثله : ليس كل من أنسيناه أهملناه ، ولا من أخرناه تركناه ، مع اقتطاع الشغل إيانا ، واقتسائه زماننا^(٢) »

ووقع في شأن عامل : « أنا قادر على إخراج هذه النعرة^(٣) من رأسه ،

(١) السحق بالضم وبضبتين : البعد .

(٢) انظر ما قدمناه في ص ٣٢٦ .

(٣) النعرة ضم ففتح وكرقة : الخلاء والكبر ، يقال : إن في رأسه نعرة : أي كبرا ، والأصل فيه أن الحمار إذا نعر (كفرح) ركب رأسه ، فيقال لكل من ركب رأسه : فيه نعرة ، وفي خاص الحمار « النعرة » وهو تصحيف .

والوَحْرَةَ^(١) من صدره ، والنَّخْوَةَ^(٢) من نفسه »

ووقع إلى ابن طولون . « اتق الله في الأرصاد ، فإن الله بالمِرْصادِ »

عبد الله بن المعتز

وكتب إلى عبد الله بن المعتز قَهْرَ مائه^(٣) ينسب وكيه إلى الخيانة والسرقة ، ويستأمره في الاستدلال به ، فوقَّع في رقعته :

« أَغْنِ مَنْ وَلِيَّتَهُ عَنِ السَّرِقَةِ ، فَلَيْسَ يَكْفِيكَ مَنْ لَمْ تَكْفِهِ » .

وكتب إليه بعض مواليه يذكر جِدَّه في خدمته وتوقعه زيادة نظر له ، فوقَّع : « مَنْ نَصَحَ الخِدْمَةَ نَصَحَتَهُ المَجَازاةُ » .

علي بن عيسى

وكتب إلى علي بن عيسى^(٤) بعض العمال في ذكر أموال متخيرة ، وتقاصَّح في كتابه :

(١) الوحرة في الأصل : وزغة تكون في الصغارى أصغر من العظاءة (بكسر العين) وهي على شكل سام أبرص ، وقيل : صرب من العطاء ، وهي صغيرة حمراء تعدو في الجباين ، لها ذنب دقيق تمصع به إذا عدت ، وهي أخبت العطاء ، لا تطأ طعاما ولا شرابا إلا شمتته ، ولا يأكله أحد إلا أخذه قىء ، وربما هلك آكله ، والوحر بالتحريك أيضا : غش الصدر ويلابله والغيظ والحقد ، قالوا : وأصل هذا من تلك الدوية التي يقال لها الوحرة ، شبهوا المداوة ولروقها الصدر بالتزاق الوحرة بالأرض ، وفي خاص الحاص « والوغرة » وهو تحريف .

(٢) النخوة : الكبر والعظمة ، وفي رهم الآداب « والحررة » وهو تحريف .

(٣) القهرمان : هو كالحازن والوكيل الحافظ لما تحت يده ، والقائم بأمور الرجل بلغة الفرس .

(٤) هو علي بن عيسى بن الجراح ، ولى الوزارة للمقتدر مرارا ، وكان هو وعلي بن الفرات يتناوبان الوزارة - انظر خبره في الصغرى ص ٢٤١ .

« دعنى من تشديقك وتشعيرك ، وتقاصح على نظيرك ، فخير الكلام ما قل ودل ولم يُعل » .

وكتب إليه ابن الفرات يستشهد على زور فوق في رقعته :
« لا تلنى على نكوصى عن الشهادة لك بالزور ، فإنه لا بقاء لاتفاق على نفاق ، ولا وفاء لذى مئى^(١) واختلاق^(٢) ، وأخرى بمن تعدى الحق فى موافقتك إذا رضى ، أن يخطئ إلى الباطل فى مخالفتك إذا سخط ، وبمن كذب لك ، أن يكذب عليك » .

« العقد الفريد ١ : ٨٣ ، ٢ : ١٦٥ ، ١٨٧ - ١٩١ وزهر الآداب ١ : ٢٣٠ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٣٤ و ٢ : ٤٣ و ٣ : ١٩٩ ، ٣٥٤ وخاص الخاص للثعالى ص ٦٨ - ٧٢ ووفيات الأعيان ١ : ١٠٥ ، ٣٩٠ والكامل للمبرد ١ : ١٤٣ ونهاية الأرب ٧ : ٢٦١ ومقدمة ابن خلدون ص ٢٧٤ وعبود الأخبار م ٣ : ص ١٠٠ وتاريخ الطبرى ٩ : ٣١٥ وكتاب الأوراق لأبى بكر الصولى ١ : ١٥٨ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ومعجم الأدباء ٦ : ٩٠ (طبع هدية) وأدب الكتاب ص ٥٣ وثمر الخصائص الواضحة ص ٣٥ ، ص ٢٩٥ وكتاب بغداد لابن طينور ٦ : ١٢٧ - ١٢٩ .

(١) المئى : الكذب .

(٢) فى الأصل « واختلاف » وهو تصحيف .

استدراك

فاتنا أن نورد هذه الرسالة في موضعها من الجزء الثالث ، وهما هي ذى :

رسالة الإمام مالك في

السنن والمواظع والآداب

كتبها

الى امير المؤمنين
هارون الرشيد
وزيره يحيى بن
حنياله البرمكي

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فإنني كتبت إليك بكتاب لم آلك فيه رُشداً ، ولم أدخرك فيه نصحا ، تحميداً لله ، وأدبا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتدبره بعقلك ، وردّد فيه بصرك ، وأزعه سمعك ، ثم اعقله بقلبك ، وأحضره فهمك ، ولا تُغيّب عنه ذهنك ، فإن فيه الفضل في الدنيا ، وحسن ثواب الله تعالى في الآخرة ، أذكر نفسك غمرات الموت وكربته ، وما هو نازل بك منه ، وما أنت موقوف عليه بعد الموت ، من العرض على الله سبحانه ، ثم الحساب ، ثم الخلود بعد الحساب . وأعدّ الله عز وجل ما يسهل به عليك أهوال تلك المشاهد وكربها ، فإنك لو رأيت أهل سُخطِ الله تعالى ، وما صاروا إليه من ألوان العذاب ، وشدة يقمته عليهم ، وصمت زفيرهم في النار وشهيقهم ، مع كلّوج^(١) وجوههم ، وطول غمهم وتقلبهم في دركاتهما على وجوههم ، لا يسمعون ولا يُنصرون ، ويدعون بالويل والثبور^(٢) - وأعظم من ذلك حسرة إعراض الله تعالى عنهم ، وانقطاع رجائهم ، وإجابته إياهم بعد طول

(١) كلج كمع كلوحا وكلاما : تكسر في عوس .

(٢) الثور : الهلاك

الغم بقوله : « اِخْسَتْوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ » - لم يتعاطفك^(١) شيء من الدنيا
 إن أردت النجاة من ذلك ، ولا أمتك من هوله ، ولو قدّمت في طلب النجاة
 منه جميع ما ملك أهل الدنيا ، كان في معاينتك ذلك صغيرا ، ولو رأيت أهل
 طاعة الله تعالى ، وما صاروا إليه من كرم الله عز وجل ، ومنزلتهم مع قُربهم
 من الله عز وجل ، ونُصرة وجوههم ، ونور ألوانهم ، وسرورهم بالنعيم المقيم ،
 والنظر إليه ، والمكانة منه ، لتقلل في عينك عظيم ما طلبت به صغيرا ما عند
 الله ، ولصغر في عينك جسيم ما طلبت به صغيرا ذلك من الدنيا ، فاحذر على
 نفسك حذرا غير تغرير ، وبادر بنفسك قبل أن تُسبق إليها ، وما تخاف
 الحسرة منه عند نزول الموت ، وخاصم نفسك على مهل ، وأنت تقدر بإذن
 الله على جر المنفعة إليها ، وصرف الحجة عنها ، قبل أن يتولى الله حسابها ، ثم
 لا تقدر على صرف المكروه عنها ، واجعل من نفسك انفسك نصيبا بالليل
 والنهار ، وصل من النهار اثنتي عشرة ركعة ، واقرأ فيهن ما أحببت ، إن شئت
 فصلهن جميعا ، وإن شئت متفرقات ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله تعالى
 عليه وسلم أنه قال : « من صَلَّى من النهار اثنتي عشرة ركعة بنى الله له بيتا
 في الجنة » ، وصل من الليل ثمانى ركعات بجزء من القرآن ، وأعط كل
 ركعة حقها والذي ينبغي فيها من تمام الركوع والسجود ، وصلهن مثنى
 مثنى ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يصلي من الليل ثمانى
 ركعات ، والوتر ثلاث ركعات ، سوى ذلك ، يسلم من كل اثنتين ، وصم

(١) تعاطفه : عظم عليه .

ثلاثة أيام من كل شهر: الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « ذلك صيام الدهر » وأعط زكاة مالك طيبة بها نفسك ، حين يحول عليها الحول ، ولا تؤخرها بعد حلها^(١) ، وضعتها فيمن أمر الله تعالى ، ولا تضعها إلا في أهل ملكتك من المسلمين ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « إن الله تعالى لم يرض من الصدقة بحكم نبي ولا غيره حتى حدها هو على ثمانية أجزاء » ، قال عز وجل: « إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ » واحجج حجة الإسلام من أطيب مالك ، وأزكاه عندك ، فإن الله تعالى لا يقبل إلا طيباً ، وبلغني أن قوله تعالى : « فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ، وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ » غفر^(٢) له .
مُربطاً الله ، وأحبب عليها ، وأنه عن معاصي الله تعالى ، وأبغض عليها ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، فَإِنَّمَا هَلَكٌ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِتَرْكِهِمْ نَهْيَهُمْ عَنِ الْمَعاصِي ، وَلَمْ يَنْهَهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ^(٣) ، فَمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنْزَلَ بِكُمْ الَّذِي تَزَلُّ بِهِمْ ، فَإِنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، لَا يُقَدِّمُ أَجْلاً ، وَلَا يَقْطَعُ رِزْقاً » . أحسن إلى من خولك^(٤) الله تعالى ،

(١) حل الحق حلاً وحلولاً : وجب .

(٢) الغفر : الغفران .

(٣) الرباني : منسوب إلى الرب أي الله تعالى كقولهم إلهي : هو المتأله العارف بالله ، والحبر

بالكسر ويفتح : العالم .

(٤) التخويل : التملك ، خوله الله نعمة : ملكه إياها ، والمعنى : إلى خدمتك وعبيدتك الذين

تملكهم وتلي أمرهم .

واشكر تفضيله إياك عليهم ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يُصلي فأنصرف وقال : « أَطَّتْ ^(١) السماء ، وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَطُتَ ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا عَلَيْهِ جَبْهَةُ مَلَكٍ سَاجِدٍ ، فَمَنْ كَانَ لَهُ خَوْلٌ ^(٢) فَلْيُخْسِنْ إِلَيْهِ ، وَمَنْ كَرِهَ فَلْيَسْتَبْدِلْ ، وَلَا تَعْذِبُوا خَلْقَ اللَّهِ . أَلْزِمِ الْأَدَبَ مَنْ وَلِيَتْ أَمْرَهُ وَأَدَبَهُ ، وَمَنْ يَجِبُ عَلَيْكَ النَّظَرُ فِي أَمْرِهِ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِلْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ : « لَا تَرْفَعْ عَصَاكَ عَنْ أَهْلِكَ ، وَأَخْفِهِمْ فِي اللَّهِ » . لَا تَسْتَسْلِمُ إِلَى النَّاسِ ، وَاسْتَجْرِمِ ^(٣) فِي طَاعَةِ اللَّهِ ، لَا تَنْمِصَ ^(٤) النَّاسَ ، وَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِوَصِيَّةِ نُوحٍ ابْنِهِ ، قَالَ : آمُرُكَ بِاثْنَيْنِ ، وَأَنْهَاكَ عَنْ اثْنَيْنِ : آمُرُكَ بِقَوْلٍ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ فِي كِفَّةٍ ، وَالسَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ فِي كِفَّةٍ ، وَزَوَّاتُهَا ، وَلَوْ وَضَعْتَهَا عَلَى حَلْقَةٍ قَصَمْتَهَا ، وَقُل : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، فَإِنَّهَا عِبَادَةُ الْخَلْقِ ، وَبِهَا تُقْطَعُ ^(٥) أَرْزَاقُهُمْ ، فَإِنَّهُمَا يُكْثِرَانِ لِمَنْ قَالَهُمَا الْوُلُوجَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَنْهَاكَ عَنِ الشَّرِّ وَالْكِبَرِ ، فَإِنَّ اللَّهَ مُحْتَجِبٌ عَنْهُمَا ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : أَمِنْ الْكِبَرِ أَنْ يَكُونَ لِي الدَّابَّةُ النَّجِيَّةُ ^(٦) ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : أَمِنْ الْكِبَرِ أَنْ يَكُونَ لِي الثَّوبُ الْحَسَنُ ؟ قَالَ :

(١) أَطَّ بَطَّ أَطِيطًا : صَوْتٌ .

(٢) الْخَوْلُ : مَا أَعْطَاكَ اللَّهُ مِنَ الْعَبْدِ وَالْحَدَمِ ، الْوَاحِدُ خَائِلٌ ، وَقَدْ يَكُونُ الْحَوْلُ وَاحِدًا .

(٣) اسْتَجْرِمُ : أَيْ اسْتَخْدَمَهُمْ ، وَالْجَرَى كَفَى : الْحَادِمُ .

(٤) نَمِصَ كَضَرَبَ وَسَمِعَ وَفَرَحَ : احْتَقَرَهُ وَهَابَهُ وَتَهَاوَنَ بِحَقِّهِ .

(٥) أَيْ تَقْدَرُ .

(٦) النَّجِيَّةُ : الْكَرِيمَةُ الَّتِي يَسَاقُ عَلَيْهَا .

لا ، قال : أفمن الكبر أن يكون لى الطعامُ أجمع عليه الناس ؟ قال : لا ، إنما الكبر أن تسفَهَ^(١) الحق ، وتغنصَ الخلق . وإياك والكبر والزَّهْوُ ، فإن الله عز وجل لا يحبهما ، وبلغنى عن بعض العلماء أنه قال : « يُحْشَرُ المتكبرون يوم القيامة فى صُورِ الذَّرِّ^(٢) ، تَطَوُّهُمْ الناس بتكبرهم على الله عز وجل » . لا تأمن على شيء من أمرك مَنْ لا يخاف الله ، فإنه بلغنى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : « شاورْ فى أمرك الذين يخافون الله » . احذرِ بَطَانَةَ السوء وأهل الردى على نفسك ، فإنه بلغنى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما من نبي ولا خليفة إلا وله بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر ، وبطانة لا تَأْلُوهُ خَبَالًا^(٣) ، وهو مع التى استولت عليه ، ومن وُقِيَ بَطَانَةَ السوء فقد وُقِيَ » واستبطنُ أهل التقوى من الناس ، وأكرم ضيفك فإنه يحق عليك إكرامه ، وازرعَ حقَّ جارك : يبذل المعروف ، وكف الأذى عنه ، فإنه بلغنى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكْرِمْ جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » وتكلم بخير أو اسكت ، فإنه بلغنى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقلل خيرا أوليئْسِك » واتقِ فضولَ المنطق ، فإنه بلغنى عن ابن مسعود أنه قال : « أنذركم فضولَ المنطق » . وأكرم من وادَّك وكافئته بمودته ، وإياك والغضب

(١) سفه كمرح : جهل

(٢) الذر : صغار الرمل .

(٣) الخبال : الفساد .

في غير الله . لا تأمر بخير إلا بدأت بفعله ، ولا تنه عن سوء إلا بدأت بتركه .
دَعُ من الأمر ما لا يعنيك ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ » . صِلْ مَنْ قَطَعَكَ ، وَاغْفُ عَمَّنْ
ظَلَمَكَ ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« إِنَّهَا أَفْضَلُ أَخْلَاقِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » . اتَّقِ كَرَّةَ الضَّحْكَ ، فإنه يدعو إلى
السَّفَهَةِ ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أن ضحكك كان تبشُّماً . لا تَمْزَحْ
فَتَذُمَّ نَفْسَكَ ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِنِّي لَا أَمْزَحُ
وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا » . لَا تُخَالِفْ إِلَى مَا نَهَيْتَ عَنْهُ ، وَإِذَا نَطَقْتَ فَأَوْجِزْ ،
فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي نَارِ
جَهَنَّمَ إِلَّا هَذَا ؟ يَعْنِي لِسَانَهُ » . لَا تُصَاعِرْ^(١) خَدَّكَ لِلنَّاسِ ، فإنه بلغني عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِنْ أَهْلَ الْجَنَّةِ كُلُّ هَيْنٍ لَيْنٍ سَهْلٌ طَلَّقَ » .
اترك من أعمال السر ما لا يحسن بك أن تعمله في العلانية ، اتق كل شيء
تخاف فيه تَهْمَةً في دينك ودنياك ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَقِفُ مَوَاقِفَ التَّهْمِ » . أَقْلِلْ طَلَبَ
الْحَوَائِجِ مِنَ النَّاسِ ، فَإِنْ فِي ذَلِكَ غَضَاضَةٌ^(٢) ، وَبَلَّغْنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ : « لَا تَسْأَلِ النَّاسَ » . وَلِيَكُنْ مَجْلِسُكَ بَيْتَكَ أَوْ مَسْجِدَكَ ،
فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « الْمَسَاجِدُ بِيُوتُ الْمُتَّقِينَ » .
لَا تُكْثِرِ الشُّخُوصَ مِنْ بَيْتِكَ إِلَّا فِي أَمْرٍ لَا بُدَّ مِنْهُ ، فإنه بلغني عن النبي صلى

(١) صَعَّرَ حِدَهُ وَصَاعَرَهُ وَأَصْعَرَهُ : أَمَالَهُ عَنِ الطَّرِيقِ إِلَى النَّاسِ هَاوِيًا مِنْ كَرَمٍ .

(٢) الْعَصَاصَةُ : الدَّلَّةُ وَالْمَقْصَةُ .

الله عليه وسلم أنه قال : « ستة مجالس المسلم ضامنٌ على الله ما كان في شيء منهن : في سبيل الله ، أوفى بيت الله ، أوفى عيادة مريض ، أو شهود جنازة ، أو جمعة ، أو عند إمام مقسط ^(١) يعزُّره ويوقِّره . أحسن خلُقك مع أهلك ومن اعتزَّ بك ، فإن في ذلك رضا لربك ، ومحبة في أهلك ، ومثراً ^(٢) في مالك ، ومنسأة ^(٣) في أجلك ، فإنه بلغني عن بعض العلماء من الصحابة أنه قال ذلك . أحسن البشر إلى عامة الناس ، واتق شتمهم وغيتهم ، فإن الله تعالى قال : « أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ » وبلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تشتم الناس » . اتق أهل الفحش ، ومجالسة أهل الردى ، ومحادثة الضعفة ^(٤) من الناس ، فإنه بلغني عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : « اعتبر الناس بأخدانهم ^(٥) ، فإنما يخادِن الرجل الرجلَ مثله » . أكرم اليتيم وارحمه واعطف عليه ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كفَّل يتيماً له أو لغيره كنتُ أنا وهو في الجنة كهاتين » وأشار بأصبعيه ، فضمَّهما . اعرف لابن السبيل حقه ، واحفظ وصية الله تعالى فيه ، فإنه بلغني أن أول من أضاف ^(٦) الضيف إبراهيم الخليل عليه السلام . أعن المظلوم ، وانصره ما استطعت ، وخذ على يد

(١) مقسط : عادل (وفي العدل لغتان : قسط وأقسط ، وفي الجور لغة واحدة ، قسط بغير الألف)

والتعزيز : التعظيم والتعظيم .

(٢) مزاة : أي مكثرة .

(٣) منسأة : أي تأخير .

(٤) جمع ضعيف .

(٥) الأخدان جمع خدن بالكسر وهو : الصاحب ، وخادنه : صاحبه .

(٦) أضاف الرجل وضيَّفه : أنزله به ضيفاً ، وضافه يضيفه ضيفاً وضيافة وتضيفه : نزل عليه

ضيفاً ، وفي الأصل « ضاف » وهو تحريف .

الظالم ، وادفعه عن ظلمه ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من مشى مع مظلوم حتى يثبت له حقه ، ثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام » .
 اتق اتباع الهوى في ترك الحق ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إني أخاف عليكم اثنتين : اتباع الهوى وطول الأمل ، فإن اتباع الهوى يصد عن الحق ، وطول الأمل ينسى الآخرة » . أنصف الناس من نفسك ، ولا تستطل عليهم ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أشرف الأعمال ثلاثة : ذكر الله على كل حال ، ومواساة الأخ من المال ^(١) ، وإنصاف الناس من نفسك » . اغضض بصرك عن محارم الله ، فإنه بلغني عن علي كرم الله وجهه أنه قال : « لا تتبع النظرة النظرة ، فإنما لك النظرة الأولى ، وليست لك الأخرى » . اتق المطعم الوبي ^(٢) ، والمشرب الوبي ، والملبس الوبي ، فإن ذلك تذهب أنفته ^(٣) ، وتبقى عاقبته ، وإن الله سبحانه أذب رسله ، فقال : « كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا » وقال النبي عليه السلام : « من أكل بأخيه المسلم أكلة أطعمه الله مكانها أكلة من نار ، ومن سمع ^(٤) بأخيه المسلم سمع الله به يوم القيامة ، ومن لبس بأخيه المسلم ثوبا ألبسه الله مكانه ثوبا من نار » . اقبل عذر من اعتذر إليك ، ورجع عما كرهت ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) آسأه بماله : أناله منه وجعله فيه أسوة أي قدوة .

(٢) الوبي : مسهل عن الوبي ، يقال : أرض ويثة ووبثة : أي كثيرة البواء وهو الطاعون ، والمراد هنا : المكسوب من طريق غير سريف ، المأخوذ من غير حل .

(٣) أنف الشيء وأفته : أوله وابتدأؤه .

(٤) التسمع : التثنيع والتشهير .

أنه قال : « من اعتذر إلى أخيه المسلم فلم يعتذر ، كان عليه مثلُ وزر صاحب مَكْس^(١) » . لتكن يدك العليا على كل من خالطت ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اليد العليا^(٢) خير من اليد السفلى » . أَتَحَبُّ الأخيارَ ، فإنهم يُعينونك على أمر الله عز وجل ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما تحابَّ رجلان في الله إلا كان أفضلهما أشدهما حُبًّا لصاحبه » . صَلِّ رَحِمَكَ وَإِنْ قَطَعَكَ ، وَلَا تَكْفِثْهُ بِمِثْلِ مَا أَتَى إِلَيْكَ ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا قال له : إن لي أقرباء ، أعفو ويظلموني^(٣) ، وأصلٌ ويقطعوني ، وأحسن ويسيثون إلى^(٤) ، أفسكأهم ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « إِذَنْ تُتْرَكُوا جَمِيعًا ، وَلَكِنْ إِذَا أَسَاءُوا فَأَحْسِنْ فَإِنَّهُ لَنْ يَزَالَ لَكَ عَلَيْهِمْ مِنْ اللَّهِ ظَهِيرٌ^(٥) » . ارحم المسكين المضطرَّ ، والغريب

(١) جاء في لسان العرب : المكس : الضريبة التي يأخذها الماكس ، وهو العشار ، ويقال للعشار صاحب مكس ، وفي الحديث « لا يدخل صاحب مكس الجنة » وفي حديث ابن سيرين قال لأُس : « تستعملني على المكس أي على عشور الناس فأما كسهم ويمسكسوني » قيل معناه : تستعملني على ما ينقص ديني ، لما يخاف من الزيادة والقصاص في الأخذ والترك اه قلا عن النهاية في غريب الحديث لابن الأثير — انظر ج ٤ : ص ١٠٣ .

(٢) اليد العليا : المعطية ، واليد السفلى : المعلقة ، وهو حث على البر والصدقة .

(٣) هكذا في الأصل ، وقد ذكروا أن نون الرفع تحذف جوازا بكثرة في الفعل المتصل بنون الوقاية نحو قوله تعالى « قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ » بتخفيف النون في قراءة نافع ، فالصحيح عند سيبويه أن المحذوف نون الرفع والمذكور نون الوقاية ، وقيل المحذوف نون الوقاية ، وتحذف نون الرفع جوازا بقلة في غير ذلك نحو قوله :

أَيَّتْ أُسْرَى وَتَبِيتِ تَدْلُكِي وَجْهَكَ بِالْعَبْرِ وَالْمَسْكَ الذِّكْرِي

وفي الحديث : « والذي نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا » .

(٤) في الأصل « ويسيثوني » والذي في كتب اللغة أن « ساء » متعد بنفسه ، يقال : ساءه

يسوءه : فعل به ما يكرهه ، تقيض سره ، وأساء متعد بحرف الجر ، يقال : أساء إليه تقيض أحسن إليه ، ويقع متعديا بنفسه ولكن بمعنى أسد ، يقال أساء الشيء : أي أفسده ولم يحسن عمله .

(٥) أي معين .

المحتاج ، وأَعِنّه على ما استطعتَ من أمره ، فإنه بلغني عن ابن عباس أنه قال :
« كل معروف صدقة » . ارحم السائل وارُدْهُ من بابك بفضل معروفك ،
بالبذل منك ، أو قول معروف تقوله له ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال : « رُدَّ عنك مَذْمُومَةُ السائل ، [ولو] بمثل رأس الطير من
الطعام » . لا تَزْهَدْ في المعروف عند مَنْ تعرّفه ، وعند مَنْ لا تعرّفه ، فإنه
بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تَزْهَدْ في المعروف ، ولو أن
تَصُبَّ مِنْ دَلُوكَ في إناء المُسْتَقِي » . أَرِذْ بكل ما يكون منك من خير إلى أحدٍ
الله ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أن قوله عز وجل : « فَوَيْلٌ
لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ، الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ
الْمَاعُونَ » قال : « المنافق » : الذي إن صلى رأى ، وإن فاتته لم يبلغ إليها ،
« ويمنعون الماعون » قال : الماعون : الزكاة التي فرضها الله عز وجل . إياك
والرياء ، فإنه بلغني أنه لا يَصْعَدُ عملُ المرأى إلى الله عز وجل ، ولا يزكّيه
عنده . إن استطعت أن تعمل ما عملت فيما بينك وبين الله فافعل ، فإنه بلغني
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « نَصَرَ الله امرأً سَمِعَ مقالتي فوجهاها
حتى يبلغها غيره ، فَرُبَّ غَائِبٍ أَحْفَظُ مِنْ شَاهِدٍ ، وَرُبَّ حَامِلٍ فَقِيرٍ غَيْرُ
فَقِيرٍ » . لا يَنْفُلُ قلبُ امرئ مسلم عن ثلاث خصال : إخلاص العمل لله ،
والنصيحة للإمام العادل ، والنصيحة لعامة المسلمين ، فإن دعوتهم تُحِيطُ من
ورائهم . إياك وسوء الخلق ، فإنه يدعو إلى معاصي الله تعالى ، وقد بلغني عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خِيَارُكُمْ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا » . اخضع لله إذا

خلوت بعملك، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم « أن ملكا أتاه فقال :
 إن ربك يُقرئك السلام ويقول : إن شئت أجعلك ملكا نبيا ، أو عبدا
 نبيا ، فأشار إليه جبريل عليه السلام أن تواضع ، فما أكل متكثا حتى مات » .
 لا تظلم الناس فيديهم^(١) الله عليك ، فإنه بلغني عن بعض العلماء من الصحابة
 أنه قال : « ما ظلمت أحدا أشد على ظلما ، من أحد لا يستعين على إلا بالله
 تعالى » . احذر البغي ، فإنه عاجل العقوبة ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم
 أنه قال : « إن أعجل الخير ثوابا صلة الرحم ، وإن أعجل الشر عقوبة اليمين
 الغموس^(٢) ، تترك الديار بلا قيع^(٣) » . لا تحلف بغير الله في شيء ، فإنه بلغني عن النبي
 صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تحلفوا بأبائكم ، ليحلف حالف بالله
 أو ليسكت » ولا تحلف بالله في كل شيء ، فإنه بلغني أن ذلك قوله تعالى
 « وَلَا تَجْمَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ » . أرحم الناس يرحمك الله ، بلغني عن
 النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله » . أحبب
 طاعة الله يُحبك الله ويحببك إلى خلقه ، قال عز وجل لنبيه : « قُلْ إِنْ كُنْتُمْ
 تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ » وقال عليه السلام : « إن الله جعل قرّة
 عيني في السجود » وقال بعض العلماء : « ما أَسْرَّ عبد قط سريرة خير إلا
 ألبسه الله رداءها ، ولا أَسْرَّ سريرة شر قط إلا ألبسه الله رداءها » . وليكن
 عليك السكينة والوقار في منطقتك ومجلسك ومركبك ، فإنه بلغني عن النبي

(١) أي فينصرهم ويعطيهم الغلة .

(٢) اليمين الغموس : هي اليمين الكاذبة التي يعتمدها صاحبها علما بأن الأمر بخلافه ، ومميت
 بذلك لأنها تنفس صاحبها في الإثم ثم في النار .

(٣) جمع يتقع كجعفر : الأرض القفر .

صلى الله عليه وسلم أنه قال ، والناس يزحفون حوله : « عليكم بالسكينة » .
 أعطِ دابتك إذا ركبتهَا حظها من الأرض ، وحظها من المقصد عليها ، بلغنى
 عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا ركبتم هذه الدواب العُجَمَ
 فأعطوها حظها من الأرض » . عليك بالحلم والإغضاء عما كرهت ،
 ولا تمنع^(١) ذلك من أحد بلغك عنه أذى ولا تكافئه ، فإن فى ذلك الفضل
 فى الدنيا والآخرة ، بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله يحب
 الحليم الحىء العفيف المتعفف » . ادفع السيئة بالتي هى أحسن ، بلغنى عن
 النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أيها السلمي : اتق العقوق وقطيعة
 الرِّحِم ، فإن فى ذلك شيناً فى الدنيا ، وتباعداً فى الآخرة » ، وبلغنى عن النبي
 صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اشتكت الرِّحِمُ إلى الله عز وجل ممن
 يقطعها ، فردَّ الله عليها : أما ترصنين أن أصلَ من وصلك ، وأقطع من
 قطعك ! » . إذا غضيت من شىء من أمر الله ، فاذكر ثواب الله على كظم
 الغيظ ، قال عز وجل : « وَالكَافِرِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ، وَاللَّهُ
 يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » ، وبلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما امتلأ
 رجل غيظاً ، فكظمه الله ، إلا ملأه الله رضواناً يوم القيامة » . إذا وعدت
 موعداً فى طاعة الله فلا تخلفه ، وإذا قلت قولاً فيه رضا الله فأوف به ودِّم عليه ،
 بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من تكفل لى بسِتِّ اتكفل
 له بالجنة : إذا حدث لم يكذب ، وإذا وعد لم يخلف ، وإذا أوتى لم يخن ؛

(١) فى الأصل « ولا تتبع » وأراه محرفاً .

وَعَصْنَ بَصَرَهُ ، وَحَفِظَ فَرْجَهُ ، وَكَفَّ يَدَهُ . إِذَا حَلَفْتَ عَلَى عَيْنٍ لَيْسَتْ
 مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ فَلَا تَهْمَنَّ بِهَا وَكُفِّرْهَا ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 أَنَّهُ قَالَ : « لَا تَذَرْ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ » وَكَفَّارَتَهَا كَفَّارَةُ عَيْنٍ ، وَالنَّذْرُ عَيْنٌ ، وَإِذَا
 حَلَفْتَ عَلَى عَيْنٍ ثُمَّ رَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا ، فَأَتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَكُفِّرْ عَنْ
 عَيْنِكَ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ . إِيَّاكَ وَالتَّزْيِيدَ
 فِي الْقَوْلِ ، وَأَنْ تَقُولَ قَوْلًا وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنْ النَّبِيِّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : الْإِمَامُ
 الْكَذَّابُ ، وَالْعَائِلُ الْمَرْهُوٌّ^(١) ، وَالشَّيْخُ الزَّانِي^(٢) . بِرَّ^(٣) وَالذِّكُّ وَخُصَمَاهُ
 مِنْكَ بِالْإِطَاعَةِ فِي كُلِّ صَلَاةٍ ، وَأَكْثَرُ لَهْمَا الْاسْتِغْفَارُ ، وَابْدَأْ بِنَفْسِكَ قَبْلَهُمَا ،
 فَإِنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : « رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ » فِدَاءً بِنَفْسِهِ قَبْلَ
 وَالِدَيْهِ ، وَبَلَّغَنِي عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْسَأَ^(٤) لَهُ
 فِي عَمَلِهِ ، وَيَزَادَ فِي رِزْقِهِ ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ، وَلْيَصِلْ رَحْمَتَهُ » . اشْكُرْ لِلنَّاسِ
 مَا آتَوْا إِلَيْكَ مِنْ خَيْرٍ ، وَكَافْتِهِمْ إِنْ قَدَّرْتَ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنْ
 النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ »
 إِذَا رَكِبْتَ دَابَّةً فَوَضَعْتَ رِجْلَكَ فِي الرَّكْبِ كَأَبِ فَقْلٍ : بِاسْمِ اللَّهِ ، وَإِذَا
 اسْتَوَيْتَ رَاكِبًا فَقُلْ : « سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ^(٥) » .

(١) العائل : الفقير ، عال يعيل عيلا وعية : اتقر ، والمرهو : المتكبر ، من الرهو : وهو
 الكدر والتهيه والفقر ، وقد زهى كسى ، وكدما قليلة .

(٢) فعله كعلم وصرح .

(٣) أى يؤخر .

(٤) أى مطيقين ، أقرن للامرء : أطاعه وقوى عليه ، وعن الأمر ضعف ، ضد ، وأول الآية الكريمة

فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول ذلك كلما ركب دابة .
 إذا أكلت وشربت فاذا ذكر اسم الله ، فإن نسييت في أول حالك فاذكره إذا
 ذكرت ، بلغني عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : « تذكر اسم الله
 حين تأكل ^(١) ، فإنه يحول بين الخبيث وبين أن يأكل معك ^(٢) » ، ويتقيأ
 ما أكل » ، فإذا فرغت فقل : الحمد لله الذي أطعنا وسقانا وجعلنا مسلمين ،
 فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول ذلك إذا أكل وشرب ،
 وإذا أكلت ومعك آخر فكل مما يليك يمينك ، ولا تأكل من فوق
 الطعام ، ولا من بين يدي أحد ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
 لرجل يفعله : « اذكر اسم الله ، وكل مما يليك ، وكل يمينك ولا تأكل
 بشمالك ، ولا تشرب بشمالك » ، وبلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
 « إنها لكلة الشيطان » . لا تسافر ما استطعت إلا في يوم الخميس ، فإنه بلغني
 عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يستحب أن يسافر يوم الخميس ،
 لا يسافر إلا فيه . إذا أصابك كرب فقل : يا حيُّ يا قيُّوم ، برحمتك
 أستغيث ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول ذلك عند
 الكرب . احترم من يقرب إليك بالنسيمة ، ويبلغ الكلام عن الناس ،
 بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ملعون من لعن أباه ملعون من

« وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلُكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ، لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا
 نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي . . . »

(١) في الأصل « يذكر » وأراه محررا .

(٢) في الأصل « معه » .

لَعَنَ أُمَّهُ ، مَلْعُونٌ مِنْ غَيْرِ تَحْنُومٍ^(١) الْأَرْضُ ، مَلْعُونٌ كُلُّ صَقَّارٍ ، وَهُوَ
النَّمَامُ . لَا تَجُرُّ ثِيَابَكَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ ذَلِكَ . وَبَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ جَرَّ ثِيَابَهُ خِيَلًا ، لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .
أَطَاعَ اللَّهَ فِي مَعْصِيَةِ النَّاسِ ، وَلَا تُطِيعُ النَّاسَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « لَطَاعَةُ الْمَخْلُوقِ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ » . إِذَا أَصَابَكَ
حُزْنٌ أَوْ سَقَمٌ أَوْ ذِلَّةٌ أَوْ لَأْوَاءٌ^(٢) . — يَعْنِي الْجُوعَ — فَقُلْ : اللَّهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ
شَيْئًا ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ بِذَلِكَ
مَنْ أَصَابَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ . اصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ مِنْ فُجَاعِ الدُّنْيَا وَأَحْزَانِهَا ،
لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى « إِنَّمَا يُؤَفِّقُ الصَّابِرِينَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ » وَالصَّبْرُ مِنْ
الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ . لَا تَمَارِينَ أَحَدًا وَإِنْ كُنْتَ مُحِقًّا ، بَلَغَنِي
أَنْ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ « فَلَا رَفَتْ^(٣) وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ » أَنَّهُ
الْمِرَاءُ^(٤) . إِذَا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا فَفَكِّرْ فِي عَاقِبَتِهِ ، بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِذَا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا فَفَكِّرْ فِي عَاقِبَتِهِ ، فَإِنْ كَانَ رُشْدًا
فَأَمْضِهِ ، وَإِنْ كَانَ غِيًّا فَانْتَهَ عَنْهُ » . إِيَّاكَ وَالتَّجْرِيدَ^(٥) خَالِيًا ، فَإِنَّهُ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ
تَسْتَحْيِيَ مِنَ اللَّهِ إِذَا خَلَوْتَ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :

(١) التخنوم : الفصل بين الأرضين من العالم والحدود .

(٢) في اللسان : اللأواء : الشدة وضيق العيشة ، ومنه الحديث « من صبر على لأواء المدينة ... »
واللأواء المشقة والشدة وقيل القحط ، يقال أصابتهم لأواء وشصاصاء بالفتح وهي الشدة ، وتكون
اللأواء في العلة .

(٣) الرفت : الجماع والقحش .

(٤) كذا في كتب التفسير قالوا : ولا جدال : أي ولا مراء مع الحدم والرققة ، والمرء : المجادلة

(٥) التجريد : التعرية من الثياب .

« لا أحبُّ أن يَلِيَ لِي شَيْئًا مَنْ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ فِي الْخَلَاءِ » . وإياك أن تدخل الحمام والماء إلا يزار ، ولا يدخل معك أحد الحمام إلا يزار ، ولن تقدر على ذلك ، فإن لم تقدر قُضِيَ طَرَفُكَ عن كل أحد كان مكشوفًا ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لَا يَحِلُّ لِمَرِيٍّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَدْخُلَ الْحَمَّامَ إِلَّا يَزَارَ » . أَفْشِ السَّلَامَ ، وإن استطعت ألاَّ يَسْبِقَكَ أَحَدٌ إِلَيْهِ فافعل ، تُعْطَ بِذَلِكَ فَضْلًا عَنِ النَّاسِ ، وبلغني عن ابن مسعود أنه قال : « السَّلَامُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَضَعَهُ فِيكُمْ ، فَأَفْشُوهُ فِيكُمْ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا سَلَّمَ كُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ » . أَدِّبْ وَلَدَكَ وَمَنْ وَلِيَتْ أَمْرَهُ عَلَى خُلُقِكَ وَأَدَبِكَ ، حَتَّى يَتَأَدَّبُوا عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ ، فَيَكُونُوا لَكَ عَوْنًا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ، بلغني عن ابن مسعود أنه قال : « كُلُّ مُؤَدَّبٍ يَحِبُّ أَنْ يُؤْخَذَ بِأَدَبِهِ ، وَإِنْ أَدَبُ اللَّهِ هُوَ الْقُرْآنُ » . وإذا استشارك أحد فإن شئت تكلمت ، وإن شئت سكوت ، واجتهد رأيك ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الْمُسْتَشَارُ بِالْخِيَارِ ، إِنْ شَاءَ تَكَلَّمَ ، وَإِنْ شَاءَ سَكَتَ » . لَا تُفْشِ عَلَى أَحَدٍ سِرًّا أَفْشَاهُ إِلَيْكَ ، فَإِنَّمَا هِيَ أَمَانَةٌ اسْتَوْدَعَكَهَا وَأَتَمَّنَكَ عَلَيْهَا ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ إِفْشَاؤُهُ خَيْرًا لَهُ فِي دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ ، فَأَفْشِهَا عَلَيْهِ وَانْصَحْهُ فِيهَا ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ إِذَا اسْتَنْصَحَهُ أَنْ يَنْصَحَهُ » . إِذَا تَعَلَّمْتَ عِلْمًا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ فَلْيُرِّ عَلَىكَ أَثَرُهُ ، وَلْيُرِّ فِيكَ سِمَتُهُ ، وَتَعَلَّمْ لِلَّذِي تَعْمَلُهُ ، وَتَعَلَّمْ لَهُ السَّكِينَةَ وَالْحِلْمَ وَالْوَقَارَ ، بلغني عن النبي صلى الله

عليه وسلم أنه قال : « العلماء ورثة الأنبياء » . ردّ جواب الكتاب إلى كل أحد كتب إليك ، فإنما هو كردّ السلام ، قال الله عز وجل : « وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا » وقال ابن عباس رضى الله عنهما : « أرى رجّع الكتاب علىّ حقاً ، كما أرى رجّع السلام » . الزم الحياء فإنه خُلق الإسلام ، بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لكل شيء مخلق ، وخلق الإسلام الحياء » . إذا سافرت قل : اللهم إني أعوذ بك من وَعْثاء^(١) السفر ، وكآبة المنقلب ، ودعوة المظلوم ، وسوء المنظر في الأهل والمال ، والخور بعد الكور^(٢) ، بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول ذلك إذا سافر . إياك وظلم الضعيف ومن لا يستعين عليك إلا بالله ، بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ثلاثة لا تُردّ دعوتهم : الإمام العادل ، والصائم حتى يُفطر ، ودعوة المظلوم فإنها تصعد فوق الغمام ، فيقول الله لها : وعِزَّتِي وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين » . إذا ودّعت مسافراً قل : زودك الله التقوى ، وغفر لك ذنبك ، ويسر لك الخير حيثما كنت ، أستودعُ الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك ، بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأمر بها أصحابه . إذا حضرت أمراً ليس لله بطاعة ، ولا تقدرُ على أن تدفعه ، فقم عنه ولا تقعد ، بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يمنعن أحدكم مخافة الناس أن يقول الحق إذا شهده أو علمه » . الزم

(١) الوعثاء : المشقة .

(٢) الخور : النقصان ، والكور : الريادة ، وفي الحديث : « أعوذ بالله من الخور بعد الكور »

أى من النقصان بعد الريادة ، وقيل معناه من ساد أمورنا بعد صلاحها .

السَّوَالِكُ فَإِنَّهُ سُنَّةٌ ، بَلَغَنِي عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « السَّوَالِكُ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ » . أَفْشَى الصَّدَقَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ ، وَلِيَكُنْ ذَلِكَ مِنْ أَطْيَبِ مَالِكَ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ إِلَّا الطَّيِّبَ ، بَلَغَنِي عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِنْ أَحَدُكُمْ لِيَتَصَدَّقَ بِالثَّمَرَةِ إِذَا كَانَتْ مِنْ طَيِّبٍ - وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ - فَيَجْعَلُهَا فِي كَفِّهِ ، فَيَرْبِّيْهَا لَهُ كَمَا يَرْبِّي أَحَدُكُمْ فَلَوْهٗ ^(١) أَوْفَصِيلَهُ ، حَتَّى تَكُونَ فِي يَدِهِ مِثْلَ الْجَبَلِ » . إِذَا نَزَلَتْ بِكَ كُرْبَةٌ مِنْ كَرْبِ الدُّنْيَا فَلْيَكُنْ مَفْرَعَكَ فِيهَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حِينَ تَنْزِلُ بِكَ ، بَلَغَنِي عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « لَنْ يَنْزِلَ بَعْدَ قَطْءِ أَمْرٍ كَانَ مَفْرَعُهُ فِيهِ إِلَى اللَّهِ إِلَّا فَرَجَ اللَّهُ عَنْهُ » . لَا تَضْطَجِعْ عَلَى بَطْنِكَ إِذَا نِمْتَ ، وَلَا فِي غَيْرِ نَوْمِكَ ، بَلَغَنِي عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّهَا لَضَجْعَةٌ يُبْغِضُهَا اللَّهُ » . أَوْفٍ بِالْعَهْدِ إِذَا أُعْطِيَتهَ مِنْ تَفْسِكَ لِكُلِّ أَحَدٍ ، بَلَغَنِي عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « أَحَقُّ مَا وَُفِّيَ بِهِ عَهْدُ اللَّهِ » . إِذَا حَضَرَتِ السُّلْطَانُ فَاشْفَعْ بِخَيْرٍ ، وَإِيَّاكَ وَالْكَلَامَ عِنْدَهُ إِلَّا بِمَا يُرْضَى اللَّهُ ، بَلَغَنِي عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِنْ الرَّجُلُ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنَّهَا تَبْلُغُ مَا بَلَغَتْ ، يَكْتُبُ لَهُ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَإِنْ الرَّجُلُ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنَّهَا تَبْلُغُ مَا بَلَغَتْ ، يَكْتُبُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » . أَسِرَّ مَا أَرَدْتَ بِهِ اللَّهُ مَا اسْتَطَعْتَ ، بَلَغَنِي عَنْ النَّبِيِّ

(١) القلو بالكسر وكعدو وصمو : الجحش أو الهر فطما أو بلقا السنة ، والفصيل : ولد الناقة

إِذَا فَصَلَ عَنْ أُمِّهِ .

صلى الله عليه وسلم أنه قال : « صدقة السر تطفى غضب الرب » . اتق كثرة التزكية لنفسك ، أو ترضى بها من أحد يقولها لك في وجهك ، بلغنى أن رجلا امتدح رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « وَيَحْكُ قَطَمَتَ عُنْقِهِ ! ولو سمعها ما أفلح أبدا » . إياك ومدح الناس والثناء عليهم في وجوههم ، بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اخشوا^(١) التراب في وجوه المذاحين » . طهر ثيابك ونقها من معاصي الله تعالى ، فإنه بلغنى أن قوله « وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ » يأمره ألا يلبسها على عذرة^(٢) . واكره لكل أحد ما تكره لنفسك ، بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه بايع جريرا البجلي^(٣) على الإسلام والنصيحة لكل مسلم ، إياك والحسد والشره ، بلغنى أنهما خلطان مرديان لصاحبهما في الدنيا والآخرة ، وقال صلى الله عليه وسلم : « لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا وسلطه على إنفاقه في الحق ، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها » . اقتد في أمورك برأى ذوى الإنصاف من أهل التقوى ، بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « حياركم شبانكم المتشبهون بشيوخكم ، وشراركم شيوخكم المتشبهون بشبانكم » . لا تحتكر^(٤) أحدا ، ولا تجالس مأبونا^(٥) فإن الوخدة خير من جليس السوء . عليك بمعالى الأخلاق وكريمها ، واتق رذائلها وما سفسف

(١) حشا التراب في وجهه يحنوه ويحنيه حشا وحشا : رماه .

(٢) العذرة : الغلط .

(٣) المكر بالفتح : سوء المعاشرة ، وفعله كضرب ، يقال : فلان يحكر فلانا إذا أدخل عليه

مشقة ومضرة في معاشرته ومعايشته .

(٤) أى متها بهر .

منها ، بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله يحب مَعَالِيَ الأخلاق ، ويكره سَفْسَافَهَا^(١) » . إذا رأيت مَنْ فَضَّلْتَ عليه في دينك ودنياك فأكثرِ حمدَ الله عليه ، فإن ذلك من الشكر ، بلغنى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما أنعم الله على عبد بنعمة فقال الحمد لله ، إلا كان ذلك أعظمَ من تلك النعمة وإن عظُمت » . لا تَرَكِبِ المِثْرَةَ^(٢) الحمراء ، ولا تلبَسِ المَعَصْفَرَ ، فإنه بلغنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن ذلك . إذا غَضِبْتَ وأنت قائم فاقعد ، وإن كنت قاعدا فاضطجع ، بلغنى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم . لا تتطيرَنَّ من شيء تراه أو تسمعه ، وإذا كَانَ من ذلك شيء فقل : اللهم لا يَأْتِي بالخير إلا أنت ، ولا يدفعُ السوء إلا أنت ، ولا حولَ ولا قوة إلا بالله ، بلغنى أن النبي صلى الله عليه وسلم كَانَ يأمر بذلك لمن رأى من ذلك شيئا لا تتوصأ بشيء مما تأكل من الطعام ، ولا تَدُلُّك به في الحمام ، فإن ذلك من الجفاء ، لا تَخْلُقَنَّ بالخلوق^(٣) إلا أن يكون في إثر النُورَةِ^(٤) ليذهب ريحُها . بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ينما رجل في بُردتين له متخلِّق يتبختر فيهما إذساخت به الأرض فهو يتجلجل^(٥) فيها إلى يوم القيامة » . لا تُغَبِّرَنَّ^(٦) أظفارك بالحناء رلا يديك

(١) سفساف الأخلاق : رديئها

(٢) المِثْرَةُ : مركب من مراكب الأعاجم من ديباج أو حرير ، وثوب مصفر . مصوغ بالمصفر كقنفذ .

(٣) الخلق : ضرب من الطيب ، وتخلق : تطيب .

(٤) النورة : حجر الكاس تم غلبت على أخلاط نضاف إلى الكلس من زرنيج وغيره وتستعمل لإزالة الشعر .

(٥) التجلجل : السخوخ في الأرض .

(٦) غَبَّرَهُ به تغييرا : لطفه به ، وفي الأصل « لا تغيرن » وهو تصحيف .

إذا دخلت الحمام ، فإنه ليس من مسمى أهل الفضل ، ولا تحلف بالطلاق ولا بالعَتاق ، فإنها من أيمان الفُسَّاق ، بلغني عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه قال : « أربعُ جائزة إذا تُكَلِّمُ بهن : الطلاق والعَتاق والنكاح والنذر ، وأربعة يُمَسِّونَ اللهُ عليهم سَاخِطٌ ، وَيُصْبِحُونَ والله عليهم غضبانٌ : المتشبهون من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال ، ومن أتى بهيمة ، أو عمل عمل قوم لوط . لا تتطيبن بشيء من الطيب يظهر لونه ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « طيبُ الرجل ما بطن لونه وظهر ريحُه ، وطيبُ النساء ما ظهر لونه وبطن ريحُه » الزم الرأي الحسن ، والهدى ^(١) الحسن ، والاقتصاد ، بلغني عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : « الرأي الحسن جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة » إن استطعت ألا تدع العمامة والبرد في العيدين والجمعة فافعل ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يلبس العمامة والبرد في العيدين والجمعة ، وقال : « إن الله تعالى أعز الإسلام بالعمائم والألوية » . إذا طلاك أحد بالثورة فبلغ المراق ^(٢) فلا يل ذلك منك إلا نفسك ومن يُحسن ذلك من نسائك ، فإنه بلغني عن بعض العلماء أنه كان يلبس ذلك من نفسه . لا بأس أن تغتسل بماء الحمام وأنت جنب وتصلّي ، بلغني عن ابن عباس أنه سئل عن الجنب يغتسل في الحمام ، فقال : إن الماء لا يجنب ^(٣) ، وإذا تخمّت في المسجد فادفنه ، بلغني عن بعض العلماء أنه قال :

(١) الهدى : الطريقة والسيرة .

(٢) مراق البطن : مراق منه ولا . جمع راق ، أو لا واحد لها .

(٣) أي لا يحبس .

« هي خطيئة ، وكفارتها دقنها » . إذا نمت فقل عند منامك : « اللهم أنت القائم الدائم لاترول ، خلقت كل شيء لاشريك لك ، علمت كل شيء بغير تعليم ، اغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ألا قلت كما قال علي بن أبي طالب » رضى الله عنه ! وهو الذي قال ذلك . إذا أتيت الحاجة فلا تستقبل القبلة بفرجك ولا تستديرها ولا تستنج بيمينك ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأمر أصحابه ألا يستقبلوا القبلة ، ولا يستنجوا بأيامهم ، ولا يستنجوا بعظم ولا روث . إذا انصرفت من الصلاة فقل : « اللهم إني أسألك من الخير كله ما علمت منه وما لم أعلم ، وأعوذ بك من الشر كله ما علمت منه وما لم أعلم ، اللهم إني أسألك من الخير ما سألك الصالحون ، وأعوذ بك من الشر ما عاذ منه عبادك الصالحون ، اللهم آتينا في الدنيا حسنة . وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار » ، بلغني عن ابن مسعود أنه قال : مادعا مرسل ولا عبد صالح بشيء حسن إلا هو فيه ، يعنى في هذا الدعاء . لا تشتم عبدا لك ولا أمة بزنا ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قذف أمة أو حرة أو يهودية أو نصرانية ، فلم يضرب في الدنيا ضرب يوم القيامة ثمانين جلدة » . إذا كنت مسافرا أو مقيا فامسح إن شئت على خفيك ، إن كنت مسافرا ثلاثة أيام ولياليهن ، وإن كنت مقيا فيوما ليلة ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ذلك ، وعمر بن الخطاب رضى الله عنه وعلى ابن أبي طالب وابن عباس رضوان الله عليهم قالوا ذلك . إذا صافحك أحد فلا

تَنَزِعَنَّ يَدَكَ عَنْ يَدِهِ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَنْزِعُ يَدَهُ عَنْ يَدِكَ ، بَلَغَنِي عَنْ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَمْ يَصَافِحْ أَحَدًا فَتَزِعَ يَدَهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ
الَّذِي يَنْزِعُ يَدَهُ . إِذَا أَقْبَلَ عَلَيْكَ رَجُلٌ بِوَجْهِهِ يَحْدِثُكَ فَلَا تَصْرِفْ وَجْهَكَ
عَنْهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنْكَ ، وَإِذَا جَلَسْتَ إِلَى جَنْبِ
رَجُلٍ أَوْ جَلَسَ إِلَى جَنْبِكَ رَجُلٌ ، فَلَا تَقُومَنَّ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَلَا تَجَاوِزَنَّ
رَكْبَتَكَ رَكْبَتَهُ ، بَلَغَنِي عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَمْ تَجَاوِزْ رَكْبَتَهُ رَكْبَةً
جَلِيسٍ لَهُ . وَإِذَا أَحْسَسْتَ مِنْ أَمِيرٍ ظُلَامَةً أَوْ تَقَطُّرُ سَاءَ فَقُلْ : اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ
أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ ، أَعِزُّ مِنْ خَلْقِهِ جَمِيعًا ، اللَّهُ أَكْبَرُ مِمَّا أَخَافُ وَأُحْذِرُ ،
وَأَعُوذُ بِاللَّهِ الْمُسِيكِ السَّمَاءُ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ مِنْ شَرِّ فُلَانٍ ، اللَّهُمَّ
كُنْ لِي جَارًا مِنْ فُلَانٍ وَجُنُودِهِ أَنْ يَفْرُطَ^(١) عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَوْ أَنْ يَطْفَنِي ،
جَلَّ جَلَالُكَ ، وَعِزَّ جَارُكَ ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ ، تَقُولُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، بَلَغَنِي
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ وَأَمَرْنَا بِهِ ، وَإِذَا كَتَبْتَ إِلَى أَحَدٍ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ
الْإِسْلَامِ فَلَا تَكْتَبَنَّ : « سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ ، وَلَكِنْ اكْتُبْ : « السَّلَامُ عَلَى
مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى » ، بَلَغَنِي عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَتَبَ ذَلِكَ إِلَى
مُسَيْلِمَةَ . إِذَا عَطَسْتَ فِي الْخَلَاءِ فَادْكُرْ اسْمَ اللَّهِ خَفِيًّا لَا تَذْهَنْ فِي مُذْهَنْ
ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ ، وَلَا تَسْتَجِيرُ فِي مَجَامِرِ^(٢) الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، بَلَغَنِي عَنْ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ نَهَى عَنِ الشَّرْبِ فِي إِنَاءِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ لَا تَنِمَ عَلَى
الْحَرِيرِ وَالذِّيْبَاجِ فَإِنَّهُ لِبِسَةِ النِّسَاءِ ، بَلَغَنِي عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ

(١) أَيْ يَحُلُّ : عَلَى الْعُقُوبَةِ .

(٢) الْمَجَامِرُ جَمْعُ مَحْمَرَةٍ بِالسَّكْسَرِ : وَهِيَ الْمَحْمَرَةُ .

نهى عن لبس الحرير والديباغ إلا للنساء . إذا رأيت أمرا في أهلك وخاصتك مما ينبغي تغييره ، فلا تحايين منهم أحدا ، وقم فيه بالذى يحق عليك ، بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » . إذا هممت بأمر من طاعة الله عز وجل فلا تحبسك إن استطعت فوفا^(١) حتى تمضيته ، فإنك لا تأمن الأحداث ، وإذا هممت بأمر غير ذلك فإن استطعت ألا تمضيته فوفا فافعل ، لعل الله تعالى يحدث لك تركه . لا تستحي إذا دُعيت لأمر ليس بحق أن تقول : لا ، فإن الله تعالى يقول : « وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ » . إذا سمعت المؤذن يؤذن فقل كما يقول ، إلا أنك تقول إذا قال : حَيَّ عَلَى الصَّلَاة ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاح ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، بلغنى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم . لا تخلون بامرأة ليست لك بمحرم^(٢) ، بلغنى عن عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه أنه قال : « ما خلا رجل بامرأة ليست له بمحرم إلا كان ثالثهما الشيطان » . إذا قال الإمام آمين ، فقل آمين ، فإنه ينبغي إذا فرغ من أم^(٣) القرآن أن يقول آمين ، ويقرله من خلفه سرا ولا يجهر به ، بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا أمّن الإمام فأمنوا ، فإن الملائكة تؤمن لتأمين الإمام . فمن وافق منكم تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه » . إذا قضيت الحاجة فلا تبدأ بشيء حتى تغسل فرجك بالماء . بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأهل

(١) الفواق بالضم ويهتج : ما بين الحلتين من الوقت ، أو ما بين فتح يدك وقصها على الصرع .

(٢) المحرم : ذات الرحم في القراءة التي لا محل لروحها .

(٣) أم القرآن : العاتقة .

مسجد قباء : إنما نزلت هذه الآية فيكم « فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ » . فَأَنْبِئُونِي مَا هَذَا التَّطَهُّيرُ الَّذِي ذُكِرْتُمْ بِهِ فَأَنْبِئْتُمْ^(١) عَلَيْهِ ؟
 قالوا : « والذي بعثك بالحق نبيا ، مأمينا امرأة ولا رجل يأتي الخلاء فيبدأ بشيء دون غسل فرجه بالماء » . إذا أكلت طعاما فعلق بين أصابعك فalcقها ، وأسنانك فتخلل ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليس شيء أشد على الملك من أن يرى في الرجل طعاما وهو يصلي » . إذا نزلت منزلا فقل : « أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق » ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من نزل منزلا فقال هذه الكلمات وَقِيَ شَرَّ مَنْزِلِهِ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْهُ » . لا تأكل شيئا من ثمن طعام لا يحل لك أكله ، ولا شيئا من ثمن شراب لا يحل لك شربه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم في الخمر : « إن الذي حرّم شربها حرّم ثمنها » ولا تدأو بشيء لا يحل لك أكله ولا شربه ، ولا تبعه ولا تشتريه ولا تطعمه ، ولا تطعمه أحدا ولا تسقه ولا تدأو به أحدا صغيرا ولا كبيرا ولا بهيمة ولا غيرها ، بلغني عن بعض علماء الصحابة أنه نعت لبعير له خمر فقال : « لا والله لا أوجرُه^(٢) خمرا » . لا تأكل لحم شيء من السباع ولا ذا مخلب من الطير ، بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع إذا فرغت في منامك فقل : « أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه ، ومن شر عباده ، ومن شر الشياطين ، وأن يحضرون » ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

(١) في الأصل « مائتوا » .

(٢) أوجره الدواء : صه في فيه .

« إذا فرغ أحدكم في منامه فليقل ذلك ». إذا قلت لأحد أقسمت عليك لتفعلن ، فلم يفعل الذي أقسمت عليه أن يفعله وجب عليك الحنث ، وكفر عن يمينك ، وكذلك إن قلت له : أحلف عليك أو أشهد عليك لتفعلن ، فلم يفعل ، وجب عليك الحنث ، وكذلك إذا كنت وقتاً له وقتاً معلوماً فتركه حتى جاوز الوقت . لا تبدآن أحداً من غير أهل الإسلام بالسلام ، لكن لو سلم هو فقل : وعليكم ، بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بذلك . لا بأس أن تأكل جنباً - وإن كنت لم تتوضأ - إذا غسلت يديك لا تقل لأحد صلى الله عليه عليك ، بلغني عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : « لا تنبئ الصلاة من أحد لأحد إلا للنبي عليه السلام » ولا تقل لأحد : جماني الله فداءك ، بلغني أن الزبير قال للنبي صلى الله عليه وسلم ذلك وهو مريض ، يقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « ما تركت أعرائيتك بعداً » وبلغني عن بعض العلماء أنه قال : « لا يفد أحد أحداً » لا بأس بمصافحة الجنب ومباشرته ، بلغني عن ابن مسعود أنه قال : « أربعة ليس عليهم جنابة : الأشنان^(١) والماء والثوب والأرض » لا بأس بمصافحة اليهودي والنصراني والصلاة في بيوتهم لا تبلغ بتيء من أدبت إذا أدبت وعافيت أحداً على جرم اجترمه أربعين سوطاً ، قال صلى الله عليه وسلم : « من بلغ حداً في غير حد فهو من المعتدين » . إذا أحببت أحداً لله فأعله ، لما قال

(١) في الأصل « الأسان » وأرى أن صوابه « الأشنان » وقد تقدم شرحه في ص ١ ، والكلام على حذف مضاف أي دوو الأسان ... الخ ، والمعنى أن هذه الأشياء الأربعة لا تعدى إليها حاة الحب ، فلا بأس باستعمالها ومباشرتها إن استعمالها هو واسرها .

رجل للنبي صلى الله عليه وسلم إني أحب فلانا لله ، قال : أما أخبرته ؟ قال : لا ، قال : فأخبره ، فلما أخبره قال : أحبك الله الذي أحببتني له . لا تشفع فيمن وجب عليه حدٌ من حدود الله إذا انتهى إلى الإمام ولا تحلُّ دونه ، ولا بأس أن تشفعَ قبل ذلك ، قال ذلك بعض علماء الصحابة - وتشفعَ في سارق - فقيل له : أتشفع فيه وأنت من الصحابة ؟ فقال : لا بأس به قبل أن يبلغ الإمام ، فإذا بلغه فلا عفا الله عنه إن عفا عنه . الزم الصمت ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يستكمل الرجل الإيمان حتى يخزن لسانه » . وإذا أتيت قرية أو بلدا فقل : « اللهم ارزقنا خيرها ، واصرف عنا وباءها » ، كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول ذلك إذا دنا من قرية . إذا عطست فقل : الحمد لله ، فإن قال قائل : يرحمك الله ، فقل : غفر الله لنا ولك ، وإن عطس عندك مسلم فقال : الحمد لله ، فقل : يرحمك الله ، كان على رضى الله عنه يقولها لمن عطس ويقول ذلك : يهديك الله ويصلح بالاك ، وكان ابن مسعود يقول لمن عطس : يرحمنا الله وإياك ، ويقول ذلك : يغفر الله لنا ولك ، ولا تشمته^(١) حتى يحمده الله ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من حق المسلم إذا عطس أن يُشمت إذا حمد الله » . وقرَّ الكبير وارحم الصغير ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا » . لا تصافح امرأة ليست لك بزوجة ولا ملك عَمَلين ، ولا تضع يدها على شيء من جسديك ، ولا تضع يدك على شيء من جسدها ، ولا تقبل يدك ولا شيتا

(١) الشميت : الدعاء للعاطس .

من جسدك ، ولا تعانق رجلا ولا تقبله ليس بذى رحم لك ، واصنع ذلك
بذى رحمك ، ضمَّ النبي صلى الله عليه وسلم جعفر بن أبي طالب حين قَدِمَ
من الحبشة إلى نفسه وقَبِلَ بين عينيه ، لا ترفع صوتك في مسجد جماعة ،
ولا تشهر فيه سِلاحا ، فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنه . إذا دُعيت إلى
تحمل شهادة فإنك مخير ، فإن شهدت فلا يسمعك الامتناع إذا دُعيت إلى
الأداء . لا تمنن على أحد بإحسانك فإنه يُبطل أجرَكَ ، قال الله عز وجل
« لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ، وَمَنْ أَوْلَاكَ مَعْرُوفًا وَعَجَزْتَ عَنْ
مُكَافَأَتِهِ ، فَأَتْنِ عَلَيْهِ وَادْكُرْهُ بِهِ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أُولِيَ
مَعْرُوفًا فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى مُكَافَأَتِهِ إِلَّا بِالنَّشَاءِ فَقَدْ شَكَرَهُ ، وَمَنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ »
إذا طُعِمْتَ وعندك أحد فادعُه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنْ فِي
الْجَنَّةِ غُرَفًا يَرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا ، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا » قيل : لمن هي ؟
قال : « لِمَنْ أَطْعِمَ الطَّعَامَ ، وَتَابَعَ الصِّيَامَ ، وَطَيَّبَ الْكَلَامَ ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ
وَالنَّاسُ نِيَامٌ » . إذا عَمِلْتَ عَمَلًا لِلَّهِ فَأَحْسِنْهُ ، لقوله تعالى « لِيَبْلُوكُمْ
أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا » . لا تَعَجِّرْ عَلَى أَحَدٍ بِعُقُوبَةٍ وَلَا بِتَهْمَةٍ حَتَّى تُحَقِّقَهُ (١) .
لَا تَأْتِ أَهْلَكَ أَوْ جَارِيَتَكَ وَغَيْرُهَا يَرَاكَ أَوْ يَسْمَعُ حِسَّكَ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : « اسْتَحْيُوا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ ، قَالُوا : وَكَيْفَ نَسْتَحْيِي مِنْ اللَّهِ حَقَّ
الْحَيَاءِ ؟ قَالَ : احْفَظُوا الرُّأْسَ زِمَا حَوَى ، وَالبَطْنَ وَمَا رَعَى وَادْكُرُوا
المَوْتَ وَالْبَلَى ، وَذَرُّوا زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » . إذا أَصْبَحْتَ فَقُلْ : اللَّهُمَّ لَا إِلَهَ
إِلَّا أَنْتَ ، وَحَدِّثْ لَشَرِيكَ لَكَ ، إِلَهَ الْمَلِكِ وَلَكَ الْحَمْدُ لَا شَرِيكَ لَكَ

(١) حقه كدّه وأحقه : غلبه على الحق .

سمر مرات « ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من قالها عشر مرات حين يُصْبِحُ وَكُلَّ به مَلَكٌ يَحْرُسُ سَانَهُ حَتَّى يُمِيتَهُ ، وَإِذَا قَالَهَا لَيْلًا فَكَذَلِكَ حَتَّى يُصْبِحَ » . وَإِذَا كُنْتَ فِي الْعِيدَيْنِ وَالْجُمُعَةِ وَيَوْمَ عَرَفَةَ بِعَرَفَةَ فَاغْتَسِلْ ، وَإِنْ تَوَضَّأْتَ أَجْزَأُكَ ، سَأَلَ رَجُلٌ عَلِيًّا عَنِ الْغُسْلِ فَقَالَ : لِلْجُمُعَةِ وَالْعِيدَيْنِ وَعَرَفَةَ . إِذَا رَأَيْتَ الْهَلَالَ فَلَا تَسْتَقْبِلْهُ حَتَّى تَدْعُوَ وَقُلْ : اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ ، أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذَا الشَّهْرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الْقَدَرِ وَشَرِّ يَوْمِ الْمَحْشَرِ . لَا تُؤْمِنَنَّ أَحَدًا فِي بَيْتِهِ وَلَا سُلْطَانَهُ إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ لَكَ ، وَكَذَلِكَ أَنَّهُ بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « لَا يُؤْمِنَنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي بَيْتِهِ وَلَا فِي سُلْطَانِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ » . وَلَا تَحِبَّ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَمَثُلُوا لَكَ قِيَامًا ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . « مِنْ سَرَّهِ أَنْ يَمَثُلَ لَهُ ابْنُ آدَمَ قِيَامًا وَجِبَتْ لَهُ النَّارُ » . أَحَبُّ الدَّعْوَةِ إِذَا دُعِيَْتَ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « الدَّعْوَةُ يَوْمَ الْعُرْسِ حَقٌّ » وَقَالَ : « لَوْ دُعِيَْتُ إِلَى كُرَاعٍ ^(١) لَا جِبْتُ » . إِذَا حَلَفْتَ عَلَى شَيْءٍ وَحَلَفَ وَالدَّاءُ أَوْ أَحَدُهُمَا عَلَى خِلَافِهِ فَاطْعُمُهَا مَا لَمْ يَكُنْ مَعْصِيَةً . احْتَجِمِ فِي سَبْعَ عَشْرَةَ وَتِسْعَ عَشْرَةَ وَإِحْدَى وَعَشْرِينَ ، أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ . إِذَا عُذْتُ مَرِيضًا فَاخِفِ الْعِيَادَةَ ، وَأَقِلِّ اللَّبْتَ ، إِذَا مَرَرْتَ بِالْمَقَابِرِ فَقُلْ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدَّارِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ ، أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ ^(٢) وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ ، أَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ الْعَافِيَةَ . لَا بَأْسَ أَنْ تَمْشِيَ أَمَامَ الْجَنَازَةِ ،

(١) الكُرَاعُ مِنَ الْقَرِّ وَالْقَرُّ بِمَنْزِلَةِ الْوُظَيْفِ مِنَ الْفَرَسِ : وَهُوَ مُسْتَدِقُّ السَّاقِ .

(٢) فَرَطٌ : أَيْ مُتَقَدِّمُونَ ، وَالْفَرَطُ فِي الْأَصْلِ : الْمُتَقَدِّمُ إِلَى الْمَاءِ يُتَقَدَّمُ الْوَارِدَةُ فِيهِ لَهَا الْأَرْسَانُ

وَالدَّلَاءُ وَيَعْلَأُ الْحَيَاضُ وَيَسْتَقِي لَهَا ، يُقَالُ رَحَلَ فَرَطٌ ، وَقَوْمُ فَرَطٍ .

مشى النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وابن عمر أمامها ، وإذا كنت راكبا فلا تسبقها ، ولا تنزل حتى توضع عن عواتق الرجال ، بلغني ذلك عن بعض الصحابة . لا تنفخ في الطعام والشراب فإنه جفاء ، قاله بعض العلماء . ارفع يدك في عشرة مواطن : إذا دعوت عند افتتاح الصلاة والعيد والقنوت والتكبير وعند استلام الحجر وعرفة وجمع^(١) والصفاء والمروة والجمار ، روى ذلك عن ابن عباس ، وعند افتتاح الصلاة والقنوت والعيد ترفعهما حتى تحاذي إبهامك أذنك ، وتبسطهما عند صدرك في باقى ذلك . لا تلعب بالترد ، لعن النبي صلى الله عليه وسلم اللاعب به وقال : « إياكم وإياه » . لا تمضغ العلك^(٢) ، ولا تحلل إزارك ، ولا تجرد ولا تحذف^(٣) ، قال النبي صلى الله عليه وسلم « إنها من أخلاق قوم لوط » . اجمع الصوآم عند فطرك على طعامك ، قال صلى الله عليه وسلم : « من فطر صائما كان له مثل أجره ، ولا ينقص من أجر الصائم شيء »

واعلم - رحمك الله - « أن الله تعالى خصك من موعظتى بما نصحتك ، وأنهى إليك منه ما أرجو أن يكون سعادة لك وسببا إلى الجنة ، فليكن منك فيما كتبت إليك من القيام بأمر الله تعالى واتباع ما هو أهله ما ترجوه القربة عند الله تعالى ، ولا يكن ذلك مما تظلف^(٤) عنه نفسك ، وتعاهد بها

(١) جمع : المردلة .

(٢) العلك : ضرب من صمغ الشجر كاللبان يعضغ .

(٣) حذف في مشيته حرك جنبه وعجزه أو تدانى خطوه .

(٤) ظلف نفسه عنه كضرب : كفها .

بالأخذ والتأديب عليه إن شاء الله حتى توقفها على الذي لا يذنبى لك التقصير
بها عنه إن شاء الله تعالى ، والله الموفق للصواب ، وإليه المرجع والمآب ،
« رسالة مطبوعة بالمطبعة الأميرية سنة ١٣١١ هـ ، ومنها نسخة محفوظة
في دار الكتب المصرية رقم ١٣٠١ تصوف وأخلاق ^(١) » .

(١) وقد طبع حديثاً بمطبعة مصطفى النابى الحلوى وأولاده بمصر .

بحمد الله تم طبع كتاب (جمهرة رسائل العرب) بقلم الأستاذ
أحمد زكى صفوت المدرس بدار العلوم العليا مصححاً بمعرفة

رئيس التصحيح

٢٦٢٤٤

أحمد سعد على

وه

من علماء الأزهر الشريف

[القاهرة في يوم الخميس ١٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٧ / ٤ / ١١ أغسطس سنة ١٩٣٨ م]

مدير المطبعة

ملاحظ المطبعة

رستم مصطفى الحلوى

محمد أمين عمارة

